

التحريف بالمصطلح الشريف

تأليف
القاضي ابن فضل الله العبري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
٧٠٠ هـ - ٧٤٩ هـ

عني بتحقيقه و ضبطه و تعليق حواشيه
محمد حسين شمس الدين

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

طلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص: ١١/٩٤٤٤ تلکس: Nasher 41245 Le

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

مؤلف الكتاب

هو أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مُجَلِّي بن دَعْجَان بن خلف بن نصر... القُرشي العَدَوِي العُمري. يتصل نسبه بعمر بن الخطاب ولذلك عُرف بالعُمري^(١).

ولد العمري بدمشق ثالث شَوَّال سنة ٧٠٠ هـ^(٢). قرأ العربية أولاً على الشيخ كمال الدين ابن قاضي شُهْبَة، ثم على قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم، وتفقه على قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد عبد الله، وعلى الشيخ برهان الدين، وقرأ الأحكام الصغرى على الشيخ تقي الدين بن تيمية، والعروض على الشيخ شمس الدين

(١) يقول العمري إن عشيرته أصلها من قريش، وتحدّر من عمر بن الخطاب. وقد وصلت هذه العشيرة في الأصل إلى مصر أيام الخليفة الفائز (٥٤٩ - ٥٥٥ هـ / ١١٥٤ - ١١٦٠ م) عندما كان الملك الصالح طلائع بن رُزَيْك (٤٩٥ - ٥٥٦ هـ / ١١٠١ - ١١٦١ م) يتولى الوزارة. وكان القادمون جماعة من آل عَدِي بن كعب، وهو البطن القرشي الذي ينتمي إليه عمر بن الخطاب. ومن بين هؤلاء بيوت من آل عمر على رأسهم خلف بن نصر العمري - من سلالة ابن الخطاب - وهو الجد الأعلى للمؤلف ابن فضل الله. ويشيد العمري بالعلاقة الطيبة التي كانت تربط جدّه هذا بطلائع بن رُزَيْك - على مخالفة المعتقد. وربما كان هذا التقليد المتوارث في أسرته عن حسن علاقتها بالفاطميين وراء موقفه الإيجابي من الدولة الفاطمية، بخلاف كثير من المؤرخين والأدباء. وقد تمثل هذا في قصيدة أثنى عليهم فيها، حفظها لنا السيوطي في «حسن المحاضرة».

(انظر: مسالك الأبصار: المقدمة بقلم المحققة كرافولسكي - وقلائد الجمان للقلقشندي: ١٣٩ - ١٤٠).

(٢) كذا في النجوم الزاهرة وفوات الوفيات. وفي تاريخ الإسلام للذهبي والمنهل الصافي: سنة ٦٩٧ هـ.

الصائع وعلاء الدين الوداعي، وقرأ جملة من المعاني والبيان على العلامة شهاب الدين محمود الحلبي، والأصول على الشيخ شمس الدين الأصفهاني، وأخذ اللغة عن الشيخ أثير الدين^(١).

نشأ العمري في أسرة ذات عراقة أدبية، تولّى عدد من أفرادها وظيفة «صاحب ديوان الإنشاء» لأكثر من قرن من الزمان؛ وهؤلاء هم:

القاضي محيي الدين يحيى بن فضل الله المتوفى سنة ٧٣٨ هـ - وهو والد المؤلف.

القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله المتوفى سنة ٧١٧ هـ.

القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله المتوفى سنة ٧٠٦ هـ.

القاضي بدر الدين محمد بن محيي الدين بن فضل الله المتوفى سنة ٧٤٦ هـ.

القاضي شهاب الدين أحمد بن محيي الدين بن فضل الله المتوفى سنة

٧٤٩ هـ.

القاضي علاء الدين علي بن محيي الدين بن فضل الله المتوفى سنة ٧٦٩ هـ.

القاضي بدر الدين محمد بن علاء الدين علي المتوفى سنة ٧٩٦ هـ؛ وهو آخر

من ولي من بني فضل الله كتابة السرّ ببلاد مصر^(٢). وإلى هذا الأخير يرجع الفضل في

إدخال القلقشندي إلى ديوان الإنشاء، وفي توجيهه لكتابة مؤلفه الجليل: صبح

الأعشى في صناعة الإنشاء. وكان القلقشندي قبل هذا قد كتب مقامة في تقرّظ المقر

البدريّ سمّاها: «الكواكب الدرّية في المناقب البدريّة»، وهي نواة كتابه «صبح

الأعشى»^(٣).

وبالعودة إلى كاتبنا وأسرته نقول إن تلك النشأة المتميزة - في ميادين الأدب

وكتابة الإنشاء، وفي أجواء أسرته من آل فضل الله - جعلت منه، على حدّ تعبير الشيخ

صلاح الدين الصفدي^(٤): «أحد الأدباء الكمّلة الذين رأيتمهم؛ وأعني بالكمّلة: الذين

(١) انظر: فوات الوفيات: ١٥٩/١.

(٢) النجوم الزاهرة: ٣١٦/٩ - وانظر وفيات السنوات المذكورة في الأجزاء: ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ تجد تراجم المذكورين.

(٣) صبح الأعشى: ٣٤/١ - ومقدمتنا لصبح الأعشى: طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) الوافي بالوفيات: ٢٥٢/٨ وما بعدها.

يقومون بالأدب علماً وعملاً في النظم والنثر، ومعرفة بتراجم أهل عصره ومن تقدّمهم على اختلاف طبقاتهم، وبخطوط الأفاضل وأشياخ الكتابة». قال: «ثم إنه مُشارك من رأيته من الكَمَلَة في أشياء، وينفرد عنهم بأشياء بلغ فيها الغاية، لأنه جوّد فن الإنشاء والنثر، وهو فيه آية، والنظم وسائر فنونه، والترسّل البارع عن الملوك؛ ولم أر من يعرف تواريخ الملوك المُغل من لُدُن جنكيزخان وهلمّ جرّاً معرفته، وكذلك ملوك الهند والأترك. أما معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان وخواصها فإنه فيها إمام وقته، وكذلك معرفة الاضطراب وحلّ التقويم وصور الكواكب. وقد أُذن له العلامة شمس الدين الأصفهاني في الإفتاء على مذهب الإمام الشافعي».

عمل شهاب الدين في ديوان الإنشاء مع والده لما كان هذا الأخير كاتب السّر بدمشق، في أيام سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة. ولما انتقل والده إلى كتابة السّر بمصر أنتقل معه وصار هو الذي يقرأ البريد على الملك الناصر وينقذ المهمات؛ وقد استمر في ذلك طوال مدة عمل والده، نيابةً عنه، بسبب كبر سنّه^(١). غير أن السلطان ما لبث أن تغيّر عليه وصرفه سنة ٧٣٨ هـ، وأقام مكانه أخاه علاء الدين عليّاً^(٢). وتوجّه شهاب الدين إلى دمشق وبقي فيها حتى وفاته تاسع ذي الحجّة سنة ٧٤٩ هـ^(٣).

(١) نقل في النجوم الزاهرة عن الصفدي قوله في محيي الدين بن فضل الله، والد شهاب الدين أحمد: «ولم أر في عمري من كتب النسخ وخرّج التخاريج والحواشي أحلى وأظرف ولا ألطف منه. لكن القاضي محيي الدين هذا رعشت يده وأرتجت كتابته أخيراً. قال: ولم أر عمري من نال سعادته في مثل أولاده وأملاكه ووظائفه وعمره». - النجوم الزاهرة: ٣١٦/٩.

(٢) لم تذكر لنا المصادر سبب تغيّر السلطان عليه؛ غير أن ما ذكر عن موقفه الإيجابي من الفاطميين ومديحه لهم في قصيدة نقلها السيوطي ما يدعو للتأمل. كما أن انصرافه عن ديوان الإنشاء كان في نفس السنة التي توفي فيها والده أي سنة ٧٣٨ هـ. ولعلّ مكانة والده المميّزة لدى السلطان كانت تحول دون إصابته بغضب السلطان. وقد نقل صاحب النجوم الزاهرة عن الصفدي قوله: «وكان السلطان قد بالغ أخيراً في احترامه (أي محيي الدين بن فضل الله) وتعظيمه، وكتب له في أيام الأمير سيف الدين الجاني الدوادار توقيعاً «بالجناب العالي» يقبل الأرض، واستعفى من ذلك وكشطها وقال: ما يصلح لمتعمّم أن يُعدّي به «المجلس العالي».

(٣) ذكر المؤرخون سنين مختلفة لوفاته؛ فقد جعله ابن إياس في وفيات سنة ٧٥٥ هـ؛ وذكر جرجي زيدان أن وفاته كانت سنة ٧٤٨ هـ. غير أن ما ذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: ٣٣٤/١٠ هو أكثرها

وقد كان لانصراف الملك الناصر عنه أثرٌ بالغ المرارة في نفسه، مما وُلد لديه اتجاهًا قوياً للانصراف عن الكتابة وميلاً إلى الانكفاء. كيف لا؟ وهو إمام زمانه في الترسل والكتابة الديوانية^(١) والمعرفة بأحوال المسالك والممالك. وقد أشار العمري إلى تلك المرارة في مقدمته لكتابنا هذا بقوله: «هذا وقد خلعت ذلك الرداء المعار، ومات سلطاننا رحمه الله وزال ذلك الستار؛ وقد أهملت هذا الفن حتى نسيته». ويقول في خاتمة الكتاب: «وإعراضني عن هذه الصناعة التي قلتُ منها البضاعة، وعلمت أن إنفاق رأس مالي من العمر فيها كان إضاعة». ولعلَّه بعد تركه ديوان الإنشاء بمصر انصرف في الشام إلى تأليف مجموعته الموسوعية المسماة «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» وهي حصيلة عملية جمع واستقصاء استمرت عشرة أعوام ونيفاً؛ والراجع أن الموت فجأه قبل أن يُتمَّ كتابه المذكور^(٢).

مؤلفات العمري

مع أن العمري لم يعمر طويلاً (٧٠٠ - ٧٤٩ هـ) فقد ألف كتباً مهمة في موضوعات شتى؛ وبعضُ هذه الكتب يعتبر مرجعاً أساسياً في بابهِ لجمع من جاءوا بعده، خاصة: مسالك الأبصار والتعريف. ونحن نثبت هنا مؤلفاته مع تعريف موجز بكل منها استناداً إلى ما جاء عنها في «كشف الظنون» لحاجي خليفة، و«الذيل» عليه لإسماعيل باشا البغدادي، و«فوات الوفيات» لابن شاکر الكتبي، و«تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي، و«صبح الأعشى» للقلقشندي.

== دقة. ويمكننا الجزم في ذلك من خلال نص للعمري نفسه في مسالك الأبصار حيث يقول: «فهذا ما ذكره الشريف أبو عمر عبد العزيز الإدريسي، وحدثني بذلك كله في صفر سنة ٧٤٩ هـ» وقد توفي العمري بعد تسعة شهور من كتابة تعليقه السالف الذكر. (مسالك الأبصار - القسم الأول - تحقيق دوروتيا كرافولسكي: المقدمة ص ٥٧).

(١) كانت كتابة السُر امتيازاً خاصاً لا يتطلَّع إليه إلا جلةُ الأدباء. وكان صاحبها بمثابة أمين سرِّ الدولة ورئيس دبلوماسيتها المطلَّع على خفاياها وأسرارها، وبالتالي كان هو الأقرب إلى السلطان حتى إنه يتقدَّم في بعض الأحيان على الوزير. (راجع مقدمتنا لكتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة لابن شيث - منشورات دار الكتب العلمية - بيروت).

(٢) انظر مقدمة مسالك الأبصار المذكور آنفاً.

١ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: وهو موسوعة ضخمة متخصصة في باب «المسالك والممالك» من الفرع الجغرافي الإسلامي المعروف، وهو ما يسمى في العصر الحديث «علم البلدان». وهذا الكتاب في أكثر من عشرين مجلداً. وقد قسمه المؤلف إلى قسمين: الأول في الأرض، والثاني في سكان الأرض.

٢ - التعريف بالمصطلح الشريف: وهو كتابنا هذا؛ وسيأتي الكلام عليه. وقد اختصره في كتاب آخر سماه: «عرف التعريف».

٣ - ممالك عبّاد الصليب: وصف فيه ملوك الإفرنج في عصره؛ وقد روى ذلك عن بلّبان الجنوبي، أحد مماليك بهادر المعزّي، فوصف ملك فرنسا وألمانيا وأحوالهما السياسية والاجتماعية؛ وفعل نحو ذلك في البنادقة والإيطاليين وأهل جنوة، وبيّن علاقتهم بالمسلمين. والكتاب طبع في روما سنة ١٨٨٣ م مع ترجمة إيطالية لأماري.

٤ - فواضل السمر في فضائل آل عمر: وهو دراسة عن أسرته ورجالاتها وفضائلها، في أربعة مجلدات. وما زال هذا الكتاب مفقوداً حتى الآن.

٥ - صباية المشتاق: وهو في مدح النبي ﷺ - في مجلد واحد.

٦ - دمعة الباكي ويقظة الشاكي: في الأدب. كذا ذكره إسماعيل باشا البغدادي. وذكره حاجي خليفة باسم «دمعة الباكي ويقظة الساهي». وذكره الكتبي في فوات الوفيات باسم «دمعة الباكي ويقظة الساهر».

٧ - نفحة الروض: في الأدب.

٨ - الشتويات: مجموع رسائل كتبها في الشتاء. ومنه نسخة مخطوطة في ليدن.

٩ - النبذة الكافية في معرفة الكتابة والقافية: ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة فلايشر.

١٠ - الدرر الفرائد: وهو مختصر «قلائد العقيان في محاسن الأعيان» لأبي

النصر الفتح بن خاقان المتوفى سنة ٥٣٥ هـ. وموضوعه تراجم لطائفة من ملوك ووزراء وقضاة وعلماء وأدباء وشعراء المغرب. ومن كتاب العمري نسخة في الخزانة التيمورية كتبت سنة ٧٢٠ هـ.

١١ - الدائرة بين مكة والبلاد: ذكره الزركلي في «الأعلام» ولم يذكر موضوعه.

١٢ - تذكرة الخاطر: ذكره في كشف الظنون ولم يذكر موضوعه.

١٣ - حسن الوفا لمشاهير الخلفاء: وهي قصيدة رائية

١٤ - ذهبية العصر: ترجم فيه لمشاهير المئة الثامنة من معاصريه، وذكر

أشعارهم وأخبارهم.

١٥ - الدعوة المستجابة: ذكره في كشف الظنون ولم يذكر موضوعه.

١٦ - سفرة السافر ويقظة المسافر: كذا ذكره إسماعيل باشا البغدادي. وفي

كشف الظنون: «سفرة السافر». وفي فوات الوفيات: «سفرة السفرة». ولم يذكر أحدٌ منهم موضوعه.

١٧ - الجواهر الملتقطة: ذكره القلقشندي في الصبح. وهو مجموعة من

المكاتبات من إنشاء العمري.

قال ابن شاکر الکتبي: وقد نظم العمري كثيراً من القصائد والأراجيز

والمقطّعات والدوبيت والموشّح والبليق.

ومن شعره: [الرمل]

سَلْ شَجِيًّا عَنْ فَوَادِ نَزْحَا	وخلِيًّا فِيهِمْ كَيْفَ صَحَا
وَمُحِبًّا لَمْ يَذُقْ بَعْدَهُمْ	غَيْرَ تَبْرِيحٍ بِهِمْ مَا بَرَحَا
مَزَجَ الدَّمْعَ بِذِكْرَاهُ لَهُمْ	مِثْلَ خَدْيٍ مِنْ سَقَاهِ الْقَدْحَا
زَارَهُ الطَّيْفُ وَهَذَا عَجَبٌ	شَبَّحَ كَيْفَ يَلَاقِي شَبْحَا

وقال: [الطويل]

أَحْبَابُنَا وَالْعَذْرُ مَنَا إِلَيْكُمْ إِذَا مَا شَغَلْنَا بِالنَّوَى أَنْ نُوَدَّعَا

أبْثُكُمْ شَوْقاً أَبَارِي بِيَعِضِهِ حَمَامَ الْعَشَايَا رَنَةً وَتَوَجُّعَا
 أَيْتُ سَمِيرَ الْبَرْقِ قَلْبِي مِثْلَهُ أَقْضِي بِهِ اللَّيْلَ التَّمَامَ مَرُوعَا
 وَمَا هُوَ شَوْقٌ مَدَّةٌ ثُمَّ يَنْقُضِي وَلَا أَنَّهُ لَكِنْ مَحَبٌّ تَفَجَّعَا
 وَلَكِنَّهُ شَوْقٌ عَلَى الْقَرَبِ وَالنَّوَى أَغْصَّ الْأَمَاقِي مَدْمَعاً ثُمَّ مَدْمَعَا
 وَمَنْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ فِي الْعَمْرِ سَاعَةً كَمَنْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ فِي الْعَمْرِ أَجْمَعَا

وقال: [الرملة]

شَادِنٌ جَدَّدَ وَجْدِي بَعْدَمَا صرْتُ شَيْخاً لَيْسَ تَرْضَانِي الْعَجُوزُ
 قَلْتُ جَاوِزُ لِي مَتَاعِي قَالَ: قُلْ غَيْرَ هَذَا ذَاكَ شَيْءٌ لَا يَجُوزُ

كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف»

المراد بـ «المصطلح الشريف» مصطلح الكتابة الديوانية، والقوانين التي تراعى في المكاتبات الصادرة عن ديوان الإنشاء. وهذه القواعد أو القوانين تشكل رسوماً يجب مراعاتها - وأحياناً بدقة متناهية - في افتتاح الكتب وخواتمها، وفي صيغ الخطاب، وفي الألقاب؛ وتمتد لتشمل أحياناً ترتيب الكتب، ونوع الورق المستعمل وقطعه، والأقلام والخطوط، إلى ما هنالك من صغيرة وكبيرة تتعلق بالمراسلات. وقد أطلق على كتب التي ألفت في هذا الموضوع اسم «الديساتير». ولم تكن هذه الديساتير بدعة خاصة بعصر من العصور، بل كانت حلقات في سلسلة متصلة يمتد أصلها إلى القرون الأولى من العصر العباسي. هذا وقد أخذت كتب الإنشاء في عصر المماليك تفرد لجزء الأكبر منها لدراسة الألقاب والمراسيم دون نواحي نشاط الديوان الأخرى؛ كما صارت تمتاز بالتخصُّص والتركيز نتيجة تبلور مركز ديوان الإنشاء في هذا العصر. تفريع أوجه نشاطه وتحديد اختصاصاته^(١).

(١) لن نطيل هنا فقد تكلمنا على ذلك في مقدمتنا «لصبح الأعشى» و«معالم الكتابة ومغانم الإصابة» لكل من أبي العباس القلقشندي وابن شيث. وحول ديوان الإنشاء، وكتاب الإنشاء، ومصطلح الكتابة الديوانية، والكتب التي ألفت قديماً بهذا الشأن راجع: الألقاب الإسلامية لحسن باشا: ٣٦ - ٥٨؛ وديوان الإنشاء: نشأته وتطوره: دراسة لحسن حبشي في كتاب «القلقشندي وكتابه صبح الأعشى»: ٨١ - ٩٧؛ ورسوم دار الخلافة لهلال الصايبيء: المقدمة بقلم ميخائيل عواد؛ هذا بالإضافة إلى «صبح الأعشى» الذي هو أهم المراجع بهذا الشأن. وهناك عشرات الكتب التي تناولت هذه الموضوعات بشكل

يعتبر كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» أهم الدساتير التي نظمت مصطلح الكتابة في عصر المماليك البحرية، والقانون الذي ظلّ معمولاً به في ديوان الإنشاء طوال عصر المماليك. وهذا الكتاب يقدّم لنا خلاصة ما وصل إليه مصطلح الكتابة الديوانية بعد مراحل من التطور والتبلور امتدت على عصري الفاطميين والأيوبيين؛ هذان العصران اللذان قدّما لنا دستورين مرجعين بهذا الشأن هما: «قانون ديوان الرسائل» لابن الصيرفي، و«معالم الكتابة» لابن شيث. وقد خطّ «التعريف» الطريق لجميع الدساتير التي جاءت بعده، واعتبر أساساً لها؛ وأهم هذه الدساتير: «تثقيف التعريف» لابن ناظر الجيش، وقد استند فيه مؤلفه إلى ما جاء في كتاب العمري، وزاد فيه زيادات طفيفة طرأت على تطور المصطلح في أيامه؛ ثم جاء بعد ذلك كتاب القلقشندي «صبح الأعشى» وفيه عرض المؤلف لجميع مراحل تطور المصطلح منذ بداية تأسيس ديوان الإنشاء الإسلامي إلى أيامه (توفي سنة ٨٢١ هـ)، بأسلوب علمي رصين، وبأمانة في النقل والتوثيق.

اعتمد العمري في وضع مادة كتابه على خبرته الشخصية وتمرسه في الكتابة أثناء عمله ككاتبٍ للسر - وهو بهذا يشبه إلى حد بعيد ابن شيث - فهو حين يتكلم عن بعض مسائل لم تعرض له أثناء عمله يقرر أنه إنما يقيسها على مثيلاتها: فمثلاً عندما يتكلم عن رسم المكاتبة إلى صاحب كرميان يقول إنه لم يكتب إليه مدة مقامه بالأبواب السلطانية، وإنه يليق أن تكون المكاتبة إليه «بالمقرّ» نظير صاحب ماردين. وهو يكتفي في معظم الأحيان بذكر المصطلح السائد في عصره من غير تتبعٍ لنشأته وتطوره (بخلاف أسلوب القلقشندي) ومن غير اعتماد على مصادر أخرى أو استشهاد بمكاتباتٍ لغيره من الكتاب. وهو لا يشدُّ عن خطته تلك إلا في مواضع محدّدة قليلة؛ فهو عندما يتكلم عن البريد والحمام والثلج يتتبع تاريخ ذلك وتطوره؛ وقد أشار إلى أن ما كتبه عن تنظيم البريد في عهد الظاهر بيبرس وصله عن عمه شرف الدين عبد الوهاب كاتب الإنشاء بدمشق، وذلك برواية جمال الدين عبدالله الدوادار البريديّ المعروف بابن

— أو بأخر قديماً وحديثاً. وقد أورد الأستاذ ميخائيل عواد في مقدمته لكتاب «رسوم دار الخلافة» ثبناً بمئتين وأحد عشر مرجعاً قديماً تتعلق بهذه الموضوعات.

الشديد. وكذلك أشار عند الكلام عن مراكز الحمام إلى كتاب القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر: «تمائم الحمام». إلى ذلك فقد استشهد بعهود كتبها بعض من سبقه من الكتاب مثل عهدي أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين من إنشاء القاضي الفاضل، وعهدي العادل كتبغا والمنصور لاجين من إنشاء شيخه شهاب الدين محمود الحلبي، وعهد الملك الظاهر بيبرس من إنشاء ابن لقمان، وعهد المنصور قلاوون من إنشاء ابن عبد الظاهر.

مخطوط الكتاب وطبعاته

ليس من كتاب العمري هذا سوى نسخة أصلية وحيدة محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة؛ بخط علي بن عبد الله الشبلي الحنفي، فرغ من كتابتها بثغر طرابلس المحروسة في تاسع ذي الحجة الحرام سنة ٧٦٤ هـ. وخط هذه النسخة رديء للغاية لا بد من مجهود كبير لحل رموزه وطلاسمه. وقد طُبع الكتاب لأول مرة في القاهرة سنة ١٣١٢ هـ عن تلك النسخة «بمطبعة العاصمة التي مركزها بحوش الشراوي بمصر على نفقة صاحبها محمد مسعود محرر جريدتي الآداب ومفيس . والطبعة خالية من الشكل والنقط والتعليقات والفهارس مما لا يجعلها تتميز عن المخطوط الأصلي سوى بالجهد الذي بذله الناشر في حل رموز الكتابة، وهو جهد مشكور على كل حال.

ولما كان لا يمكن العودة إلى مخطوطات أخرى للكتاب - لعدم وجودها على حد علمنا حتى الآن - فقد اكتفينا بالمطبوعة المشار إليها كأساس للنص الذي اعتمدناه وحققناه؛ وقد أشرنا في الحواشي إليها برمز «ط ق». هذا ولم تصدر طبعة أخرى للكتاب منذ ذلك التاريخ. ومع القراءة المتأنية لتلك الطبعة التي هي صورة عن تلك المخطوطة تبين لنا أن بعض النقص يكتنفها، وقد توصلنا إلى ذلك من خلال مقارنة النصوص بما جاء في صبح الأعشى للقلقشندي نقلاً عن كتاب «التعريف» للعمري. وقد لاحظنا أن القلقشندي يكاد يفرغ كل محتوى كتاب التعريف بين دفتي كتابه صبح الأعشى؛ وهو كلما نقل شيئاً عن التعريف أشار إلى ذلك إشارة واضحة لا تقبل اللبس؛ هذا بالإضافة إلى ما عهدنا لدى القلقشندي من أمانة في النقل عن غيره. وقد

ترجّح لدينا من ذلك أن القلقشندي قد اخذ عن مخطوطة غير المكتوبة بخط علي بن عبد الله الشبلي الحنفي، وهي - أي تلك المخطوطة - أكمل من غيرها. لذلك فقد أضفنا تلك الزيادات الضرورية ووضعناها بين معقوفين [] وأشرنا إلى كل ذلك في حينه، كما أشرنا إلى الاختلافات الكثيرة المتفرقة فيما بين النصين.

أما بخصوص الضبط والشرح والتعليقات فقد اعتمدنا على الدساتير المؤلفة بهذا الشأن وعلى أمهات كتب الأدب واللغة والتاريخ بالمعنى الواسع لهذه الكلمة، وقد أشرنا إلى ذلك في الحواشي وأثبتنا المصادر والمراجع في نهاية هذه الطبعة.

ونشير أخيراً إلى أن القسمين الخامس والسادس من الكتاب، وهما القسمان الخاصان بالجغرافية، قد قام هرتمان بترجمتهما إلى الألمانية وعلّق عليهما مع دراسة قيمة لتاريخ أسرة آل فضل الله، ووصف للمراجع الأخرى الخاصة بعصر المماليك^(١).

وقد زدنا هذه الطبعة بفهارس تفصيلية للأعلام والمصطلحات والبلدان ورسوم المكاتبات تسهّل على القارئ العودة إليها في مظانها بين دفتي الكتاب.

والحمد لله رب العالمين
محمد حسين شمس الدين
بيروت ١٩٨٨

Hartmann. R, Politische Geographie des Mamlukenreichs.

(١)

Kapitel 5 und 6 des Staatshandbuchs Ibn Fadlallāh al-Omari's. (ZDMG)70.

[خطبة الكتاب للمؤلف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي مَيَّزَ مقاديرَ الرُّتَبِ، وَقَنَ القَوَانِينَ حتى لا يبقى سبيلٌ لمن عَتَبَ، وَبَيَّنَ قَدْرَ عُظَمَاءِ السُّلْطَانِينَ بِقَدْرِ مَعْرِفَةٍ من خَاطِبِ عَنَهُمْ له [عن] كَتَبَ.

نَحْمَدُهُ لما رَزَقَ من فَوَاضِلَ زَادَتِ مَحَاسِنَ العُلُومِ، وَعَرَفَتِ تَفَاوُتَ دَرَجَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِذْ قَالُوا: وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ، وَنَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَحَدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً يعلو بها الإسلامُ ولا يُعلَى عليه، وَيَعْنُو لها وَجْهٌ كلُّ مَتَكَبِّرٍ مَتَكَبَّرَ بِقَلِيلٍ ما لَدَيْهِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، أَقْرَبَ مِن دَنَا مَقَامًا مِن رَبِّهِ، وَأَشْرَفَ مِن غَزَا المُلُوكِ بِكُتَابِهِ، وَدَعَاهُم إِلَى اللَّهِ بِكُتُبِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وبعد. قد أُغْرِي أَهْلَ الفُضائلِ بِحَبِّ التَّمَامِ، وَطُبِعَ كُلُّ رَقِيقِ الشَّمائلِ على الظَّماءِ إلى مَوارِدِ الأَدبِ الجَمامِ، وَلَمْ يَبْقَ مَن لَمْ يَصْرِفْ إِلَيْهِ الاِهْتِمامَ، أَوْ وَلَعَ [بالرِّيِّ] وُلُوعَ الصَّبِّ وَكَلِيفَ السَّجْعِ كَلِيفَ الحَمَامِ. وَكانَ على الألسنة أَنِّي [لم] أَطْلِعَ هذِهِ الشُّعُوبَ^(١)، وَعَدَى وَهُوَ جَزَعُ شَأْوِ القارِحِ اليَعْبُوبِ، [فَذَكَّرْتُ] بِالذُّسْتورِ^(٢) الَّذِي كُنْتُ عَمَلْتَهُ في عَنفوانِ الصِّبا بِالأَبوابِ السُّلْطانيةِ بِديوانِ الإِنْشاءِ، وَقَرَّبْتُ مِنْهُ لِكُلِّ قاصِرِ قَصرِ الرِّشاءِ، وَكُنْتُ كَتَبْتُ: [البحر السريع].

(١) جَمع شُعْب. وَماءٌ شُعْبٌ أَي بَعِيد. (اللسان: شَعْب).

(٢) الدساتير هي تلك المؤلفات التي وضعها بعض كتاب ديوان الإنشاء، وكانت هذه المؤلفات بمثابة دساتير تقرر مصطلح الكتابة السائد، وترشد الكتاب إلى أقوم السبل التي ينهجونها حتى يقوموا بأداء مهمتهم على خير وجه. ولم تكن هذه الدساتير مقتصرة على ناحية واحدة من نواحي نشاط الديوان، بل كانت في معظم الأحيان شاملة لمختلف أوجه نشاطه من كتابة وإنشاء وإدارة ومراسيم ومصطلح.
(انظر: الألقاب الإسلامية - ص ٣٦ - ٣٧).

يا طالبَ الإنشاءِ خُذْ عِلْمَهُ عَنِّي فِعْلُمِي غَيْرُ مَنْكُورٍ
ولا تقف في باب غيري فما تدخله إلا بدستوري

وألحوا عليَّ في المسألة في الوقوف عليه، وفتح أبواب الأفهام المقفلة بالنظر إليه؛ وكان ممَّا حالت دونه الأيدي الغاصبة، ومانعت عنه الأيام الغالبة، فقلت: أيها الشَّيْفُ بي أسمع بي ولا ترني، وأيها الكَلْفُ بهذا الفنَّ هذا زمانك إني قد مضى زمني! ولو تركتَ هذا الفنَّ الذي أصبح الولعُ به مرَّضاً، وهذا الفضلُ الذي ما عدتُ رأيتُ جوهرة إلا عَرَضاً، وشغلتَ نفسك بسوى هذا من العلم النافع والعمل الصالح، لكان أعودَ عليك، وأقرُّ لك وأقربَ إليك! فأبى إلا أن يكلفني غرامةً ذلك الضائع، ويريد مني ردَّ تلك الودائع. هذا وقد خلعتُ ذلك الرِّداء المعار، ومات سلطاننا^(١) - رحمه الله - وزال ذلك الشُّعار. وقد أهملتُ هذا الفنَّ حتى نَسَيْتُهُ، وزدتُ على سائلي في الجهل به أو واسَيْتُهُ. ثم لم أجد لي راحة من دَوام مطالبته إلا بأن أضع له دستوراً، وأحرقَ خاطري له في التذكُّر لما فات وإن كنت لا أجد إلا قُتوراً. وسألته عن أربه لأعمل على مقتضى إرادته، وأدأب فيما يحصل به قدر إفادته، فأقترح أن أجعله لما يحتاج إليه في ذلك الديوان المباشر^(٢)، ويكون له كالمعلِّم الحاضر، والجلس المباصر. وقد أتيت به على وفق اقتراحه، وملاأته سروراً به وقتَ راحه؛ وأتيت فيه بزيادات على ما في الأوَّل أين تلك منها، وإعادات في تلك العادات لو حصلت الآن لأعرض عنها، ومحاسنَ حسَّنت السَّماح بما بخل به العاجز الشحيح، وأمسكه بيديه ولو وجد مع هذا

(١) أي السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي توفي سنة ٧٤١ هـ. وكان شهاب الدين وأخوه غلاء الدين عليّ يكتبان للسلطان بحضرة والدهما ووجوده، نيابة عنه لكبر سنه. ولكن السلطان تغيَّر على شهاب الدين وصرفه سنة ٧٣٨ هـ. وتوجه شهاب الدين إلى دمشق حتى مات بها سنة ٧٤٩ هـ.
(انظر النجوم الزاهرة: ٢٣٤/١٠ - ٢٣٥).

(٢) المباشر: والجمع مباشرون؛ وهم موظفون في الدواوين كديوان الخاص، وفي الأعمال كعمل الجيزن والبحيرة وغير ذلك كالإقطاع، ومنهم الناظر والمستوفي والشاذ، ويعينهم ناظر الخاص؛ وكان ذلك في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون.
(صبح الأعشى: ٤٥١/٣ - ٤٦٠ - ٤٦٠/٤).

لم يكن إلا كالطريح . وهيئات لا ينهض العاجز، ولا يفتقّ الذهن المحجوب وبينه وبين ما جهد له ألفُ حاجز، وسمّيته : «التعريف بالمصطلح الشريف»، وجعلته سبعة أقسام :

الأول : في رُتَب المكاتبات .

الثاني : في عادات العهود، والتقاليد، والتفاوض، والتّواقيع، والمراسيم، والمناشير .

الثالث : في نُسُخ الأيمان .

الرابع : في الأمانات، والدّفن، والهَدْن، والمواصفات، والمفاسخات .

الخامس : في نطاق كل مملكة وما هو مضاف إليها من المدن والقلاع والرساتيق .

السادس : في مراكز البريد، والحمام، ومراكز هُجْن الثلج، والمراكب المسفّرة به في البحر، والمناور، والمحركات .

السابع : في أوصاف ما تدعو الحاجةُ إلى وَصْفِهِ؛ وهو سبعة فصول .

وأدخلتُ في كل قسم من ذلك ما يفتقر إليه ويحسب فيه ؛ وهيئات قد ذهبتني شِرّة الصِّبا وشرةُ الفطنة، وهدمت الرغبة، وعقمت القرائح، وأنصرفت إلى غير لك الرّكائبُ الطلائح، وسماء الشّيبية بضحيّ المشيب قد تجلّت، والنفسُ قد ألقَتْ ما فيها وتخلّت؛ وأستدركتُ الفارط، وألقيتُ القلم من يدي وقلت : وما كاتبٌ بالكفّ لا كشارط .

القسم الأوّل

في رُتَبِ المكاتبات

وأوّل ما نبدأ بما يُكْتَبُ إلى الأبواب الشريفة الخليفية^(١) - زادها الله شرفاً - جرياً على قديم العادة، ورجاءً لملاحظة السّعادة .

والكتابة إليها من الملوك والسّوقة لا يختلف؛ وهي: «أدام الله أيّام الديوان العزيز، المولوي، السيدي، النبوي، الإمامي، الفلاني» ثم الدّعاء المعطوف، والصّدْر بالتّعظيم المألوف .

وقد يُفتح بغير هذا الدّعاء، نحو: «أدام الله سلطان، وخلّد الله سلطان، أو أيام . . .» أو غير ذلك مما يقتضي العزّة والدّوام .

والصّدْر نحو: «العبد، أو المملوك، يقبل الأرض أو العتبات أو مواطية المواقف» أو غير ذلك .

ويُختم الكتابُ تارةً بالدّعاء وتارةً بـ «طالع» أو «أنهى» أو غيرهما مما فيه معنى الإنهاء .

ويُخاطبُ الخليفةُ في أثناء الخطاب: بالديوان العزيز، وبالمواقف المقدّسة أو المشرفة، والأبواب الشريفة، والباب العزيز، والمقام الأشرف، والجانب الأعلى أو

(١) كذا استعملت هذه النسبة أحياناً على الرغم من الخطأ اللغوي . ومن ذلك ما ذكره الحسن بن أبي محمد الصفدي في كتابه «نزهة المالك والمملوك» عند ذكر «الشاش الخليفية» .
(انظر الألقاب الإسلامية : ٢٧٧) .

الشَّريف، وبأمر المؤمنين^(١) - مُجَرَّدَةٌ عن «سيدنا ومولانا» ومرةً غير مجرَّدة - مع مراعاة المناسبة والتَّسديد والمُقارَبة.

وسَبَّبَ الخِطاب بالديوان العزيز الخُضْعَانُ عن مخاطبة الخليفة نفسه^(٢)، وتنزيل الخطاب منزلةً مَنْ يُخاطَبُ نفسَ الديوان؛ والمعنيُّ به ديوانُ الإنشاء: إذ الكتبُ وأنواعُ المخاطبات إليه واردةٌ وعنه صادرةٌ.

فأما خطابُ المكاتبِ عنه «بالعبد» أو «المملوك» أو «الخادم» فأختلَفَ بحسبِ مَنْ كُتِبَ عنه: فكَتَبَ صلاح الدين بن أيوب: «الخادم»، وكتب بنوه^(٣) والعاذلُ أخوه: «المملوك»، وكتب الكاملُ [ابن العادل]: «العبد»، وَجَرَى على هذا أبْنُهُ الصَّالِحُ، وكتب الناصر^(٤) بن

(١) وخوطب الخليفة أيضاً ب: العتبات العالية، ومَقَرُّ الرحمة، ومحَلُّ الشرف - على ما ذكره ابن شيث في «معالم الكتابة»

انظر أيضاً: رسوم دار الخلافة للصَّابي: ص ١٠٠ - ١١٠

(٢) كان من آثار الكُتَّاب على الألقاب استحداث ألقاب الكناية المكانية. وقد جاءت هذه الكنايات نتيجة لاحتجاب الخلفاء وإسناد أمر المكاتبات إلى ديوان الإنشاء الذي حرص على الإشارة إلى الخليفة أثناء المكاتبات بألفاظ الكنايات المكانية. هذا على الرغم من إنكار هذه الاستعارات من جانب بعضهم، مثل ابن حاجب النعمان الذي يقول في كتابه «ذخيرة الكتاب»: وليت شعري أي شيء قصد من كنى عن أمير المؤمنين بهذه الكنايات، وبَدَلَ نعوته وصفاته المعظمة بهذه الألفاظ المحقَّرات؟! وإذا استجيز ذلك كان لآخر أن يقول: المجالس الظاهرة، والمراكب المعظمة، والأسرة الممجَّدة، وما يجري هذا المجرى مما ينبو عنه السمع وينكره لاستحداثه واستجداده.

(انظر صبح الأعشى: ٤٩١/٥ و ٣٠١/٦)

(٣) توفي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩ هـ بعد أن حكم مصر مدة ٢٤ سنة والشام مدة ١٩ سنة. وقد خلَّفَ من الذكور سبعة عشر ولداً ومن الإناث واحدة. أما أخوه العادل فقد تسلطن في مصر سنة ٥٩٦ هـ وتوفي سنة ٦١٥ هـ. وجاء بعده ابنه الكامل الذي استمر في السلطنة من سنة ٦١٥ هـ إلى سنة ٦٣٥ هـ حين وفاته. أما الملك الصالح بن الكامل فقد استلم السلطنة في مصر سنة ٦٣٧ هـ وتوفي سنة ٦٤٧ هـ، وعلمى أثر وفاة الصالح اضطلعت بالحكم زوجته شجرة الدر ثم نودي بها ملكة في العاشر من صفر سنة ٦٤٨ هـ بعد وفاة تورانشاه.

(٤) هو الملك الناصر (الثاني) صلاح الدين، يوسف بن العزيز محمد بن غازي: تسلطن في دمشق سنة ٦٤٨ هـ وأمر هولاء بقتله سنة ٦٥٩ هـ.

العزیز: «أقل الممالیک»، وكتب الناصر داود^(١): «أقل العبيد». وكان علاء الدين خوارزم شاه^(٢) لا يكتب إلا «الخادم المطوع». وكتب هكذا أبنة جلال الدين. وكانت أم جلال الدين تكتب: «الأمّة الدّاعية». هذا على شَم أنوف الخوارزميّة وعلاء شأنهم.

صَدْرُ مَكَاتِبَةٍ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ الْخَلِيفَتِيَّةِ

أدام الله أيامَ الديوان العزیز، ولا زالت سيوفُ أوليائه في رِقَابِ أعدائه مُحَكَّمَة، وصنوفُ الكفّار في أيدي عسكره الجرّارِ بالنّهَابِ مُقسَّمَة، وصفوفُ أهل الشُّركِ منزلزة بخوافق أعلامه المطهّرة وسنابك جياده المطهّمة ؛ ولا برحت ملائكة النّصر من أمداده، وملوك العصر بيضَ الوجوه بتعظيم شعار سَوَادِهِ.

الخادمُ يَنْتَهِبُ ثَرَى الْعَبَّاتِ الشَّرِيفَةِ بِالتَّقْبِيلِ، وَيَنْتَهِي فِي قُصَارَى الطَّلِبَاتِ عَلَى الْوُقُوفِ فِي تِلْكَ الرَّحَابِ^(٣)، هُوَ وَكُلُّ ابْنِ سَيْبِلٍ، وَيُكَلِّلُ رَبِّي تِلْكَ السَّاحَاتِ

(١) هو الملك الناصر داود بن المعظم عيسى . (٦٢٤ هـ - ٦٥٦ هـ)

(٢) هو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش، صاحب بلاد خوارزم وما معها. وقد امتدت الدولة الخوارزمية في عهده من حدود العراق غرباً إلى حدود الهند شرقاً، ومن شمالي بحر قزوين وبحر آرال شمالاً إلى الخليج العربي والمحيط الهندي جنوباً. حكم من سنة ٥٩٦ هـ إلى سنة ٦١٧ هـ/١١٩٩ - ١٢٢٠ م. أما ابنه جلال الدين منكبرتي (يفتح الميم والكاف والباء وسكون النون) فقد قتل سنة ٦٢٩ هـ بعد أن أبلى بلاء حسناً في تصديه للمغول. وقد أجمع المؤرخون على أنه كان يمتاز بجرأة وإقدام عزّ نظيرهما. ويقول براون في كتابه: تاريخ الأدب في إيران: «في هذه الأحوال المضطربة نجد أن جلال الدين يستجمع قوته ويتمنطق بسيفه ثم يمضي أمام الصاعقة على عجل فيحتمي بالحدود الهندية. وعندما بلغ جيشه الصغير نهر السند وجد نفسه قد أحاطت به جموع كبيرة من المغول، فقاومها وأبدى من ضروب الشجاعة والجلد الشيء الكثير، ولكنه أدرك في النهاية أنه قد خسر الموقعة فهجم على أعدائه هجوماً اليائس، ثم يمم بوجهه شطر النهر وألقى بدرعه عن جسده ثم امتطى صهوة جواده وعبر النهر، وتبعه قوم من أتباعه، ولكن أكثرهم غرقوا أو أغرقتهم سهام المغول، وغرقت أم جلال الدين وبعض نساء حرمه». وقد قيل إنهن سألن جلال الدين أن يأمر بإغراقهن خشية أن يقعن في أيدي المغول. ورأى جلال الدين استحالة العبور بهن فأمر بإغراقهن.

(انظر تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن: ١٠٣/٤ - ١٠٤ ومعجم زامباور: ٣١٦ - ٣١٧)

(٣) في صبح الأعشى عن التعريف: «في تلك الربوع، ويكللُ رَبِّي تِلْكَ السَّاحَاتِ، هُوَ وَكُلُّ ابْنِ سَيْبِلٍ بِلَأَلِيَةِ الدَّمُوعِ» - (صبح الأعشى: ١٢١/٧)

بلائيء الدموع، خضوعاً في ذلك الموقف الذي تُتكرر القلوب فيه الصدور، وتَلصَقُ [منه الترائب] (١) بالنحور، ويظهرُ سيماءَ الجلالة في الوجود، [ويُغدقُ] (٢) على الأولياء فيُعرفون بسيماهم من أثر السُّجود، وينهي أنّ ولاءه القديم، وبلاءه العظيم، وأيامه السَّالِفة، وأفعاله التَّالِدة والطَّارِفة، وسوابقِ خِدْمِهِ في أمثالِ الأوامر الشَّريفة التي لم يَزَلْ يَتَسَارِعُ إِلَيْهَا، [ويُقَارِعُ] (٣) عليها، ويصارعُ غُلبَ الأسود على تنفيذ مَراسِمها، وإقامة مَوَاسِمها، وإطارة صيتها، ودَوَامَ تَشْيِيتِها، [تحمِلُ] (٤) الخادِمَ على الاسترسال. [وتُجَمِلُ] (٥) له السؤال، والذي يُنهيهِ كَيْتٌ وكَيْتٌ.

صَدْرٌ آخر: أدامَ اللهُ أيامَ الديوانِ العزيز ولا زالت آياته محفوظة، وراياته بالنَّصْرِ محفوظة، وأعداؤه بمَصَارِعَ بعضها بعضاً مَوْعُوظه، ولا بَرِحَ شِعَارُهُ المَرْقُومُ أَشْرَفَ ما دارت عليه المحاجر، ورُعبُه المَعْلُومُ أَفْئَكٌ ما صالَتْ به الخناجر، وِرْضاهُ أَعْظَمَ ما أَذْخِرَ إِذَا بَلَغَتْ القلوبُ الحناجر، وَسَطاهُ (٦) يَفْلُلُ الجيوشَ وَيُلْبِسُ كُلَّ مُقَنَّعٍ مِنَ الأبطال ما تَلْبِسُهُ النِّساءُ مِنَ المَعَاجِرِ (٧)، وَعُلاهُ تُرِي الجوازءَ دون ثواب ما هو على طاعته آجر، ونهاه يَبْطُلُ غِيٌّ كُلُّ غَاوٍ ويردُّ كَيْدَ كلِّ فاجر، وتُقاهُ لوجْهَدِ النَّيرِ الأعلَى لما أرتقاه ولو قُرِعَ به البحرُ لما أحتاج إلى ساجِرِ (٨)، وهُداهُ يَدُلُّ النجمَ على سُرّاهِ ويكفي في الكفِّ به كل زاجر، وَبَناتُه في السُّودِّ العريقِ يزلزلُ كلَّ طُودٍ لا يزول ويُسْئِمُ كل مُضاجِرٍ، وَأَناتُه لا تُقَدِّرُ بزمان ولا ما تَأَلَّقَ به في مُعَلِّمِ أعلامه الشريفة العباسية النهارُ وَشَمَخَتْ بالسَّوادِ ذوائبُ الدِّياجرِ.

(١) في طبعة القاهرة لسنة ١٣١٢ هـ: «وتلصق فيه الترب بالنحور». والتصحيح من صبح الأعشى.

وسوف نشير إلى تلك الطبعة التي اعتمدنا عليها بالحرفين: (ط.ق).

(٢) في ط.ق: «ويعرف» والتصحيح من الصبح.

(٣) في ط.ق: «ويصارع» والتصحيح من الصبح.

(٤) في ط.ق: «يحمل» والتصحيح من الصبح.

(٥) في ط.ق: «ويجمل» والتصحيح من الصبح.

(٦) أي سطوته.

(٧) المِعْجَرُ والمِعْجَارُ: ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ثم تتجلببُ فوقه بجلبائها. والجمع: معاجر.

(٨) السَّاجِرُ: السَّيْلُ.

الخدائم يُشافِه ثرى الأرض المقدّسة التي جعلت مسجداً وترابها طهوراً، ويُقبَل رُبى تلك العتبات المشرفة التي زادت آياتها على الشمس طهوراً، ويُعَفَّر جبينه في تلك الربّوات فيزداد نوراً ولائه القديم نوراً، ويدين بعبودية هي من وصايا آبائه أوّل ما وعته أذنه، ومن إرثٍ ولائه أوّل ما كان عليه ضئله^(١)، ومن تحقيق الشكر لآلائه ما لم يخب فيه ظنه، وينهي كَيْت وكَيْت.

صَدْرُ آخر: أدام الله سلطان الديوان العزيز، ولا زالت الخلائق بِكَرَمِهِ مُضَيِّفَةً، والكتائبُ في هَجِيرٍ وَطَيْسِهِ مُضَيِّفَةً، والأيامُ^(٢) في نصر أنصاره مُضَيِّفَةً، والمواضي بأوامره في قَبْضَاتِ عساكره مُضَيِّفَةً، والنقودُ - إلا ما تشرف باسمه - مزيِّفَةً، والقلوبُ في صدور الأعداءِ بِخَوَاطِفِ رُغْبِهِ مُضَيِّفَةً، والوعودُ - إلا بِمَا تُنْجِزُهُ مواهبه - مُسَوِّفَةً، والوعى لا تُرى إلا بِرَمَاحِهِ المُثَقِّفَةِ^(٣)، والسماءُ - وإن علّت - لا تكونُ إلا لأذيال بيوته^(٤) مُسَجِّفَةً، والمهابةُ بِسَطَاهِ إِمَّا لِلْمَعَاقِلِ فَاتِحَةً وإما عما يُطْمَعُ أن تناله الأيدي منها مُجَحِّفَةً، والأممُ على اختلافها تحت راياته المنصورة مقاتلةً وأخرى له [مُحَالِفَةً]^(٥)، والأعلامُ التي يَأْوِي إليها الإسلامُ به جوارَ الجوزاءِ أولها^(٦) مُخَلِّفَةً، والأبطالُ لقتال الكفار ببوارق سيوفه قبل مَضَايِقِ صُفُوفِهِ وَمَخَانِقِ رُحُوفِهِ مُخَوِّفَةً.

الخدائمُ يُقبَلُ بولائه إلى ذلك الجنب، ويقبَلُ الأرضَ وكتابه يُحسِنُ المناب، ويُقِيلُ عَثْرَاتِهِ [إذ]^(٧) كان به قد لآذ، ويُقيمُ مَعَاذِيرَهُ إذ كان به قد عآذ، وَيَتَسَرَّبِلُ بطاعته سَرَابِيلَ تَقِيهِ إذا خافَ من سهامِ الدَّهْرِ إلى مُهْجَتِهِ النَّفَّاذِ، وَيَصُورُ بانضمامه إلى تلك

(١) الضن: المضمون به، أو الشيء النفس تَضُنُّ به لمكانته منك وموقعه عندك. يقال: هو ضئني من بين إخواني: أي خاصتي.

(٢) في صبح الأعشى عن التعريف: «والأبصار»

(٣) في صبح الأعشى عن التعريف: «مُثَقِّفَةً»

(٤) في صبح الأعشى عن التعريف: «سيوفه»

(٥) في طق: «محلقة». والتصحيح من صبح الأعشى.

(٦) لعل هذا اللفظ زائد. وهو ساقط من صبح الأعشى.

(٧) في طق: «إذا» والتصحيح من الصبح.

العصاة المنصورة لا بما يُطَبَع من الفلواذ؛ ويُجَلُّ تلك المواقف المقدّسة أن يبُلِّ مواطئها بدمعه، وأن يحلَّ مواطنها بقلبه قبل أن يعاجل كلَّ عدوّ بقمعه، ويعدُّ ما هُدِيَ إليه من الاعتصام بسببها سبباً لفوزه، وموجباً لملك رِقِّ عُنتِ كلِّ عاصٍ وحوزه، ويُنهي كَيْتٍ [وكَيْتٍ].

صَدْرٌ آخر: خلَّد الله سلطانَ الدِّيوان العزيز ولا زالت أيامه شامخةً الدُّوائب، شارخةً الصِّبا حتى حيث يَلْحَقُ الشَّيْبُ الشَّوائب، راسخةً الفَخَّار في الظهور بالعجائب، نافخةً في فحم الليل جَمَرَ الكتائب، صارخةً والرعدُ تَرْتَعِدُ فرائضه بين السَّحائب، ناسخةً دولة كلِّ عَلِيَاء بما تأتي به من الغرائب، وتبذله من الرِّعائب، فاسخةً عقد كل خالغ يردُّه الله إليها ردةً خائب، باذخةً على ماضي كلِّ زمانٍ ذاهب، من عصور الخلفاء الشرفاء وآيب، سالخةً لِجِلْدَةِ كلِّ أَيْمٍ^(١) ظنَّ أن في أنياب رُمُوحه النوايب.

الخادمُ يقبلُ العتباتِ الشريفةً ساجداً بجبينه، وشاهداً يَسْتَأْذِنُه له على يمينه، وجاحداً كلَّ ولاءٍ سِوَى وِلائِهِ المعقودِ بيمينه، وعاقداً بِشَرَفِ الانتسابِ إليه عقْدَ دينه، وحامداً الله الذي جعله من طاعة أمير المؤمنين عند حُسن يقينه، وعائداً بأمله إلى كرمِ تُثمِرُ به الآمال، وتُقيمُ به الليالي لأنها شعاره الذي تُضربُ به الأمثال، وتمطرُ به السُّحُبُ الجَهَامِ فتمحو^(٢) بها آيةَ الإمحال؛ ويُنهي ورودَ المِثالِ الشريفِ الذي طَلَعَ نيره فانار، وسَطَعَ مُتَضَادُهُ فَأَلْفَ بين الليل والنهار؛ وأقبل فما رآه إلا كتابه الذي أوتيه باليمين، وسحابه الذي أُعْطِيَهُ يَنْدَى منه الجبين، ونصره أكثر من الألف، وصرفه أعجل من السيوف، وزاحم به الدهرَ فضلاً عن الصفوف، وزار به الوعى لا يهابها [وَحَطَّيَاتُ]^(٣) القَنَا وقوف؛ فتشرف به وطارَ بغير جناح، وقَاتَلَ بغير سلاح، [وقراه

(١) الأيم: الحية الذكر. وكُتِبَ به عن الفارس الذي يحمل رمحه.

(٢) كذا في ط. وفي صبح الأعشى: «فتمحو بها آية» وهو أصوب.

(٣) في ط: «وخطار». والتصحيح من الصبح.

وبات قِرَى له^(١) في السَّمَاح، وتَسَلَّمه كأنما تَسَنَّم به المَعَاقِلَ وتَسَلَّم منه المِفْتَاح.

صَدْرٌ آخِر: خَلَدَ اللهُ أَيَّامَ الدِّيوانِ العَزِيزِ، ولا زالت سَطَوَاتُه تَجْمُدُ برعِها الأبطالَ المَدَجَّجَةَ، وتخمد [بفيضها]^(٢) النيرانَ المَوْجِجَةَ، وتَحْمُلُ بركِزِ نفاذها إلى القلوبِ الرماحَ المَزَجَّجَةَ، وتبخل معها بعوائدِ كرمها السحبُ المَشْجِجَةَ، وتَخْفُ لديها أوقارُ الجبالِ المَفْجِجَةَ، وتَخْرُبُبل تخورِ خوفاً أن تترقَى إليها الأصواتُ المَضْجِجَةَ، وتَخْصُ بالغرَقِ من خاطرٍ في بحارها المَلْجِجَةَ، [وتحلفُ بسلطانها: لَلْمَوْتُ أَشْهَى]^(٣) من البقاءِ إلى طرائدِ سيوفها المَهْجِجَةَ^(٤)، وتخلدُ النصرَ [بحججها] القائمة على الخُصَماءِ المَتَحَجَّجَةَ.

الخادِمُ يَلْبُجُ وجهه في سماءِ الشَّرَفِ بتقويل الأرض التي طالتِ السماءَ، فأطالتِ النِّعماءَ، وَفَضَلَتِ النجومَ اللُّوامِعَ، وأوتيتُ بمالكها - أعزَّ اللهُ سلطانَه - كَلِمَ الفضلِ الجوامِعَ، وأحلتُ شوامخَ المجدِ مَنْ حَلَّها، وأجلتُ قَدْرَ مَنْ جَدَّ فأجلَّها، وأعطتُ مفاتيحَ الكَنوزِ - كنوزِ الشرفِ - لمن قَبَّلَها كما يُقبَلُ الحجيجُ الحَجْرَ، أو أَمَلَّها كما يَوْمَلُ السَّاري طُلوعَ القمرِ، وينهي . . .

صَدْرٌ آخِر غريبِ الأسلوبِ: أدامَ اللهُ أَيَّامَ العَدْلِ والإِحسانِ، والنِّعمِ الحِسانِ، والفضلِ المشكورِ بكلِّ لسانِ، الأيَّامِ التي أشرقَ صَباحُها [السَّافر]^(٥)، وعمَّ سَماعُها الوافرِ، وآمنَ بيمنها كلُّ مسلمٍ ضُرِبَ عليه سُرَادِقُ الليلِ الكافرِ، وَعَلَّتْ شَموسُها وقد

(١) في ط: «وقراه وبات قري له». والتصحيح من الصبح.

(٢) في ط: «بقضها». والتصحيح من الصبح.

(٣) في ط: «وتخلف بسطاها الموت أشهى» وفيه تصحيف. والتصحيح من صبح الأعيى.

(٤) السيوف المَهْجِجَةَ: اللامعة كاللسنة النيران المتأججة، وأصل الاستعمال للنيران. والبحار المَلْجِجَةَ: العميقة الغور المظلمة. والجبال المَفْجِجَةَ: أي المشققة. والأوقار: جمع وقر، وهو الحمل الثقيل. والسحب المَشْجِجَةَ: التي ينصب منها ماء كثير. والرماح المَزَجَّجَةَ: . . . التي في أسفلها حديدة وهي الزُّجُ.

(٥) في ط: «المسافر» وهو تصحيف.

جَنَحَتِ الْعَصُورُ الذَّوَاهِبَ، وَقُدِحَتْ أَشْعَثُهَا فَأَضَاعَتْ بَيْنَ لَابَتِي الْغِيَاهِبِ^(١)، أَيَامَ
الديوان العزيز المولوي، السيدي، النبوي، الإمامي، الحاكمي، لا برحت أيامه
مُفَنَّنَه^(٢)، وأحكامه مقننه، وسُحِبَهُ عَلَى الظَّمَاءِ مُحَنَّنَه، وَقُرْبُهُ بِفَقْدِ مَا حَوَتْهُ مَجَنَّنَه،
وحقائقه غيرَ مَظَنَّنَه، وطرائقه للخير مُسَنَّنَه، والخلائقُ تحت جناح رافته ورُحْمَاهِ
مُكَنَّنَه؛ ولا زال ولاؤه ضميرَ من أعتقد، ومُؤمِر^(٣) مَنْ أَخَذَ مِنَ الدَّهْرِ مَا نَقَدَ، ومُؤمِرَ
الأسودِ المتضائلةِ لديه كالنَّقْدِ^(٤)، وسَمِيرَ مِنْ تَنَبُّهُ وَضَجِيعَ مِنْ رَقْدِ، ومُؤمِرَ البرقِ نَدَى
كَرَمِهِ وَقَدْ وَقَدَ، ومُؤمِرَ متعالِي الصَّبَاحِ مِنْ رَايَاتِهِ الْعَالِيَةِ بِمَا عَقَدَ، ومُؤمِرَ مَنْ لَأَذَ بِهِ
حَتَّى لَا يَضُرَّهُ مِنْ فَقْدِ، ومُؤمِرَ عَدَاهُ بِرَدَاهُ الَّذِي إِنْ تَأَخَّرَ إِلَى حِينٍ فَقَدَ^(٥).

الْخَادِمُ يَخْدُمُ تِلْكَ الْعَتَبَاتِ الشَّرِيفَةَ الَّتِي إِنْ تَاهَتْ عَلَى السَّمَاءِ فَمَا^(٦)، وَإِذْ
دَنَتْ لِلتَّقْبِيلِ فَإِنَّ الثَّرِيًّا تَوَدُّ أَنْ تَكُونَ فَمَا، وَيُنْهَبُ تَرَابَ تِلْكَ الْأَرْضِ الَّتِي هِيَ مَسَاجِدُ،
وَيَقْبَلُ ذَلِكَ الْبَسَاطَ الَّذِي لَا مَوْضِعَ فِيهِ إِلَّا مَكَانٌ لِأَيْمٍ أَوْ سَاجِدٍ؛ وَيَنْزِهَا عَنْ سَوَاكِبِ
دَمْعِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ الْحَرَمَ الْأَمِنَ لَا تَطَّلُ فِيهِ الدَّمَاءُ، وَيُجِلُّهَا عَنْ مَوَاقِعَ لُثْمِهِ لِأَنَّهَا لَا تَلْتَمُّ
السَّمَاءَ، وَيَرْفَعُ صَالِحَ الدَّعَاءِ، وَإِنَّمَا إِلَى سَمَائِهَا يَرْفَعُهُ، وَيُنْهِي صَادِقَ الْوَلَاءِ، وَمَا تَمَّ
مِنْ يَدْفَعُهُ، وَيُدْخِرُ مِنْ صَحِيحِ الْعِبُودِيَّةِ مَا يَرْجُو أَنَّهُ يَنْفَعُهُ، وَيَطَالِعُ الْعُلُومَ الشَّرِيفَةَ [بِكَذَا
وَكَذَا]^(٧).

(١) اللَّابَتَانِ: هُمَا حَرَّتَانِ لِلْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ تَكْتَفَانِهَا. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ لَابَتِي الْمَدِينَةِ. قَالَ أَبُو
عَبِيدَةَ: لَوْبَةٌ وَنُوبَةٌ لِلْحَرَّةِ الَّتِي أَلْبَسَتْهَا حَجَارَةٌ سَوْدٌ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْأَسْوَدِ: لَوْبِي وَنُوبِي. وَجَمَعَ لَابَةٌ: لَابَاتٌ،
فَإِذَا كَثُرَتْ فِيهِ اللَّابُ وَاللُّوبُ. وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ فِي وَصْفِ أَبِيهَا: بَعِيدٌ مَا بَيْنَ اللَّابَتَيْنِ؛ أَرَادَتْ أَنَّهُ
وَاسِعَ الصَّدْرِ وَاسِعَ الْعَطَنِ، فَاسْتَعَارَتْ لَهُ اللَّابَةَ، كَمَا يُقَالُ: رَحِبَ الْفِنَاءِ وَاسِعَ الْجَنَابِ.
(انظر: جنى الجنتين للمحبي: ٩٨؛ واللسان: لوب)

(٢) أَي مَزِينَةٌ.

(٣) مِنْ مَرَّ أَهْلُهُ: أَعَدَّ لَهُمُ الْمَيْرَةَ، وَهِيَ الطَّعَامُ يَجْمَعُ لِلسَّفَرِ وَنَحْوِهِ.

(٤) مِيرَ الْأَسْوَدِ: أَي مَهْلِكُهَا؛ وَالنَّقْدُ (بِالتَّحْرِيكِ) جِنْسٌ مِنَ الْغَنَمِ صَغِيرِ الْأَرْجْلِ قَبِيحِ الشَّكْلِ.

(٥) النِّقْصُ فِي الْعِبَارَةِ مَقْصُودٌ؛ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْبَلَاغَةِ؛ وَالْمَرَادُ: فَقَدَ أَهْمَلٌ وَلَمْ يُهْمَلْ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

(٦) صَيْغَةُ بَلَاغِيَّةٌ مِثْلُ سَابِقَتِهَا. وَالْمَرَادُ: فَمَا ذَاكَ بِمُسْتَعْرَبٍ، أَوْ نَحْوِهِ.

(٧) وَقَدْ أورد القلقشندي في صحیح الأعشى عدداً آخر من صدور المكاتبات إلى أبواب الخلافة، من بينها

التي أوردها العمري هنا، وأخرى نقلها القلقشندي عن «تثقيف التعريف» ومصادر أخرى. ويورد =

رَسْمُ الْمَكَاتِبَةِ إِلَيَّ وَوَلَاةُ الْعُهُودِ بِالْخِلَافَةِ

ضَاعَفَ اللهُ جَلَالَ الْجَانِبِ (١) الشَّرِيفِ الْمَوْلَوِيِّ، السَّيِّدِيِّ، النَّبَوِيِّ، الْفِلَانِيِّ، وَأَطْلَعَ مَعَ وَجُودِ الشَّمْسِ بِدْرَةَ التَّمَامِ، وَأَحْوَجَ مَعَ زَاخِرِ الْبَحْرِ مِنْهُ إِلَى مَدَدِ الْغَمَامِ، وَقَدَّمَهُ إِمَاماً عَلَى النَّاسِ وَأَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِنَا أَبِيهِ الْإِمَامِ، وَلَا عُدِمَ مِنْهُ مَعَ نَظَرِ وَالِدِهِ الشَّرِيفِ جَمِيلِ النَّظَرِ، وَلَا بَرِحَ صَدْرَ دَسْتِهِ (٢) الْعَلِيِّ إِذَا غَابَ وَثَانِيَهُ إِذَا حَضَرَ، وَلَا زَالَ الزَّمَانُ مَخْتِلاً مِنْ جُودِ وَجُودِهِمَا - لَا عَرَفَ اللهُ الْإِنَامَ قَدْرَهُ إِلَّا بِالزَّهْرِ وَالشَّمْرِ، وَلَا زَادَ فَيَضُ كَرَمٍ إِلَّا وَهُوَ مِنْ كَفِّ أَبِيهِ الْكَرِيمِ فَاضٍ أَوْ مِنْ وَبِيلِهِ الْعَمِيمِ أَنْهَمَرِ.

الْخَادِمُ يَخْدُمُ تِلْكَ الْعَتَبَاتِ الْبَاذِخَةَ الشَّرْفِ، النَّاسِخَةَ بِمَا وَجَدَهُ مِنَ الْخَيْرِ فِي (الْإِسْرَافِ فِي) (٣) تَقْبِيلِهَا قَوْلٍ مِنْ قَالَ: لَا خَيْرَ فِي السَّرْفِ، وَيُنْهَى وَلَائاً مَا عُقِدَ عَلَى مِثْلِهِ ضَمِيرٌ، وَلَا أَنْعَقِدَ شَبِيهُهُ لَوْلِيٍّ عَهْدٍ وَلَا أَمِيرٍ، وَإِخْلَاصِهِ فِي انْتِمَائِهِ أَشْرَقَ مِنْهُ عَلَى الْجَبِينِ، وَأَشْرَفَ فَرَاهُ فَرَضاً عَلَيْهِ فِيمَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَرُقِمَ فِي الْكِتَابِ الْمَبِينِ.

صَدْرُ آخِرٍ: أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَ الْجَانِبِ الشَّرِيفِ، وَلَا جَحْدَ (٤) مِنْهُ سِرّاً ذَلِكَ

== القلقشندي ملاحظة هامة هنا وهي أنه لم يقف على مكاتبه عن أحد من ملوك الديار المصرية إلى أبواب الخلافة مذ صارت دار الخلافة بالديار المصرية. ويعلل ذلك بقوله: «والظاهر أنه لم تجر مكاتبه عن السلطان إلى الخليفة لأن الخليفة لا يكاد يفارق السلطان سراً ولا حضراً مفارقة توجب المكاتبه إليه». ويشير القلقشندي هنا إلى ما قام به الظاهر بيبرس العلائي البندقداري من نقل مقر الخلافة إلى مصر سنة ٦٥٩ هـ؛ وذلك أن رجلاً قدم إلى مصر وأثبت أنه المستنصر العباسي الخليفة، فبايعه الظاهر بالخلافة وأجرى عليه نفقة. فلم يكن له من الأمر إلا لقب الخلافة والدعاء له على المنابر قبل الدعاء للسلطان، ونقش السكة باسمهما.

(انظر صبح الأعشى: ١٢٦/٧، والنجوم الزاهرة: ٢٠١/٧).

(١) ذكر القلقشندي أن ابن ناظر الجيش في «تتقيف التعريف» قد أبدل لفظ الجانب بالجانب. قال القلقشندي: «هذا على عادة من تقدم من الملوك، أما في زماننا وقبله بمدة مديدة، فلم يتفق وجود ولي عهد للخلافة؛ وبتقدير وجوده فإذا لم يكن الخليفة يكتف في هذه الأيام فكيف بولي عهده».

(٢) الدست هنا هو مكان جلوس السلطان أو الخليفة.

(٣) العبارة بين هلالين وردت في ط. ق. وهي ساقطة من صبح الأعشى؛ والصواب: «الإسراف في».

(٤) كذا في ط. ق. وفي الصبح «حجب»

الجَلال، ولا معنى ذلك البدر المشرق منه في صورة الهلال، ولا فيض ذلك السحاب المشرع منه هذا المورد الزلال، ولا تلك المآثر التي دل عليها منه كرم الخلال، ولا تلك الشجرة المفرعة ولا ما امتد منها به من الغصن الممتد الظلال، ولا ذلك الإمام الذي هو ولي عهده وهو أعظم من الاستقلال.

الخدّم يقبل تلك اليد موفياً لها بعهده، ومُضفياً منها لورده، ومُضفياً منها جلايب الشرف على عطفه، وحسبه فخاراً أن يدعى في ذلك المقام بعده، ويترامى على تلك الأبواب، ويلثم ذلك الثرى ويرجو الثواب.

صدر آخر: ولا زالت عهد ولايته منصوصه، وإيالته بعموم المصالح مخصوصه، وصفوف جيوشه كالبيان مخصوصه، وقوادم أعدائه بالحوالق مخصوصه^(١)، وبدائع أنبائه فيما حلقت إليه دعوته الشريفة مقصوصه، والوفود في أبوابه أجنحتها بالندى مبلولة مقصوصه.

الخدّم يجدد بتلك الأعتاب خدّمه، [ويزاحم في تلك الرحاب خدّمه]^(٢)؛ ويقف في تلك الصفوف لا تنفك^(٣) عن الطاعة قدّمه، ويتمثل بين تلك الوقوف ويتميز عليهم إذا ذكر في السوابق قدّمه؛ ويُدلي بحجج سيوفه التي أشهرها، وصروفه التي لاقى أشهرها، ومواقفه التي ما أنكرها الديوان العزيز منذ^(٤) أثبتّها. ولا حطّ رماحها منذ^(٤) أثبتّها، ولا محاسن سطورها منذ^(٤) كتبتّها، ليغيظ الأعداء ولا يشفي صدورهم منذ^(٤) كتبتّها، [وينهي كذا وكذا].

صدر آخر: ولا زالت مواعيد الظفر له ممضوضه^(٥) ورؤوس من كفر بطوارقه

(١) القوام: هي الريشات الكبار في مقدم جناح الطير. وحصّ الجناح: نف ريشه.

(٢) الزيادة من صبح الأعشى عن التعريف.

(٣) في الصبح: «لا تنقل»

(٤) في طق «منذ». وما أثبتناه من الصبح.

(٥) كذا في طق. واللفظ لا يستقيم على هذا النحو إلا إذا كان بمعنى: مقرّة ومنجزة، وبذلك تكون على نحو ما جاء في اللسان: إذا أقرّ الرجل بحق قيل: مضّ يا هذا، أي قد أقررت. وإلا فصوابه ما جاء في الصبح «منصوصة».

مرضوضه، وصحائف الأيام عما يسرُّ به الزمان فيه مفضوضه، وجفون عدها ولو
 اتصلت بمقل النجوم مغضوضه، وطوارق الأعداء التي تجنُّهم^(١) منه بسيوفه
 مَعْضُوضَه.

الخادمُ يخدمُ أرضه المقدسة بترامي قبيله، وتقليب وجهه إلى قبيله، ويتطوَّف
 بذلك الحرم، ويتطوَّل من فواضل ذلك الكرم، ويتطوَّق بقلائد تلك المن، وفرائد
 تلك المواهب التي إن لم تكن له وإلا فَمَنْ؛ فإنه - والله يشهد له - لا يعتقد بعد ولاء
 سيِّدنا ومولانا أمير المؤمنين، والقيِّم بأمور الدنيا والدين - عليه الصَّلَاة والسلام - إلا
 ولاءها؛ ولا يُومَل بعد تلك الآلاء إلا آلاءها، ولا يرجو من غير هذه الشجرة
 المباركة لأمله إثمارة، ولا لليله^(٢) إقماراً، ولا لأيامه حافظاً، ولا لحال إقدامه في قدَم
 صدقٍ ولائه لافظاً؛ قائماً في خِدمِ هذه الدولة القاهرة يجهدُ في منافعها، ويجدُ في
 كبت مُدافعها، ويدخر شفاعتها العظمى إذا جاءت كلُّ أمةٍ بِشافِعِها.

إمام الزيدية باليمن

وهو من بقايا الحسنيين القائمين بأمل الشط، من بلاد طبرستان، وقد كان
 سلفهم جاذب الدولة العباسية حتى كاد يُطيح رداءها، ويُسْمِت بها أعداءها؛ وهذه
 البقية الآن بصنعاء وبلاد حصرموت وما والاها من بلاد اليمن؛ وأمراء مكة تسرُّ
 طاعته، ولا تفارق جماعته؛ والإمامة الآن فيهم من بني المطهر؛ وأسم الإمام القائم
 في وقتنا^(٣): حمزة، ويكون بينه وبين الملك الرسولي باليمن مُهادنات ومفاسحات

(١) أي تحميمهم

(٢) في طق «لبله»

(٣) أي في أيام الناصر بن قلاوون. وذكر العمري في «مسالك الأبصار» أن يحيى بن حمزة ولي بعد أبيه،
 وكان في زمن المؤيد داوود بن يوسف صاحب اليمن. وذكر ابن خلدون أن الإمام قبل الثمانين
 والسبعمائة كان: علي بن محمد من أعقابهم، وتوفي قبل الثمانين. وولي ابنه صلاح وتابعه الزيدية،
 وكان بعضهم ينكر إمامته لعدم استكمال الشروط فيه فيقول: «أنا لكم ما شئتم إماماً أو سلطاناً؛ ثم مات
 سنة ٧٩٣ هـ وقام بعده ابنه نجاح فامتنع الزيدية من مبايعته فقال: أنا محتسب لله تعالى.

(صبح الأعشى: ٣٣٣/٧ - ٣٣٤)

تارةً وتارةً؛ وهذا الإمامُ وكل من كان قبله على طريقةٍ ما [غَيْرِهَا] ^(١) وهي إمارةٌ أعرابيةٌ لا كِبَرَ في صدورِها ولا شَمَمَ في عَرَائِنِها؛ وهم على مُسَكَّةٍ من التقوى وَتَرَدُّ بِشَعَارِ الزُّهْدِ؛ يجلس في نديٍّ قومه كواحد منهم، ويتحدَّث فيهم ويحكم بينهم، سَوَاءً عنده المشروف والشريف، والقويُّ والضعيف؛ وربما اشترى سِلْعَتَهُ بيده، ومشى في أسواق بلده لا يُغَلِّظُ الحِجَابَ، ولا يَكِلُ الأُمُورَ إلى الوزراء والحُجَّابِ، يأخذ من بيت المال قَدْرَ بُلْغَتِهِ من غير توسُّع، ولا تَكْثُرُ غير مُشْبِع، هكذا هو وكلُّ من سلف قبله من عدلٍ شاملٍ وفضِّل كاملٍ ^(٢).

وَرَسْمُ المَكاتِبَةِ إليه: أَدَامَ اللهُ جَلَالَ الجَانِبِ الكَرِيمِ، العَالِيِ، السَّيِّدِيَّ، الإِمَامِيَّ، الشَّرِيفِيَّ، النَّسَبِيَّ، الحَسَبِيَّ، العَلَامِيَّ ^(٣)، سَلِيلِ الأَطْهَارِ، جَلَالَ الإِسْلَامِ، شَرَفِ الأَنَامِ، بَقِيَّةِ البَيْتِ النَّبَوِيِّ، فخر [النَّسَبِ] ^(٤) العَلَوِيِّ، مؤيِّدِ أُمُورِ الدِّينِ، خَلِيفَةِ الأَئِمَّةِ، رَأْسِ العَلِيَّاءِ، صالِحِ الأَوْلِيَاءِ، عَلمِ الهُدَاةِ، زعيمِ المُؤمِنِينَ، دُخْرِ المُسْلِمِينَ، مُنْجِدِ المُلُوكِ والسُّلْطَانِينَ؛ ولا زال زَمَانُهُ مُرْبِعاً، وَغَيْلُهُ ^(٥) مُسْبِعاً، وَقِرَاهُ مُسْبِعاً، وكرمه بفيض نَدَاهُ مُنْبِعاً، وَهُدَاهُ حَيْثُ أُمَّ بِالصَّفُوفِ مُتْبِعاً، وَمُلْكُهُ المَجْتَمِعِ بِاليَمَنِ، لو أَدْرَكَهُ سَيْفُ بَنُ ذِي يَزْنَ، لم يكن إِلا لَدَيْهِ مُتَضَيُّ وَتُبِعَ لم يكن له إِلا تَبْعاً؛ ولا فَتِنَتْ مَعَاقِدُ شَرْفِهِ بِالجُوزاءِ، وَعَقَائِدُ حَبِّهِ تُعَدُّ لِحُسْنِ الجُزَاءِ، وَمَعَاهِدُ وَطَنِهِ آهَلَةٌ بِكثْرَةِ [الأَعْزَاءِ] ^(٦)، وَمَيَاسِمُ أَهْلِ وَلائِهِ تُعزُّ إِلَيْهِ بِالاعتزَاءِ، وَمَيَاسِمُ ثُغُورِ أودائِهِ

(١) في ط ق: «ما عدناها» والتصحيح من الصبح.

(٢) وقال في «مسالك الأبصار»: ولشيعة هذا الإمام فيه حُسن الاعتقاد، حتى أنهم يستشفون بدعائه، ويُمرّون يده على مرضاهم، ويستسقون به المطرَ إذا أُجِدبوا... قال: وزئِي هذا الإمام وأتباعه زئِي العرب في لباسهم والعمامة الحَنَك، ويُنادى عندهم بالأذان: حَيَّ على خير العمل.
(صبح الأعشى: ٣٣٤/٧)

(٣) في ط ق: «العلائي». والتصحيح من الصبح: ٣٣٤/٧.

(٤) في ط ق «الحسب». وما أثبتناه من الصبح.

(٥) الغيل: موضع الأسد.

(٦) في ط ق «الأعداء» وهو تصحيف. والتصحيح من الصبح.

ضاحكة السيوف في وجوه الأرزاء. هذه النجوى إلى روضه المُمَرِّعِ وإلا فما تُزَمُّ
الركائب، وإلى حوضه المُمَرِّعِ وإلا فما الحاجة إلى السَّحَابِ، وإلى جِماه
المخصب، وإلا ففيها يسري الرائد، وإلى مرماه المطنَّبِ فوق السماء وإلا إلى أين
يُريد الصَّاعِد، تسري ولها من هادي وجهه دليل، وفي نادي كرمه مَقِيل، وإلى بادي
حَرَمه وما فيه للعاكف، وإلى عالي ضَرَمه ما لا يُنكره العارف، وفي آثار قَدَمِه ما يحكم
به كلُّ عائف، وفي بَدَارِ خِدَمه ما يَدْرُ عِداه كَرَمًا اشتدَّت به الرِيحُ في يَوْمٍ عاصِف،
مُيَدِيَّةٌ وَأَوَّلُ ما تبدأ بِسلامِ تقدّمه على قولِ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، وثَنَاءٌ ولا مثلُ قولِه: ﴿إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]

صَدْرٌ آخر: ولا عَطَلٌ محرابٌ هو إمامه، ولا بَطَلٌ عملٌ هو تَمَامُه، ولا جَفٌّ ثَرَى
نباتٌ هو غَمَامُه، ولا خَفٌّ وَقَارٌ آمريٌّ بيده المَصْرَفَةُ زَمَامُه، ولا آرَتَدُّ مَضْرِبُ سيفٍ
رُؤُوسُ أعاديهِ كِمَامُه، ولا آرَتَأَى في حصولِ الخيرة له من كان إلى كَفَهٍ أَنْضَمَامُه؛
وأَطَالَ اللهُ باعَ عليائه، وأَطَابَ بأبناؤه سَماعَ أوليائه؛ وأدامَ إجماعَ السرورِ عليه،
ومصافاته لأصفيائه وتَرامِيه إليه؛ صَدَرَتْ بها الركائب إليه مُخَفَه، وَسَرَتْ بها لتَقِفَ
عليه والقلوبُ بها مُخَفَه^(١)؛ وأهوتُ لديه تشمخُ بها لوصولها إليه الكِبَرُ، وطوتُ إليه
البيدَ طَيَّ الشُّقَّةَ تقيسها المَطَايَا بالأذرعِ والثُرَيَّا بالشُّبْرِ؛ تأتي بالعجبِ إذ تجلُبُ إليه
المسكُ الأذفر^(٢)، وتجلو له الصبّاحُ وما لآحَ وَاللَّيْلُ وَمَا أَسْفَرُ؛ وَتَحَلُّ في مَقَرِّ إمامته،
وَتَحَلِّي العاطلُ بما نثره من الطَّلِّ صَوْبُ غَمَامته؛ مُوصَلَةٌ لِعَلْمه ما لا يُقْطَع، ومضوَعَةٌ
عنده من عنبرِ الشُّحْرِ ما [يُسْتَبْضَع]^(٣) [و] مُعَلِّمَةٌ له [كَيْتٍ وَكَيْتٍ].

[وقد] وصل إلينا بمصر في الأيام الناصرية [محمد بن قلاوون] سقى الله

(١) في حاشية ص ٣٣٦ من صبح الأعشى - الجزء السابع: «لعله: محتفة، فإنه ليس في كتب اللغة: أحف به، ولكن: حفَّ به، واحتفَّ»

(٢) المسك الأذفر: ذو الرائحة الجيدة للغاية.

(٣) في طق «يسطع». والتصحيح من الصبح. وعنبر الشُّحْرِ هو المنسوب إلى سواحل الشُّحْرِ، بين عدن وعمان.

(معجم البلدان: ٣/٣٢٧)

عهدا - رسول من هذا الإمام ابن مُطَهَّرٍ إمام الزيدية من صنعاء، بكتاب منه يقتضي الاستدعاء، أطل فيه الشكوى من صاحب اليمن وعدَّد قبائحه، ونَشَرَ على عيون الناس فضايحه، وأستنصر بمددٍ يأتي تحت الأعلام المنصورة لإجلائه عن دياره، وإجرائه مُجرى الذين ظلموا في تعجيل دَمَارِهِ؛ وقال: إنه إذا حضرت الجيوش المؤيدة قام معها، وقَادَ إليها الأشرافَ والعربَ أجمَعها، ثم إذا آستنقذَ منه ما بيده أنعم به عليه ببعضه، وأعطِي منه ما هو إلى جانب أرضه، فكتبتُ إليه مُؤذناً بالإيجابه، مُؤدِّياً إليه ما يقتضي إعجابِهِ؛ وضمنَ الجواب أنه لا رغبة لنا في السلب، فإن النُصرة تكون للخالصة وله كلُّ البلاد لآقدر ما طلب؛ وهذا نُسخة ما كتبت به إليه:

ضاعف الله جلال الجانب (بالألقاب والنعوت) وأعترَّ جانبه عزّاً تُعقد فواضِلُ بنواصي الخيل، وصياصي المعازل التي لم يطلُع على مثلها سهيل، وأقاصي الشرف الذي طَلع منه في الطوق وتمسك سواه بالذيل؛ وقدمه للمتقين إماماً، وجعل [للمستقين] (١) غَمَاماً، وشرفه على المرتقين في علا النسب العلوي ونوره وصوره تماماً؛ ومنَّ على اليمين بيمينه، وأعلم بصنعاء حُسن صنيعه وبخُصرموت حُضور موت أعدائه، وبعَدَنَ أنها مقدّمة لجنات عذبه؛ ولا زالت الآفاق تؤمّل في فيضه سبحانه دانياً، وتتهلّل إذا شامت له برقاً يمانياً، وتتنقل في رتب محامده ولا تبتل من المجد ما كان بانياً.

هذه النَّجوى وكفى بها فيما يقدم بين يديها، ويُقوم ولا يقوم من كلِّ غالبو الثمن ما عليها، تطوي المراحل (٢)، وتجوب البرّ والبلد الماحل، وتنبُّ إليه البحر وتقدف منها العنبر إلى الساحل؛ وترسي به سفنها، وتحط إليه بل تخط لديه مُدنها وتؤذِنُ عِلْمَه - سرّه الله - بما لم يُحل إليه من نظر، ولم يُخل منه من سبب ألف النوم أو نقر، ورود وإرِدِ رسوله فقال: يَا بُشْرَايَ وَلَمْ يَقُلْ هَذَا غلام، ووصوله بالسلا

(١) في طق «للمستقين». والتصحيح من الصبح.

(٢) المرحلة: مسافة سير نحو يوم.

والسلام، وما تَضَمَّنَهُ ما اسْتَصْحَبَ مِنْهُ مِنْ صَحِيفَةٍ كُلُّهَا كَرَمًا، وَأَخْبَارٍ صَحِيحَةٍ كُلُّهَا مِمَّا لَوْ قُدِفَ بِهِ الْمَاءُ لَاضْطَرَمَ، ذَكَرَ فِيهَا أَمْرَ الْمُتَغَلَّبِ الْعَادِي، وَالصَّاحِبِ الَّذِي يَفْعَلُ فِعْلَ الْأَعَادِي، وَالْجَارِ الَّذِي جَارَ وَالظَّالِمِ الْبَادِي، وَمَا مَدَّ الْأَيْدِيَ إِلَيْهِ مِنَ النَّهَابِ، وَمَا آخَتَخَطَفَ بِهِ الْقُلُوبَ مِنَ الْإِرْهَابِ، وَحَدَّثَ عَنْ أَخْبَارِهِ وَعِنْدَنَا عِلْمُهُ، وَأَخْبَرَ عَنْ أَعْمَالِهِ مِمَّا لَهُ أَجْرُ الصَّبْرِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ ظُلْمُهُ، وَقَصَّ رَسُولُهُ الْقِصَصَ، وَزَادَ الشَّجِي وَضَيَّقَ مَجَالَ [الْعَصَص] (١)، وَأَطَارَ مِنْ [وَكْر] (٢) هَذَا الْعُدْوَانَ طَائِرًا كَأَنَّمَا كَانَ فِي صَدْرِهِ، وَحَرَّكَ مِنْهُ لِأَمْرٍ كَانَ يَتَجَرَّعُ لَهُ كَأَسِّ صَبْرِهِ؛ وَقَدْ أَسْمَعَ الدَّاعِي، وَأَسْرَعَ السَّاعِي، وَبَلَغَ الْأَمَانَةَ حَامِلُهَا، وَأَوْصَلَ الْكَلِمَةَ قَائِلُهَا؛ وَمَرْحَبًا مَرْحَبًا بِدَاعِي الْقِيَامِ مِنْ قِبَلِهِ، وَأَهْلًا أَهْلًا بِمَا بَلَغَ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَهَلُمَّ هَلُمَّ إِلَى قَلْعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الَّتِي لَمْ يَخْبُ إِلَّا (٣) ظَنُّ غَارِسِهَا، وَقَطَعَ هَذِهِ الصَّخْرَةَ الَّتِي لَمْ تُنْصَبْ إِلَّا مَزْلَقَةً لِدَائِسِهَا، وَالتَّعَاوَضَ التَّعَاوَضَ لَمَّا هَتَفَ بِهِ هَاتِفُهُ الصَّارِخُ، وَسَمِعَهُ حَتَّى الرَّمْحُ الْأَصْمُ وَالسَّيْفُ الْمُتَصَاوِخُ (٤)؛ فَلْيَأْخُذْ لِهَذَا الْأَمْرِ الْأَهْبَةَ، وَلْيُسَدِّ عَلَيْهِ فَقَدْ آتَى الْوَيْبَةَ؛ فَقَدْ سَطُرَتْ وَقَدْ نَهَضَ إِلَى الْخَيْلِ مُلْجِمُهَا، وَبَادَرَ وَضَعَ السَّهَامِ فِي الْكَائِنِ مُزْجِمُهَا؛ وَكَأَنَّهُ بِأَوَّلِ الْأَعْنَةِ، وَأَذَانُ الْجِيَادِ تَفَرَّقَ (٥) بَيْنَ شَطْرَيْ وَجْهَيْهَا الْأَسِنَّةِ، وَكَأَنَّهُ بِرَسُولِ الْقَائِدِ وَفِي أَعْقَابِهِ الْجَيْشِ الْمُطِلِّ، وَالْأَلْوِيَّةِ وَكُلُّ بَطْلٍ بَاسِلٍ يَبْتَدِرُ الْوَعْيَ وَلَا يَسْتَدِيلُ؛ وَلَا أَرَبَ لَنَا فِي أَسْتِزَادَةِ بِلَادٍ وَسِعَ اللَّهُ لَنَا نِطَاقَهَا، وَكَثُرَ بِنَا مَدَدَ (٦) أَمْوَالِهَا وَقَدَّرَ عَلَى أَيْدِينَا إِنْفَاقَهَا؛ وَإِنَّمَا الْقَصْدُ كُلُّهُ وَالْأَرَبُ جَمِيعُهُ كَشَفُ تَلِكِ الْكُرْبِ، وَتَدَارُكُ ذَلِكَ الدِّمَاءِ (٧) الَّذِي

(١) فِي ط ق: «القصص». وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الصَّبْحِ.

(٢) فِي ط ق «ذَكَرَ». وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الصَّبْحِ.

(٣) فِي الصَّبْحِ: «لَمْ يُتَجَبْ ظَنُّ»

(٤) أَي السَّيْفِ الْأَصْمِ. تَقُولُ: صَخَّ الصَّوْتُ الْأَذْنَ: أَي أَصَمَّهَا. وَمِنْهُ سَمِيَتِ الْقِيَامَةُ الصَّاخَّةَ، وَهِيَ الصَّيْحَةُ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْقِيَامَةُ تَصَخُّ الْأَسْمَاعُ أَي تَصَمُّهَا.

(انظر اللسان: صَخَّ)

(٥) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى: «تَفُوقُ»

(٦) فِي صَبْحِ الْأَعْشَى: «مَوَادُّ»

(٧) الدِّمَاءُ: بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْمَذْبُوحِ وَغَيْرِهِ.

أوشك أو كَرَب، وإن قُدِّرَ فتوح، وتيسَّرَ ما طَرَفُ سوانا إليه طَمُوح، كان هو أَحَقَّ بسبقه: لأنه جَارُ الدار، والأوَّلُ الذي كان له البِدَار، وَيَقْلُ له لعظيم شَرَفه ما نَسْمَحُ به وإن جَلَّ، وما نَهَبُهُ منه وإن عَظَمَ شَأْنُ كُلِّ تَبَعٍ وهو ببعضه ما أَسْتَقَلَّ؛ وكأنه والخيَلُ قد وافقته تُجِدُّ في الإحْضار، وتُسْرِعُ إليه وتكفيه مؤونة الانتظار.

وَلَاةُ الْعُهُودِ بِالسُّلْطَنَةِ

أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَ الْمَقَامِ. ولا زال مُشْرِقَ الْأِهْلِهِ، مُعْدِقَ السُّحْبِ الْمُسْتَهْلِهِ، مُحَدِّقَ الْحَدَائِقِ لِتَجْتَنِي الْأُمَّةَ ثَمْرَهُ وَتَتَبَّأَ ظِلَّهُ، مُطْلَقَ الْأَعْنَةِ إِلَى مَدَى - قَبْلَهُ سَلَفَ الْمَلُوكِ فَمَا وَجَدُوا إِلَّا ضِلَّهُ.

صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَفَاوِضَةُ [إِلَى] مَقَامِهِ الْعَالِي وَمَحَلُّهُ مَنَا فِي الصَّدْرِ، وَمِثَالُهُ - وَإِنْ بَعْدَ عَنَا - بَيْنَ عَيْنَيْنَا مِثَالُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَمَكَانُهُ إِلَى جَانِبِنَا عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ يَتَشَوَّقُ لِحُلُولِهِ، وَمَقَامُهُ تَحْتَ أَعْلَامِنَا وَأَعْلَامِهِ يَتَشَوَّفُ إِلَى وُصُولِهِ، وَعَسَاكِرُنَا الَّتِي هِيَ عَسَاكِرُهُ تُعْلَنُ فِي مَوَاقِفِهَا الْجِهَادَ بِاسْمِنَا وَأَسْمِهِ، وَجُنُودُنَا الَّتِي هِيَ مَدَدُهُ تُقَسِّمُ بِاللَّهِ وَبِنَا أَنَّهُ لَا تَعْدُلُ عَنْ قَسْمِهِ.

صَدْرٌ آخِرٌ: أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَ الْمَقَامِ وَأَنْجَزَ لَهُ مِنَ النَّصْرِ مَا وَعَدَ، وَبَوَّأَهُ سَرِيرَ الْمَلِكِ الَّذِي آقَعْتَهُ، وَبَشَّرَ سَحَّ صَيْتِهِ الَّذِي سَبَّحَ لَهُ لَمَّا أَرَعَدَ، وَسَبَّحَ فِي مَدَدِهِ حَتَّى أَبْعَدَ، وَسَنَحَ (١) طَائِرُهُ إِلَّا أَنَّهُ الَّذِي عَدَى الْعَدَا.

أَصْدَرْنَاهَا إِلَى مَقَامِهِ الْعَالِي تُمْلِي عَلَيْهِ أَحَادِيثَ أَشْوَاقِنَا إِلَيْهِ، وَأَنْبَاءَنَا الَّتِي نَرْجُو أَنْ تَكُونَ أَسْرًا مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، وَتَمَثَّلُ لَهُ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ سَلَامَةٍ لَهُ أَوْفَرُّهَا، وَأَشْتَاتِ تَأْيِيدٍ لَنَا الْجَدُّ (٢) فِي جَمْعِهَا وَلَهُ ظَفَرُهَا؛ وَيَطْلَعُ عِلْمَهُ الشَّرِيفَ.

صَدْرٌ آخِرٌ: أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَ الْمَقَامِ الْعَالِي وَلَا زَالَ مَعْنَا مَعْنَى حَيْثُ يَمْنَا، وَأَدْنَى

(١) سَنَحَ الطَّائِرُ أَوْ الظَّبْيُ وَغَيْرُهُمَا: مَرَّ مِنْ مِيَاثَرِكِ إِلَى مِيَاثَرِكِ فَوَلَّكَ مِيَاثَرَهُ. وَالْعَرَبُ يَتِيمُونَ بِهِ، فَهُوَ سَانِحٌ. وَالَّذِي يَمُرُّ مِنْ يَمِينِكَ إِلَى يَسَارِكَ يُسَمَّى: الْبَارِحَ، وَهُوَ نَذِيرُ شُومٍ.

(٢) الْجَدُّ: الْحِظُّ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: «اسْعَ بِجَدِّكَ لَا بِكَذِّكَ»

[دان^(١)] منا إذا ارتقينا كاهل المنبر وتسنمنا ، وأبدى مُبَدٍ في آستيداع جلائل القلاع إذا تسلّمنا؛ ولا برحت جنود الليل والنهار تصحبنا سرى وتصحبه إقامه، وتقرّبنا سرائر وتقرّبهُ إلينا حتى لا يرى بعين الإجلال إلا مقامنا ولا نرى بعين الحنو إلا مقامه .

أصدرناها إليه وعهدنا له كما عهد، وعقدنا له على لواء كل نصر كما عقد، وشوقنا إليه يمثله لنا مثال الحاضر، ويرينا شخصه الكريم بالقلب وسنراه إن شاء الله عن قريب بالنّاظر^(٢) .

أمير مكة

وإمرتها في الأشراف «بني حسن»؛ وأستقرت في أولاد أبي نمي؛ وهي الآن في [رُمَيْثَة]^(٣)، وهو آخر من بقي من بيته، وعليه كان النص من أبيه دون البقية مع

(١) في ط ق: «وأدنى أدنى». والتصحيح من المقام.

(٢) نقل الفلقشندي عن ابن ناظر الجيش في «تثقيف التعريف» أن المكاتبه إلى وليّ العهد بالسلطنة هي: أعز الله تعالى أنصار المقام العالي، الملكي، الفلاني، الأخوي، أو الولدي - إن كان أخاً أو ولداً - ثم الدعاء اللائق به. ثم يقال: أصدرناها إلى المقام العالي ويطلع علمه الشريف والعلامة: أخوه، سواء كان أخاً أو غير أخ، ووالده إن كان والداً. قال الفلقشندي: ولم يذكر تعريفه؛ والذي يظهر أنه يكتب له «وليّ العهد بالسلطنة الشريفة». قال في التثقيف: ولعل هذه المكاتبه نظير ما كتب به إلى الملك الصالح علاء الدين علي ولد المنصور قلاوون.

(انظر صبح الأعشى: ١٣٩/٧ - ونص تفويض السلطنة بولاية العهد من المنصور قلاوون لولده علي، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، في تشریف الأيام والعصور: ص ٢٠٠ - ٢٠٣، وفي الصبح: ١٧٣/١٠ - ١٧٧، وفي ابن الفرات: ١٨٧/٧ - ١٩٠). وحتى أوائل العصر الأيوبي كان لقب «المقام» يستعمل للسلطان أو من في منزلته. وفي آخر العصر الأيوبي يقرّر ابن شيث أن لقب «المقام العالي» كان يشترك مع «المقرّ الأشرف» في مخاطبة السلطان؛ ولكنه بينما هوت منزلة «المقرّ» أثناء عصر المماليك ظل «المقام» مختصاً بالسلطين. على أن لقب المقام لم يقتصر على السلطين في عصر المماليك بل استعمل لولاة العهد بالسلطنة (كما يشير العمري هنا) ولبعض الأمراء والملوك (كما أشار الخالدي في: المقصد الرفيع المنشأ الهادي لصناعة الإنشاء). وفي آخر العصر المملوكي ذكر خليل الظاهري أن أرقى درجاته في المراسلات هي «المقام العالي».

(انظر: معالم الكتابة: ٣٦؛ وزبدة كشف الممالك: ١٠١؛ والألقاب الإسلامية: ٤٤٧).

(٣) في ط ق: «ميثه».

تداولهم لها؛ والقائم بها عنه أبْنُه عَجْلَان^(١).

وَرَسْمُ المَكاتِبَةِ إليه: أَدَامَ اللهُ نِعْمَةَ المَجْلِسِ العَالِي، الأَمِيرِي، الكَبِيرِي، العَالِمِي، العَادِلِي، المُوَيْسِدِي، العَضُدِي، النُّصَيْرِي، الذُّخْرِي، الغَوْثِي، [المَفِيدِي]^(٢)، الأَوْحُدِي، الظُّهْرِي، الزَّعِيمِي، الكَافِلِي، الشَّرِيفِي، الحَسِيْبِي، النَّسِيْبِي، الأَصْلَبِي، الفَلَانِي، عَزَّ الإِسْلَامَ والمُسْلِمِينَ، سَيِّدِ الأَمْرَاءِ فِي العَالَمِينَ، جَلالِ العِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ، كَوَكِبِ الأُسْرَةِ الزَّاهِرَةِ، فِرْعِ الشَّجَرَةِ الزَّكِيَّةِ، طِرَازِ العِصَابَةِ العَلَوِيَّةِ، ظَهيرِ المُلُوكِ والسُّلْطَانِ، نَسِيبِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ؛ لا زَالِ حَرْمُهُ أَمِيناً، وَمَكَائِهِ مَكِيناً، وَشَرَفُهُ يُنِيرُ لَهُ بِمُجَاوِرَةِ الحِجْرِ الأَسْوَدِ عِنْدَ اللهِ وَجْهاً وَيُضِيءُ جَبِيناً.

صَدْرَتْ هَذِهِ المَكاتِبَةُ إِلَى المَجْلِسِ العَالِي، تَحْمِلُ إِلَيْهِ سَلَاماً تَمِيلُ بِهِ الرِّكائِبُ، وَثَناءً تَتَنِي عَلَى مِسْكَه الحَقائِبُ، وَشَوْقاً أَوْسَقَ قَلْبَهُ فِي نُسْكَه مَعَ الحَبائِبُ، وَتَوَضَّحَ لِعِلْمِهِ الكَرِيمِ.

صَدْرُ آخَرَ: وَمَتَّعَهُ بِجِوَارِ بَيْتِهِ الكَرِيمِ، وَزَادَ بِجَمِيلِ مَساعِيهِ شَرَفَ نَسْبِهِ الصَّمِيمِ، وَأَنَسَهُ بِقَرَبِ الحَجَرِ والحِجْرِ والرُّكْنِ والحَطِيمِ^(٣).

(١) دار أمر مكة بين أبي نُمَيِّ محمد بن أبي سعد علي بن قتادة وبين غالب بن راجح بن قتادة. ثم استبد أبو نُمَيِّ بإمرة مكة ونفى قبيلة أبيه أبي سعد إلى الينبع. ولما هلك أبو نُمَيِّ قام بأمر مكة من بعده ابنه: رُمَيْثَةُ وَحُمَيْضَةُ، ونازعها أخواهما: عَطِيفَةُ وأبو الغيث. واستمر النزاع بينهم وقتاً طويلاً، واستنجدوا جميعاً بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون فكان يناصر هذا تارة، ويتناصر ذلك تارة أخرى إلى أن استقر الأمر أخيراً لرميثة بعد موت أخيه عطيفة. ولما مات رميثة تنازع ولداه: بَقِيَّةٌ وَعَجْلان، ثم استقر الأمر لعجلان بدعم من سلطان مصر إلى حين وفاته سنة ٧٧٧ هـ. وولي بعده ابنه أحمد إلى أن توفي سنة ٧٨٨ هـ في أيام الظاهر برفوق. ثم جاء بعده ابنه محمد ثم عنان بن مُغاسم بن رميثة ثم استقل بالإمارة علي بن عجلان إلى أن قتل سنة ٧٩٧ هـ، فولي السلطنة ابن أخيه حسن بن أحمد واستبد بإمرة مكة وبقي بها إلى آخر أيام القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ.

(صبح الأعشى: ٢٧٣/٤ - ٢٧٥)

(٢) في ط «المفدي» وهو خطأ

(٣) حِجْر الكعبة: هو ما تركت قریش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام، وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة، فسمي حجراً لذلك. أما الحطيم فيه أقوال: قال مالك بن أنس: هو ما بين المقام

صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس العالي تُهْدِي إليه سلاماً، وثناءً تَطِيب به الصُّبَا قبل أن تحمل شَيْحاً وَخُزَامِي، وتوضِّح لعلمه الكريم.

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: وَأَرَاهُ مَنْاسِكَهُ، وَأَنْسَ بِالتَّقْوَى مَسَالِكَهُ، وَأَشْهَدَ عَلَى عَمَلِهِ الصَّالِحِ بِطَحَاءَهُ وَمَا يَنْزِلُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

صَدْرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ بِتَحِيَّاتِهَا الْمُبَارَكَةِ، وَأَنْتَيْتِهَا الَّتِي لَا تَزَالُ إِلَيْهِ بِهَا أَفْتَدَةٌ مِنَ النَّاسِ سَالِكَةِ، وَتَوْضُّحَ لَعَلْمِهِ الْكَرِيمِ.

أَمِيرُ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ

وهي في بني حُسين، ثم الآن هي في بني جَمَّاز بن شَيْحَةَ، وتفردَ بها طُفَيْل بن منصور بن جَمَّاز، وقد كان جدُّهم فقيهاً من أهل العراق، قَدِمَ عَلَى السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّينِ فَأَمَّرَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فَاسْتَقَرَّتْ فِيهَا قَدَمُهُ وَقَدِمُ بَنِيهِ؛ وَأَمْرَاءُ مَكَّةَ أَقْدَمُوا قَدَمًا وَأَبْدُخُ إِمْرَةً، وَلَهُمُ التَّقَدُّمُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَوْكِبِ وَالْمَجْلِسِ^(١).

وَرَسَمُ الْمَكَاتِبَةِ إِلَيْهِ: مِثْلُ الْمَكَاتِبَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ لِأَمْرَاءِ مَكَّةَ، وَيُنَاسِبُهُ مِنَ الدُّعَاءِ وَالصَّدْرِ قَوْلُنَا: وَلَا زَالَ فِي جَوَارِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَهْبِطِ الْوَحْيِ وَنَزْوَلِهِ، وَمَكَانِ يُرَدَّدُ فِيهِ مِنَ أَبِيهِ الطَّاهِرِينَ بَيْنَ حَيْدَرِهِ وَبَتُولِهِ.

صَدْرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ بِسَلَامٍ يَحْدُو رِكَابَهَا، وَثَنَاءً يَزِينُ فِي «قُبَا»^(٢)

= إلى الباب، وقال ابن جريج: هو ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر، وقال ابن حبيب: هو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء، وقال ابن دريد: كانت الجاهلية تتحالف هناك يتحطمون بالأيمان، فكل من دعا على ظالم وحلف إثماً عجلت عقوبته، وقال ابن عباس: هو جدار الكعبة، وقال النضر: الذي فيه الميزاب.

(انظر لسان العرب: حطم؛ ومعجم البلدان: ٢٧٣/٢)

(١) حول أمراء المدينة المنورة، انظر صبح الأعشى: ٣٠١/٤

(٢) قُبَا أو قُبَاء: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة. واشتهر منها مسجدها، وقيل إنه مسجد رسول الله (ص). قال ياقوت: وأصله اسم بئر هناك عرفت القرية بها.

(معجم البلدان: ٣٠١/٤)

قِيَابَهَا، وَشَوْقٌ إِلَى رُؤْيَةِ الرُّوْضَةِ الَّتِي طَالَمَا اسْتَسْقَى فِيهَا^(١) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَحَابَهَا، وَتَوْضُّحٌ لِعَلْمِهِ الْكَرِيمِ . . .

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: وَزَادَهُ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قُرْبًا، وَأَكَّدَ لَهُ بِحِمَايَةِ حَرَمِهِ حُبًّا، وَأَبْهَجَهُ كَلِمًا رَأَى جَدَّهُ ﷺ وَقَدْ جَاوَرَ آلًا وَجَالَسَ صَحْبًا.

صَدْرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ مَطْرِبَةً بِالسَّلَامِ، مُطْبِئَةً فِي ثَنَائِهِ الْمَفْضَلِ النَّظَامِ، وَتَوْضُحٍ لِعَلْمِهِ الْكَرِيمِ.

صَاحِبُ الْيَمَنِ

هُوَ الْمَلِكُ الْمَجَاهِدُ سَيْفُ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ الْمَلِكِ الْمُؤَيَّدِ هَزْبِرِ الدِّينِ دَاوُودَ مِنْ بَيْتِ رَسُولٍ؛ وَكَانَ جَدُّهُمْ هَذَا رَسُولُ [أَمِيرِ آخُور]^(٢) الْمَلِكِ الْكَامِلِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ [بْنِ]^(٣) الْعَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ؛ فَلَمَّا بَعَثَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ وَلَدَهُ الْمَلِكَ الْمَسْعُودَ أَطْسَز^(٤)، وَهُوَ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْعَامَّةُ: أَقْسِيسَ، بَعَثَ مَعَهُ رَسُولًا فِي جُمْلَةٍ مِنْ بَعْتِهِ مَعَهُ. ثُمَّ تَنَقَّلَتِ الْأَحْوَالُ حَتَّى اسْتَقَلَّ رَسُولُ بَمَلِكِ الْيَمَنِ وَصَارَ الْمَلِكُ فِي عَقْبِهِ إِلَى الْآنَ^(٥).

(١) فِي صَبِيحِ الْأَعْشَى: ١٩٣/٧: «بِرَسُولِ اللَّهِ . . .»

(٢) فِي ط: «أَمِيرًا آخُرًا» وَهُوَ خَطَا. وَأَمِيرُ آخُورٍ: مَرْكَبٌ مِنْ لَفْظَيْنِ: أَمِيرٌ، وَالثَّانِي: آخُورٌ، وَهُوَ فَارِسِيٌّ بِمَعْنَى الْمَعْلَفِ أَوْ الْمَذُودِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى الْإِسْطَبْلِ. وَصَاحِبُ وَظِيفَةُ «أَمِيرِ آخُورٍ» هُوَ الَّذِي يَنْظُرُ فِي أُمُورِ الْإِسْطَبْلَاتِ وَالْمَنَاخَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَرَئِيسَ الْعَامِلِينَ بِهَا جَمِيعًا. وَقَدْ عَرَفَ صَاحِبُ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ عِنْدَ سُلْطَانِ الرُّومِ بِإِسْمَيْنِ: أَمِيرِ آخُورٍ وَكُنْدِ إِصْطَبْلِ.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٤٧؛ وتاصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل: ١١ - ١٢)

(٣) ساقط من ط.ق.

(٤) هُوَ يَوْسُفُ ابْنِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ الْأَيُّوبِيِّ. لَقِبَ الْمَلِكُ الْمَسْعُودُ، وَصَلَّاحُ الدِّينِ أَبِي الْمَظْفَرِ. مَاتَ سَنَةَ ٦٢٦ هـ عَنِ سِتِّ وَعَشْرِينَ سَنَةً.

(الأعلام: ٢٤٨/٨)

(٥) فِيمَا تَقَدَّمَ يَوْجَدُ أَكْثَرَ مِنْ مِغَالِطَةٍ تَارِيخِيَّةٍ: فَرَسُولُ الْمَذْكُورِ (وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ بْنِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ يُوْحَى، مِنْ ذُرِّيَّةِ جَبَلَةَ بْنِ الْأَيْهَمِ الْفَسَّانِيِّ) مَاتَ سَنَةَ ٥٨٠ هـ، أَي قَبْلَ وِلَادَةِ الْمَلِكِ الْمَسْعُودِ بِنَحْوِ سَبْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ. وَلَعَلَّ الصَّوَابَ أَنَّ الْمَلِكَ الْكَامِلَ قَدْ بَعَثَ ابْنَهُ الْمَلِكَ الْمَسْعُودَ بِصُحْبَةِ عَمْرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ

وَرَسَمُ المَكاتِبَةِ إِلَيْهِ: أَعَزَّ اللهُ جَانِبَ المَقامِ العالِي (١)، المَلِكِيِّ، المِجَاهِدِيِّ، السَّيْفِيِّ، وَلا زَالَ يُحَسِّنُ وَلايَةَ حَسَبِهِ، وَيَنْهَضُ بِنِجَاحِ نَسَبِهِ، وَيَصُونَ مُلْكَهُ بَعْدَهُ أَكْثَرَ مِنْ قُضْبِهِ، وَيُثْبِتُ فِي اليَمَنِ اليَمَنَ فِي حَالَةِ [إقامته] (٢) وَمُنْقَلَبِهِ. أَصَدَرْنَاها إِلى مَقامِهِ مَوْشَحَةَ المِعاظِفِ بِحُلِيِّهِ، شاكِرَةً [عُلا] (٣) عَلَيِّهِ، ذاكِرَةً مِنْ مِحامِدِهِ ما يَتَكَثَّرُ السَّجابِ بَوَلِيِّهِ، وَمُبَدِيَةً لِعِلمِهِ الكَرِيمِ [كَيْتَ وَكَيْتَ].

صَدْرُ آخِر: وَلا [زال] (٤) بِهِ تَعَزُّ تَعَزُّ وَتَفوزُ [بِبرِّهِ] (٥) زَبِيدٌ، وَيَخْرُجُ مِنْ عَدَنَ عَدَنٌ فَضِلَّهُ المَدِيدُ، وَتَمْتَلِي بِوفودِ البَرِّ وَالبَحْرِ: هَذَا تَطِيرُ بِهِ المِراكِبُ وَهذِهِ الرِّكائِبُ

رسول. والخطأ الثاني الذي وقع فيه العمري قوله: «حتى استقل رسول بملك اليمن». والصحيح أن رسولا لم يملك اليمن، وإنما بدأ تملك آل رسول لليمن مع علي بن رسول (كما يؤكد ذلك القلقشندي في الصباح نقلاً عن المؤيد صاحب حماة وابن خلدون في تاريخيهما) أو مع عمر بن علي بن رسول (كما يذهب الخزرجي في العقود اللؤلؤية، وزامباور في معجمه). وينقل صاحب الأعلام عن «العقيق اليماني - مخطوط - لعبد الله الشقيري الضمري» قوله: كان تملك بني رسول لليمن في صفر سنة ٦٢٤ هـ في دولة الملك المسعود يوسف ابن الملك الكامل من بني أيوب ملوك مصر. وقد عاد المسعود إلى مصر في تلك السنة (كان علي بن رسول قد توفي سنة ٦١٤ هـ) واستخلفهم في اليمن فملكوها من ذلك الوقت. وسُمي جدهم رسولاً لأنه كان أميناً في دولة بني أيوب في الديار المصرية يختلف في حوائجهم في ملك البلاد. ثم قال: ولم تزل دولتهم في اليمن حتى انقرضت بدولة بني الطاهر سنة ٨٥٠ هـ، وكان آخرهم الملك المسعود، مات مشرداً في بلاد الحبشة.

(١) ذكر القلقشندي في الصباح أن رسم المكاتبه إليه على ضربين: الأول: ما كان الأمر عليه في الدولة الأيوبية، وهو أن تفتح المكاتبه بلفظ «أصدرناها». وأورد نسخة كتاب عن السلطان صلاح الدين إلى سيف الإسلام صاحب اليمن يستقدمه إليه (الصباح: ٣٤٠/٧).

والضرب الثاني من المكاتبات إليه ما كان الأمر عليه من ابتداء الدولة التركية إلى زمان القلقشندي؛ وهو على خمسة أساليب: الأول: أن تفتح المكاتبه بلفظ «أدام الله تعالى نعمة أيام المقام العالِي» - ٣٤٤/٧، والأسلوب الثاني: وهو الذي يذكره العمري هنا، والأسلوب الثالث: أن تفتح بلفظ «أعز الله تعالى نصرة المقام العالِي» - ٣٥٣/٧. والأسلوب الرابع: «أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالِي» - ٣٦٠/٧، والأسلوب الخامس: «أعز الله تعالى أنصار المقام العالِي» ٣٦٣/٧ وهو ما جرى عليه في «التثقيف».

(٢) ساقطة من ط ق. والزيادة من الصبح عن التعريف، وهي لازمة لانتظام السياق.

(٣) في ط ق «على»

(٤) في ط ق: «زال»

(٥) في ط ق: «بيده»

كلاهما من مكانٍ بعيد، ولا برحت به أهلة الأوطان، مشتقةً صفات قُطره اليميني من «الإيمان يمان»^(١)، محجوباً بالجلالة أو محجوباً بما يُنسب إليه من أحد الأركان.

أصدرناها والسلام يُباري ما تُنتب أرضه من نباتها الطيب، ويجازي بالثناء ما ينهل في أكنافه الجنويّة من سحابها الصيب، وتسري^(٢) إليه بتحياتنا الشريفة على قادمة كل نسيم، وفي طيّ كل عام له وقوفٌ على ربّعةٍ وتسليم، وتوضّح للعلم الكريم.

صدّر آخر^(٣): ولا زال أفضل متوجّح في يمينه، وأعلى عليّ إذا قيس بابن ذي يزّنه، وأشجع من حمى بعهوده ما لا [تقدّر السيوف]^(٤) على حمايته من وطنه، ولا أنفك الملك المجاهد عن عرضه المصون، وسيف الدين الذي يقوم في المفروض من مرّاضي الله بالمسنون، وأبا الحسن لما يحسن في فطنته الحسنى أو فطرته من الظنون، والعلّيّ قدراً إذا أخذت الملوك مراتبها وحدقت إليه العيون.

صدرت هذه المفاوضة إلى حضرته وسلامها يتفاوَح لديها، ويصافح عمائمها في يديها، وتجري سفائن إخلاصه حتى تفق عليها، وتسري تحياتنا محلقةً بالبشرى في صباح كل يومٍ يُقرب من الوصول إليها^(٥).

(١) في ط: «من الإيمان». والصواب ما أثبتناه؛ و«الإيمان يمان» قول للنبي (ص)، فقد قال وهو مقبل من تبوك: «الإيمان يمان والحكمة يمانية» (انظر اللسان: يمن؛ والصبح: ٣٥٢/٧)

(٢) في ط: «ويسري» بالياء.

(٣) قال القلقشندي في الصبح: وهو دعاءٌ وصدّر يختص بالمجاهد عليّ.

(٤) في ط: «تقد سيوف»

(٥) حرص القلقشندي على إيراد صورة مكاتبة لكل نوع أو أسلوب من المكاتبات، على أنه قال: «لم أقف على صورة مكاتبة مفتحة بلفظ: «أعز الله تعالى جانب المقام»، كتب بها إلى بعض ملوك اليمن.

(الصبح: ٣٥٣/٧)

المَرِينِيّ صَاحِبُ بَرِّ العُدُوَّة (١)

وهو السلطان أبو الحسن، علي (٢) بن عثمان، من بني عبد الحق؛ وهم من بني مَرِينٍ؛ وبنو مَرِينٍ من البربر، ملكوا بعد الموحدِين؛ وورث هذا السلطانُ مُلْكَ العَرَفِيّين بسببته، وملكَ بني عبد الوادِ بِلْمَسَانَ وأطاعه ملكُ الأندلس، ودانَ له ملكُ أفريقيا، وعرضَ عليه ابنته فتزوّجَ بها، فساقها إليه سَووقَ الأمة. وبنو مَرِينٍ رجالٌ الوَعَى وناسُها، وأبطالُ الحرب وأحلاسُها (٣)، وهم يفخرون بغزارة علمه وفضل تقواه؛ وهو اليوم ملكُ ملوك الغرب، وموقدُ نيران الحرب.

ورسّم المكاتبة إليه: بسم الله الرحمن الرحيم: من السلطانِ الأعظم الملكِ الفلانيّ، السيّد، الأجلّ، العالم، العادل، المجاهد، المُرابط، المُثاغر، المؤيد، المظفر، المنصور، الشاهنشاه (٤)، فلان الدنيا والدّين، سلطان الإسلام والمسلمين، مُحيي

(١) صاحب برّ العُدوة هو صاحب الغرب الأقصى أو صاحب فاس. ومملكة برّ العُدوة هي الغرب الأقصى من بلاد المغرب. وحدّها على ما ذكر العمري في مسالك الأَبصار: من الجنوب الصحراء الكبرى الآخذة من بلاد البربر إلى جنوب إفريقيا، ومن الشرق جزائر بني مَزْغَنَانَة وما هو آخذ على حدّها إلى الصحراء الكبيرة، ومن الشمال البحر الشامي، ومن الغرب البحر المحيط. (صبح الأعشى: ١٥٢/٥).

(٢) بويغ له سنة ٧٣١ هـ بعد موت والده. وسار إلى تلمسان سنة ٧٣٧ هـ فملكها من ابن أبي تاشفين سلطان بني عبد الواد بعد أن قتله في قصره، وملك تونس من يد أبي يحيى سلطان الحفصيين بها سنة ٧٤٨ هـ، واتصل ملكه ما بين بَرْقَة إلى السوس الأقصى والبحر المحيط الغربي، ثم استرجع الحفصيون تونس بعد ذلك. وملك بعد ذلك سجلماسة قاعدة بلاد الصحراء بالغرب الأقصى، وبقي حتى مات في الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة ٧٥٢ هـ بجبل هَنْتَاتَة، فبويغ بعده ابنه أبو عنان. (صبح الأعشى: ١٩٨/٥)

(٣) أي الذين لا يفارقون سهوات جيادهم.

(٤) في الأصل لقب فارسي معناه: ملك الملوك. وقد دخل هذا اللقب في الإسلام منذ الدولة العباسية نظراً لنفوذ الفرس. وربما كان لجوء بني بويه إلى التلقب بشاهنشاه نتيجة لاعتراض بعض رجال الدين على إطلاق مرادفه العربي «ملك الملوك» وذلك استناداً إلى أحاديث النبي. وذكر ابن ناظر الجيش أن المتدينين من الكتاب كانوا يحذفون لقب «شاهنشاه» من الألقاب السلطانية. (انظر صبح الأعشى: ١٦/٦؛ والألقاب الإسلامية: ٣٥٣).

العدل في العالمين، مُنْصِفَ المَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وارِثِ المَلِكِ، مَلِكِ العَرَبِ
والعجم والتُّرْكِ، مُبِيدِ الطُّغَاةِ وَالكَفَّارِ، مُمَلِّكِ المَمَالِكِ وَالْأَقَالِيمِ وَالْأَمْصَارِ، إِسْكَندَرَ
الزَّمانِ، نَاشِرِ لَوَاءِ العَدْلِ وَالإِحْسَانِ، قَسِيمِ أميرِ المَؤْمِنِينَ أَبِي فُلانٍ، فُلانِ بْنِ فُلانٍ،
خَلَدَ اللهُ سُلْطَانَهُ، وَنَصَرَ جُنُودَهُ وَجِيوشَهُ وَأَعْوَانَهُ، تَحِيَّةً يَفْتَتِحُ بِهَا الخُطَابَ، وَيَقْدِمُ
[مِنْهَا] مَا زَكَوْطَابَ (وَتُقَالُ هُنَا سَجَعَاتٌ مَخْتَصِرَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ أَوْ خَمْسٍ) يَخُصُّ بِهَا
الحَضْرَةَ الشَّرِيفَةَ العَلِيَّةَ، الطَاهِرَةَ الزَّكِيَّةَ، حَضْرَةَ المَقَامِ العَالِيِ، السُّلْطَانَ، السَّيِّدَ،
الجَلِيلَ^(١)، العَالِمَ، العَادِلَ، المُجَاهِدَ، المَرَابِطَ، المُشَاغِرَ، المَؤَيَّدَ، المَظْفَرَ،
الْمَنْصُورَ، الأَسْرَى، الأَسْنَى، الزَّكِيَّ، الأَتَقَى، المَجَاهِدَ فِي اللهِ، الغَالِبَ بِنَصْرِ اللهِ،
المَؤَيَّدَ عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ، أميرِ المَؤْمِنِينَ^(٢)، قَائِدِ المَوْحِدِينَ، مَجْهَزِ الغُرَاةِ
والمَجَاهِدِينَ، مَجْنَدِ الجُنُودِ، عَاقِدِ البُنُودِ، مَالِيءِ صُدُورِ [الْبَرَارِيِّ] ^(٣) وَالْبَحَارِ،
مُزْعَزِعِ أَسِيرَةِ الكُفَّارِ، مَؤَيَّدِ السُّنَّةِ، مُعَزِّ المِلَّةِ، شَرَفِ المَلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ، بَقِيَّةِ السُّلْفِ
الْكَرِيمِ، وَالنَّسَبِ الصَّمِيمِ، رَبِيبِ المُلْكِ القَدِيمِ، أَبِي فُلانٍ، فُلانِ بْنِ فُلانٍ (وَيُرْفَعُ
نَسَبُهُ إِلَى عَبْدِ الحَقِّ، وَهُوَ أَوَّلُ نَسَبِهِ). وَيُقَالُ فِي كُلِّ مِنْهُمْ: أميرِ المَسْلَمِينَ، أَبِي
فُلانٍ، [ثُمَّ يُدْعَى لَهُ نَحْوُ:] أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ أَوْ سُلْطَانَهُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَدْعِيَةِ المُلُوكِيَّةِ
بِدَعَائِهِ مَطْوَلٍ مَفْحَمٍ. ثُمَّ يُقَالُ: أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ، وَيَخْطُبُ خُطْبَةً مَخْتَصِرَةً. ثُمَّ يُقَالُ:
أُصْدِرْتُ إِلَيْهِ، وَسُيِّرْتُ لَتُعْرَضَ عَلَيْهِ، لَتُهْدِيَ إِلَيْهِ مِنَ السَّلَامِ كَذَا وَكَذَا، وَمِنْ هَذَا
وَمِثْلِهِ. ثُمَّ يُقَالُ: وَمَا تُبْدِيهِ كَذَا وَكَذَا.

صَدْرُ آخِرٍ: تُهْدِي إِلَيْهِ مِنَ السَّلَامِ مَا يَطَّلَعُ عَلَيْهِ نَهَارُهُ المُشْرِقُ مِنَ مَشْرِقِهِ،
وَيَحْيِيهِ بِهِ الهَلَالُ الطَّالِعُ فِي جَانِبِهِ الغَرْبِيِّ عَلَى أَفْقِهِ، وَتَصِفُ شَوْقًا أَقَامَ بَيْنَ جَفْنَيْهِ
وَالْكَرْبَى الحَرْبِ، وَوِدًّا^(٤) يَمَلَأُ بَرَسْلَهُ كُلَّ بَحْرٍ وَيَأْتِي بِكُلِّ ضَرْبٍ، وَثَنَاءً [يُسْتَرَوَحُ] ^(٥)

(١) فِي صَبْحِ الأَعْشى: «الأَجَل».

(٢) فِي الصَّبْحِ: «أَمِيرِ المَسْلَمِينَ».

(٣) فِي طَوْقِ «الْبَرَارِيِّ».

(٤) فِي الصَّبْحِ: «وِدَادًا».

(٥) فِي طَوْقِ: «سِيسْتَرَوْح». وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الصَّبْحِ.

بنسيمه وإن كان لا يُستَرَوُحُ إلا بما يهْبُ من الغَرْبِ، مقدِّمةً شكراً لما يهْبُر من عَزَمَاتِهِ التي أعزَّت الدين، وعَزَّتِ المُلحدِين، وحَلَّقَتْ على من جَاوَزَهَا من الكُفَّار [تحليقاً] (١) صُقُور الرجال على مُسِفَّة (٢) الغِرْبَان، وتُقيم عند الشجاع عُدْرَ الجبان، وتُبَيِّن آثارها في أعناق الأعداء وللسيوف آثارُ يَبَّان؛ وإن كان فعله أكثر مما طارت به الأخبار، وطافت به مخلقات (٣) البشائر [في] الأقطار، [وسار] (٤) به الحجيج تعرف آثاره عَرَفات، [وصارت] تَبْتَعِلِم أخباره وتندب قبل زمانه ما فات.

صاحب أفريقية

[وهو] ملك تونس لا يدعي إلا الخلافة، ويتلقب بألقاب الخلفاء، ويخطبُ بأمر المؤمنين في بلاده، ويدعي النسبَ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومن أهل النسب من يُنكر ذلك: فمنهم من يجعله من بني عدي بن كعب، رهط عمر وليس من بني عمر؛ ومنهم من يقول: بل من هنتاتة (٥)، ليسوا من قبائل العرب في شيء، وهم الحفصيون نسبةً إلى أبي حفص - أحد العشرة أصحاب ابن تومرت - وهم بقايا الموحديين؛ إذ كان من تقرير ابن تومرت أن الموحديين هم أصحابه، ولم يبقَ ملكُ الموحديين إلا في بني حفص هذا، وملكهم غرباً من جزائر «مزغنا» (٦) إلى عقبة برقة الفارقة بين أطرابلس (٧) وبين برقة، وهي نهاية الحد الشرقي، ومن الشام [البحر الرومي]، ومن الجنوب آخر بلاد الجريد والأرض السواخة، إلى ما يقال إن فيه

(١) هذه الزيادة من هامش الصبح - الطبعة الأميرية - وهي لازمة لصحة الكلام.

(٢) سف الطائر، وأسف: مر على وجه الأرض في طيرانه.

(٣) مخلقات البشائر: البشائر الطيبة العطرة، من الخلق وهو نوع من الطيب أعظم أجزائه الزعفران.

(٤) في طق: «وثار». والتصحيح من الصبح.

(٥) هنتاتة: من قبائل البربر بالمغرب.

(٦) يقال: مزغنا، ومزغنان، ومزغنانة. قال في مسالك الأبصار: وهي بلدة حسنة على ساحر البحر، تقابل ميورقة من بلاد الأندلس، بانحراف يسير، وتبعد عن بجاية ستة أيام.

(صبح الأعشى: ١١٠/٥).

(٧) لغة في طرابلس.

مَوْع المدينة المسماة بمدينة [النَّحَاس] ^(١) وهو [أجل] ^(٢) ملوك الغرب مطلقاً؛ إلا أنه قد ضَعُفَتْ مَنَّتُهُ بقوة السلطان المريني المجاور، واختلاف رعيته عليه، وآسِطَالَة يد العرب في الحُكْم؛ وأسمه في زماننا أبو بكر، وكنيته أبو يحيى، ولَقَبه المتوكل على الله ^(٣).

وَرَسَمُ المَكاتِبَة إليه: بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أما بعدَ حَمْدِ الله (بخطبة مختصرة في مقتضى الحال) ثم يقول: فهذه المفاوِضَة أو النَّجْوَى أو المذاكِرَة أو المُطَارَحَة (أو ما يجري مجرى ذلك) تُهْدِي من طيب السلام (ومن هذا ومثله) إلى الحضرة الشريفة، العليّة، السنيّة، السريّة، العالميّة، العادليّة، الكامليّة، الأوحديّة، حضرة الإمامة العَدَوِيّة، ومكان الإمامة القُرَشِيّة، وبقية السُلالة الطاهرة الزكية، حضرة أمير المسلمين، وزعيم الموحّدين، والقائم في مصالح الدنيا والدين، السلطان السيّد الكبير، المجاهد، المؤيّد، المرابط، المُثاغِر، المظفّر، المنصور، الأُوحد، المتوكل على ربّه، والمجاهد في حُبّه، والمناضل عن الإسلام بذبّه، أبي بكر. (ويُدعى له بما يناسب مختصراً ثم يذكر ما يليق بكرم الجدود).

صَدْرُ آخر: [صَدَرْتُ إليه] تُهْدِي من طيب السلام ما تَرَقُّ في جانبه الغربي أصائله، ويروق فيما ينصبُّ لديه من أنهار النهار جداوله، ويحمله لكل غادٍ ورائح، وتجري به السفنُ كالمدن والركائبُ الطلائح، وتخصُّ ذلك المقرّ منه [بشأنٍ يعزُّ لأن يُنِيبَ] ^(٤) لُبْعده الدار، ويستطلِّع ليلُ العراقِ به من فَوْق أفريقيا النهار، [وتُحامي مِصرُ به] ^(٥) عن

(١) ساقطة من ط ق. والزيادة من الصبح عن التعريف. وبلاد الجريد هي البلاد الواقعة قبلي تونس للجنوب؛ ومنها: تُوَزْر، وقَفْصَة، والمسيلة، وبِسْكَرَة، وطُرَا، وعَدَايس، وقلعة سنان.
(صبح الأعي: ١٠٦/٥ - ١٠٧ - ١٠٨؛ والروض المعطار: ٨٢، ١٤٤، ٢٣٦، ٢٨٠، ٣٠٦، ٣٣٣، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٥٠، ٤٧٧).

(٢) في ط ق: «أصل». والتصحيح من الصبح.

(٣) قال القلقشندي: وهي الآن (إلى حدود الثمانمائة) بيد السلطان أبي فارس عَزُوز، وقد دَوَّخ البلاد وأظهر العدل ورفع منار الإسلام.

(٤) في ط ق «بما تنبو بغزلان تنبت». والتصحيح من صبح الأعي: ٣٧٨/٧ عن التعريف.

(٥) في ط ق: «ويحامي مضربة». والتصحيح من الصبح.

جارتها الممنعة، وتفخر بجاريتهما الشمس التي لا ترى في أفقها إلا مُبرِّقَة^(١).

صاحب الأندلس

أبو الفضل يوسف^(٢)، من ولد قيس بن سعد بن عبادة: شابٌ فاضل له يدٌ في الموشحات. مقره أغرناطة^(٣)، ومكانه منها القَصْبَة الحمراء؛ ومعنى القصبه عندهم: القلعة، وتسمى: حمراء أغرناطة.

ورسم المكاتبه إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد (بخطبة مختصرة) فهذه المفاوضة إلى الحضرة العليّة، السنيّة، السريّة، العالية، العادليّة، المجاهديّة، المؤيديّة، المرابطيّة، المثاغريّة، المظفريّة، المنصوريّة، بقية شجرة الفخار، وخالصة سلف الأنصار، المجاهد عن الدين، والذاب عن حوزة المسلمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، خلاصة الخلافة المعظمة، أثير الإمامة المكرمة، ظهير أمير المؤمنين، أبي الفضل يوسف. وربما كُتب في ألقابه: الفقيه؛ إذ كان يردُّ في مكاتبته إلى الباب الشريف مثل هذه اللفظة.

صَدْر: [صَدَرَتْ هذه المكاتبه إليه] متكفلاً بالنصر على بُعد الدار، مجردة

(١) لم يذكر العمري قطع الورق، ولا العنوان، والخاتمة، والعلامة، وما في معنى ذلك. والذي ذكره ابن ناظر الجيش في «تتيف التعريف» أن رسم المكاتبه إليه في قطع الثلث بقلم التوقيعات؛ وهو أن يكتب بعد البسملة بحيث يكون تحتها سواءً في الجانب الأيمن من غير بياض ما مثاله «عبد الله وليه» ثم يخلّي مقدار بيت العلامة، ثم تكتب الألقاب الشريفة من أول السطر مسامتاً للبسملة وهي: السلطان، الأعظم، المالك... الخ فلان ابن فلان، ويرفع في نسبه، إلى منتهاه «خلد الله سلطانه، ونصر جيوشه وأعوانه». ويجتهد أن يكون «وأعوانه» آخر السطر أو قريباً من آخره. قال: والواجب بدل «ولي أمير المؤمنين» أن يقول «قسيم أمير المؤمنين». ثم يقول: يخصّ الحضرة، العالية، السنيّة... الخ ثم الدعاء بإهداء السلام والشكر. ثم بعد حمد الله بخطبة مختصرة يقول: فإننا نوضح لعلمه الكريم. وتعريفه: صاحب تونس. قال القلقشندي: وخطابه بالإخاء.

(صبح الأعشى: ٣٧٨/٧ - ٣٧٩).

(٢) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر، أبو الحجّاج، سابع ملوك بني نصر في الأندلس. قتل سنة ٧٥٥ هـ.

(ترجمته في أعمال الأعلام لابن الخطيب - القسم الثاني، ص ٣٠٤ - ٣٠٦).

(٣) أغرناطة: غرناطة.

النَّصْلَ إِلَّا أَنَّهُ الَّذِي لَا يُؤَخِّرُهُ الْبِدَارُ، مُسْعِدَةً بِالْهَمَمِ وَلَوْلَا الْاِشْتِغَالُ بِجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ فَيَمْنُ قُرْبٌ لَمَا تَقَدَّمَتْ سَرْعَانُ الْخَيْلِ، وَلَا [أَقْبَلْتُ] (١) إِلَّا فِي أَوَائِلِ طَلَانِعِهَا لِلْأَعْدَاءِ الْوَيْلِ، وَلَا كُتِبَتْ إِلَّا وَالْعَجَاجُ يَتَرَّبُ السُّطُورَ، وَالْفِجَاجُ تَقْدِفُ مَا فِيهَا عَلَى ظُهُورِ الصَّوَاهِلِ إِلَى بَطُونِ الْبُحُورِ، مُبْدِيَةً ذَكَرَ مَا عِنْدَنَا بِسَبَبِهَا لِمَجَاوِرَةِ الْكُفَّارِ، وَمُحَاوِرَةِ السُّيُوفِ الَّتِي لَا تَمَلُّ مِنَ النَّفَارِ، مَعَ الْعِلْمِ بِمَا لَهَا فِي ذَلِكَ مِنْ فَضِيلَةِ الْجِهَادِ، وَمَزِيَّةِ الْجَدِّ عَلَى طَوْلِ الْجِلَادِ، وَمُصَابِرَةِ السَّهْرِ لِأَوْقَاتِ مُنِيَمِهِ، وَمَكَارِثِهِ هَذَا الْعَدُوَّ بِالصَّبْرِ لِيَكُونَ لَهَا غَنِيمَةٌ. وَنَحْنُ عَلَى إِمْدَادِهَا - أَيْدِهَا اللَّهُ - بِالنَّصْرِ وَالِدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ أَخْفَى إِلَيْهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ، وَأَخْفَى مَسِيرًا إِذَا قَدَّرَ حَقَّهُ الشَّاكِرُ، ثِقَةً بِأَنَّ اللَّهَ سَيَنْصُرُ حِزْبَهُ الْغَالِبَ، وَيَكْفُ عَدُوَّهُ الْمُغَالِبَ، وَيَصِلُ بِأَمْدَادِ الْمَلَائِكَةِ لِحَنْدِهِ، وَيَأْتِي بِالْفَتْحِ أَوْ بِأَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ، لَتَجْرِي أَلْطَافُهُ عَلَى مَا عَوَّدَتْ، وَيُؤَخِّدُ الْأَعْدَاءَ بِالْجَرِيرَةِ، وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَيَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ.

مَلِكُ التَّكْرُورِ

هُوَ صَاحِبُ مَالِيٍّ؛ وَمَالِيٌّ عِبَارَةٌ عَنِ اسْمِ إِقْلِيمٍ، وَالتَّكْرُورُ مَدِينَةٌ مِنْ مَدَائِنِهَا، وَكَذَلِكَ كَوَكُوكُو (٢)، وَحَدُّ مَمْلَكَتِهِ فِي الْغَرْبِ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ، وَفِي الشَّرْقِ بِلَادُ الْبَرْنُونِ، وَفِي الشَّمَالِ جِبَالُ الْبَرْبَرِ، وَفِي الْجَنُوبِ الْهَمَجُّ.

وَأَمَّا «غَانَةٌ» فَإِنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا وَكَأَنَّهُ مَالِكُهَا: يَتْرُكُهَا عَنِ قُدْرَةِ عَلَيْهَا لِأَنَّ بِهَا وَبِمَا وَرَاءَهَا جَنُوبًا مَنَابِتُ الذَّهَبِ؛ وَقَدْ جُرِّبَ أَنَّ بِلَادَ مَنَابِتِ الذَّهَبِ مَتَى أُخِذَتْ وَفُشَا فِيهَا الْإِسْلَامُ وَالْأَذَانُ عُدِمَ نَبَاتُ الذَّهَبِ فِيهَا، فَصَاحِبُ مَالِيٍّ يَتْرُكُهَا لِذَلِكَ لِأَنَّهُ مُسْلِمٌ؛ وَلَهُ عَلَيْهَا إِتَاوَةٌ كَبِيرَةٌ (٣) مَقْرَّرَةٌ تَحْمِلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ. وَنَبَاتُ الذَّهَبِ بِهَا يَبْدَأُ فِي شَهْرِ

(١) فِي طَوْقٍ: «أَقْبَلُ».

(٢) ضَبَطَهَا فِي صَبْحِ الْأَعْشَى: يَفْتَحُ الْكَافُ وَسُكُونُ الْوَاوِ وَفَتْحُ الْكَافِ الثَّانِيَةِ وَسُكُونُ الْوَاوِ بَعْدَهَا. وَضَبَطَ «مَالِيٍّ» بِبَلَامٍ مُشَدَّدَةٍ مَفْخَمَةٍ وَبَاءٍ مَشْنَأَةٍ تَحْتَ فِي الْآخِرِ.

(٣) ذَكَرَ فِي صَبْحِ الْأَعْشَى نَقْلًا عَنِ الْعَمْرِيِّ فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ أَنَّ فِي طَاعَةِ سُلْطَانِهَا بِلَادَ مَغَارَةِ الذَّهَبِ، وَعَلَيْهِمْ إِتَاوَةٌ مِنَ التَّبَرُّحِ تَحْمِلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ.

[أغشت] (١)، ويقع - والله أعلم - أنه مُرَكَّبٌ من تَمُوز وآب (٢) حيثُ سلطانُ الشمسِ قاهرٌ، وذلك عند أخذِ النيلِ في الأرتفاعِ والزيادةِ، فإذا آنحطَّ النيلُ تَتَبَعَ حيثُ ركبَ عليه من الأرضِ، [فيوجد] (٣) منه ما هو نباتٌ يُشبه النجيلَ وليس به، فمن قَرَامِيهِ الذهبُ؛ ومنه ما يوجد كالحصى؛ والأوَّلُ أَفحَلٌ وأخْلَصٌ وأقُومٌ في العِيَارِ (٤).

وملك التَّكْرُورِ هذا يدَّعي النَّسَبَ إلى عبد الله بن صالح بن الحسن بن علي بن أبي طالب (٥).

ورسَّمُ المِكاتِبَةِ إليه: أدام الله [تعالى] نَصَرَ المقرِّ العالِي، السلطانِ، الجليلِ، الكبيرِ، العالمِ، العادلِ، المجاهدِ، المؤيِّدِ، الأُوحدِ، عِزِّ الإسلامِ، شرفِ ملوكِ الأنامِ، ناصِرِ الغزاةِ والمجاهدينِ، زعيمِ جيوشِ الموحَّدينِ، جمالِ الملوكِ والسلطينِ، سيفِ الخلافةِ (٦)، ظهيرِ الإمامةِ، عَضُدِ أميرِ المؤمنينِ، الملكِ فلانِ ويُدعى له بما يناسب. وبعد هذا سلامٌ وَتَشَوُّقٌ (٧). هذه المُفَاوِضَةُ تُبَدِي. ولا يُعْرَضُ له، ولا يُقَرَّبُ شيءٌ من الألقابِ الدَّالةِ على النَّسَبِ العَلَوِيِّ.

(١) في ط: «أغشت».

(٢) قال القلقشندي: قوله إنه مركب من تموز وآب يعني من شهور السريان. قال: وهذا غلط فاحش لأن شهور الروم منطبقه على شهور السريان في الابتداء والانتهاء، دون ابتداء أول السنة؛ وشهر «أغشت» من شهور الروم هو شهر «آب» من شهور السريان بعينه.

(٣) في ط: «فيؤخذ». والتصحيح من الصبح عن التعريف.

(٤) قال القلقشندي: «جعل العمري نوعي الذهب في أماكن النيل، وفيه مخالفة لما ذكره العمري نفسه في مسالك الأبصار. فقد نقل العمري عن سلطان هذه المملكة أنه قال: يوجد الذهب على نوعين: نوع في زمان الربيع ينبت في الصحراء، وله ورق يشبه النجيل، أصوله الثبر، والثاني يوجد في أماكن معروفة على ضفاف مجاري النيل، تحفر هناك حفائر فيوجد فيها الذهب كالحجارة والحصى».

(صبح الأعشى: ٢٨٩/٥ - ٢٩٠).

(٥) قال القلقشندي: هو صالح بن عبد الله، بن موسى، بن عبد الله أبي الكرام، ابن موسى الجون، ابن عبد الله، بن الحسن المثنى، ابن الحسن السبط، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

(الصبح: ٢٩٨/٥).

(٦) في الصبح: «سيف الجلالة».

(٧) في الصبح: «وبعد إهداء السلام والتشوق».

دعاءً وصدراً يختصان به: ويسر له القيام بفرضه، وأحسن له المعاملة في فرضه، وكثر سواده الأعظم وجعلهم بيض الوجوه يوم عرضه، وتمعه بملك يحد الحديد سجف سمائه والذهب نبات أرضه.

صدرت هذه المفاوضة وصدورها به مملو، وشكرها عليه مجلوا^(١)، ومزايا حبيب في القلوب سر كل فؤاد، وسبب ما حلني به الطرف والقلب من السواد، تنزل به سفنها المسيرة في البر^(٢) وترسى، وتحل عند ملك ينقص به زائده ويئسى موسى منسى^(٣)، وتقيم عليه والدهر لا يطرقه فيما ينوب، والفكر لا يشوقه إلا إذا هبت صبا من أرضه أو جنوب^(٤).

صاحب البرنو

وبلاده تحدد بلاد ملك التكرور في الشرق، ثم يكون حدها من الشمال بلا صاحب أفريقية، ومن الجنوب الهمج^(٥).

ورسم المكاتبه إليه: أدام الله [تعالى] نصر الجناب الكريم، العالي، الملك الجليل، الكبير، العالم، العادل، الغازي، المجاهد، الهمام، الأوحّد، المظفر المنصور، عز الإسلام (من نوع ألقاب ملك التكرور وتختصر).

(١) في الصبح: «يحلو».

(٢) في الصبح: «في البحر».

(٣) موسى منسى أو منسى موسى هو أول ملوك مملكة مالي؛ وقد اجتمعت له السيطرة على أقاليم هذه المملكة الخمسة وهي: إقليم مالي، وإقليم صوصو، وإقليم غانة من الجانب الغربي عن مالي، وإقليم كوكو، وإقليم تكررور في الجانب الشرقي. ولفظ «منسى» يعني السلطان. (انظر صبح الأعشى: ٢٩٢/٥؛ وفيه ثبت بسلسلة ملوكهم).

(٤) والذي ذكره الفلقشندي أن المتداول في أيامه بين جماعة كتاب الإنشاء أن المكاتبه إليه: «أعز الله تعالى جانب الجناب الكريم العالي الملك الجليل... الخ».

(الصبح: ١٠/٨).

(٥) لم يذكر العمري هذه الكلمة في «مسالك الأبصار». وقد ورد الكلام عليها مستوفى في صبح الأعشى الجزء الخامس، المقالة الثانية.

وهذا دَعَاءٌ وَصَدْرٌ: ولا زالت هِمَمُ سُلْطَانِهِ غَيْرَ مُقْصِرَةٍ، ووفودُ حَجَّهِ غَيْرَ مُحْصَرَةٍ، وسيُفْهِ في سَوَادٍ مَنْ جَاوَرَهُ من أعدائه الكُفَّارِ يَقولُ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢].

صَدَرَتْ، ولها مَثَلٌ مِسْكَةٌ أَفْقَهُ عَبَقٌ، وَعَنْبَرَةٌ طَيِّبَتُهُ سَوَادٌ إِلَّا أَنَّهُ من [السَّوَادِ] (١) اليَقِّقُ، وَشَيْبَةٌ مَلَكَهَ الَّذِي يُفْذِيهِ سَوَادُ الْحَدَقِ، أَوْجِبُهَا وَدُّ أَسْكَنَهُ مَسْكَنَهُ من سُؤْيَدَاءِ الْقَلْبِ لَا يَرِيمُ، وَأَرَاهُ غُرَّةَ الصَّبَاحِ الْوَضَّاحِ تَحْتَ طُرَّةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ (٢).

صاحب الكانم

من بيت قديم في الإسلام؛ وجاء منهم من أدعى النسبَ العلويَّ في بني الحسن؛ ويتمذهب بمذهب الشافعي رضي الله عنه (٣).

ورسمُ المكاتبَةِ إليه: كرسومُ مكاتبَةِ صاحبِ البرنو (٤).

(١) في طق: «السودد». والتصحيح من الصبح. واليقق: شديد البياض ناصعه.

(٢) وذكر القلقشندي أنه رأى في الدستور المنسوب للمقرّ العلامي بن فضل الله (ويعني العمري صاحب هذا الكتاب) أن مكاتبَةَ صاحبِ البرنو في قطع الثلث من الورق، والعلامة «أخوه»، وتعريفه «صاحب البرنو». قال: ووصل من هذا الملك كتاب في الدولة الظاهرية (برقوق) يتشكى فيه من عرب جُذام المجاورين له، ويذكر أنهم أخذوا جماعة من أقاربه وباعوهم في الأقطار، وسأل الكشغري عن خبرهم والمنع من بيعهم بمصر والشام، وأرسل هدية صالحة من زئبق وغيره. وكتب جوابه بخط زين الدين طاهر، أحد كتّاب الدست. وبعث إليه به مع رسوله الوارد صحبة الحجيج، فأعيد وقد كتب الجواب على ظهره بعد سنة أو سنتين. (الصبح: ٨/٨).

(٣) ذكر العمري في «مسالك الأبصار» أن قاعدة الملك منها بلدة اسمها «جيمي» ومبدأ مملكته من جهة مصر بلدة اسمها «زلا» وآخرها طولاً بلدة يقال لها «كأكا» وبينهما نحو ثلاثة أشهر. قال: وعسكرهم يتلثمون، وملكهم - على حقارة سلطانه وسوء بقعة مكانه - في غاية لا تدرك من الكبرياء... محجوب لا يراه أحد إلا في يوم العيدين، وفي سائر السنة لا يكلمه أحد ولو كان أميراً إلا من وراء حجاب. (صبح الأعشى: ٩/٨).

(٤) نقل القلقشندي عن «التعريف» أن رسم المكاتبَةِ إليه كرسوم مكاتبَةِ صاحبِ البرنو إلا أنها بدون «الكريم».

صاحب دُنُقَلَّة (١)

[وهو] رعيَّةٌ من رعايا صاحب مصر، عليه جِملٌ مقرَّرٌ يقوم به كل سنة، ويخطب ببلاده لخليفة العصر وصاحب مصر (٢).

وَرَسَمُ المَكاتِبَةِ إليه: صدرت هذه المكاتبةُ إلى المجلس الجليل، الكبير، الغازي، المجاهد، المؤيَّد، الأوحد، العَضد، مجدِّ الإسلام، زَيْنِ الأنام، فخر المجاهدين، عُمدَةُ الملوك والسلاطين.

هذا إذا كان مسلماً؛ وإن لم يكن مسلماً فمكاتبته كمكاتبة صاحب «سيس» ولا يعلم له السلطان بخطه.

صاحب أَمَجْرَه (٣)

ملك ملوك الحبشة، وهو نصرانيٌّ يحكم على تسعة وتسعين ملكاً، وهو تمام المائة؛ ومنهم سبعة مسلمون: منهم صاحب أوفات، ودَوَارُو (٤)، وشَرْحَا، وهَدَبَة (٥)؛ وهذه هدبة هي التي يُداوَى بها الخصيان دون غيرها من البلاد.

وهو مُلكٌ جليل، كثير العدد، وافر المَدَد، متَّسع البلاد. وبلغنا أن القائم بها الآن أسلم سرّاً وأستمر على إظهار النصرانية إبقاءً لملكه؛ ومدبِّرُ دولته رجلٌ يقرب إلى

(١) هو ملك النوبة؛ ودنقلة أو دنقلة هي عاصمة تلك البلاد، على شاطئ النيل.
(انظر معجم البلدان: ٤٧٠/٢، والصبح: ٢٧٥/٥).

(٢) قال القلقشندي: هذا كان في الدولة الناصرية (محمد بن قلاوون)؛ وهذه الإتاوة كانت مقررة عليهم من زمن الفتح، في إمارة عمرو بن العاص، ثم صارت تنقطع تارة وتحمل أخرى، بحسب الطاعة والعصيان. وهي الآن [أي في أيام القلقشندي] مملكة مستقلة بذاتها، ولذلك أوردت مكاتبة صاحبها في جملة الملوك.

(٣) في الصبح: «أَمْحَرَا» بالحاء المهملة.

(٤) في الصبح: «دَوَارُو».

(٥) في الصبح: «هَدَبَة» بلباء المثناة تحت. والملوك المسلمون الأربعة الآخرون هم: ملك الزَيْلَع، وملك أَرَابِينِي، وملك بَالِي، وملك دَاَرَة.

بني الأرشبي الأطباء بدمشق، ولولا أن معتقد دين النصرانية لطائفة اليعاقبة أنه لا يصح تعمُد معمودي إلا باتصال من البطريك، وأن كرسي البطريك كنيسة الاسكندرية، فيحتاج إلى أخذ مطران بعد مطران من عنده، وإلا كان شَمَخ بأنفه على المكاتبه، لكنه مضطرٌّ إلى ذلك؛ ولأوامرِ البطريك عنده ما لشريعته من الحرمة، وإذا كتب إليه كتاباً فأتى ذلك الكتاب أوّل مملكته خرج عميدُ تلك الأرض فحمل الكتاب على رأس عَلم، ولا يزال يحمله بيده حتى يُخْرِجَه من أرضه؛ وأربابُ الديانة في تلك الأرض كالقُسُوس والشمامسة حوله مُشاةً بالأدخنة، فإذا خرجوا من حدِّ أرضهم تلقّاهم من يليهم، أبداً كذلك في كل أرض بعد أرض، حتى يصلوا إلى أمجره فيخرج صاحبها بنفسه ويفعل مثل ذلك الفعل؛ إلا أن المطران هو الذي يحمل الكتاب لعظمته لا لتأبّي الملك، ثم لا يتصرّف الملك في أمرٍ ولا نهيٍ ولا قليلٍ ولا كثير حتى ينادي للكتاب، ويجمع له يوم الأحد في الكنيسة، ويقراً والملك واقفٌ، ثم لا يجلس مجلسه حتى ينفذ ما أمره به.

ورسّم المكاتبه إليه: أطال الله بقاء الحضرة العلية، الملك الجليل، الهمام، الضرغام، الأسد، الغضنفر، الخطير، الباسيل، السّميدع، العالم في ملته، العادل في مملكته، المنصف لرعيته، المتبع لما يجب في أفضيته، عزّ الإملة النصرانية، ناصر الإملة المسيحية، ركن الأمة العيسويّة، عماد بني المعمودية، حافظ البلاد الجنوبية، متبع الحواريين، والرّبانين والقديسين، معظم كنيسة صهيون، أوحد ملوك اليعقوبية، صديق الملوك والسلاطين. (ويُدعى له دعاءً مفخماً يليق به، ولا يُعلّم له، وتكتبُ ألقاب السلطان قبل البسملة كعادة الطغراوات^(١)).

دعاءً وصدرٌ يليقان به: . . . وأظهرَ فعَلَه على من يُدانيه من كل ملك هو بالتّاج

(١) واحدها طغرة؛ وهي عبارة عن وصل كان يوضع في عصر المماليك البحرية في مناشير الإقطاعات بين وصل الطرة والبسملة، وترد فيه ألقاب السلطان. والظفرى أو الطغرة كلمة أعجمية استعملها العرب. (صبح الأعتى: ١٣/١٦٢).

معتصِب، وَلَكَفَّ اللَّجَاجَ بِالْعَدْلِ مَتَّصِب، وَلَقَطَعَ حِجَاجَ كُلِّ مَعَانِدٍ بِالْحَقِّ مَعْتَصِرٍ أَوْ لِلْحَقِّ مَعْتَصِب.

صدرت هذه المفاوِضةُ إلى حَضْرَتِهِ العَلِيَّةِ ومن حَضْرَةِ القُدْسِ مُسْرَاهَا، ومن أَسِرَّةِ المَلِكِ القَدِيمِ سُرَاهَا، وَعَلَى صَفَاءِ تِلْكَ السَّرِيرَةِ الصَّافِيَةِ تَرَدُّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا غَلِيلٌ، وَإِلَى ذَلِكَ الصَّدِيقِ الصَّدُوقِ المَسِيحِيِّ تَصِلُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بُعِثَتْ إِلَّا مِنْ تَلْقَاءِ الخَلِيلِ.

وأما الملوک السبعة المسلمون فلم يرد منهم كتاب، ولا صدر إليهم خطاب^(١).

صاحبُ ماردين^(٢)

وهو الآن المَلِكُ الصَّالِحُ شمس الدِّين، صالح ابن الملك المنصور؛ وهو من «أرتق»^(٣)؛ وهم أهل مملكة قديمة. كان جدُّهم من أكابر أمراء السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي^(٤)؛ ومن خدمته ترقى إلى الملك وصارت هذه المملكة بماردين وأعمالها في عقبه إلى الآن.

ورسُمُ المكاتبة إليه:

أعزَّ اللهُ نُصْرَةَ المَقَرِّ الكَرِيمِ، العَالِي، الكَبِيرِيِّ، المَلِكِيِّ، الصَّالِحِيِّ،

(١) قال القلقشندي: فإن ورد منهم شيء فتحري مكاتبتهم مثل مكاتبة صاحب البرنوك والكانم، أي: أعزَّ اللهُ تعالى نُصْرَةَ الجَنَابِ الكَرِيمِ. . الخ.

(٢) ماردين: مدينة ذات قلعة حصينة بديار بكر بالجزيرة الفراتية.

(٣) ترجع الأسرة الأرتقية في نسبها إلى أرتق بن أكسك مؤسس دولة بني أرتق. وقد تشعبت دولتهم فحكمت طبقة السكمانية. بحسن كيفاً وأمد خلال الفترة ما بين ٤٩٥ - ٦٢٩ هـ. وحكموا في خرتيرت ما بين

٥٨١ - ٦٣١ هـ. وحكموا في ماردين الطبقة الإيلغازية ما بين ٥٠٢ - ٨١١ هـ.

(معجم زامبور: ٣٤٤ - ٣٤٧)

(٤) هو السلطان جلال الدولة، أبو الفتح، ملكشاه بن ألب أرسلان، محمد بن داوود السلجوقي. تملك بلاد ما وراء النهر وبلاد الهياطلة (ما وراء نهر جيحون) وبلاد الروم والجزيرة والشام والعراق وخراسان. مات في شوال سنة ٤٨٥ هـ، ودفن بأصبهان بمدرسة كبيرة له.

الشمسي، ولا زال ملكاً تاجه المدايح، ومنهاجه المنايح، وطريقته إذا وُصفت قيل:
هذه طريقة الملك الصالح.

أصدرناها إليه وشكرها [تسوقه] (١) إليه حداة الركائب، [وتشوق] (٢) منه إلى
لقاء الجبابب، [وتثني] (٣) على مكارمه التي كلما أقلعت منها سحائب أعقبت
بسحائب، وتوضح للعلم الكريم.

صدر آخر:

ولا زالت شمسُه في قبة فلَكها، وسماء ممالكه مملوءة حرساً شديداً وشهباً
بملكها، [ونعمه] (٤) تُتعب البحار إذا وقفت في طريقها، والغمام إذا جازت في
مسلكها.

أصدرناها إليه والسلام متنوع على كرمه، متضوع بأطيب من أنفاس المسك في
نعمه، متسرّع إليه تسرّع مواهبه إلى وفود حرمه، وتوضح للعلم الكريم.

صدر [ثالث]:

ولا زالت العفاة تلتحف بنعمائه، وتنتجع مساقط أنوائه، وتستضيء منه بأشراق
شمسٍ طلعت من الملك في سماه.

أصدرناها وثناؤها يسابق عجلًا، ومدائحها تجيد متروياً ومرتجلاً، وشكرها لو
رُصع مع الجواهر لأقام عُذر الياقوت إذا اكتسب حده الحُمرة خجلاً، وتوضح للعلم
الكريم.

(١) في ط ق: «يسوق». والتصحيح من الصحيح.

(٢) في ط ق: «ويشوق» بالياء المثناة تحت.

(٣) في ط ق: «ويثني».

(٤) في ط ق: «ونعماء». والتصحيح من الصحيح.

صاحب حِصْنِ كَيْفَا^(١)

[وهو] من بقايا الملوك الأيوبية، وممن تنظر إليه ملوك مصر بعين الإجلال لمكان ولائهم القديم لهم واستمرار الودّ الآن بينهم، وقد كان آخر وقت منهم الملك الصالح قصد الأبواب السلطانية، فلما أتى دمشق عقبه الأخبار بأن أخاه قد ساوَرَ سريره وقصد بسلطته سُلْطَانَه، فكَرَّ راجعاً ولم يعقّب؛ فما [لبثت]^(٢) الأخبار أن جاءت بأنه حين صعد قلعته، وكرّ نحو سريره رجعتَه، وثبّ عليه أخوه المتوثّب فقتله وسفك دمَه، ثم أظهر عليه ندمَه، وكتب إلى السلطان فأجيب بأجوبة دالّة على عدم القبول لأعداره؛ (وليس ودّه على دخلة)^(٣) والسرائرُ مكدّره، والخواطر بعضها من بعض مُنفره.

ورسّم المكاتبة إليه: أدامَ اللهُ نعمةَ المجلسِ العالي، الملكي، الفلاني (بالألقاب الملوكية) الأجلّي، العالمي، العادلي، المجاهدي، المؤيدي، المرابطي، المشاغري، الأوحدي، [الأصلي]^(٤)، الفلاني (باللقب المتعارف) عزّ الإسلام والمسلمين، بقيّة الملوك والسلاطين، نُصرة الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدّين، شرف الدّول، ذخر الممالك، خليل أمير المؤمنين. (وربما قيل: عَضُد أمير المؤمنين إذا صُغِر)^(٥).

دعاءً وصدّر: وأستعاد به من الدهر من عهد سلفه ما [تسلف]^(٦)، وحازله من موارِيث المُلْك أكثر مما خلّى له أوْلُهُ وما خَلَّف، وخط [للرحال]^(٧) في حِصْنِ كَيْفَا به

(١) مدينة من ديار بكر من بلاد الجزيرة، بين دجلة والفرات.

(٢) في ط ق: «فما نشبت» والتصحيح من الصبح.

(٣) كذا في ط ق. والعبارة بين هلالين ساقطة من الصبح.

(٤) في ط ق «الأصلي» وهو خطأ.

(٥) وذكر ابن ناظر الجيش في «التثقيف» ما يخالف في بعض ذلك.

(انظر صبح الأعشى: ٢٦٩/٧).

(٦) في ط ق «ما سلف». وما أثبتناه من الصبح.

(٧) في ط ق «الرجال». والتصحيح من الصبح.

على مَلِك: أَمَا الْمَسْتَجِيرُ بِهِ فَيَتَحَصَّنُ وَأَمَا فَضْلُهُ فَلَا يُكَيِّفُ، وَأَعَانَ السَّحَابَ الَّذِي يَكُلُّ عَنْ مَجَارَاتِهِ وَيَجْرِي هُوَ وَلَا يَتَكَلَّفُ.

أُصْدِرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَيْهِ وَتَوَوَّهَا يَضُوبٌ، وَأَلَاوْهَا تَشُقُّ بِهِ الظُّلْمَاءُ الْجُيُوبَ، وَتَنَاوَّهَا عَلَى حُسْنِ بَلَائِهِ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ يَقُولُ لَهُ: صَبْرًا صَبْرًا كَمَا تَعَوَّدْتُمْ يَا آلَ أَيُّوبَ.

صَدْرٌ آخِرٌ وَدُعَاءٌ: وَشَدَّ بِهِ [بَقِيَّةً] ^(١) الْبَيْتَ، وَحَيًّا طَلَّلَهُ الْبَالِي وَأَحْيَا رَسْمَهُ الْمَيْتَ، وَذَكَرَ بِهِ مِنْ زَمَانِ سَلْفِهِ الْقَدِيمِ مَا لَا يُعْرَفُ فِيهِ هَيْتٌ ^(٢)، وَأَبْقَى مِنْهُ مَلِكًا مِنْ بَنِي أَيُّوبَ لَا يَثْنِي وَعَدَهُ اللَّيُّ وَلَا يُقَالُ فِيهِ [لَيْتٌ] ^(٣)، وَنَوَّرَ الْمُلْكَ بَغْرَتَهُ لَا بِمَا قَرَعَ السَّمْعَ عَنِ السَّمْعِ [وَوَرَدَ] ^(٤) الْمَصَابِيحَ مِنَ الزَّيْتِ، وَحَفِظَ مِنْهُ جَوَادًا لَوْ عَتَبَهُ ^(٥) أَخُوهُ السَّحَابُ عَلَى السَّبْقِ لَقَالَ لَهُ: هَيْهَاتَ كَمْ خَلَّفْتُ مِثْلَكَ خَلْفِي وَخَلَّيْتُ. أُصْدِرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَيْهِ - أَعَزَّ اللَّهُ جَانِبَهُ - وَالتَّحِيَّاتُ مَوْشَحَةٌ بِنُطْقِهَا، مَصْبَحَةٌ لِسَجَايَاهُ الْكَرِيمَةِ بِخُلُقِهَا، سَاحِبَةٌ إِلَيْهِ [ذَيْلٌ] ^(٦) خِيَلَانِهَا إِذْ كَانَتْ بِهِ تَخْتَالُ ^(٧)، وَبَسْبِيهِ عَلَى السَّرُورِ تَخْتَالُ.

صَاحِبُ أَرْزَنْ ^(٨)

بَلَدُهُ صَغِيرٌ وَقَدْرُهُ كَبِيرٌ؛ مِنْ مَلُوكِ آلِ سَلْجُوقٍ وَمِنْ بَقَايَا أَوْلَادِ السُّلْطَانِ الَّذِينَ

(١) فِي طُق «بَقِيَّتْ».

(٢) هَيْتٌ: كَلِمَةٌ تَعَجَّبُ.

(٣) فِي طُق: «كَيْتٌ» وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الصَّحِيحِ.

(٤) فِي طُق «وَدَانَ». وَهِيَ غَيْرُ مَفْهُومَةٍ. وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الصَّحِيحِ.

(٥) كَذَا فِي طُق. وَفِي الصَّحِيحِ «عَيْنُهُ». وَكِلَاهُمَا خَطَأٌ. وَالْأَوَّلَى أَنْ يُقَالَ: «عَاتِبَهُ». يُقَالُ: عَتَبَ عَلَيْهِ، وَعَاتَبَهُ.

(انظُرْ كِتَابَ اللُّغَةِ).

(٦) فِي طُق «زَيْلٌ» بِالزَّيِّ.

(٧) فِي الصَّحِيحِ: «لَأَنَّهَا إِذَا اخْتَالَتْ بِهِ تَخْتَالُ».

(٨) وَهِيَ أَرْزَنْ الرُّومِ: مَدِينَةٌ فِي تَرْكِيَّةِ، مِنْ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةِ؛ وَسَمَّاها الْعَرَبُ أَيْضًا: أَرْزُومٌ وَأَرْضُومٌ أَوْ أَرْضُ الرُّومِ. وَقَدْ عَرَفَهَا الْأَرْمَنُ بِاسْمِ «كَرِين» KARIN، وَالرُّومُ بِاسْمِ «تِيودوسيوبوليس».

دَوَّخُوا الدُّوَلَ وَمَلَكُوا العبيدَ والخَوْلَ، وأعدتلت التَّيجَانُ على مَفَارِقِهِمْ، ودُكَّت الجِبَالُ بمجرى سوابقهم؛ وهو مَلِكٌ لا يُعْرَفُ قَدْرُ صَالَتِهِ^(١) ولا كُنْهُ جلالته. آخرُ من أعرِفُ منهم هو الأمير الملقَّب بالملك القاهر؛ ويتهَمُ بمذهب النُصَيْرِيَّةِ، وله إحسانٌ إلى من يمرُّ به وإلى الرعيَّةِ؛ إلا أن الأكرادَ أمراءَ الجبال المطلَّةَ عليه والمجاورة له قد نكَّصوا أطرافه وأكثروا تخطفَ رعاياه وتحيفَ بلاده.

ورسَّمُ المكاتبَةِ إليه: صَدَرَتْ هذه المكاتبَةُ إلى المجلس السامي، الملكيِّ، الفلانيِّ، الأجلِّيِّ، الكبيرِيِّ، العالميِّ، المجاهديِّ، المؤيِّديِّ، المرابطيِّ، الأوحديِّ، الفلانيِّ، عَزَّ الإسلامَ، شَرَفَ الملوكَ في الأنامَ، بقيَّةَ السلاطينَ، نَصَرَ الغزاةَ والمجاهدينَ، وليَّ أمير المؤمنين^(٢).

صاحبُ بدليس^(٣)

هو الأمير شرفُ الدين، أبو بكر؛ ويتهَمُ بمذهب النُصَيْرِيَّةِ، وبلده صغيرٌ ودخله يسير، وعمله ضيقٌ؛ وهو طريق المارَّةِ وقُصَادُ الأبواب السلطانية إلى الأردنو إذا لم يكن بالعراق؛ وله خِدمٌ مشكورة^(٤).

= (مراسد الإطلاع: ٥٥/١ وتقويم البلدان: ٣٧٨ - ٣٧٩؛ ودائرة المعارف الإسلامية: ٥٧٤/٢؛ وصح الأعي: ٢٧٩/٧).

(١) الصُّوُلُ من الرجال: الذي يضرب الناس ويتناول عليهم. يقال: صَوَّلَ البعيرَ يَصُولُ صَالَةً.

(٢) الذي ذكره ابن ناظر الجيش في «تثقيف التعريف» أن رسم المكاتبَةِ إليه مثل صاحب حصن كَيْفًا من غير زيادة ولا نقص، أي: أدام الله نعمة المجلس العالي، الملكيِّ... الخ (انظر مكاتبَةِ صاحب حصن كَيْفًا قبل هذا مباشرة). قال ابن ناظر الجيش: والصحيح ما تقدَّم، فإني كتبت إليه بهذه المكاتبَةِ مرَّات، وهو المتداول بين الجماعة إلى آخر وقت.

(صح الأعي: ٢٧٩/٧).

(٣) بدليس مدينة في تركيا في إيالة (وان)؛ وموقعها في الجنوب الغربي من بحيرة (وان). وبدليس بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط.

(معجم البلدان: ٣٥٨/١).

(٤) وعده في «التثقيف» في جملة الأكراد. (الصح ٢٨٠/٧).

وَرَسَمَ الْمَكَاتِبَةَ إِلَيْهِ: صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ، الْأَمِيرِيِّ
(أَسْوَةَ الْأَمْرَاءِ).

صَاحِبُ هَرَاةَ^(١)

ولا يجري على اللسان إلا صاحب «هرى». وكان ملكها الملك غياث الدين، ولم أسمع أعجيباً يقول إلا: قِيَّاسُ الدِّينِ؛ وكان ملكاً جليلاً نبيلاً مفخماً معظماً، له مكانة عند الملوك الهولاكوهية، ومنزلة رفيعة عليّة. وكان بين غياث الدين وبين النُّونِ^(٢) «جوبان» مودةً أكيدةً وصدافةً عظيمةً؛ فلما دارت به دوائرُ الزمانِ وأفضتْ به الحالُ إلى الهربِ لجأ إلى صاحبِ هَرَى هذا، على أنه يسهلُ له الدخولُ إلى صاحبِ الهند، أو إلى ملك ما وراء النهر، فأجابه وأنزله، وبسط أمله؛ وأسرَّ له الخداعَ حتى أطمأنَّ إليه، فأصعدَه إلى قلعته ليُضيفه فصعدَ ومعه أبْنُه جَلُوقان، وهو ابنه من [خُونْدَةَ]^(٣) بنت السلطان خُذَابَنْدَه^(٤). وكان جَلُوقان هذا هو الذي أُجيب إلى تزويجه ببنت السلطان الملك الناصر، وعلى هذا تمَّت قواعد الصُّلح. وبني جوبان أمره على أنه بعد التزويج يأخذ له مُلْكُ بيت هولاكو بشبهة أنه ابن بنت خُذَابَنْدَا^(٤)، وأنه لم يبقَ بعد أبي سعيد من يرثُ المُلْكُ سواه؛ ثم يستضيف له مُلْكُ مصرَ والشَّامِ بشبهة أن بنت صاحبِ مصر هي التي ترثُ المُلْكُ من أبيها، فحالت المنايا دون الأمانى؛ وحالُ صُعودِ جوبانِ وأبْنِه جَلُوقانِ القلعةَ أمسكهما غياثُ الدين وخَنَقَهما ليتخذَ بذلكَ وَجْهًا عند السلطان «بوسعيد»، وبعث بذلك إلى «بوسعيد» فشكر له إمساكهما وأنكر عليه التعجيل في قتلهما فأعتذر: بأنني لو لم أقتلهما لم آمن استعداداً من معهما

(١) مدينة كبيرة من أمهات مدن خراسان. (معجم البلدان: ٣٩٦/٥).

(٢) النُّونِ: لفظ فارسي يقرن بأسماء قواد التتر، ومن ألقاب كفال الممالك القانية كقائد السلطنة وأمراء الألويس ونحوهم، وهو أمير عشرة آلاف. وهو أعلى رتب طبقات الأمراء الأربع في الجيش المغولي. ويعبر عنه أيضاً بأمير تومان، إذ التومان عند بني هولاكو عبارة عن عشرة آلاف. (صبح الأعشى: ٤٢٢/٤ و ٣٣/٦).

(٣) في طق «خوترة». والتصحيح من الصبح: ٢٧٢/٧.

(٤) في الصبح: «خذابندا» بدلين مهملتين. وفي معجم زامباور «خُذَابَنْدَه» بحاء مهملة ثم ذال معجمة.

لمحاصرتي، فقبل عُذْرَه وطلب منه إبهام^(١) جوبان ليعرف أنه قد قتله، وكان فيه زيادة سلعَة ظاهرة يُعرَفُ بها، فجهَّزه إليه فأكرمَ رُسُلَه وبعث إليه بالخَلع، وأمر بإصبعِ جوبان فطيفَ بها في الممالك؛ ثم سألت بَعْدَادُ خاتون، بنتُ جوبان - وكان قد تزوجَ بها أبو سعيد وكَلِفَ بها الكَلَفَ الشديد - في نقل أجسادهما فنقلت، فعقدت لهما المآتمَ ثم أمرت بحملهما إلى مكة المعظمة ثم إلى المدينة المشرفة ليدفنا في التربة الجوبانية التي كان جوبان أعدّها لدَفْنِه [في] حال حياته، [فمكَّنتُ]^(٢) من ذلك إلا [من] الدفنَ فإنهما دُفِنَا بالبقيع. ثم حضرَ غياثُ الدين حَضْرَةَ أبي سعيد فأكرمَ وأعطِي العطايا السنيةَ ثم لم يلبث أن مات ووليَ أبْنُه. ولم يحضُرْني الآن أسمُه. ولم يَكُنْ صاحبُ هذه المملكة ممن يُكاتبُ عن السلطان حتى كانت واقِعَةُ جوبان^(٣) فكتبَ إليه.

ورسَّمُ المكاتبَة إليه: أعزَّ اللهُ نصرَ المقرِّ الكريم، العالي، العالمي، العادلي،

(١) أي إصبعه الإبهام.

(٢) في طق «فمكنت».

(٣) هو الأمير سيف الدين جوبان بن تُلْكُ بن ندوان. أقامه أبو سعيد أميراً للأمرء سنة ٧١٧ هـ، وتزوج أخت أبي سعيد «دولندي»؛ ولما توفيت «دولندي» تزوج أخته الأخرى «ساتي بك خاتون» سنة ٧١٩ هـ. واكتسب جوبان سلطاناً عظيماً في تصريف شؤون الدولة؛ زد على ذلك أن أبناءه كانوا يحكمون الولايات الهامة في الإمبراطورية الإيلخانية التي كان على رأسها أبو سعيد. وفي سنة ٧٢٥ هـ. منع جوبان أباسعيد من زواج ابنته «بغداد خاتون» التي كانت في ذلك الوقت زوجة شيخ حسن بزرك الجلثري؛ لذلك استقر عزم أبي سعيد على تحطيم سلطان الجوبانية. وبذلك قتل جوبان سنة ٧٢٨ هـ. (دائرة المعارف الإسلامية: ٢٦/٣). أما السلطان أبو سعيد فهو ابن القان أولجياتو محمد خدابنده (أو خَرْتَبْدَا، كما في النجوم الزاهرة) ابن القان أرغون بن أبغا بن هولوكو. كان ملك التتار وصاحب العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان والروم. تولى السلطنة سنة ٧١٧ هـ وتوفي سنة ٧٣٦ هـ. (معجم زامباور: ٣٦٢). وقال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: ٣٠٩/٩ إنه يسمَى «بو سعيد». قال: و«بوسعيد» اسم غير كنية؛ ومن الناس من يقول «بو صعيد». كان ملكاً جليلاً مهيباً، ويكتب الخط المنسوب، ويجيد ضرب العود والموسيقى، وصنَّف في ذلك قطعاً جيدة في أنغام غريبة من مذاهب النغم. وقد أبطل في سلطنته عدة مكوس، وأراق الخمر ومنع الناس من شربها، وهدم الكنائس. وكان حنفيّاً؛ وهو آخر ملوك التتار من بني جنكزخان؛ ولم يقم للتتار بعد موته قائمة إلى يومنا هذا.

المجاهدي، المؤيدي، المرابطي، المठाغري، الأوحدي، الملك الفلاني، شرف الملوك والسلاطين، خليل أمير المؤمنين.

ملوك كيلان^(١)

وهم جماعة كل منهم مستقل بنفسه، متفرّد بملكه، على ضيق بلادهم وقرب مجاورة بعضهم من بعض والجبل والبحر يحصرانهم: الجبل من جنوبهم والبحر من شمالهم؛ وهو البحر الطبرستاني المسمى حيث هو بالقلزم وليس به^(٢)، وهو بحر لا يتصل بالمحيط لا بمصب منه ولا بمصب إليه؛ وهؤلاء رُسلهم قليلة وكتبهم أقل من القليل.

ورسّم المكاتبه إليه: نحو ما يكتب به إلى صاحب حصن كيفا، إلا صاحب «يومن» فإنه يكتب إليه بالجناب^(٣)، وهو مثلهم في بقية الألقاب.

(١) كيلان أو جيلان اسم لصقع واسع مجاور لبلاد الديلم ليس فيه قرى كثيرة وليس فيه مدينة عظيمة (المشترك وضعاً لياقوت: ١١٧). وقال في مسالك الأبصار أن بلاد كيلان يحيط بها أربعة حدود: من الشرق إقليم مازندران، ومن الغرب موقان، ومن الجنوب عراق العجم، ومن الشمال بحر القلزم يعني بحر طبرستان. (الصحيح: ٣٨٠/٤) انظر أيضاً: دائرة المعارف الإسلامية: ١٥٢/١٣ وما بعدها.

(٢) البحر الطبرستاني هو بحر قزوين. وقد سمّاه المسلمون أسماء مختلفة تبعاً للأقاليم التي تقوم على سواحلها، فهو يسمى بحر جرجان، وبحر طبرستان أو مازندران، وبحر الديلم، وبحر جيلان. أما التسمية العربية الشائعة فهي بحر الخزر. وقول العمري «المسمى حيث هو بالقلزم وليس به» يشير إلى خطأ بعض الناس. ولعل هذا الخطأ يعود إلى الخلط بين «قُرُوم» و«القلزم». فقد ذكر الدمشقي أن الترك في زمانه - حوالي سنة ٧٢٣ هـ - كانوا يسمون بحر قزوين باسم بحر قُرُوم أي بحر القندس، ومن ثم فإن بعض الناس في قول حمد الله مستوفي - نزهة القلوب ص ٢٣٩ - يخطئون فيسمون بحر الخزر بحر القلزم. أما بحر القلزم فهو البحر الأحمر. (انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٢٧٥/٦ - ٢٧٨).

(٣) قال في التثقيف: ولم أر لهم مكتبة، ولا كتب لهم في مدة مباشرتي بديوان الإنشاء الشريف شيء؛ غير أنني رأيت بخط المولى القاضي المرحوم زين الدين خضر أنه كتب أمثلة شريفة إلى جماعة، منهم: «حرم الدين» بيومن. ثم قال: وهذا هو الذي ذكر القاضي شهاب الدين (ويعني العمري) أن مكاتبته أعلى مكاتباتهم. ثم عدّد من كتب إليه منهم فقال: وهم توباذ شاه، وسالوك شاه، في قطع العادة. (صحيح الأعشى: ٢٧١/٧).

الأكراد^(١)

[وهم] خلائق لا تُحصى^(٢) وأمم لا تُحصَر؛ ولولا أن سيفَ الفتنة بينهم يَسْتَحْصِدُ قائمهم، وينبئه نائمهم، لفاضوا على البلاد، وأستضافوا إليهم الطَّارِفَ والتَّلاذ؛ ولكنهم رُموا بشتات الرأي وتفرَّق الكلمة، لا يزال بينهم سيفٌ مسلول، ودمٌ مطلول، وعقدُ نظام محللول، وطرفُ باكية بالدماء مبلول؛ ولهم رأسان كل منهما جليل، ولكل منهما عددٌ غير قليل؛ وهما صاحبُ جُولْمَرَك، وصاحبُ عَقْرَشُوش.

والكبيرُ منهما الذي تتفق طوائفُ الأكراد - مع اختلافها - على تعظيمه والإشارة بأنه فيهم الملكُ المُطَاعُ والقائدُ المتَّبِعُ، هو صاحبُ جُولْمَرَك؛ وهو صاحب مملكة متَّسعة ومُدُن وقلاع وحصون، وله قبائلٌ وعشائرٌ وأنفار. وهم يُنسبون إلى عُتْبَةَ بن أبي سُفْيَانَ بن حرب بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف؛ وكانت قد أنتهت الإمرَةُ فيهم إلى الملكِ أسد الدين موسى بن مُجَلِّي بن موسى بن منكلان. وكان رجلاً كريماً عظيماً نَهَاباً وهَاباً، تجلَّه ملوكُ الممالك الجليَّة وتعظَّمه حُكَّامُ الأردو وصاحبُ مصر. وإشارته مقبولة عند الجميع. وإذا آقتلت طائفتان من الأكراد فتقدم إليهما بالكفِّ كَفُّوا، وسمعوا له سَمْعَ مُرَاعٍ لا سَمْعَ مُطِيعٍ. والقائمُ الآن من بنيه الملكُ عمادُ الدين مُجَلِّي؛ وهو رجلٌ يحب أهلَ العلم والفضل، ويُجِلُّ منهم عنده من أتاه أعظَمَ مَحَلٍّ. كَتَبَ لي قاضيهِ أن إخوته من ظَهْر أبيه هم: عَزُّ الدين؛ وَزِينُ الدين؛ وأعمامُه: عَزُّ الدين شير، وشمسُ الدين شيخ أمير، والأمير داود، وحسام الدين. وما منهم إلا مَنْ له حُكْمٌ وتصرفٌ؛ ومرجعُهم كلُّهم إلى الملكِ عمادِ الدين صاحبِ جُولْمَرَك.

وأما الثاني فهو صاحبُ عَقْرَشُوش؛ وملوكُها الآن من أولاد المبارزكك؛ وكان مبارزُ الدين ككُ رجلاً شجاعاً كريماً تغلَّب عليه غرائبُ من الهوس فيدعي أنه وليٌّ من

(١) قال في الصبح: ومنازلهم من بلاد الجبال من عراق العجم. وحول أماكنهم بالتفصيل انظر صبح

الأعشى: ٣٧٣/٤ وما بعدها.

(٢) في الصبح «لا يحصون».

الأولياء يقبل النذر؛ وكانت تُنذر له النذور تقرباً إليه بما تنفق عليه لا اعتقاداً فيه فُسْرُ بذلك؛ فإذا أتاه النذر أضاف إليه مثله من ماله وتصدق بهما جميعاً. وأهل هذا البيت يدعون عراقة الأصل في الإمرة، وقدم السؤدد في الحشمة، ويقولون إنهم عُقدت لهم ألوية الإمارة وتسلموا أزمّة هذه البلاد، وتسمنوا صهوات هذه الصياصي بمناشير الخلفاء، وأنهم كانوا لهم أهل وفاء؛ ولهم في هذا حكايات كثيرة وأخبار مأثورة؛ وهم أهل تنعم ورفاهية ونعمة ظاهرة، وبزة فاخرة، وآدرٍ مزخرقة، ورياض موقوفة، وخيول مسومة، وجوارح معلّمة، وخدمٍ وغلمان، وجوارٍ حسان، ومعازفٍ وقيان، وسباطٍ ممدودٍ وخوان، وأهل عشرةٍ وإخوان. وموقع بلادهم من أطراف بلادنا قريب، والمدعو منهم من الرّحبة وما جاورها يكاد يُجيب. وملوكنا تشكر لهم إخلاص نصيحة، وصفاء سريرةٍ صحيحة. والقائم [فيهم] الآن شجاع الدين ابن الأمير نجم الدين خضر ابن المبارز كك؛ ولم يبلغ الآن مبلغ أبيه، ولا أظنه يُقاربه ولا يُدانيه؛ على أنه قد ملك ملكه، ونظّم سلكه.

ورسّم المكاتبه إلى كل منهما: «أدام الله نعمة المجلس العالي، الأميري، والألقاب التامة الكاملة».

وأما بقية أمرائهم فجلّتهم الأكابر: «صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامي الأميري» بالياء. والألقاب من الطبقة الثانية، وما دونها لمن دونهم.

ومما يُنبّه عليه أن في طرق المازين ومسالك المسافرين من بلادنا إلى خراسان، ومنها إلينا، ينجم^(١) في بعض الأحيان أهل فساد يعمدون إلى عميد يقدمونه عليهم فيقطعون السبيل ويخيفون الطرّوق؛ وتطير سمعة عميدهم، وتنتشر في قريبتهم وبعيدهم، فيكاتب ذلك العميد من أبواب الملوك، ويضطر إليه لفتح الطريق للسلوك^(٢)؛ ويكون من غير بيت الإمرة، ولا أهل القديم. وربما هوى نجمه، فأنقطع

(١) في الصحيح: «يظهر».

(٢) في الصحيح: «بالسلوك».

بأنقطاع عمره أسمه؛ مثل «الجملوك» الخارج بطريق خراسان، «والغرس بألوة» الخارج فيما يُقارب بلاد شَهْرَزُور، ومثل الخارجين على «دَرْبَنْد^(١) القربلي». وهؤلاء وأمثالهم يطلعون طُلُوعَ الكَمَاءِ لا أصلٌ ممتد، ولا فرعٌ مُشتد، فهؤلاء لا يُعرف لأحد منهم رُتَبَةٌ محفوظة^(٢)، ولا قانون في رسم المُكَاتِبَةِ معروف؛ والشَّانُ فيما يُكتب إلى هؤلاء بحسبِ الاحتياج وَقَدْرٍ ما يُعرف لهم من أَشْتِدَادِ السَّاعِدِ، وَعَدَدِ المُسَاعِدِ. ولقد كتبنا إلى كلِّ من الجملوك والغرس بألوة بالسَّامِيِّ بالياء، وَجُهِّزَتْ إِلَيْهِمَا الخِلْعُ وَأَتْحِفَا بِالتَّحْفِ^(٣).

أمراء الأتراك

بالبلاد المعروفة الآن ببلاد الروم، وتسمى الآن ببلاد الدُّرُوب؛ وهي البلاد المنحصرة بين بَحْرِي القِرْم - وهو المسمى ببحر نيَطْش وماينطش^(٤) - وفي الغرب إلى الخليج القُسْطَنْطِينِي، وتنتهي متشاملة إلى القُسْطَنْطِينِيَّة، وتسمى اسطنبول: وهي

(١) الدَّرْبَنْد: لفظ فارسي معناه الطريق والممر. ويجمع على دَرْبَنْدَات.

(٢) في ط: «مُحْفُوظَةٌ بالخاء المعجمة.

(٣) وذكر القلقشندي في صبح الأعشى: ٢٨٥/٧ - ٢٨٩ أن ابن ناظر الجيش قد قسمهم في «التثقيف» إلى قسمين: القسم الأول: من علمت المكاتبه إليه وهم: صاحب بَرَّخو، والبلهيتية، والدَّرْبَنْد، وكَرْمَلِيس، والعمادية، ومازُكرد، وزَنْدُشْت، وجرْدَقِيل، وسكراك، وفيلبس، وشكوش، وجرْموك، وبهرمان، وحصن أَران. وذكر اسمه ورسم المكاتبه إليه.

والقسم الثاني، ولم يذكر مكاتبته، وهم: صاحب خُفْتِيان، وسُونِخ، وأكريسنا. الخ. (انظر صبح الأعشى).

(٤) لعل الصواب «مانيطش» بتقديم النون على الياء. والمراد البحر الأسود، ويسمى في اللغة التركية «قره دكيز» وكان يسمى في الجغرافية القديمة والبوزنطية بحر بنطس Pontus Euxinus، وأخذ العرب الاسم من اليونانيين. يتس ومايوتيس (أي بحر آزوف) Pontus, Maeotis ورسموهما: بنطس ومايطس، ثم كتبهما: نيَطْش ومانيطش. واستمرت هذه الأسماء المصحفة تستعمل حتى في آخر ما صنّفه الجغرافيون المشاركة. وأطلق العرب على البحر الأسود أسماء أخرى مثل: بحر طَرَايَزَنْدَه، وبحر القِرْم، وبحر الروس.

(دائرة المعارف الإسلامية: ٢٧١/٦٠).

قاعدة ملوك الروم، ومنها تُعقد راياتهم وتقوم؛ وتنتهي جنوباً إلى بلاد «ابن لاون» وهي بلاد الأرمن، يحدها البحر الشامي^(١).

وهذه البلاد بلاد متسعة، وهي مفرقة لملوك مجتمعة، وإنما هم لا يُطلق عليهم إلا اسم الإمارة؛ ولا أنظام لكلمتهم، ولا اجتماع لجملتهم؛ وأكبرهم صاحب كرميان^(٢)، وله بينهم وضع محفوظ، ونظام مرعي.

فأما ملوكنا، فأجل من لديهم منهم جماعة بني قرمان، لقرب ديارهم، وتواصل أخبارهم، ولنكاياتهم في متملك «سيس» وأهل بلاد الأرمن، [وأحتياهم]^(٣) لهم من ذلك الجانب مثل [أحتياح]^(٣) عساكرنا لهم من هذا الجانب؛ فمكاتباتنا إلى بني قرمان لا تكاد تنقطع؛ وأما إلى البقية فأقل من القليل، وأخفى من مرأى الضئيل. [وهم]:

الأول: صاحب كرميان^(٢): ولم يكتب إليه مدة مقامي بالأبواب السلطانية؛ ويشبهه^(٤) أن تكون المكاتبه إليه «بالمقر» نظير صاحب ماردین، لكن بأبسط القاب، إذ هي أذعى لاستحسانهم لقلة معارفهم.

وعلى هذا التقدير يكون رسم المكاتبه إليه:

«أعز الله نصر المقر الكريم، العالي، الملكي، الأجلّي، العالمي، العادلّي، المجاهدّي، المويدي، المرابطي، المتاغري، المظفري، المنصوري، الفلاني، عون الإسلام والمسلمين، فخر الملوك والسلاطين، نصير الغزاة والمجاهدين، زعيم

(١) أي المتوسط، أبو بحر الروم. وقد ذكر الملك المؤيد أبو الفداء، صاحب حماه في «تقويم البلدان» حدود بلاد الروم أو بلاد الدربندات على نحو مخالف لما يذكره العمري هنا. قال: «ويحيط بهذه البلاد من جهة الغرب بحر الروم وعمامة الخليج القسطنطيني وبحر القرم، ومن جهة الجنوب بلاد الشام والجزيرة، ومن جهة الشرق أرمينية، ومن جهة الشمال بلاد الكرج وبحر القرم».

(٢) في ط ق «كرمينان». وما أثبتناه من الصبح.

(٣) في ط ق «واحتياهم... احتياح» والتصحيح من الصبح.

(٤) في ط ق «ويق». والتصحيح من الصبح.

الجيوش، مقدّم العساكر، ظهير أمير المؤمنين .

فإن لم يسمح له بكل هذه المخاطبة، ولم يؤهّل لنظير هذه المكاتبة، كُتبت له هذه الألقاب مع «الجناب الكريم» وخوُطِبَ بالإمارة إن لم يُسمح له بالمخاطبة بالملك^(١).

الثاني: صاحب كَصْطُمُونِيَّة: وكانت آخر وقت لسليمان باشا؛ وكان أميراً كبيراً، كثير العَدَد، موفور المَدَد، ذا هَيْبَةٍ^(٢) وتمنّع. ثم مات وورث ملكه أبنته إبراهيم شاه، وكان عاقلاً لأبيه، خارجاً عن مرضيه، وكان في حياته متفرداً بمملكة «سُوب»، وهي الآن داخله في ملكه، ومنخرطة في سلكه.

ورسّم المكاتبة إليه: «أدامَ اللهُ نعمة المجلس العالي، الأميري» (بأكمل الألقاب، وأتم ما يكتب في هذا الباب).

الثالث: صاحبُ أَرْمِنَاك: وهو ابنُ قِرْمَانَ المَقْدَمَ الذِّكْر^(٣).

ورسّم المكاتبة إليه: «أدامَ اللهُ نِعْمَةَ المجلس العالي» (بأكمل الألقاب وأكبرها، وأجمعها وأكثرها). ولإخوته أيضاً رُسُومٌ في المكاتبات؛ فأكثرهم قَدْرًا،

(١) قال في التثقيف: «ولعل مكاتبته بالجناب مع هذه الألقاب كما ذكر ومخاطبته بالإمارة أُولَى؛ لأنه إذا كان بنو قِرْمَانَ أجلُّ لدى ملوكنا، ومكاتباتهم بالدعاء والمجلس العالي، فيتعين، حيث هو أكبر منهم، أن يكون هو أعلى منهم رتبةً في المكاتبته بدرجتين [أو لعله بدرجة]، وهي: الجناب الكريم». قال: وهذا هو الأولي عندي.

وعقب القلقشندي قائلاً: وهذا كله إنما كان قبل أن يعلو قَدْرُ ابن عثمان صاحب «بُرسا» الآتي ذكره، ويرتفع قدره على من بتلك البلاد جملة. أما بعد ارتفاعه وانحطاطهم دونه، فينبغي أن يُنظر في قدر المكتوب إليه، ويكتب إليه بحسب ما تقتضيه الحال.
(صبح الأعشى: ١٣/٨).

(٢) في طق «هيئة وتمنّع». وما أثبتناه من الصبح.

(٣) ذكر في التثقيف أن اسمه علاء الدين سليمان بن قِرْمَانَ وأن آخر من استقر بها في شوال سنة ٧٦٧ هـ علاء الدين علي بك بن قِرْمَانَ.
(صبح الأعشى: ١٧/٨).

وأفتكهم ناباً وظفراً، الأمير بهاء الدين موسى، وحَضَرَ إلى باب السلطان وتُلَقِّيَ بالإجلال، وأجَلَ في ممتدِّ الظلال، وأوردَ مواردَ الزَّلال، وأري ميامنَ أسعد من طلعة الهلال. وحجَّ مع الرُكْبِ المصريِّ وقضى المناسك، وأسبَلَ في ثرى تلك الرُّبى بقية دمعِهِ المتماسك، وشكرَ أمراءَ الركب دينه المتين، وذكرُوا ما فيه من حُسن اليقين، وعاد إلى الأبواب السلطانية وأجلس في المرتين مع أمراء المشور، وأشرك في الرأي وسأل السلطانَ في منشور يُكتبُ له بما يفتَحُ بسيفه من بلاد الأرمَن يقاتل بعلمه المنشور، ويجتني من شجر المُرَّان^(١) جنَى عَسله المَشُور، فكتبتُهُ له، وأستقرَّ رَسْمُ مكاتبته نظيرَ مكاتبه أخيه وهو مثله، وشبَّه فضله فضله؛ فأما بقية قِرمان فدونهما في المكاتبه.

(٢) [الرابع: صاحب طُنغزُلُو: ورَسْمُ المكاتبه إليه: «صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس العالي الأميري».

الخامس: صاحب تُوَازا: وهو في المكاتبه نظيرُ صاحب طُنغزُلُو. وأسمه في زماننا «علي أرينه».

السادس: صاحب عَيْدَلِي: وهو في زماننا «دندار» أخو يونس صاحب أنطاليا. وهو في المكاتبه نظير صاحب تُوَازا.

السابع: صاحب فَاوِيا: وهو مراد الدين حمزة؛ وهو ملك مضعُوف، ورجلٌ بمجالس أنسِه مشعُوف.

ورسم المكاتبه إليه: «صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامي الأميري»
بالياء.

(١) المرَّان: الرماح الصلبة اللدنة. وقيل هونبات الرماح. (اللسان: مرن).

(٢) ذكر القلقشندي في الصبح: ١٣/٨ أن صاحب التعريف قد عدَّ منهم ستة عشر أميراً وأنه ذكر رسم المكاتبه إلى كل منهم. والذي بين أيدينا في طق - وهي الطبعة التي استندنا إليها أساساً في إعادة إخراج هذا الكتاب - ثلاثة أمراء فقط، وهم الذين وردوا قبل هذا، لذا فقد استكملنا ذكرهم ورسم المكاتبه إلى كل منهم كما جاء في الصبح، ووضعنا ذلك بين معقوفين.

الثامن: صاحب بُرْسَا: وهو أَرْخَان بن عثمان. وهو نظير صاحب فَاوِيَا في
المكاتبة.

التاسع: صاحب أَكْبَرَا: وهو في زماننا دمرخان بن قراشي.
ومكاتبته نظير مكاتبة صاحب بُرْسَا.

العاشر: صاحب مَرْمَرَا: وهو بَخْشِي بن قَرَّاشِي.
ورسم المكاتبة إليه: «صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالي».

الحادي عشر: صاحب مَغْنِيْسِيَا: واسمه «صاروخان». والمكاتبة إليه:
«السامي» بالياء.

الثاني عشر: صاحب نَيْف: وهو علي باشا أخو صاروخان صاحب مَغْنِيْسِيَا
المقدم ذكره. ورسم المكاتبة إليه مثل أخيه المذكور.

الثالث عشر: صاحب بَرَكِي: وهو ابن أَيْدِين. والمكاتبة إليه: «أدام الله تعالى
نعمة المجلس العالي» بالألقاب التامة.

الرابع عشر: صاحب فُوكَه: وهو أَرْخَان بن منتشا. والمكاتبة إليه نظير صاحب
بَرَكِي.

الخامس عشر: صاحب أَنْطَالِيَا: وهو خَضِر بن يُونُس. ورسمُ المكاتبة إليه:
«صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالي»

السادس عشر: صاحب قَرَّاصَار: واسمه زكْرِيَا. ورسم المكاتبة إليه: «هذه
المكاتبة إلى المجلس السامي» بلا ياء.

عُظْمَاءُ الْمُلُوكِ

بِإِيرَانَ وَتُورَانَ وَمَا وَالَاهُمَا مِنَ الْبِلَادِ

الشرقية من مجرّ الفرات إلى مطلع الشمس

اعْلَمْ أَنَّ إِيرَانَ مَمْلَكَةُ الْأَكَاسِرَةِ؛ وَهِيَ مِنَ الْفُرَاتِ إِلَى نَهْرِ جَيْحُونَ حَيْثُ بَلْخُ، وَمِنَ الْبَحْرِ الْفَارِسِيِّ وَمَا صَاقِبُهُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ إِلَى الْبَحْرِ الْمَسْمِيِّ بِالْقَلْزُومِ، بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ. وَهِيَ الْمَمْلَكَةُ الصَّائِرَةُ إِلَى بَيْتِ هَوْلَاكُو؛ وَقَدْ دَخَلَ فِيهَا مَمْلَكَةُ الْهَيْاطِلَةِ، وَهِيَ بِلَادُ مَازَنْدَرَانَ وَمَا يَلِيهَا إِلَى آخِرِ كِيلَانَ؛ وَهِيَ تَسْمَى كِيلَانَ، وَجِيلَانَ، وَبِلَادِ الْجَيْلِ؛ وَطَبْرِسْتَانَ وَاقِعَةٌ بَيْنَهُمَا، أَعْنِي بَيْنَ مَازَنْدَرَانَ وَكِيلَانَ؛ وَمَازَنْدَرَانَ الْآخِذَةُ شَرْقًا وَكِيلَانَ الْآخِذَةُ غَرْبًا.

وَأَمَّا تُورَانَ فَهِيَ: مَمْلَكَةُ الْخَاقَانِيَّةِ، كَانَتْ [فِي الْقَدِيمِ] بِيَدِ أَفْرَاسِيَابِ (١) مَلِكِ التُّرْكِ؛ وَهِيَ مِنْ نَهْرِ بَلْخُ إِلَى مَطْلِعِ الشَّمْسِ عَلَى سَمْتِ الْوَسْطِ؛ فَمَا أَخَذَ عَنْهَا جَنُوبًا كَانَتْ بِلَادَ السُّنْدِ، ثُمَّ الْهِنْدِ، وَمَا أَخَذَ عَنْهَا شِمَالًا كَانَتْ بِلَادَ الْخَفْجَاجِ، وَهِيَ طَائِفَةٌ مِنَ الْقَبْجَاقِ، وَبِلَادَ الصَّقَلْبِ، وَالْجَهَارُكْسِ، وَالرُّوسِ، وَالْمَاجَارِ، وَمَا جَاوَرَهُمْ مِنْ طَوَائِفِ الْأُمَمِ الْمَخْتَلِفَةِ سُكَّانِ الشَّمَالِ. وَيَدْخُلُ فِي تُورَانَ مَمَالِكُ كَثِيرَةٍ وَبِلَادٌ وَاسِعَةٌ وَأَعْمَالٌ شَاسِعَةٌ وَأُمَمٌ مَخْتَلِفَةٌ لَا تَكْثَادُ تَحْصِيٍّ؛ تَشْتَمِلُ عَلَى بِلَادِ غَزَنَةَ، وَالْبَامِيَانَ، وَالْعُوزِ (٢)، وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ (وَهَذَا النَّهْرُ الَّذِي يُشَارُ إِلَيْهِ هُوَ جَيْحُونَ) نَحْوَ بَخَارِيٍّ وَسَمَرْقَنْدِ، وَالصُّغْدِ (٣)، وَالْحُوجَنْدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ وَبِلَادِ تُرْكُوسْتَانَ، وَأَشْرُوسَنَةَ، وَفَرَّغَانَ، وَبِلَا صَاغُونَ (٤)، وَطِرَازِ (٥)، وَصَرِيوْمِ، وَبِلَادِ الْخِطَا نَحْوَ بَشْمَالِقِ وَالْمَالِقِ

(١) هُوَ أَفْرَاسِيَابُ بْنُ شَنْكِ بْنِ رَسْتَمِ بْنِ تَرْكُ بْنُ كُومَرِ بْنِ يَافَثِ بْنِ نُوحٍ؛ وَهُوَ مَلِكُ التُّرْكِ فِي زَمَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. (الصَّبِيحُ: ٢٩٣/٧).

(٢) كَذَا فِي ط ق؛ وَفِي الصَّبِيحِ «الغور» بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ. وَلَعَلَّ الصَّوَابَ «غُور» بِدُونِ أَلِ التَّعْرِيفِ، كَمَا فِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ.

(٣) فِي ط ق «وَالصَّفْدُ» بِالْفَاءِ وَهُوَ خَطَأً.

(٤) فِي الصَّبِيحِ «وَبِلَادِ صَاغُونَ» وَهُوَ خَطَأً. وَفِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ: «بِلَا سَاغُونَ» بِالسِّينِ الْمَهْمَلَةِ.

(٥) فِي ط ق «طَرَارُ» بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ؛ وَهُوَ خَطَأً. وَالتَّصْحِيحُ مِنَ الصَّبِيحِ وَمَعْجَمِ الْبِلْدَانِ.

إلى قَرَأُوم (وهي قريةُ جَنْكِرْخَان التي أَخْرَجَتْه وَعَرِيْسَتْه التي أَدْرَجَتْه) ثم ما وراء ذلك من بلاد الصَّين، وصين الصَّين. وكلُّ هذه ممالك جلييلة، وأعمال حفييلة، وملوكها سلاطين عِظَام، وملوك كِرَام، قد أكرمهم اللهُ الآن بالإسلام، وشرفهم بِأَتْبَاع سَيِّدنا محمد عليه أفضلُ الصلَاة والسلاَم.

فأما مملكةُ إيران: فكان العَهْدُ بها أن تكون لرجلٍ واحد وسلطان فَرْدٍ مُطَاع؛ وعلى هذا مضت الأيام إلى حين توفِّي السلطانُ أبو سعيد، فَصَاحَ في جَنَابِها كُلِّ ناعِقٍ، وَقَطَعَ رِداءَها كُلِّ جاذِبٍ، وتفرَّد كل متغلبٍ بجانب، فهي الآن نُهَيْتُ بِأيديهم.

فأما عراقُ العرب، فهو بغدادُ وبلادُها وما يليها من ديار بَكْرٍ وريبعة ومُضَر، بيدِ الشيخ حسن الكبير، وهو الحسن بن الحسين بن أَقْبَعَا من طائفة النُورانيين^(١)؛ وكان جدُّه نَوَكْرًا لهولاكوبن طولئ بن جنكزخان المجرد لقتل الباطنية، فاستولى على إيران بمجموعها. (والنَوَكْرُ هو الرفيق).

وأما بقية ديار بكر فهي بيد إبراهيم شاه بن بارنباي بن ثوتاي^(٢).

وأما مملكة أَدْرَبِيجان، وهي قُطْبُ مملكة إيران، ومقرُّ كرسيِّ ملوكها من بني جنكزخان، فهي بيد أولاد جُوبان، وبها القان القائم الآن سليمان شاه. ولا أعرف صحَّة نَسْبِه ولا سياقته بالدعوى.

وأما خراسان فييد القان [طغتمريار]^(٣) وهو صحيح النَّسْب، غير أنني لم أعرف

أسماء آباءه.

(١) طائفة النورانيين من التتر يتسبون إلى امرأة تدعى «ألان قوا» حملت بعد موت زوجها، فأنكر قومها عليها حملها فادعت أن نوراً من السماء دخل فرجها فحملت؛ وقالت أنها ستلد ثلاثة ذكور. ثم ولدت الذكور الثلاثة فصَدَّقَها قومها بعد أن رأوا كلامها يتحقق. وأولادها الثلاثة يعرفون بين التتر بالنورانيين، نسبة إلى النور الذي كان سبب حمل أهم بهم؛ وأحد هؤلاء الثلاثة هو جدُّ جنكيزخان.
(صبح الأعشى: ٣٠٦/٤).

(٢) في صبح الأعشى «سوناي».

(٣) في ط ق «ظغتمر». وما أثبتناه من الصبح.

وأما بلاد الروم فقد أضيف إلى إيران [منها] قطعةً صالحةً وبلاداً نازحةً؛ وهي الآن بيد «أرتنا» وقد نُبِّه على ذلك ليعرف.

وأما رَسْمُ المكاتبة إلى القان الجامع لحدودها، والنَّظْم لعقودها - كما كان أبو سعيد - فهو كتاب يُكْتَبُ في قَطْعِ البغدادِيِّ الكامل، يُبتدأ فيه - بعد البسمة وسَطْرٍ من الخطبة - بالطُّغْرَا(١) المكتتبة بالذَّهَبِ المُزْمَكِ بألقاب سلطاننا على عادة الطُّغْرَاوات، ثم تكْمَلُ الخطبة وتُفْتَحُ ببَعْدِيَّةٍ إلى أن تُسَاق الألقاب وهي: الحضرةُ الشريفة، العالية، السلطانية، الأعظمية، الشاهنشاهية، الأوحديَّة، الأخوية، القانيَّة، الفلانية (من غير أن يخلط فيها «الملكيَّة» لهوانها عليهم وأنحطاطها لديهم) ثم يُدعى له بالأدعية المعظمة المفخمة الملوكية: من إعزاز السلطان، ونَصْر الأعداء، وخلود الأيام، ونشر الأعلام، وتأييد الجنود، وتكثير الوفود، وغير ذلك مما يجري هذا المجرى. ثم يُقال ما فيه التلويح والتصريح بدوام الوداد، وصفاء الاعتقاد، ووصف الأشواق، وكثرة الأتواق، وما هو من هذه النسبة. ثم يُؤنَى على المقاصد ويُختم بدعاء جليل، وتُستعرضُ الحوائج(٢) والخدم، ويوصفُ التطلعُ إليها، ويُظهِرُ التهافُتُ عليها. وهذا الكتاب تكتب جميع خطبته وطُغْرَاه وعنوانه بالذَّهَبِ المُزْمَكِ، وكذلك [كلُّ ما](٣) وقع في أثنائه من أسم جليل، وكلُّ ذي شأن نبيل: من أسم الله تعالى، أو لنبينا ﷺ، أو لأحدٍ من الأنبياء أو الملائكة عليهم السلام، أو ذكرٍ لدين الإسلام، أو ذكر سلطاننا أو السلطان المكتوب [إليه] أو ما هو متعلِّقُ بهما. مثاله: «عندنا وعندكم» و«لنا ولكم» و«كتابنا وكتابكم»، كل هذا يُكْتَبُ بالذهب؛ وما سواه يُكْتَبُ بالسَّوَادِ.

فأما العنوان فهو بهذه الألقاب إلى أن ينتهي إلى اللَّقَبِ الخاص، ثم يُدعى له بدعوة أو دعوتين نحو: «أعزَّ الله سلطانها، وأعلى شأنها» أو نحو ذلك، ثم يسمَّى آسْمُ السلطان المكتوب إليه، ثم يقال «خان» كما كنا نكتب فنقول: «أبو سعيد بهادر

(١) في الصبح «الخطبة الغراء». والصواب هاهنا. راجع ص ٤٩ حاشية (١).

(٢) في الصبح: «المراسيم».

(٣) في ط: «كلماء». والتصحيح من الصبح: ٢٥١/٧.

خان» فقط، ويُطَمَع بالذهب بَطَمَغَات^(١) عليها ألقاب سلطاننا؛ وتكون الطَّمَغَات على الأوصال: يُبدأ بالطَّمْغَة على اليمين في أوّل وَصَل، ثم على اليسار في ثاني وَصَل، ثم على هذا النمط إلى أن ينتهي في الآخر على اليمين. ولا يختم على السُّطْرَة البيضاء؛ والكاتب يخلي لمواضع الطَّمْغَة مواضع الكتابة، تارة يَمْنَة وتارة يَسْرَة.

وحُكَّام دولة هذا السلطان: أمراء الأُلُوس^(٢)؛ [وهم] أربعة، أكبرهم «بِكَلاري بك» وهو أمير الأمراء، كما كان [قطلو شاه عند غازان]^(٣)، وجوبان عند أخذ أبندا ثم عند بو سعيد؛ وهؤلاء الأمراء الأربعة لا يُفَصَل جليلُ أمرٍ إلاّ بهم؛ فمن غاب منهم كُتِبَ أسْمُه في اليرالغ^(٤)، وهي المراسيم - كما يكتب لو كان حاضراً، ونائبه يقوم عنه. وهم لا يُمضون أمراً إلاّ بالوزير؛ والوزير يُمضي الأمورَ دونهم، ويأمر نوابهم فتكتب أسماؤهم: فالوزير هو حقيقة السلطان، وهو المتفرد بالحديث في المال والولاية والعزل حتى في جلائل الأمور، كما أن «بِكَلاري بك» يتحدّث في أمر العسكر بمفرده. فأما الاشتراك في أمور الناس فيهم أجمعين، وليس للأمراء في غالب ذلك من العلم إلا ما علم نوابهم.

ورسّم المكاتبه إليهم:

- «بِكَلاري بك»: أعزّ الله نصر المقرّ الكريم.

(١) في التركية: «تمغا» و«طامغة». وتد عرّبت بالطاء فقيل: طمغة، وبالبدال فقيل: دمغة. والتمغا آلة كالحاتم، من حديد أو برونز أو خشب، تطبع في رؤوس المحررات الرسمية، وتطبع محمّاة على أرجل الخيل ونحوها.

(تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل: ١٠٧).

(٢) أي أمراء الألو، ومفردها: أمير ألف. وأمير عشرة آلاف يسمّى: أمير تومان أو النوين.

(صبح الأعشى: ٤٢٣/٤).

(٣) في طوق «فظلو شاه عند غازان». والتصحیح من الصبح.

(٤) اليرليغ: كلمة مغولية بمعنى حكم أو قرار، ثم استعملت لأمر وتفويض صادر من السلطان مباشرة إلى

الأشخاص الممتازين: (الأعلاق الخطيرة: ٩٥٠/٣ - حاشية عن جامع التواريخ). وفي صبح الأعشى

٤٢٨/٤: هي المراسيم. والمتعلق منها بالأموال يسمّى: طن طمغا.

والثلاثة الذين دونه: أدامَ اللهُ نصرَ الجناب.

ويقال لكل منهم «النُونِي»^(١) ومثل هذا مكاتبة «أرتنا»^(٢) بالروم، وأمير التومان^(٣) بديار بكر: من سُوناي^(٤) وبنيه وكذلك سائر الأمراء النُونِيَات^(٥) وهم أمراء التوامين^(٦).

ورسّم المكاتبة إلى الوزير: «ضاعَفَ اللهُ نِعْمَةَ المجلس العالي، الأميرِي، الوزيرِي» على عادة مكاتبات الوزراء بألقاب الوزارة؛ فإن لم يكن له إمرة يقال: «الوزيرِي» ولا يُقال: «الصَّاحِبِي» لهوانها^(٧) لديهم. وعادة ما يكتب إلى «بكلاري بك» في قَطْع النُّصْف، وما يكتب إلى أمراء النُونِيَات والوزير في قَطْع الثلث.

وأما مملكة تُورَان فهي منقسمة ثلاثة أقسام. كان آخر العهد بها إلى أنقضاء الأيام الناصرية؛ وبها سلطانان مسلمان وسلطان كافر، وهو أكبر الثلاثة، وهو المسمّى بالقان الكبير صاحب التُّخْت، وهو صاحبُ الصِين والخَطَا ووارثُ تَخْت جنكزخان؛ ولم يكن يُكَاتَبُ لترفعه وإيائه، وطيرانه بسمعة آباءه؛ ثم تواترت الآن الأخبارُ بأنه قد أسلم ودانَ دينَ الإسلام، ورَقَم كلمة التوحيد على ذوائب الأعلام؛ وإن صحَّ - وهو المؤمَّل - فقد ملأت الأمة المحمّدية الخافقين، وعمّت المشرق والمغرب وأمتدت بين ضفتي البحر المحيط.

(١) نسبة إلى النُونِ. راجع ص ٦٨ حاشية (٢).

(٢) هو علاء الدين أرتنا بن جعفر. حكم آسيا الصغرى من قبل المغول من سنة ٧٢٨ هـ إلى سنة ٧٣٦ هـ. وكان مقره سيواس. خضع للناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٧ هـ. ظل يتخذ لقب سلطان من سنة ٧٤١ إلى سنة ٧٥٣ هـ. توفي سنة ٧٥٣ هـ. و«أرتنا» بكسر الراء، وتناء مشاة ساكنة. والضبط من معجم زامباور.

(انظر معجم زامباور: ٢٣٢ - ٢٣٣).

(٣) تومان بالفارسية تعني عشرة آلاف.

(٤) في طق: «سوتاي» بالتاء المشناة. والتصحيح من صحح الأعشى.

(٥) في طق: «النُونِيَات» بتقديم النون الثانية على الياء.

(٦) جمع: تومان.

(٧) في طق «لهوانهم». وهو خطأ.

وأما الملكان المسلمان فأحدهما صاحب السَّرَايِ وَخُوَارِزْمِ وَالْقِرْمِ وَدَشْتِ^(١) الْقَبْحَاقِ؛ وهي المملكة المعروفة ببيت بَرَكَةَ^(٢). كان يسمّى صاحبها في قديم الزمان - زمان الخلفاء وما قبله - صاحب السَّرِيرِ، وكان صاحبها في الأيام الناصرية: السلطان أَرْبُكْ خان؛ وقد خُطِبَ إليه السلطان فزوجه بنتاً [تقريباً]^(٣) إليه. وما زال بين ملوك هذه المملكة وبين ملوكنا قديم أتحاد، وصدق وداد، من أول أيام الظاهر بيبرس وإلى آخر وقت. والمُلكُ الآن فيهم في أولاد أَرْبُكْ: إمّا «تني بك» أو «جاني بك»، وأظنها في «تني بك»^(٤).

وَرَسَمُ المَكاتِبَةِ إليه - إن كُتِبَ بالعربي - رَسَمٌ ما يُكْتَبُ إلى صاحب إيران كما تقدّم، وإلا فالأغلب أن يكتب إليه بالمُغَلِّي، وذلك مما كان يتولاه أيتمش المحمّدي، وطاير بُغا الناصري، وإرغدلق التُّرْجُمان، ثم صار يتولاه قُوصُون السَّاقِي.

وأما الثاني منهما فهو صاحب غَزَنَةَ وبُخَارَى وَسَمَرْقَنْدَ وعامة ما وراء النهر. وآخر ما أستقرت لترما شيرين^(٥)؛ وكان حَسَنَ الإسلام، عادِلَ السيرة، طاهر الذليل،

(١) في طق «دست» بالسین المهملة.

(٢) نسبة إلى بَرَكَةَ بن طوجى خان بن جنكز خان؛ وقاعدتها مدينة السَّرَايِ.

(٣) في طق «تقرب». وما أثبتناه من الصبح.

(٤) رأى القلقشندي في الصبح: ٢٩٤/٧ أن الملك بعد أربك كان ابنه «جاني بك» لا «تني بك»؛ وكذلك نجد هذا التسلسل في دائرة المعارف الإسلامية: ٥٦٩/٥. أما زامباور في معجمه فقد أثبت «تني» أو «تيني بك» قبل «جاني». ولعل هذا الالتباس يعود إلى الفترة القصيرة التي فصلت بين موت «أربك خان» أو «أوزبك خان» وبين تولي ولديه السلطة من بعده. فزامباور يثبت أن تيني بك تولى السلطة سنة ٧٤١ هـ، ثم خلفه في نفس السنة أخوه «جاني». وفي دائرة المعارف الإسلامية أن أوزبك حكم من ١٣١٣ إلى ١٣٤١ م، وبعده جاني بك من ١٣٤٢ إلى ١٣٥٧ م، أي أنها أهملت الفترة ما بين ١٣٤١ و١٣٤٢ م.

(٥) هو السابع عشر من خانات ما وراء النهر من بني جغتاي. بعد أن أسلم اتخذ لقب علاء الدين.

(معجم زامباور: ٣٧٠).

مؤثراً للخير، محباً لأهله، مُكرِّماً لمن يرِدُّ عليه من العلماءِ والصلحاءِ وطوائفِ الفقهاءِ*
والفقراءِ .

[والمكاتبة] ^(١) إليه على رَسْمِ مكاتبة صاحب إيران .

وأما القان الكبير : فإن صحَّ ^(٢) إسلامه وقدرت المكاتبة إليه تكون
المكاتبة إليه كذلك أو أجَلّ من ذلك؛ وهؤلاء الثلاثة وصاحب إيران أولاد
جنكزخان .

دعاء وصدْر:

وعَرَفَه قَدْرَ ما أنعم به عليه، وسلِّمَ من مفاتيح الأرض من شرقها إليه، وفضَّله به
على ملوك بيته، إذ جعل ذَهَبَ الشمسِ أوَّلَ ما يصاغ دونهم لتاجه، ودينارها أوَّلَ ما
يقع في يديه؛ ولا زال لربِّه عبداً شُكُوراً، عارفاً بحقِّ أنعمِهِ من قبل أن يكون شيئاً
مذكوراً، مُنِيباً إليه إذا كان الناسُ إمَّا شاكرًا وإمَّا كُفُوراً، ليؤدِّي بالشكر حقَّ المنعمِ،
ويتقرب إلى الله بما يتقبَّله منه وإنما يتقبَّل الله من المسلم .

حضرتُه العالِية مخدومه، وأسِرَّتُه الزاهية بخواتم القُبَلِ مختومه، [وعداوة] ^(٣)
الأعداءِ بصدقِ محبته مخصُومَه، والقلوبُ لأخبارِ ودَّاده مصدِّقَه، والبحارُ بكرمه
مصفِّقَه، والركائبُ بحديثه مشرقة ومغرَّبه، ومُبعِدةٌ ومُقرَّبه . ما انفصل حين ^(٤)، وجمع
الناسَ لملوكِ مصلحين، فلا يستغرب إذا جمعت الأقطارَ فرق شعاعها، وضمتَّ

(١) في ط ق «وكتب». والتصحيح من المقام .

(٢) جاء في دائرة المعارف الإسلامية: ٥/٥٧٠ أن انهيار الامبراطورية الإيلخانية سنة ١٣٣٥ م قد جعل
القطيع الذهبي في ظل أوزبك خان (١٣١٣ - ١٣٤١ م) يعود إلى ما كان له قبلاً من شأن عظيم؛ ذلك
أن هذا الأمير الذي كان شخصياً يدين بالإسلام قد مكن للإسلام تمكيناً على نهر الفولجا، ومن ثم
اعتنق جميع الخانات هذا الدين . وهناك أصبح معظم تار الفولجا أيضاً يدخلون شيئاً فشيئاً في ثقافة
إسلامية سنية من طراز خاص نجده في آسيا الصغرى .

(٣) في ط ق «وعدوا». والتصحيح من المقام .

(٤) كذا في ط ق . ولعل الصواب «ما انفصل إلا إلى حين» .

شموسها المشرقة في كل صباح فرائد النجوم في خيوط شعاعها، لمحاسنها التي تتألف من نفر، وتقيم الحجة إذا قيل فيها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾. [سورة البقرة: ٢٥٨].

صاحب الهند

وأما غير هؤلاء فهو صاحب الهند، وأسمه أبو المجاهد محمد بن طغلقشاه؛^(١) وهو أعظم ملوك الأرض شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً، وبراً وبحراً، وسهلاً وقفراً؛ وسمته في بلاده «الإسكندر الثاني». وباللله^(٢) إنه يستحق أن يسمى بذلك ويوسم به: لاتساع بلاده، وكثرة أعداده، وغزير أمداده، وشرف منابت أرضه، ووفور معادنه، وما تنبته أرضه، ويخرجه بحره، ويوجب إليه، ويرد من التجار عليه. وأهل بلاده أمم لا تحصى، وطوائف لا تعد.

حدثنا عبد الله دفتر خوان^(٣) والافتخار، وهما الرسولان الواصلان فيما تقدم منه، ما لو سكنت النفوس إلى براءتهما من التعصب فيه لحكى منه العجائب وحدث

(١) كذا ضبطه في صبح الأعشى. وفي معجم زامباور «تغلّق شاه». وهو محمد الثاني، جونا بن تغلق، غياث الدين أولوغ خان. توفي في ٢١ المحرم سنة ٧٥٢ هـ. تولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٢٥ هـ. وكان ذا شخصية غريبة متناقضة، تجمع إلى التدين والكرم والتواضع القسوة وسفك الدماء. ويقول عنه صاحب نزهة الخواطر «إنه السلطان الجائر المشهور بالعدل، وكان من عجائب الزمن وسوانح الدهر، لم ير مثله في الملوك والسلاطين في بذل الأموال الطائلة وسفك الدماء المعصومة». وقد جاء ابن بطوطة إلى دلهي في زمان محمد بن طغلق شاه سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٧ م ودون كل ما شاهدته وسمعه عنه، وهو يقول: «أما أخبار هذا الملك فمعظمها مما شاهدته أيام كوني ببلاده» ثم يصفه فيقول: «وهو أحب الناس لإسداء العطايا وإراقة الدماء، فلا يخلو بابه من فقير يغنى أو حي يقتل، وأنا أشهد الله أن جميع ما أنقله عنه من الكرم المخارق للعادة حق يقين، وبعض مآثره لا يسعه عقل كثير من الناس..» ويقول ابن بطوطة أن أعظم ما كان ينقم بسببه على السلطان إجلأؤه لأهل دلهي عنها، وسبب ذلك أنهم كانوا يكتبون بطائق فيها شتمه وسبه ويرمونها بالقصر ليلاً، فإذا فضها وجد فيها سبه وشتمه، فعزم تخريب دلهي. قال ابن بطوطة: «وهكذا وجدناها لما دخلناها خالية ليس بها إلا قليل عمارة».

(معجم زامباور: ٤٢٣؛ وتاريخ الإسلام في الهند: ١٢٨ - ١٣٣).

(٢) في الصبح «وتالله».

(٣) كذا في ط. وفي الصبح «دميرخوان».

عنه بالغرائب . وقد حدثنا قوم آخرون ، وكلُّهم ثقات معتبرون منهم الفقيه سراج الدين الهندي (١) مدرّس البيدْمَرِيَّة بالقاهرة والتاج البزِّي والشيخ مبارك الأبتايي (٢) بما ظهر من مجموع كلامهم ، بأن عسكر هذا السلطان نحو التسعمائة ألف فارس ، وعنده زهاء ألفي فيل يقاتل عليها ، وخلقٌ من العبيد مقاتلة تقاتل رجالة مع سعة الملك والحال ، وكثرة الدُّخُل والمال ، وشرف النَّفس والآباء (٣) ، مع الاتِّضاع للعلماء والصُّلحاء ، وكثرة الإنفاق ، وعميم الإِطلاق ، ومعاملة الله تعالى بالصدقة ، وإخراج الكفّاف (٤) للمرتزقة ، بمرتبات دائمة ، وإذارات متصلة ؛ ولقد أرسل مالا برسم الحرمين وبيت المقدس ، وهديّة للسلطان تزيد على ألف ألف دينار ، فقطِعَ عليها الطريقُ باليمن ، وقُتِلَ مُحضِرُها بأيدي مماليكه (٥) ، لأمرٍ بِيَّتْ بليلى ، ثم قُتِلَ قاتلوه ، وأخذ أهل اليمن المالَ وأكلوه ، وكُتِبَ عن سلطاننا إلى صاحب اليمن في هذا [كتاب] (٦) منه : «وقد عددت عليه فعلته» وقيل فيه : «وفعل ما لا يليق ، وأمسى وهو يُعدُّ من الملوك فأصبح يعدُّ من قُطاع الطريق» ، وجرى في هذه الكلمة نبأ ليس هذا موضعه .

عدنا إلى ذكر صاحب الهند فنقول إن رَسَمَ المكاتبه إليه رَسَمُ المكاتبه إلى القانات الكبار المقدم ذكرهم : في هيئة الكتاب ، وما يكتب به ، والطغرا والخطبة .

فأما ألقابه فهي : «المقام الأشرف ، العالي ، المولوي ، السلطاني ، الأعظمي ، الشاهنشاهي ، العالمي ، العادلي ، المجاهدي ، المرابطي ، المشاغري ، المظفري ، المؤيدي ، المنصوري ، إسكندرُ الزمان ، سلطانُ الوقت والأوان ، منبَعُ الكرم والإحسان ، المعفي على ملوك آل ساسان ، وبقايا أفراسياب وخاقان ، ملك البسيطة ،

(١) في صبح الأعشى : «قاضي القضاة سراج الدين الهندي الحنفي» .

(٢) كذا في ط ق . وفي صبح الأعشى «الأبتايي» .

(٣) في الصبح «والإباء» .

(٤) في الصبح «الكفاية» ولعلها الأصبوب .

(٥) في الصبح «بأيدي ممالك صاحب اليمن» .

(٦) في ط ق «كتاباً» .

سلطان الإسلام، غياث الأنام، أوحده الملوك والسلاطين؛ ويدعى له. ولم نكتب إليه في ذلك الوقت لقباً^(١) يُنسب إلى الخلافة نحو «خليل أمير المؤمنين» وما يجري هذا المجرى إذ كان قد بلغنا أنه يربأ بنفسه إلا أن يُدعى بالخلافة، ويرى له فضل الإنافة.

دعاء وصدور: ولا زال سلطانه للاعداء مُبيراً، وزمانه بما قضى^(٢) به من خلود مُلكه خبيراً، وشأنه وإن عظم [يتدفق]^(٣) بحراً ويرسي ثبيراً^(٤)، ومكانه - وإن جل أن يجلبيه مسكي الليل - يملأ الأرجاء أرجاً والوجود عبيراً، وإمكانه يستكين له الإسكندر خاضعاً وإن حاز نعيماً جمماً ومُلْكاً كبيراً، ولا برحت الملوك [بولائه]^(٥) تتشرف، وبآلائه تتعرف، وبما تطبّع مهابتة من البيض بيض الهند في المهج تتصرف.

المملوك^(٦) يخدم بدعاءٍ يخلق إلى أفقه، ويحل العلياء والمجرّة في طرقة، ويهدي منه ما يعتدل به التاج فوق مفرقه، ويعتد له النجم وهو لا يثنيه إلا وسادة تحت مرفقه، ويسمو إلى مقام جلاله ولا يسأم من دعاء الخير، ولا يمل إذا مالت النجوم عن السير، ولا يزال يصف مُلكه المحمدي بأكثر مما وُصف به الملك السليمانى وقد

(١) في الصبح: «ولم يُكتب.. لقب».

(٢) في الصبح «يقضى».

(٣) في طق «شأن بحراً». والتصحيح من الصبح.

(٤) ثبير: جبل بمكة. (معجم البلدان: ٧٢/٢؛ واللسان: ثبر).

(٥) الزيادة من الصبح.

(٦) قال القلقشندي في صبح الأعشى: ٣٧٥/٧ «واعلم أن في هذه المكاتب شيئين قد خالف فيهما العمري قاعدة المكاتبات عن الأبواب السلطانية: أحدهما إتيانه في ألقابه بالمولوي، والثاني قوله في الصدر المتقدم الذكر «المملوك يخدم». فقد ذكر العمري في كتابه «عرف التعريف» أن السلطان لا يكتب عنه في العلامة «المملوك»؛ وإنما خالف القاعدة هنا تعظيماً لمقام المكتوب إليه وإعلاء لرتبته، حيث قال في أول كلامه: إنه أعظم ملوك الأرض على ما تقدّم ذكره، فغير عن مقامه بما يليق به، وخطابه بما يليق بخطابه، كما تقدّم أنه كان يكتب إلى أبواب الخلافة «المملوك» أو «الخادم ينتهب ثرى الأعتاب» أو «يقبل الأرض» ونحو ذلك تعظيماً لمحل الخلافة، لا سيما وقد تقدم أن صاحب الهند حينئذ كان يدعى الخلافة. إلا أن نظام هذا الملك قد اختل ونقص عما كان بموت السلطان محمد بن طغلقشاه، واستقر مكانه ابن خالته فيروز شاه».

قال: [وأوتينا]^(١) من كل شيء وعلمنا منطلق الطير^(٢).

فأما غير هؤلاء السلاطين الكبراء والملوك العظماء ممن يكاتب من ملوك الإسلام على نأي الديار وبعد المزار ممن لم يبلغ أدنى سعي هؤلاء الملوك فهو:

صاحب البلغار والسرب^(٣)

وبلاده في متاخمة مملكة صاحب السرائي؛ وربما أنه يُظهر لصاحب السرائي الانقياد والطاعة؛ وكانت رُسُلُه قد وصلت [إلى الأبواب السلطانية] تطلب له الألوية والأعلام، فجهّزت إليه مع ما جرت العادة بمثله من التّشريف^(٤) والسيوف والشعار^(٥) والخيال المُسرّجة المُلجّمة.

ورسّم المكاتبه إليه على ما كُتب: «أعزّ الله نصرَ الجناب الكريم، العالي، المَلَكِي، الأَجَلِّي، الكبيرِي، العالمِي، العادِلِي، المجاهدِي، المؤيّدِي، المرابطِي، المشاغري، الأوحدي، سيف الإسلام والمسلمين، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدّم العساكر، جمال الملوك والسلاطين، ذُخر أمير المؤمنين»^(٦).

(١) في طق «وأوتينا».

(٢) تصرّف من الكاتب بالآية (١٦) من سورة النمل. ونصّها: «وَوَرِّثَ سَلِيمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ».

(٣) أي بلغاريا والصرب أو صربيا.

(٤) وجمعها تشاريف؛ وهي ملابس خاصة ينعم بها السلطان على الأمراء والنواب وذوي الوظائف العالية. وكانت هذه التشاريف على طبقات، أعلاها ما هو مختص بالأمراء المقدمين من النواب. وقد وصف القلقشندي هذه التشاريف وأنواعها ومناسباتها في صبح الأعشى: ٥٢/٤ - ٥٤.

(٥) أي شعار السلطنة. والمقصود بشعار السلطنة أنواع الملابس والأدوات والترتيبات التي كان السلطان يظهر بها في الموكب الحافلة مثل موكب السلطنة، وموكب الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل، وموكب صلاة العيدين ونحوها. (انظر الصبح: ٧/٤ - ٨). ولعل المقصود بالشعار هنا تلك الملابس الخاصة بالسلطان والتي كان يعبدها في المناسبات ليخلعها على أكابر الأمراء على أنها من ملبوسه الخاص. (انظر الصبح: ٥٢/٤ - ٥٤).

(٦) اقتصر العمري هنا على رسم المكاتبه إلى صاحب البلغار والصرب عندما يكون مسلماً؛ وقد نقل

فهؤلاء جُملةٌ من يُكاتب من ملوك الإسلام شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً.

فأما رسمُ المكاتبةِ إلى ملوك الكُفَّار، ممن بُعد أو قرب بالجوار، فأبعدهم صيتاً وأجلَّهم قدراً، وأنبههم ذكراً، وأكثرهم سمعةً في حديثٍ وقديمٍ:

ملك الروم صاحب القُسطنطينية

وقد كان قبل غلبة الفرنج ملكاً جليلاً، ترجع إليه من عبَاد الصليب سائرُ الملوك، ويفتقر إليه منهم الغنيُّ والصُّعلوك؛ وكتبُ التواريخ مشحونةٌ بأخباره، وذكر وقائعه وآثاره؛ وأوَّل من ألبس هامه^(١) الذِّلة، وأصارَ جمعه إلى القلَّة، هارونُ الرشيد حين أغزاه أبوه المهديُّ إياه، فأزال الشَّمَم من أنفه، وثنى جامعَ عِظفه. فأما غزواتُ مسَلمةَ بن عبد الملك ويزيدَ بن معاوية فإنها لم تبلُغ فيه حد النُّكايه، ولا أعظمت له الشُّكايه. وهذا الملك الآن كان السلطان «أزبَك» قد كاد يبتزُّ تاجه، ويُعقِم نِجاجه، ويُخِلُّ من جانب البحر المُغلق رتاجه، فأحتاج إلى مُداراته وبَدَل له نفائس المال، وصحِب أيامه على مَضض الاحتمال؛ وكانت له عليه قَطِيعَةٌ مقرَّره، وجُملةُ مالٍ مقدَّره. فأما الآن بعده فقد عميت علينا منهم الأخبار، وتولَّى بالدنيا الإديبار:

ورسَمُ المكاتبةِ إليه: «ضاعَفَ اللهُ بَهجةَ الحضرةِ العالِيةِ المكرَّمةِ، حضرةِ الملكِ الجليلِ، الخطيرِ، الهُمَامِ، الأسدِ، الغَضنْفَرِ، الباسلِ، الضَّرغامِ، المُعَرِقِ، الأصيلِ، الممجدِ، الأثيرِ، الأثيلِ، البلاالوسِ، الرِّيدراغون^(٢)، ضابطِ الممالكِ

= القلقشندي عن مسالك الأَبصار أنها صارت فيما بعد إلى ملوك النصرانية، وقد ذكر ابن ناظر الجيش في «تثقيف التعريف» رسم المكاتبة إلى صاحب هذه البلاد النصراني، نقلاً عن ابن النشائي ما نصه: «أطال الله تعالى بقاء حضرة الملك الجليل، المكرم، المبجل، الهمام، الضرغام، الباسل، الدوقس، الأنجالوس، الكمينوس، فلان، عماد النصرانية، مالك السرب والبلغار، فخر الأمة العيسوية، ذخر الملة المسيحية، فارس البحور، حامي الحصون والثغور... ثم الدعاء... ثم: أصدرنا هذه المكاتبة. (انظر صبح الأعشى: ٤٩/٨ - ٥٠).

(١) في الصبح: «هامته».

(٢) أي ملك أراغون أو أرجون. وهو تعريب للفظ Roi d'Aragon. وفي بعض المصادر: ريدأرغون.

الروميّة، جامع البلاد الساحلية، وارث القياصرة القدماء، مُحِبِّي طُرُق الفلاسفة والحكماء، العالم بأمور دينه، العادل في ممالكه، معزّ النصرانية، مؤيّد المسيحية، أوحد ملوك العيسوية، مخوّل التُّخوت والتيجان، حامي البحار والخُلجان، آخر ملوك اليونان، ملك ملوك السُّريان، عماد بني المعمودية، رضيّ الباب باباً رومية، ثقة الأصدقاء، صديق المسلمين، أسوة الملوك والسلاطين». ثم يُكتب اسمه هنا ويُدعى^(١) له.

دعاء وصدّر [يليقان به]: «وجعل له مع الإسلام^(٢) يداً لا تُزعزعه من أوطانه، ولا تنزعه من سلطانه، ولا تُوجب له إلا استقراً لتيجانه، واستمراراً بملكه على ما دارت على [حُصونه]^(٣) مناطق خلجانه، ولا برحت ثمارُ الوُدّ تدنو من أفنانه، ومَوَاتيقُ العهد [تبويء]^(٤) له ما يُسرُّ به من إشادة معالم سلفه وشدّ بناء يونانه. أصدرناها وشكره كجاره البحر لا يوقفُ له على آخر، ولا يُوصف مثل عقده الفاخر، ولا يُكاثّر إلا قيل: أين هذا القليل من هذا الزاخر؟».

دعاء آخر: ونظّم سِلْكَه، وحمى مُلْكَه^(٥)، وكفى مُجِيبَه^(٦) هُلْكَه، وأجرى بوْدَه ركائبه وفُلْكَه^(٧)، ووفاه كذِبَ الكاذب وكفّ إفْكَه، وأشهد على ودّه الليل والنهار، (وما عند كافوره هذا كفّ ولا مسكه هذا مسكَه)^(٨).

= واللفظ الذي استعمله العمري أقرب إلى الأصل. أما لفظ «البلاوس» فمعناه: الكلمة القديمة، وأصله يوناني: «بالي لوغس».

(انظر صبح الأعشى: ٨٠/٦).

(١) في ط ق «ويدعوا».

(٢) في صبح الأعشى عن التعريف: «مع السلامة».

(٣) في ط ق «خصوره». والتصحيح من الصبح عن التعريف.

(٤) في ط ق «تنوي». والتصحيح من الصبح.

(٥) في الصبح عن التعريف: «وحمى بحُسن تأتیه ملكه».

(٦) في الصبح «محبّه».

(٧) في ط ق «وأجرى إلينا بولاية ركائبه وفلكه». وما أثبتناه من الصبح.

(٨) العبارة بين هلالين وردت هكذا في ط ق. وفي صبح الأعشى: «وما جنّ كافورُ هذا كافوره ولا مسك هذا مسكَه».

ملك الكُرج

وبلاد الكُرج أمُّها مدينة تَفْلِس، وموقع هذه البلاد بين بلاد الروم المذكورة أولاً وبين بلاد أرمينية؛ وهي بلادٌ جنيلة ومملكة مَفخمة، وكأنَّها مقطَّعة من البلادين، ولها ملكٌ قائم، وبها مُلكٌ دائم، وسلطانٌ بيت هولاكو بمملكة إيران يحكم عليها، ويرَالِغُه^(١) تصل إليها، إلا أنه لا يَطغى بها سيئله، ولا تجوسُ خِلالَ ديارها للحرب المُضرمة خيله، وإنما له بها تومان^(٢) آتخذه سِداداً لثغرها، وقياماً بأمرها؛ منزلهم فسِيحٌ بَوَادِيها؛ أهلٌ حَلٌّ وَتَرَحالٌ، وتَنقُلُ من حالٍ إلى حالٍ. وآخرٌ من كان له منهم في هذه البلاد سُمعَه، وأقيلت به للمهابة صرَعَه، الشيخُ محمودُ بنُ جوبان، وكان باسلاً لا يُطاق، ورجلاً مُرَّ المَدَاق؛ ولما جرت الكائنة لأبيه، لآذَ بالسلطان «أزبك قان»؛ ثم لم تطل له مُدَّة، ولا انفرجتُ له حِلَقُ شِدَّة، وأتاه أَجَلُه وما استطاع رَدَّه.

وأما عَسَكر الكُرج فهم صَليبيَّة دين الصَّليب، وأهل البأس والنجدة منهم. (ويقال في المسلمين الكُرد وفي النصارى الكُرج) وهم للعساكر الهولاكوهية عِتَادٌ وَذُخْرٌ، ولهم بهم وثوق وعليهم اعتماد، ولا سيما لأولاد جوبانَ وبنيه، وبقايا مَخْلَفِيه، لسالفِ إحسانِ جوبانَ إليهم، ويد مشكورة كانت له عندهم، وكان صديق ملكهم «برطُلما» يَغْرِسُ عنده الصنائع، ويَسْتَرعيه الودائع، فكان أَخَصَّ خِصَصٍ به^(٣)، وأصدقَ صديق له، يدعوه للمهمِّ، ويستصرخ به في المِلمِّ، ويعدُّه رِدْءاً لعسكره، [ومزياً لِمُنْكَرِه]^(٤)، وبرطُلما عهدي به حيٌّ يرزق من أَجَلٍ ملوك النصارية، وأغرق أنساب

هذا والذي نقله القلقشندي عن ابن ناظر الجيش في التثقيف أن الذي استقرَّ عليه الحال في المكاتبه إليها صيغة مختلفة (انظر الصبح: ٤٥/٨)، ثم قال: ورأيت في بعض الدساتير أنه يختمها بقوله: «فيحفظ بذلك علماً، والله تعالى يديم بهجته». قال: ولم يتعرَّض صاحب التثقيف لإيراد المكاتبه التي ذكره صاحب «التعريف»، بل أحال في معرفتها لمن أرادها على النظر فيه.

(١) أي مراسيمه وقراراته. راجع ص ٦٨ حاشية (٤).

(٢) أي فرقة من الجند يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل.

(٣) في طق «له». والتصويب من الصبح.

(٤) في طق «ومزياً المنكرة». والتصحيح من الصبح.

بني المعمودية، وقد كان كَاتَبَ الأبوابَ الشريفة السلطانية بسبب كنيسة المُصَلِّبة، وأن تُرفع عنها الأيدي المتغلَّبة، فبرزت الأوامر المُطاعة بإعادتها عليهم وقد كانت أخذت منهم؛ وهي بظاهر القدس الشريف وأتُخِذَتْ مسجداً، وعزَّ هذا على طوائف العلماء والصلحاء وإن لم يُعمل سُدى. [قيل: إنه كان يحسِّنُ لجُويانَ قَصْدَ البلاد، ويبدِّل له عليه الطَّارِفَ والتَّلاد] (١).

وَرَسَمَ المكاتبة إليه: «أدام الله بَهْجَةَ الحضرة العلية، حضرة الملك الجليل الهمام، الباسل، الضَّرغام، السَّمِيدَع، الكَرَّار، الغَضَنُفر، المتخَت، المتوج، العالم في ملته، العادل في رعيتته، بقية الملوك الأغر يقية، سلطان الكُرْج، ذخر مُلك البحار والخُلج، حامي حمى الفرسان، وارث آباءه في الأسرَّة والتيجان، سياج بلاد الروم وإيران، [سليل اليونان، خلاصة ملوك السَّرَّيان، بقية أبناء الملوك والتيجان] (٢) مُعزُّ النصرانية، مؤيد العيسوية، مُشِيح (٣) الأبطال المسيحية، معظم بيت المقدس (٤) بعقد النيَّة، عماد بني المعمودية، ظهير الباب بابا رومية، مُوَادُّ المسلمين، خالصة الأصدقاء المقرَّبين، صديق الملوك والسلاطين. وقد يقال: «مُصافي المسلمين، مُوافي الملوك والسلاطين».

دعاء يليق به: «وَحَمَى مُلْكَهُ بُوْدَهُ لا بجنده، وبوفائه بعهده لا بجيشه ومَدَّ بِنْدِهِ، وبما عندنا من سجايا الإحسان لا بما يظُنُّ أنه من عنده، وبما في رأينا المُورِي لا بما يقدحُ النارَ من زَنْدِهِ». (٥)

(١) في ط ق جملة «ويبدل له...» متقدمة على جملة «قبل إنه...». والتصحیح من صبح الأعشى.

(٢) بين معقوفين ساقطة من ط ق. والزيادة من الصبح عن التعريف.

(٣) كذا في ط ق. وفي الصبح «مسيح» بالسین المهملة.

(٤) في الصبح «البيت المقدس».

(٥) ذكر ابن ناظر الجيش في «تثقيف التعريف» أن للكرج في أيامه ملكين: أحدهما صاحب تفلِس المقدم ذكره، وذكر أنه كان اسمه إذ ذاك داود، والثاني الحاكم «بسخوم» و«أبخاس» وهما مدينتان على جانب بحر القرم من الجانب الجنوبي، وسَمَى صاحبها إذ ذاك «ديادان». قال: ورسم المكاتبة إلى كل منهما

مَتَمَلِّكَ سِيسَ (١)

وهو ملكٌ عريق [من] أبناء الملوك، يزعم أن أصله من البيت القُسْطَنْطِينِي؛ ومن ملكٍ منهم سُمِّي «التَّكْفُور» (١)، سِمَةً جَرَتْ عَلَيْهِمْ مِنْذُ كَانُوا وَإِلَى الْآنِ. وَعِنْدِي نَظْرٌ فِي دَعْوَاهُمْ أَنَّهُمْ مِنَ الْبَيْتِ الْقُسْطَنْطِينِي، إِذْ كَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الْبَيْتِ [هُمْ] صَلْبِيَّةُ الرُّومِ، وَمُعْتَقِدُهُمْ مُعْتَقِدُ الْمَلِكَانِيَّةِ، وَالْبَيْتُ التَّكْفُورِيُّ أَرْمَنُ وَمُعْتَقِدُهُمْ مُعْتَقِدُ الْيَعَاقِبِيَّةِ أَوْ مَا يُقَارِبُهُ، وَبَيْنَ الْمُعْتَقِدِينَ بُعْدٌ عَظِيمٌ وَبَوْنٌ نَائٍ. وَالَّذِي نَعْرِفُ مِنْ حَالِ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّ جَدَّهُمُ الْأَكْبَرَ كَانَ رَئِيسَ النَّصَارِيِّ بِهَذِهِ الْبِلَادِ فِي سَالْفِ الدُّوَلِ، وَزَمَانَ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ؛ وَالنَّصَارِيُّ هُمْ أَهْلُ الْمَدْرَةِ (٢) وَصَنَائِعُهُمْ فِيهَا شَتَّى بَيْنَ نَجَارٍ وَفَعُولٍ وَأَكْرَةَ (٤)، وَكَانَتْ طَاعَتُهُمْ آخِرًا لِبَقِيَّةِ الْمُلُوكِ السَّلَاجِقَةِ بِالرُّومِ (٥)، وَعَلَيْهِمْ جَزِيَّةٌ مُقَرَّرَةٌ، وَطَاعَةٌ

= فِي قَطْعِ النَّصْفِ . . . ثُمَّ رَسَمَ الْمَكَاتِبَةَ إِلَيْهِمَا بِصِيغَةٍ أَقْلَ عِلْوًا وَفَخَامَةً، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَنَّ الصِّيغَةَ الَّتِي أوردَهَا الْعُمَرِيُّ هُنَا قَدْ تَغَيَّرَتْ. وَتَعْلِيقًا عَلَى هَذَا التَّغْيِيرِ قَالَ الْقَلْقَشَنْدِي: لِأَنَّهُ (أَيُّ الْمَلِكِ الْكِرْجِ) فِي زَمَنِ الْمَقْرِّ الشَّهَابِيِّ ابْنِ فَضْلِ اللَّهِ كَانَ مَرَعِيَّ الْجَانِبِ بِمَمَالِةِ التُّرِّ وَانْضِمَامِهِ إِلَى جُوبَانَ، فَكَانَتْ الْمَكَاتِبَةُ إِلَيْهِ إِذْ ذَاكَ أَعْلَى وَأَفْخَمٌ؛ فَلَمَّا زَالَتْ دَوْلَةُ التُّرِّ مِنْ إِيرَانَ وَخَدِمَتْ قُسُوتَهُمْ انْحَطَّتْ رَتَبَةُ الْمَكَاتِبَةِ إِلَى مَلِكِ الْكِرْجِ.
(انظر صبح الأعشى: ٢٨/٨ - ٣٠).

(١) أَيُّ مَمْلَكَةِ الْأَرْمَنِ. وَمَدِينَةُ «سِيس» قَاعِدَتُهَا. وَكَانَتْ تُسَمَّى أَيْضًا «بِلَادِ الثُّغُورِ وَالْعَوَاصِمِ» وَهِيَ أَرْمِينِيَّةُ الصَّغْرَى. وَسِيسُ مَدِينَةٌ فِي تَرْكِيَا فِي إِيَالَةِ أَطْنَةَ؛ وَهِيَ بَلَدَةٌ كَبِيرَةٌ ذَاتُ قَلْعَةٍ بِأَسْوَارٍ ثَلَاثَةَ عَشَرَ جَبَلٍ مُسْتَطِيلٍ. وَذَكَرَهَا يَاقُوتٌ بِاسْمِ «سِيسِيَّة».

(معجم البلدان: ٢٩٧/٣. ودائرة المعارف الإسلامية: أرمينيا).

(٢) التَّكْفُورُ: لَفْظٌ أَرْمَنِيٌّ مَعْنَاهُ «الْمَتَوَجَّحُ»؛ وَقَدْ أُطْلِقَهُ الْأَرْمَنُ عَلَى مَلُوكِهِمْ، كَمَا أَنَّهُ يُطْلَقُ أَحْيَانًا عَلَى مَلُوكِ الدَّوْلَةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٧٨).

(٣) الْمَدْرَةُ: الْقَرْيَةُ الْمَبْنِيَّةُ بِالطَّيْنِ وَاللَّبْنِ. وَأَهْلُ الْمَدْرِ هُمْ سُكَّانُ الْبُيُوتِ الْمَبْنِيَّةِ، خِلَافَ الْبَدْوِ سُكَّانِ الْخِيَامِ.

(٤) الْأَكْرَةُ (بِفَتْحَتَيْنِ) وَالْأَكَارُونَ: جَمْعُ أَكَّارٍ وَهُوَ الْحَرَثُ أَوْ الزَّرْعُ.

(٥) أَيُّ بِلَادِ الرُّومِ، كَمَا فِي الصَّبْحِ.

معروفة؛ والعمّال والشحاني^(١) على البلاد^(٢) من جهة الملك السلجوقي حتى ضعفت تلك الدولة، وسكنت شقاشق تلك الصّولة، وأنتدب بعضهم لقتال بعض، وصارت الكلمة سُورى، والرعيّة فَوْضى، وشوامخُ المعازل مجالاً [للتخريب]^(٣)، والبلادُ المصنونة^(٤) قاصيةً من الغنم للذئب، فطمع هذا اللعين وأستنسر بُغائهُ^(٥)، وأشدتْ إنكائهُ، ورأى سَوماً لا ذائد عنه فساقه، ومَتاعاً لا حاميةً له فملاً منه أوساقه^(٦)، وأستولى على هذه البلاد وتملكها، وتحيف موارث بني سلجوق وأستهلكها.

وهذه البلاد منها ما يسمّى العواصم، ومنها البلاد التي كانت تسمّى قديماً الثغور^(٧)؛ وكانت تسمّى بهذا لمثاغرتها الروم. وحدّها من القبلة وأنحراف للجنوب بلادُ بَغْرَاص وما يليها، ومن الشرق جبالُ الدَّرَبَنْدات، ومن الشمال بلادُ ابنِ قَرْمَانَ،

(١) جمع شحنة. والشحنة - بكسر الشين - من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان، أي بمثابة رئيس الشرطة. ومتولي هذه الوظيفة يسمّى صاحب الشحنة، والنسبة إليه شحكي. (صبح الأعشى: ٣٦٢/٥)
وتاج العروس: مادة شحن). أما الجواليقي فيقول إن الشحنة اسم للرابطة من الخيل في البلد لضبط أهله من أولياء السلطان، وليس باسم للأمير أو القائد، كما تذهب إليه العامة. والنسبة إليه: شحني وشحنية، ولا تقل: شحنيّة ولا شحنيّة. وهذه الكلمة عربية صحيحة واشتقاقها من: شحنت البلد بالخيال إذا ملأته بها. والفلك المشحون: أي المملوء. (رسوم دار الخلافة لهلال الصابىء: ص ٩، حاشية: ١).

(٢) في صبح الأعشى: «على بلادهم».

(٣) في طق «للتقريب». وهو خطأ. والتصحيح من صبح الأعشى.

(٤) في طق «المصنونة».

(٥) في صبح الأعشى «وطمع رئيس النصارى بهذه البلاد حينئذ فيها وأستنسر بُغائهُ». وبُغائُ الطير: هو الصغير الهزيل.

(٦) الأوساق: جمع وِسْق؛ وهي مكيلة معلومة تساوي ستين صاعاً، والصاع خمسة أرتال وثلاث. والوسق أيضاً: حمل البعير أو العربة والسفينة.

(٧) قال القلقشندي في الصبح: ١٣١/٦: «الثغور والعواصم اسم على مسمى واحد. وهي اسم للناحية وليست موضعاً بعينه. وأول من أطلق اسم العواصم على تلك النواحي هارون الرشيد. والذي يظهر أنها سميت بذلك لعصمتها ما دونها من بلاد الإسلام من العدو، إذ كانت متاخمة لبلاد الكفر، واقعة في نحر العدو؛ والثغور اسم لكل موضع يكون في وجه العدو».

ومن الغرب سواحل الروم المفضية إلى [العلايا] (١) وأنطاليا. وكان يفصل بينها وبين بلاد الإسلام نهر [جاهان] (٢) وقد أخذ في أخريات الأيام الناصرية عدة بلاد مما وراءه أمها آياس (٣)؛ وقد كان أخذ بعض ذلك أيام المنصور لاجين (٤)، وأستتب به أستدمر الكرجي (٥)، ثم أعيد إلى الأرمن بمواطاة أستدمر إذ قتل لاجين وضعت الدولة؛ وعلى الأرمن قطيعة مقدرة (٦) كانت بلغت ألف ألف ومائتي ألف درهم مع أصناف، ثم حط لهم منها، وهم الآن بين طاعة وعصيان. ولملوك البيت الهولاكوهي عليهم حكم قاهر، وفيهم أمر نافذ، قبل ضعف شوكتهم، ولين قسوتهم، وخلق غابهم من قسورتهم (٧). وهم أحبب عدو للإسلام، وأثرهم بالصالحية (٨) باق، ولو مكثوا من دمشق لمحوا آثارها، وأنسوا أخبارها. وقد صاهر ملكها الآن صاحب قبرس لأمر لا بلغاه وقصد لاسوغاه (٩)؛ على أن متملك سبيس كان سلطاننا وصيه من أبيه، وصية

(١) في ط ق «العلاية». والتصحيح من الصبح. وأنطاليا مدينة على البحر في تركيا.

(٢) في ط ق «نهر جان». ونهر جاهان هو نهر جيحان، وهو الاسم العربي الذي يطلق على بيراموس Pyramus وهو النهر الشرقي من النهرين اللذين يخترقان سهول كيليكية. وقد خلع اسمه في عهد المماليك أيام الناصر محمد بن قلاوون على البلاد التي انتزعت من أيدي الأرمن وسميت «الفتوحات الجاهانية». (انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٩٩/١٣).

(٣) هذه هي عبارة ط ق. وعبارة صبح الأعشى أوضح وهي: «وقد أخذ في أخريات الأيام الناصرية (محمد بن قلاوون) بلاد ما وراء نهر جاهان وأمها آياس».

(٤) هو حسام الدين لاجين المنصوري، أحد ممالك المنصور قلاوون. استولى على السلطنة سنة ٦٩٦ هـ بعد أن انتزعاها من العادل كتبغا الذي كان بدوره قد عزل المنصور قلاوون لصغر سنه. وبعد مقتل لاجين عاد المنصور قلاوون إلى الحكم للمرة الثانية في جمادى الأولى سنة ٦٩٨ هـ. (انظر النجوم الزاهرة: ٨٥/٨ وما بعدها - والخطط التوفيقية: ٨٩/١ - ٩٠).

(٥) في النجوم الزاهرة هو الأمير سيف الدين كرجي. وقد قتل بعد ثلاثة أيام من مقتل المنصور لاجين. وقد قتل معه تمام اثني عشر نفرًا من الأمراء والخاصكية ممن تألبوا على قتل لاجين. (النجوم الزاهرة: ١٨٣/٨).

(٦) في الصبح «مقررة».

(٧) القسورة: الأسد.

(٨) من أحياء دمشق.

(٩) في الصبح: «صاهر صاحب قبرس ليتقوى به».

أشهد عليها أهل مملكته، وجعلها وسيلة^(١) لبقاء دولته، وكتبت له تقليداً عوض أبيه من إنشائي، وجُهِزَّ له من حلِّفه فحلف، وألبسه التَّشْرِيفَ فلبس وقَبِلَ الأَرْضَ [به وخدم]^(٢).

ورسم المكاتبه إليه: صدرت هذه المكاتبه إلى حضرة الملك، الجليل، البطل الباسل، الهمام، السميدع، الضُّرغام، الغضنفر، ليغون بن أوشين^(٣)، فخر الملة المسيحية، ذخر الأمة النصرانية، عماد بني المعمودية، صديق الملوك والسلاطين.

دعاء: وفقه الله لطاعة يَكْفُهُ ذِمَامُهَا، وَيَقِيهِ مَصَارِعَ السَّوِّءِ آلْتِرَامُهَا، وتجري له بالسلامة في النفس والمال أحكامها.

دعاء آخر: ولا عِدِمَ من بيننا الكَرَمَ الذي أجاره، والأمنَ الذي أَمَّنَ جاره، والأمانَ الذي وسَّعَ عليه وِجَارَهُ^(٤)، والعفوَ الذي وَقَاهُ في الدنيا قبل الآخرة ناراً وَقُوْدَهَا الناسُ والحجاره.

دعاء آخر: أبقاه الله لولاءٍ يُبْدِيهِ، وفَرَضَ من الخِدْمَةِ يُوَدِّدِيهِ، وَدَيْنَ في ذِمَّتِهِ من القطيعة^(٥) يقوم به مع طَرَائِفِ مَا يُهْدِيهِ.

دعاء آخر: أراه الله ما يَسْتَدْفِعُ به من مواضي السيوف البلاء إذا نَزَلَ، والسَّمْهَرِيَّ^(٦) الذي لا يُرْوِيهِ البحر إذا نَهَلَ، والسَّيْلَ الذي لا يقف في طريقه شيءٌ ولا يمشي على مَهَلٍ.

دعاء آخر: صَانَ اللهُ بِمَصَانَعَتِهِ من أهلِ مِلَّتِهِ كلَّ قَبِيلٍ^(٧) وَأَمَّنَ بِمُدَارَاتِهِ من

(١) في طق «سبلة».

(٢) في طق: «ولبسه التشريف فلبس وقبل الأرض بدون خدم». وما أثبتناه من الصبح.

(٣) في الصبح عن التعريف: «ليفور بن أوشير». ونقل عن التثقيف أن اسمه كان «كستندين بن هتيوم».

(٤) الوجار: جحر الضبع والأسد والذئب والثعلب ونحو ذلك.

(٥) كذا في طق. وفي الصبح «الوظيفة».

(٦) السمهرى: الرمح الصلب. منسوب إلى سمهر زوج ردينة اللذين كانا مشهورين بتثقيف الرماح. ويقال أيضاً: الرديني.

(٧) في طق: «قتيل». والتصحيح من الصبح.

خوف جيوشنا المنصورة كلَّ سبيل، وصدَّ عنه بصِدْق صداقته بَعَثَ جنودنا الذي لا يُردُّ وأوَّلُهُ بالفرات وآخره بالنيل .

دعاء آخر: لا زال يتوقَّى بطاعته بوادرَ الأسنَّة، وعوادي الخيل موشَّحَةً بالأعِنَّة، وعيَّثَ الجيش حيث لا يبقى إلاَّ أحدُ الأقسام الثلاثة: القتلُ أو الأسرُ أو المِئِنَّة .

دعاء آخر: جنَّبَ اللهُ رأيه سُوءَ التعكيس، وشرًّا ما يزيِّن لمثله إبليس، وأخذَ جنائبَ قلاعِهِ وأوَّلُ تلك الجنائبِ سِيس^(١) .

ملك سنوب

ويقال بالسين والصاد؛ وهي بلد على ضفة الخليج القسطنطيني، وملكها روميٌّ من بيت المُلك القديم، يقرب إلى صاحب القسطنطينية، ويقال إن أباه أعرق من آباءه في السلطان؛ وليس ملكه بكبير، ولا عدده بكثير. وبينه وبين أمراء الأتراك حروب، يكون في أكثرها المغلوب .

ورسم المكاتبه إليه مثل متملك سِيس^(٢) .

[وهذا دعاء يليق به]^(٣): وكفاه شرًّا ما يُنوب، وروَّحَ خاطره في الشمال بريًّا ما يهبُّ من الجنوب، ووقاه سُوءَ فعل يُورث الندمَ وأوَّلُ ما يقرع السنَّ سنوب، وأحسنَ له في الولاء المآل، وحقَّق له في دفع البلاء الآمال، وجعله بالطاعة من حزب أهل اليمين إذا قضت الأقدارُ أن يكون من أهل الشمال .

(١) ونقل القلقشندي عن التقيف صيغة أخرى (انظر الصبح: ٣٢/٨). ثم قال: وقد بطلت هذه المكاتبه بفتح سِيس حين فتحها قُشتمر المنصوري نائب حلب في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين سنة ٧٧٦ هـ. ثم استقرت سِيس نيابة في رتبة نيابة طرابلس وما في معناها. قال: وإنما يقال له «متملك سِيس» لا «ملك سِيس» لأنها كانت أولاً بيد المسلمين ثم وثب عليها رئيس الأرمن المقدم ذكره فملكها .

(٢) راجع رسم المكاتبه إلى متملك سِيس قبل هذا مباشرة .

(٣) في طق «أدعية تليق به» .

ملك رُودس

وهي جزيرة تقابل شطوط البلاد الرومية، وأهلها في البحر حَرَامِيَّة: إذا ظفروا بالمسلم أخذوا ماله وأحيوه فباعوه أو آسخدموه، وإذا ظفروا بالفرنجيّ أخذوا ماله وقتلوه^(١).

ورسم المكاتبه إليه مثل متملك سيس، إلا أنه لا يقال فيها «معزّ بابا رومية» وتختصر بعض ألقابه لأنه دونه^(٢).

دعاء يليق به: قدّم الله له الأعذار، وكفاه توابع^(٣) الإنذار، وحذّره عاقبة البغي قبل أن لا ينفع الحذار.

دعاء آخر: فكّ الله من وثاقه كلّ مأسور، وأقال كلّ غراب له من الرجوع وجناحه مكسور، وعصمه بالتوبة مما أقرّف لا بالبحر ولو أنه سبعة بحور، وسور مدينته ولو أنه مائة سور.

صاحب جزيرة المصطكا^(٤)

وهي جزيرة حقيرة صغيرة لا تبعد مدّى من الإسكندرية، وصاحبها صغير لا في

(١) في ط ق «أخذوه وقتلوه». والتصحيح من الصبح.

(٢) أضاف القلقشندي: «وحيثئذ فيتجه أن تكون المكاتبه إليه: صدرت هذه المكاتبه إلى حضرة الملك الجليل، البطل، الباسل، السّميدع، فلان، فخر الملة المسيحية، ذخر الأمة النصرانية، صديق الملوك والسلطين؛ أو نحو ذلك. على أن العمري لم يذكر في المكاتبه إلى متملك سيس «معزّ بابا رومية» فلم يكن ليحتاج أن يقول: إلا أنه لا يقال فيه معزّ باب رومية».

(٣) في الصبح «قوامع».

(٤) من جزر البحر الرومي أي البحر المتوسط. ضبطها القلقشندي في الصبح بفتح الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملة والكاف وألف في الآخر. قال: وسميت بذلك لأنه ينبت بها شجر المصطكى، وهو شجر يشبه شجر الفستق يشترط في فصل الربيع بمشاريط فتسيل منه المصطكى وهي صمغ. وفي المعجم الوسيط: المصطكى - بضم الميم - شجر من فصيلة البطميات ينبت برياً في سواحل الشام ويستخرج منه علك معروف.

(انظر صبح الأعشى: ٣٧٢/٥ والمعجم الوسيط).

مال ولا رجال، وجزيرته ذات قَحْط لا يَطْرُ شاربُها بزراع، ولا يدرُ حالُها بضرع، إلا أنها تُنبت هذه الشجرة^(١) فتُحمل منها وتُجلب، وتُرسى السفن عليها بسببها وتُطلب؛ وفي مُلكها خدمةٌ لرُسُلنا إذا ركبوا ثِج^(٢) البحر، وتجهيزُ لهم إلى حيث أرادوا، وتَنجيزُ لهم إذا توجَّهوا وإذا عادوا.

ورَسَمُ المكاتبة إليه: كالذي قبله.

أدعية تليق به: «وَفَقَهُ اللَّهُ لَطَاعَتَهُ، وَأَنْهَضَهُ مِنَ الْوَلَاءِ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ».

دعاء آخر: «وَفَقَهُ اللَّهُ لَطَاعَتَهُ، وَقَبِلَ مِنْهُ قَدْرَ اسْتَطَاعَتِهِ».

دعاء آخر: «أَطَابَ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَأَدَامَ إِلَيْنَا قُرْبَهُ».

دعاء آخر: «لا زال إلى الطاعة يبادر، وعلى الخدمة أنهض قادر، ومكانه تُزَمُّ

إليه ركائبُ السفن بكل واردٍ وصادر».

الأذفونش^(٣) ملك الأندلس

ويده جمهورُ الأندلس، وبسيوفه فَنِيَتْ جَحَاجِحُهَا^(٤) الشُّمُس، وهو وارثُ مُلك

(١) أي شجرة المصطكى.

(٢) الثِج: وسط الشيء تجمّع وبرز.

(٣) في بعض المصادر «أذفونش» بالبدال المهملة، وفي أخرى «ألفُنش»، وفي جميع الحالات هو تعريب لاسم «الفونسو».

والمراد هنا ألفونس السادس ابن فرديناند الأول. ولد سنة ١٠٣٠ م وتولى الملك سنة ١٠٦٥ م واحتل طليطلة واتخذها عاصمة له سنة ١٠٨٥ م وانهزم في وقعة «الزلاقة» سنة ١٠٨٦ م/٤٧٩ هـ أمام يوسف بن تاشفين، ثم في وقعة «أقليش» ucles سنة ١١٠٨ م / ٥٠٢ هـ أمام المرابطين أيضاً وفقد ابنه الوحيد «شانجُه» Sancho. ومات ألفونسو سنة ١١٠٩ م. والعرب تسميه «الأذفونش قره كند» ملك الإفرنج بالأندلس.

(انظر الأعلام: ١٨١/٦ - حاشية؛ والحلة السيرة: ٢٤٩/٢ - حاشية؛ وأعمال الأعلام لابن الخطيب: ص ٣٢٢ وما بعدها).

(٤) في ط ق «ججاجحتها». والججاج: جمع ججاج وهو السيد الكريم. والشُّمُس: جمع شُمُوس وهو النُفُور العسير الصعبة.

«لُدْرِيْق»^(١) الملك . وكانت بأيديهم قطعةٌ منها - أعني النَّصَارَى - أيام بني أمية حتى زالت أيامهم ، ونكَّست أعلامهم ، وَخَمَدت سَوْرَتهم ، وَأَخَذَ قَسَوْرَتهم ، وتقسَّم مُلْك الخلافة بأيدي ملوك الطوائف كبني عَبَّاد وبني الأَفْطس وبني صُمَادِح وبني جَهْوَر وبني سعيد^(٢) وغيرهم من كل قريب وبعيد ، وأصبحت البلاد نهياً صِيح في حُجراته ، وقلباً قُطِع بحسراته ، وفرَّق ذلك الشمل الملتَم ، وأخمد ذلك الجمر المضطرم ؛ ثم عاثت ذناب النصارى في سَرَح الإسلام ، ودبَّت عقاربهم في ظلل الظلام ، وأمداً أمير المسلمين يوسف بن تاشفين - رحمه الله - بعساكره الجزيرة ، وقرب نَوَاه الشُّطُون^(٣)

(١) قال القلقشندي في الصبح : «ولذريق هذا هو الذي انتزعها المسلمون من يده حين الفتح في صدر الإسلام» ويعني على يد طارق بن زياد سنة ٩٢ هـ . قال ابن الأبار في الحلة السيرة : ٣٣٣/٢ : «ثم هزم الله المشركين ، فقتل منهم خلق عظيم وأقامت عظامهم ملبسة لتلك الأرض دهرأ طويلاً . وخفي أثر لذريق . إلا أن المسلمين وجدوا فرسه الأشهب الذي كان عليه ، وسرجه من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد ، وقد ساخت قوائمه في حماة وقع فيها ، وغرق العليج فثبت أحد خفيه في الطين فأخذه»

(٢) لما اضمحل أمر الخلافة من بني أمية وبني حمود بعدهم بالأندلس ، وثب الأمراء على الجهات ، وتفرَّق ملك الأندلس في طوائف من الموالي والوزراء والعرب والبربر ، وقام كل منهم بأمر ناحية ، وتغلب بعضهم على بعض وضعف أمرهم حتى أعطوا الإتاوة لملوك الفرنجة من بني الأذفونش حتى أدرَكهم الله بأمر المسلمين يوسف بن تاشفين .

وقد استولى بنو عَبَّاد على إشبيلية وغرب الأندلس ؛ واستولى بنو جهور على قرطبة ؛ واستولى ابن الأفطس على بطليوس ، واستولى زاري بن زيري بن مياد على غرناطة ، وبنو ذي النون على طليطلة ، واستولى على شاطبة وما معها من شرق الأندلس العامريون ، ثم نازعهم على ملكهم بنو صمادح ؛ وفي ظل هذا التفكك استطاع أمير المرابطين يوسف بن تاشفين أن يستولي على بلاد المغرب في الوقت الذي كان فيه ملك الجلائقة يعد العدة للانقضاض على ممالك الطوائف بالأندلس . وقد بعث أهل الأندلس إلى أمير المسلمين ابن تاشفين يستصرخون به فلي دعوتهم وسار إلى الأندلس ونزل الجزيرة الخضراء سنة ٤٧٩ هـ وهزم الأذفونش ، ثم ما لبث أن انتزع عامة حصون الأندلس من أيدي ملوك الطوائف ولم يبق منها إلا سرقسطة في يد المستعين بن هود . وخطب ابن تاشفين المستظهر الخليفة العباسي ببغداد في زمنه فعقد له على المغرب والأندلس وكتب له بذلك عهداً وأرسله إليه . ولم يزل الأمر على ذلك حتى توفي سنة ٥٠٠ هـ .

(عن صبح الأعشى : ٢٤٨/٥ - ٢٦٠ بتصرف ؛ انظر أيضاً : المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى : ٢٤٠ - ٢٤١ - وانظر معجم زامبارو : ٨٦ - ٩٢)

(٣) المراد الأماكن البعيدة النائية . يقال : بشر شطون أي عميقة ، وسفر شطون أي بعيد المقصد ، ورمح شطون أي طويل أعوج .

من تلك المدن المستزيرة، وطرد عن نجاجهم الذئاب، وقهر عداهم وأسرع الإياب؛ وكانت تلك الكائنة التي أخذ فيها ابن عباد^(١)، وأنقرض ملكه وباد.

وعادت النصرى تزار عواديا، وتَسَار^(٢) الموت في كؤوس ساقياها، وأخذت عرائس^(٣) تلك المدن مثل دار الخلافة قُرطبة، والزَّهراء، والزَّاهرة، وإشبيلية، وبلنسية^(٤)، وتلك الجبال الراسية والسفن المرسية؛ وكانت قد أخذت طليطلة، وهي القاعدة الأولى، والمملكة العظمى، والعقيلة الكبرى، وأم إقليم الأندلس، وتحت لُدريق الملك، وأخذ الثغر الأعلى: سَرْقُسطة، وطوي بساط تلك البسطة، وأستعلت اليد الكافرة، وأستعلت الكلمة الظافرة، وحبس آخر من بقي من رمق المسلمين في شرق^(٥) الأندلس نواحي أغرناطة^(٦) وألمرية، في بقعة كمفحص القطة ضيقاً، ومدرج النمل طريقاً، وقد أناخ بهم كلَّكله، وأديم بهم توكله؛ إلا أن الله وعد دينه أن لا يُخذل، وأن مصونه لا يُبدل؛ وها هم الآن - وأبن الأحمر، ملك المسلمين بالأندلس، آونة وآونة تارة محاربة وتارة مهاندة؛ إلا أن الله قد جرد لهم من السلطان أبي الحسن المريني^(٧) - أعز

(١) هو محمد بن عباد، المعتمد على الله، صاحب إشبيلية وقرطبة وما حولهما: كان ملكاً شاعراً وكاتباً مترسلاً. توفي سنة ٤٨٨ هـ. وقد كان ابن عباد على رأس الذين استعانوا بملك المغرب ابن تاشفين لمواجهة خطر النصرى الزاحفين، مع معرفته - على حد قول ابن الأبار - بحسد اللمتونيين (المرابطين) له وانعكاس نصرهم إياه خذلاناً وقهراً، وتنبه وزرائه على ما كان منهم قبل استجاشتهم والاستنصار بهم، فأثر الدين على الدنيا، وأنف للإسلام من الاصطلام. وتم فيه قضاء الله، فخلعوه، بعد حصاره مدة، يوم الأحد لإحدى وعشرين ليلة خلت من رجب سنة ٤٨٤ هـ، واحتملوه وأهله إلى المغرب وأسكنوه «أغمات» وبها مات في شهر ربيع الأول من سنة ٤٨٨ هـ، على حال يوحش سماعها فضلاً عن مشاهدتها.

(انظر الحلة السيرة: ٥٢/٢ - ٦٨، وابن خلكان: ٢١/٥ - ٣٩).

(٢) بمعنى تسقي. ولعل الصواب «تُسّر». انظر لسان العرب: سار.

(٣) في طق «عرائس».

(٤) حول هذه المدن انظر: صفة جزيرة الأندلس - عن الروض المعطار: ص: ١٥٣ - ٩٥ - ٨٠ - ١٨ -

٤٧.

(٥) في طق «شرف».

(٦) أي غرناطة.

(٧) هو علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، أبو الحسن، المنصور بالله: من كبار بني مرين،

الله به حزب الإيمان - سيفاً تحسناً لديه أكلبهم، ويداوي ببرد مائه كلبهم؛ ولولاه لأجتاحوا البقية، وأحتاجوا - أعني بقية الإسلام - إلى التقيّة.

وقد كان الأذفونش ممن قوي طمعه في بلاد مصر والشام في آخرى ليالي الأيام الفاطمية، وواطى «الريد فرنس»^(١)، وحدّثهم أمانهم بأفتراس البلاد، وأملوا ما لم يكن الله مبلغه لهم، وأرسوا على دميّاط وأخذت، وراشقتهم السهام فما نفّدت؛ ثم عادت المساورة، وكادت المثاورة، وتقاذف الساحل رجالاً زمان بني أيوب - رحمهم الله - ونزل على دميّاط الملك الصّالح أيوب، وكشف الله غمّام الغمّة أعقاب تلك الأيام، وأخرجت من يد دميّاط تلك الشوكة الخبيثة، وأسر «الريد فرنس» وكان هو جالب تلك الرزايا، ورامي صوائب تلك البلايا، وأمسك بالخناق، ثم نفّس عنه وترك في دار الصّاحب فخر الدين، إبراهيم بن لقمان، كاتب الإنشاء بالمنصورة، مرّسماً عليه. وكان الطّواشي الكبير «صبيح» ترسيمه^(٢)، ثم منّ عليه، وأطلق على حالٍ قرّر

= ملوك المغرب. بويغ بفاس سنة ٧٣١ هـ واستنجد به بنو الأحمر، وقد احتل الفرنجة جبل طارق، فأرسل الجيوش وافتتح الجبل وحصنه. ثم جهز جيشاً لقتال الفرنجة في الأندلس مرة ثانية بقيادة ابنه، وكان يدعى «أبا مالك» فقتل في المعركة فتولى السلطان أبو الحسن مباشرة الجهاد بنفسه فرحل إلى «سبته» وجمع الأساطيل فضرب بها أساطيل الفرنج ببحر الزقاق سنة ٧٤٠ هـ وعبر البحر إلى ناحية جزيرة طريف فحاصرها طويلاً. وفاجأه الإفرنج بجيوش متعددة فأصيبت عساكره بفاجعة قلما وقع مثلها، وقتلت النساء والولدان، ونجا ببقايا جموعه سنة ٧٤١ هـ فقفل إلى الجزيرة الخضراء فجبل الفتح وركب إلى سبته. ثم رجع إلى فاس يتجهز لإعادة الكرّة، غير أن الاضطرابات المتلاحقة في بلاده من الفتنة بين الحفصيين إلى قيام قبائل العرب عليه بأفريقية وتبعهم بنو زناته من بني عبد الواد ومغراوة وبني توجين في المغرب الأقصى. واستغل الأمر ابنه أبو عنان فدعا لنفسه وتواجهها في وادي أم الربيع فانهزم عسكر السلطان، ونجا فانصرف إلى جبل هنتاته وهناك مات معتلاً سنة ٧٥٢ هـ. - وابن الأحمر المذكور أعلاه هو أبو الحجّاج النصري، يوسف بن إسماعيل بن فرج، سابع ملوك بني الأحمر (بني نصر) بالأندلس. توفي سنة ٧٥٥ هـ.

(انظر أعلام الزركلي: ٣١١/٤ و ٢١٧/٨، وأعمال الأعلام لابن الخطيب: ٣٠٤ - ٣٠٥؛ ومعجم زامباور: ٩٣ - ١١٨)

(١) لقب ملك فرنسا. ولفظ «ريد» تعريب للكلمة الفرنسية Roi بمعنى ملك. والعامّة تقول: الفرّئيس.

(صبح الأعشى: ٤١٢/٥)

(٢) في صبح الأعشى «ووكّل به الطّواشي صبيح المعظمي» نسبة إلى المعظم ابن الملك الصّالح أيوب.

معهُ^(١)، وقال القائل وهو «أبن مطروح»^(٢) من أبيات: [البحر السريع] -

قل للفرنسيس إذا جئتَه مقالةً من ذي [واداد]^(٣) نصيحُ

(١) يروي القلقشندي ذلك بشيء من التفصيل فيقول: «إن الفرنج في سنة ٦١٥ هـ، وهم مستولون على سواحل الشام يومئذ، سار منهم نحو عشرين ملكاً من عكا وقصدوا دمياط في أيام العادل أبي بكر بن أيوب. وسار العادل من مصر إليهم فنزل مقابلهم، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر، ومات العادل في أثناء ذلك، واستقر بعده في الملك ابنه الملك الكامل فوقع في عسكره اختلاف تشاغل به، فهاجم الفرنج دمياط وملكوها عنوة في سنة ٦١٦ هـ، وطمعوا بذلك في مملكة الديار المصرية، فبنى الملك الكامل بلدةً عند مفرق النيل وسماها المنصورة ونزلها بعساكره، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن دخلت سنة ٦١٨ هـ، وقد اشتد طمع الفرنج في الديار المصرية، وتقدموا من دمياط إلى المنصورة وضابقوا المسلمين إلى أن سألهم الملك الكامل في الصلح على أن يكون لهم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين من سواحل الشام، خلا الكرك والشوبك، فأبوا إلا أن يكون لهم الكرك والشوبك أيضاً، وأن يُعطوا مع ذلك ثلاثمائة ألف دينار في نظير ما خرّبه المسلمون من سور القدس، فأعمل المسلمون حيلة في إرسال فرع من النيل في إبان زيادته، حال بين الفرنج وبين دمياط، انقطع بسببه الميرة عنهم، وأشرفوا على الهلاك، وكان آخر أمرهم أن أعرضوا عن جميع ما كانوا سئلوا به من الأماكن المتقدمة الذكر ونزلوا عن دمياط للمسلمين، وتسلمها الملك الكامل منهم، ثم عاد إلى مصر وبقيت دمياط بيد المسلمين إلى أن قصدها الفرنسيين في خمسين ألف مقاتل ومعه الأذفونش صاحب طليطلة في أيام الملك الصالح أيوب ابن الكامل سنة ٦٤٧ هـ، وهاجم دمياط وملكها عنوة، وسار الملك الصالح فنزل بالمنصورة، وسار الفرنج ونزلوا بمقابلة، ثم قصدوا دمياط فتبعهم المسلمون وبذلوا فيهم السيف فقتلوا منهم نحو ثلاثين ألفاً، وأسر الفرنسيين وحبس بالمنصورة بدار الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان، صاحب ديوان الإنشاء، ووكل به الطواشي صبيح المعظمي. ومات الصالح في أثناء ذلك. واستقر ابنه الملك المعظم مكانه في الملك، ثم قتل عن قريب، وفوض الأمر إلى شجرة الدر، زوجة الملك الصالح، وقام بتدبير المملكة معها أيبك التركماني، ثم تسلم المسلمون دمياط من الفرنسيين وأطلقوه فسار إلى بلاده فيمن بقي معه من جماعته». - انظر صبح الأعشى: ٣١٢/٥ - ٣١٣ - والفرنسيس أو الريدفرنس المشار إليه هو لويس التاسع ملك فرنسا ١٢١٤ - ١٢٧٠ م. قاد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة عن طريق البحر. أسر في معركة المنصورة سنة ١٢٥٠ م وتوفي بالطاعون - الأعلام الخطيرة: ٦٩٥/٣ - حاشية - وحول لويس التاسع وحملاته على مصر والشام، انظر: مذكرات جوانفيل - القديس لويس: ترجمة وتعليق حسن حبشي.

(٢) هو الأمير الصاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح المصري: شاعر أديب مصري، خدم الملك الصالح وتنقل معه في البلاد، فأقامه الصالح ناظراً على الخزانة بمصر ثم نقله إلى دمشق. توفي سنة ٦٤٩ هـ.

(انظر النجوم الزاهرة: ٢٧/٧ ووفيات الأعيان: ٢٥٨/٦).

(٣) في طق «واداد». ورواية الصبح: «مقال صدق من قوول نصوح». ورواية النجوم الزاهرة: «مقال صدق

دارُ ابنِ لقمانَ على حالها فالقيد^(١) باقٍ والطواشي صبيح^(٢)

حدّثني رسولُ الأذفونش، بتعريفِ ترْجُمانٍ موثوقٍ به من أهلِ العدالةِ يسمّى صلاحَ الدينِ التَّرْجُمانِ الناصري، أن الأذفونش من ولدِ هِرْقَلِ المفتتحِ منه الشام، وأن الكتابَ الشريفَ النبويّ الوارِدَ على هِرْقَلِ متوارثٌ عندهم محفوظٌ مَصُونٌ، يلفُّ بالديباجِ والأطلس، ويُدخِرُ أكثرَ من أدْخارِ الجواهر والأعلاق، وهو إلى الآن عندهم لا يخرج، ولا يُسمحُ بإخراجه، يُنظرُ فيه بعينِ الإجلال، ويُكرِّمونه غايةَ الكرامة، بوصيةٍ توارثها منهم كابرٌ عن كابر، وخَلَفٌ عن سَلَفٍ؛ والذي أقولُ إن هِرْقَلَ لم يكن الملكَ نفسه، وإنما كان متسلِّمًا للشام لقيصر، وقيصرٌ بالقُسطنطينية لم يَرِمْ، وإنما كتبَ النبيُّ

= من قؤول فصيح». ورواية المقرئزي: «مقال نصح عن قؤول نصيح».

(١) رواية الصبح والنجوم: «والقيد»

(٢) هذان البيتان هما الأول والأخير من قصيدة في ثمانية أبيات، كما في صبح الأعشى، وفي عشرة أبيات، كما في النجوم الزاهرة. وفيما يلي أبيات النجوم الزاهرة:

قُلْ للفرنسيس إذا جثته	مقال صدق من قؤول فصيح
أجركَ اللهُ على ما جرى	من قتل عُبادِ يسوع المسيح
أتيت مصرَ تبتغي ملكها	تحسب أن الزمراً يا طبلُ ريح
فساقك الحينُ إلى أدهم	ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم	بحسن تدبيرك بطنَ الضريح
خمسون ألفاً لا ترى منهم	إلا قتيلاً أو أسيراً أو جريح
وفكك اللهُ لأمثالها	لعلَّ عيسى منكم يستريح
إن كان باباكم بذا راضياً	فربُّ غشٍ قد أتى من نصيح
وقل لهم إن أضمرُوا عودةً	لأخذ ثأرٍ أو لعقدٍ صحيح
دارُ ابنِ لقمانَ على حالها	والقيدُ باقٍ والطواشي صبيح

وبعد فشل لويس التاسع في حملته على مصر هذه حاول الاتجاه إلى تونس فلم يلقَ فيهما خيراً مما لقيه في مصر، حتى لقد خاطبه أحدُهم ساخراً:

يا فرنسيسُ هذه أخت مصر	فتأهبْ لما إليه تصيرُ
لك فيها دارُ ابنِ لقمانَ قبراً	وطواشيك منكراً ونكيرُ

(مذكرات جوانفيل - المقدمة ص: ٢)

ﷺ إلى هِرَقْل لأنه كان مجاوراً لجزيرة العرب من قِبَل الشام، وعظيمٌ بَصْرِيٌّ كان عاملاً له .

والرَّيْدُ فرنس : هو الملكُ الكبيرُ المُطاع ، وإنما الأذفونش هو صاحبُ السَّطوة ، وذكره أشهرُ في المغرب لقربه منهم وبعُد الرَّيْدِ فرنس ، إذ كانت مملكته وراء الأندلس شرقاً ، في الأرض الكبيرة ذات الألسن الكثيرة ، وكرسيُّ ملكه فَرَنْسَة ، وكرسيُّ مُلك الأذفونش طُلَيْطَلَة . [ومكاتباته متواصلة] (١) ، والرُّسُلُ بيننا وبينه ما تنقطع على سوء مَقاصِده وخُبثِ سِرِّه وعَلانيته : أهدى مرةً إلى السلطان سيفاً طويلاً وثوباً بُنْدُقياً وطارقةً طويلة رقيقة تُشبه النَّعشَ ، وفي هذا ما لا يخفى من آستفتاح باب الشر والتَّصريح المعروف بالكناية ، فكان الجواب إرسالُ جبل أسود وحجر ، أي أنه كلبٌ إن قُيد في الجبل وإلا رُمِيَ بالحجر .

وأما «الرَّيْدُ فرنس» فلا أذكر له إلا فَرْدَ رَسُولٍ وِرْدَ (٢) ، وأبْرَقٌ وأحرق بناه وأزْعَد ، جاء يطلب بيتَ المقدس ، على أنه يُفتح له ساحلٌ قيسارية أو عَسْقَلان ، ويكون للإسلام بهما وُلاةٌ مع ولاته ، والبلاد مناصفةً ، ومساجد المسلمين قائمة ، وإدارات قومهما (٣) دارةً ، على أنه يبذل مائتي ألف دينار تُعَجَّل وتُحمل في كل سنة نَظيرَ دخل نصف البلاد التي يتسلَّمها على معدَّل ثلاث سنين ، ويُطْرَف في كل سنة بغرائب التُّحف والهدايا . وحسَّنَ هذا كُتَابٌ من كُتَبِ القَبْطِ ، كانوا صاروا رؤوساً في الدولة بعمائم بيض وسراثر سود ، وهم أعداءُ زرق ، يُجْرَعون الموتَ الأحمر ، وعملوا على تمشية هذا القصد وإن سرى في البدن هذا السُّم ، وتُطَلَّب له الدَّرِياقُ فعزَّ ، وقالوا : هذا مالٌ جليل يتعجَّل ! ثم ما عسى أن يكون منهم وهم نطفةٌ في بحر ، وحصاةٌ في دهناء .

(١) في ط ق : «والمكاتبات لا أعرافها متواصلة إلا إلى الأذفونش دونه . . . الخ» . والبارة غير مستقيمة . والذي أثبتناه هو عبارة القلقشندي في صبح الأعشى : ٣٥ / ٨ نقلاً عن التعريف .

(٢) في الصبح عن التعريف : «وأما الرَّيْدُ فرنس فلم يرد له إلا رسولٌ واحد» .

(٣) في الصبح «قَوْمَتَهَا» .

وبلغ هذا أبي^(١) - رحمه الله - فألى أن يجاهر في هذا، ويجاهد بما أمكنه، ويدافع بمهما قَدَّر عليه، ولو لا وئى السلطان على رأيه إن أصغى إلى أولئك الأفكة، وقال لي: تقوم معي وتكلم، ولو خُصِّبَت منا ثيابنا بدم، وراسلنا قاضي القضاة القزويني الخطيب^(٢)، فأجاب وأجاد الاستعداد، فلما بَكَّرنا إلى الخدمة وحَضَرنا بين يدي السلطان بنار العدل، أحضرت الرسل، وكان بعض أولئك الكتبة حاضراً، فاستعدَّ لأن^(٣) يتكلم، وكذلك استعدَّينا نحن، فما استتمَّ كلامهم حتى غَضِبَ السلطان وحمي غضبه، وكاد يتصرَّم عليه حطَّبه، ويتعجَّل لهم عَطْبُه، وأسكت ذلك المنافق بخزيتته، وسكتنا نحن أكتفاءً بما بلغه السلطان مما ردَّه بخييته، فصدَّ ذلك الشيطان، وكفى الله المؤمنين القتال، ورُدَّتْ على راميتها النُّصال. وكان الذي قاله السلطان: «وَأَلْكُمْ^(٤)! أنتم عرفتم ما لقيتم نوبةً دَمِيَّاط من عسكر الملك الصالح، وكانوا جماعة أكراد ملفَّقة مجمَّعة، [وما كان هؤلاء بعد الترك]^(٥) وما كان يشغلنا عنكم إلا قتال التتار، ونحن اليوم بحمد الله صلِّح، نحن وإياهم من جنس واحد، ما يتخلى بعضه عن بعض، وما كنا نريد إلا الابتداء، فأما الآن فتحصَّلوا وتعالوا، وإن لم تجؤا^(٤) فنحن نجحكم ولو أننا نخوض البحر بالخيال؛ وألَّكم صارت لكم السنة تذكُّرُ القُدُس! والله ما ينال أحدٌ منكم منه تُراباً إلا ما تسفيها الرياح عليه وهو مصلوب!» وصرخ فيهم صرَّخةً زعزعت قُواهرهم، وردَّهم أقيح ردَّ، ولم يقرأ لهم كتاباً، ولا رد عليهم سوى هذا جواباً.

وأما رَسْمُ المكاتبة إليه^(٦): «أطالَ اللهُ بقاءَ الحضرة السامية [حضرة]^(٧) الملك

(١) هو القاضي محيي الدين بن فضل الله العمري. تولى كتابة السر للناصر بن قلاوون، وكان معه في نفس الوقت ابنه شهاب الدين - صاحب كتابنا هذا - يقرأ البريد على السلطان وينفذ المهمات.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، المعروف بخطيب دمشق. ولي قضاء دمشق سنة ٧٢٤ هـ ثم قضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧ هـ. توفي سنة ٧٣٩ هـ. (النجوم الزاهرة: ٣١٨/٩)

(٣) في ط ق: «لئن».

(٤) لفظ عامي. والمراد: ويلكم!. ومثله: «تجؤا» أي تجيئوا.

(٥) بين معقوفين زيادة من الصبح عن التعريف.

(٦) الأظهر «إليهما» أي الأذفونش والريدفرنس.

(٧) الزيادة من الصبح ليستقيم الكلام.

الجليل، الهمام، الأسد، الباسل، الضُرغام، الغَضَنَفَر، بَقِيَّة [سَلَف] ^(١) قيصر،
 حامي حُماة بني الأصفر، المُمنَع السُّلوك، وارث لُدريقَ وذرايَ الملوك، فارس البرّ
 والبحر، ملك طَلِيْطَلَة وما يليها؛ بطل النصرانيّة، عمادِ بني المعموديّة، حاملِ راية
 المسيحيّة، وارث التَّيجان، شبيه مَرِيْحِنَا المَعْمَدان، مُحِبُّ المسلمين، صديق
 الملوك والسلاطين، الأذفَنش سَرَقْلان».

دعاءٌ وَصَدْرٌ يَلِيْقان به: «وكفاه شَرَّ نَفْسِه، وأجناه ثَمَرَ غَرَسِه، ووقاه فِعْلَ يوم
 [يَجْرُ] ^(٢) عليه مثلُ أمسه، وأراه مقدارَ النعمة بالبحر الذي تمنع بسوره وتوقى بترسه.

أصدرناها إليه وَجُنْدُ الله لا يمنعهم مانع، ولا يضرُّهم في الله ما هو صانع ^(٣)،
 ولا يُيالونَ أَكْتابَ يخلّفونها أم كتباً، وَجَدَاوُلُ تُعْرِضُ لهم أم بحاراً لا تقطعها إلا وَثَباً».

دعاءٌ آخرٌ وصدور: «وقاه بتوفيقه إتلافَ المُهْج، وكفاه بأَسِّ كلِّ أسدٍ لَمْ يُهْجِ،
 وحماه من شَرِّ فتنة لا يبُلُّ البحرُ الذي تحصَّن به ما يعقده عُبارُها من الرَّهْج.

أصدرناها [إليه] وَأَسْتَتْنَا لا تُرَدُّ عن نَحْر، وَأَعْتَتْنَا لا تُصَدُّ بسور ولو ضُربَ من
 وراء بحر».

النُّواب

الأول: كافِلُ الممالك الإسلاميّة

وهو نائب السلطان بالحضرة، وهو يحكّم في كل ما يحكم فيه السلطان، ويُعلّم
 في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه
 السلطان. وبقيّة النواب لا يعلم الرجل منهم إلا على ما يتعلّق بخاصّة نيابته؛ وهذه
 رتبة لا يخفى فيها له التميّز. والوزير فيها يجري مجراه، وهما فيها على حدٍ سواء.

أما نائب الغيبة وهو الذي يُترك إذا غاب السلطان والنائب الكافل وليس إلا

(١) في طق «بقية سلم وقيصر». والتصحيح من الصحيح.

(٢) في طق: «يبحر» والتصحيح من الصحيح.

(٣) في الصحيح: «ولا يضرُّ بهم في الله ما هو جامع»

لإخماد الثَّوَاتِرِ وَخَلَاصِ الْحَقُوقِ، وَحُكْمِهِ فِي رَسْمِ الْكِتَابَةِ إِلَيْهِ رَسْمٌ مِثْلُهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ .

وأما النائب الكافل فقد رأيت بعض الكتاب قد كتب في تعريفه: «نائب السلطنة المعظمة وكافل الممالك الشريفة الإسلامية» وكتب في لقبه: «الأميري الأمري». والكتاب المذكور كاتب صالح في المعرفة وليس بحجة. فأما كتابته في ألقابه «الأمري» فليست بشيء، وإنما حمله عليها إفراط الملق؛ وأما جمعه في تعريفه بين ذكر النيابة والكفالة فمقبول منه فيه، والذي أراه أن يجمعها في تقليده فيقال فيه: «أن يُقَلَّدَ نِيبَةَ السُّلْطَنَةِ الْمَعْظَمَةِ وَكَفَالَةَ الْمَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ مِصْرًا وَشَامًا، وَسَائِرَ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَوْ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ» ونحو ذلك.

فأما في تعريف الكتب، فقد جرت عادة نواب الشام أن يقتصروا في كتبها إليه على «كافل الممالك الإسلامية المحروسة». ولعمري في ذلك مَقْنَعٌ، وإن في الاقتصار عليها ما هو أكثر فخامة. وعلى ذلك أكثر عمل الكتاب بديوان مصر أيضاً، وأنظر إلى ما يكتب بإشارته تراهم مقتصرين له على هذا في التعريف، فأعلم ذلك.

ورسم المكاتبه إليه: «أعزَّ الله [تعالى] أنصارَ الجناب الكريم، العالي، الأميري، الأجلِّي، الكبيرِي، العالمِي، العادِلِي، المؤيِّدِي، الممهِّدِي، المشيِّدِي، الزعيمِي، الذُّخْرِي، المقدمِي، العَوْنِي، الغِيَاثِي، المُرابِطِي، المِثَاغِرِي، المِظْفَرِي، المنصوري، الأتابكي، الكافلي، الفلاني، ركن الإسلام والمسلمين، سيِّد الأمراء في العالمين، أتاك الجيوش، مقدَّم العساكر، زعيم الجنود، عاقد البنود، ذُخْر لموحِّدين، ناصر العُزَاة والمجاهدين، غِيَاث الأمة، غَوْث المَلَّة، مشيِّد الدول، كافل لممالك، مُنْجِد الملوِك والسلطين»^(١).

(١) الذي في التثقيف: «أعزَّ الله نصره الجناب... الخ» بإبدال أنصار بنصرة، واختلاف بعض الألقاب المتقدمة. ثم قال ابن ناظر الجيش إن الذي استقر عليه الحال في مكاتبته هو: «أعزَّ الله تعالى أنصار المقر الكريم» قال: «وإنما كتب له بالمقر وزيدت ألقابه على ما كانت عليه لَمَّا كتب بذلك لنائب الشام في ولاية بيدمر الخوارزمي، وكافل المملكة يومئذ الأمير مُنْجِك، فلزم أن يكتب له مثله لتلا يكون نائب الشام مميزاً على كافل السلطنة». وقد ذكر القلقشندي أن رتب المكاتبات هي على عشر درجات: الأولى =

دعاء يختص به وصدر: «ولا زالت الممالك كلها في كَفَالته، والمسالك على اختلاف طُرُقها آيلةٌ إلى إِيالته، والملائكةُ محوِّمةٌ على بنوده محتفَّةٌ بهالته، والأرائكُ لا تُثنى إلا في دَسْتِ فَخاره ولا تعدُّ إلا لجلالته. أُصدرت هذه المكاتبَةُ إلى الجَنابِ الكريمِ، زاده اللهُ كرامةً، وألقلوبُ تسألُ لوآبِ، وآلنفوسُ مطمئنةٌ بأننا لم يَغِبْ عما حضر فيه عِنا وما غاب، تَخُصُّ جَنابَه بأفضل السلام، وأطيب الثناء المرقوم على أعلى الأعلام، وأطرب الشكر الذي يرى منه حقيقة ما يتمناه النظراء في الأحلام».

دعاء آخر وصدر: «ولا زالت كِفايةُ كَفَالته تزيدُ على الآمالِ، وتتقربُ إلى الله بصَلاحِ الأعمال، وتكفُل ما بين أول الجنوب وأقصى الشَّمال، وتُمسك رُواقَ الملك المشمخر الذي لولاها لمال، وتنهَرُ فتوقُ الأعداء بكل بَرَقٍ من سيوفها المرهفة ما لجرحه أندمال، وتروِّع طوائف الكُفر الأشتات فلا تُفتدى من أسنتها المثقفة إلا بأرواح لا يمال. أُصدرت هذه المكاتبَةُ إلى الجَنابِ الكريمِ وصَدْرُها بذكره منشرح، وببِره فَرِح، وبعلو قدره في أيامنا الزاهرة يُسرّ ويؤمِّل منه على ما يزيد على أمل المقترح، تُهدي إليه من السلام أطيِّبه، ومن الثناء أطنِّبه، ومن الشكر ما يهز هذه السُّكر^(١) من سَمِع منه أطربَه أو سمع مُطربَه.»

دعاء آخر وصدر: «ووصل المشار^(٢) بعلمه الذي لا يُنكر، وحلمه الذي يُشكر، وحُكمه الذي يَأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وقسمه الذي شرفه وصرفه عِنا في كل متكلم في مال ومقدّم على عسكر. أُصدرناها إلى الجَنابِ الكريمِ العالِي بِسلام يُسرع إليه، ويرد منا عليه، ونُحييه به ولا ينسى له ما لديه.

وأعلم أن مكاتبات أكابر النواب بعده، وهم نائب الشام ونائب حلب ونائب طرابلس

= الدعاء للمقر، والثانية للجَنابِ الكريمِ، والثالثة للجَنابِ العالِي بمضاعفه النعمة، والرابعة للجَنابِ العالِي بدوام النعمة، والخامسة للمجلس بدوام النعمة. . . الخ.

(انظر صبح الأعي: ١٤١/٧ - ١٥٥)

(١) كذا في ط ق. وهو ساقط مما نقله الفلقشندي عن التعريف. ولعل الصواب: «ما يهزُّ هزَّ السُّكر».

(٢) كذا في ط ق. وفي الصبح «المسار» وهو أوضح.

ونائب حماه ونائب صفد ونائب غزة، تكاد تكون متساوية، أو بعضها مميزاً عن بعض؛ ولكن ربما أمتاز نائب الشام على بقيتهم فنذكره ثم نذكر بعده نائب حلب وسائر النواب على الترتيب^(١).

الثاني: نائب الشام^(٢)

الذي كان مستقراً في رَسْم مكاتبته في الأيام الناصرية: «ضاعفَ الله نعمة الجناب العالي». وقد استقرَّ الآن في الدولة الصالحية: «أعزَّ الله نُصْرَةَ الجناب الكريم العالي، الأميري، الأجلِّي، الكبيرِّي، العالمي، العادلي، المؤيِّدي، الممهَّدي، المشيِّدي، العَوْنِي، الغياثي، الذُّخْرِي، الزعيمِي، المقدمِي، الظهيري، الكافلي، الفلاني، عزَّ الإسلام والمسلمين، سيِّد الأمراء في العالمين، نُصْر الغزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدَّم العساكر، عَوْن الأمة، غياث المِلَّة، ممهَّد الدول، مشيِّد الممالك، ظهير الملوك والسلاطين، عَضُد أمير المؤمنين»^(٣).

(١) هذا ما كان عليه الأمر إلى أيام العمري المتوفى سنة ٧٤٩ هـ. وقد ذكر الفلقشندي -بالإضافة إلى النائب الكافل - ثلاثة نواب بالديار المصرية، استحدثت نيابتهم وهم:

- نائب نجر الإسكندرية المحروس: وهو ممن استحدثت نيابته في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين في سنة ٧٦٧ هـ. ورسم المكاتبه إليه: «ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي . . . الخ» إلا أنه لا يقال في ألقابه «الكافلي». والعلامة الشريفة له «والده». وتعريفه: نائب السلطنة الشريفة بشجر الإسكندرية المحروس.

- نائب الوجه القبلي. ومقر ولايته مدينة أسيوط. وقد استحدثت نيابته في الدولة الظاهرية برقوق سنة ٧٨٠ هـ. ورسم المكاتبه إليه مثل نائب الإسكندرية.

- نائب الوجه البحري. ومقر ولايته دمنهور الوحش من أعمال البحيرة. ونيابته استحدثت بعد نيابة الوجه القبلي. ورسم المكاتبه إليه مثل سابقه.

(صبح الأعشى: ١٥٦/٧).

(٢) وهو أيضاً كافل السلطنة بها.

(٣) قال ابن ناظر الجيش: «ولم تزل المكاتبه إليه كذلك من بعد الدولة الشهيدية الناصرية محمد بن قلاوون إلى آخر سنة ٧٧٥ هـ. واستقر الأمير بيدمر الخوارزمي نائب السلطنة بها أيام الأشرف شعبان بن حسين، فاستقر رسم المكاتبه إليه: «أعزَّ الله تعالى أنصار المقرِّ الكريم».

(صبح الأعشى: ١٦٨/٧. راجع أيضاً ص ٩٥ من هذا الكتاب حاشية (١))

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: «ولا زالت الدول برايته^(١) مُقبلة السُّعود، مترقيةً في الصُّعود، مملوءة الرَّحَاب: تارةً يَبْعَثُ البعوث وتارةً بوفادة الوفود. صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب^(٢) الكريم تُهدي إليه من السلام أشرفه نجوماً، ومن الشَّاءِ أَعْدَقَه غُيوماً، وتوضِّح لعلمه الكريم . . .».

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: «ولا زالت الممالك بآرائه منيره، وبريائه لأعداءِ الله وأَعاديها مُبيرة، وبرؤياه تتضاءلُ الشَّموسُ المشرقة وتَخَجَلُ السُّحبُ المَطِيره: صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب^(٢) الكريم تُهدي إليه من السلام دُرَرَه، ومن الشَّاءِ غُرَرَه، وتوضِّح لعلمه الكريم . . .».

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: «ولا برحتْ آراؤه كالنجوم بعيدة المدى، قريبة الهدى، متهلِّلة كالغمام: للأعداءِ منها الصَّواعقُ وللأولياءِ النَّدَى - صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب^(٢) الكريم - أعزَّه الله تعالى - تخصَّصه بسلام حَسَنِ الافتتاح، وثناءً كما نَظَّم الوِشاح، وتوضِّح لعلمه الكريم . . .».

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: وَوَقَى بِسُورِ جُبُوشه الممنعة ضَرَرَ الضَّرَاءِ، وكسر بأُسود جنوده ذِئابَ الأعداءِ [الضَّرَاءِ] وسبقَ دَهْمَاءَ الليل وشهباءَ النهار وحمراءَ الشفقِ وصفراءَ الأصيلِ وشقراءَ البرقِ بسابقتِه الخضراءِ. صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب^(٢) العالى بسلام يملأُ حَدَقَ حدائقه نوراً، وقلْبَ عساكره سُوراً».

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: «وعمر معاهده، وزَيْنَ به بلدَه ومعابِدَه، وساقِ ملءَ واديه سَيْلَ نِعَمٍ لا يحلُّ بغيرِ الذَّرَى معاقِدَه. صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب^(٢) العالى تُهدي إليه سلاماً مثل الطَّيْفِ الزائر، وثناءً يحلُّ منه بجامع المحاسن يحلِّق إليه به نَسْرُه الطائر».

(١) في الصبح: «برأيه».

(٢) في الصبح: «المقرَّ الكريم» وهذا التغيير بناء على ما تقدَّم في الحاشية (٣) من الصفحة السابقة والحاشية

(١) من الصفحة ٩٥.

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: «ولا زال النصر [جَلِيَّةً] (١) أيامه، وشامةً شامِهِ، وَعَمَامَةً ما يحلُّقُ على بلده المخضَّرُ من غمامه. صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب (٢) العالي بسلام لا يرضى حافرُ جواده الهلالَ نَعْلًا، ولا يحظى به إلا بِلْدُهُ ونخصَّ منه الشرفَ الأعلى».

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: «وسقَى عهْدُهُ العِهَادَ، وشفى بعدله العباد، وزان به حُسْنَ بلده التي لم يُخلق مثلها في البلاد، وهي إرْمُ ذاتُ العِمَاد. صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي بسلام تُسرُّ به النفوس، ويُعرف فضله الجامع وتُجلَى العروس (٣)».

الثالث: نائب حَلَب

[ورسم مكاتبته]: ضاعَفَ اللهُ نِعْمَةَ الجناب العالي، الأميري، الأجلِّي، الكبيرِي، العالمِي، العادلي، الممهَّدي، المشيَّدي، العَوْنِي، الذُّخري، الزعيمِي، المقدمِي، الظهيري، المرابطِي، المثارِي، الكافلي، الفلاني، عزَّ الإسلام والمسلمين، سيد الأُمراء في العالمين، نُصرة الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحَّدين، عماد الدولة، عَوْن الأمة، دُخْر المِلَّة، ظهير الملوك والسلاطين، سيف أمير المؤمنين».

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: «ولا زالت هِمْمُهُ مطلَّةً على النجوم في منازلها، مُطَاوِلَةً للبروق بمنازلها، قائمةً في مصالح الدول مَقَامَ جَحَافِلِهَا. صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي (٤) - أعزّه اللهُ تعالى - تُهدي إليه سلاماً كالذُّرر، وثناءً طويل الأوضاح والغُرر، وتوضيح لعلمه الكريم».

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: «وأَمَدَّهُ بعَوْنِهِ، وجَمَّلَهُ بصَوْنِهِ، ولا زال رأْيُهُ في النقيضين: لهذا سبَبَ فنائه ولهذا عِلَّةٌ كَوْنِهِ. صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي (٤) تُهدي إليه سلاماً رطيباً، وشكراً يكون على ما تُخفي الصدور رَقِيْباً، وتوضح لعلمه الكريم».

(١) في طق «حيلة».

(٢) راجع الحاشية (٢) من الصفحة السابقة.

(٤) في الصبح: «الكريم».

(٣) في الصبح: «ويطوق به فضله الجامع وتُحلَى العروس».

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: «ولا زال يُعَدُّ ليومَ تَشْيِبِ له الولدان، ويُعَدُّ دونه كلُّ مُحَارِبِيه وبينه [وبينهم] الشَّهْبَاءُ والمِيدَان، وَيَعُمُّ حَلَبَ من جِلْيِ أَيامه ما لا يُفْقَدُ معه إلا أَسْمُ آبْنِ حمدان». وإن كان أَسْمُه (١) سيفَ الدين قال: «وَيَعُمُّ حَلَبَ من جِلْيِ أَيامه ما لا يُفْقَدُ معه سيفُ الدين إن فُقِدَت سيفَ الدولة أَبْنِ حمدان».

وأما الصَّدْرُ فهو: «صدرت هذه المكاتبةُ إلى الجَنابِ العَالي (٢) تُهْدِي إليه سلاماً ما مرَّ بروض إلا أَنتَهَبَ طِيْبَه نَهْبا، وثَناءٌ تُعقد له أعلامُه على كَتِيبَتِه الشَّهْبَاءُ».

دُعَاءٌ وَصَدْرٌ: «وَفَتَحَ بِسُيُوفِه الفَتْحَ الوجيز، وأحلَّ عَقائِلَ المعافل منه في الكَنَفِ الحَرِيزِ، وأعاد به رَوْنَقَ بلد ما جَفَّتْ بها زُبْدَةُ حَلَبٍ وهو فيها العزير. صدرت هذه المكاتبةُ إلى الجَنابِ العَالي (٣) بِسلامٍ دَهْبُه لا يذهب، وثَناءٌ لا يَصْلُحُ لغير عَقِيلَةِ الشَّهْبَاءِ قِلادَةَ عَنبرِه الأشهب».

الرابع: نائب طرابلس

[وهو] من هذه النسبة وما لا يبعُدُ منها.

والدُعَاءُ مثل قولنا: «وأطاب أَيامَه التي ما رَقَّتْ على مثلها أسحار، وعدَّد في مناقبه العقولَ التي تَحَارَ، وأخذ بنواصي الأعداء بيده لا تَنأَى بهم البراري المقفرةُ ولا تحصَّنهم البحار. صدرت هذه المكاتبةُ إلى الجَنابِ العَالي بِسلامٍ وفرت منه أسهُمُه التي يدرأ بها العدا في نحرها، وثَناءٌ مُطْرَبٌ تَرَقُّصُ به الخيلُ في أَعْتَتِها والسفنُ في بحرها».

دُعَاءٌ آخِرٌ وَصَدْرٌ: «ولا زالت صَفُوفُه تشدُّ بِنِيانِ الحرب، وسُيُوفُه تُعدُّ للقتل وإن قِيلَ للضَّرْبِ، وسُجُوفُه تُجَرُّ على بلد ما مثله في شرقٍ ولا حصل على غير المسمَى منه غرب».

(١) كذا في ط ق. والصواب «لقبه».

(٢) في الصبح: «الجَنابِ الكريم».

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي تُهدي إليه سلاماً يزيد أفقه تزييناً،
وثناء يأتيه من فائق الدرّ بما يستهون معه بالمينا».

الخامس : نائب حَمَاة

وهو من هذه النسبة أيضاً وما يقاربها.

والدعاء نحو قولنا: «وَأْتَمَّ بِخِدْمِهِ كُلَّ مَبْرَةٍ؛ وَبِهِمِهِ كُلَّ مَسْرَةٍ، وَصَانَ مَا وَلِيَهُ أَنْ
يَكُونَ بِهِ غَيْرَ النَّهْرِ «العاصي» أَوْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ سِوَى الْبَلَدِ الْمَعْرُوفِ «مَعْرَةً».

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي تُهدي إليه سلاماً تُمسحُ أُنْدِيَتُهُ
بِالسُّحَابِ، وَثَنَاءٌ يَأْتِي بِهِ جِمَى حَمَاةٍ وَقَرُونُهَا الْمَنْشُورَةُ بِالْوَيْتَةِ مَعْقُودَةُ الذُّوَابِ».

دُعَاءٌ آخَرَ وَصَدْرُ: «وَحَمَى حَمَاهُ، وَزَانَ مَوَكِبَهُ بِأَحْسَنِ حِمَاهُ، وَحَسَّنَ كُنَائِنَ
سَهَامِهِ الَّتِي لَا يَصْلُحُ لَهَا غَيْرَ بَلَدِهِ حَمَاهُ».

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي تُهدي إليه سلاماً تحمله إليه الركائبُ
السائرة، وَثَنَاءٌ تَشْرُقُ مِنْهُ الْكَوَاكِبُ أضعافَ ما تُرِيهِ أَفْلَاكُ الدُّوَالِبِ الدَّائِرَةِ».

السادس : نائب صَفَد

من هذه النسبة وما يقاربها.

والدعاء نحو قولنا: «وَشَكَرَ هِمَمَهُ الَّتِي وَفَّتْ، وَعَزَائِمَهُ الَّتِي كَفَّتْ، وَسَرَّ بِكِفَالَتِهِ
بِلَدًّا مِنْذُ وَلِيهِ^(١) قِيلَ: صَفَدٌ قَدْ صَفَّتْ».

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي تُهدي إليه سلاماً لا تزال شعائره
تُقام، وَثَنَاءٌ مُذْهَبٌ عَلَى بَلَدِهِ قِيلَ: إِنْ هَوَاءَهَا يَشْفِي الْأَسْقَامَ».

دُعَاءٌ آخَرَ وَصَدْرُ: «وَلَا زَالَتْ مَسَاعِيهِ تَسُوقُ إِلَيْهِ الْحِظُوظَ الْبَطِيئَةَ، وَتَقَدَّمَ لَهُ
الْعِلْيَاءُ مِثْلَ الْمَطِيئَةِ، وَتَهْنِئَةٌ بِمَا خُصَّ بِهِ مِنْ صَفَدٍ وَهِيَ الْعَطِيئَةُ».

(١) في الصحيح: «وأعلى به بلداً منذ وليه».

صدرت هذه المكاتبَةُ إلى الجنابِ العالِي تُهْدِي إليه سلاماً يَحْيِيهِ في محلِّه،
وثناءً يودع في مَعْقَلِهِ الَّذِي لا تصل أَعْلَى الشَّوَامِخِ إلَّا إلى ما سَقَلَ من ظِلِّهِ، وتوضيح
لعلمه . . .»

فأما عَامَّةُ المكاتباتِ فأعلم أنها تنقسم إلى أقسام:

قسمٌ لأربابِ السُّيُوفِ، وقسمٌ لأربابِ الأَقْلَامِ، وقسمٌ لأهلِ الصَّلَاحِ.

ثم قسمٌ لأربابِ السُّيُوفِ على أقسام:

قسمٌ في مقدِّمي الأَلفِ، وقسمٌ في الطَّبَلْخاناتِ^(١)، وقسمٌ في العشراتِ،
وقسمٌ فيمن دون ذلك.

ثم قسمٌ لأربابِ الأَقْلَامِ على أقسام:

قسمٌ في الوزراءِ، وقسمٌ فيمن يجري مجرى الوزراءِ ولا صريحٌ له بها، وقسمٌ
في القضاةِ والعلماءِ.

وأما القسمُ الثالثُ^(٢) فواحد.

القسمُ الأوَّلُ: في أربابِ السُّيُوفِ

وهو أَجَلُّ الأقسامِ، وأجَلُّه قسمٌ مقدِّمي الأَلفِ. وأعلم أنَّ مقدِّمي الأَلفِ
بِالأبوابِ السلطانيةِ لكبارهم أُسُوَّةُ كبارِ النَّوَابِ بالممالكِ كالشامِ وحلبِ، ولأوسطهم
أُسُوَّةُ أوسطهم كحماةِ وطرابُلُسِ وصَفَدِ، ولأصغرهم أُسُوَّةُ أصغرهم كغزَّةِ وحِمَصِ؛

(١) أمراء الطبلخانات: يكون تحت إمرتهم دون المائة من المماليك. ويتراوح عدد مماليتهم من الأجناد ما بين ثمانين وأربعين. والطلبخاناه هي طبول متعددة معها أبواق وُزُمِرٌ تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص تدق في كل ليلة بالقلعة (مقرَّ السلطان) بعد صلاة المغرب، وفي المواكب الرسمية أو في الأمور الهامة. وكان القواد من فئة أمراء الأَلفِ وأمراء المئين وأمراء الطبلخانات لهم الحقُّ بطلبخاناه، أي بتنظيم فرقة موسيقية ملحقة بجندهم.

(صحيح الأعمش: ٨/٤؛ والتعريف بمصطلحات صحيح الأعمش: ٤٣؛ ومنطلق تاريخ لبنان: ١٢٧).

(٢) أي أهل الصلاح.

فأعلم ذلك وقس عليه . وقد التحق بهم رَسْمُ المكاتبات لمقدمي الألوْف بالشام، إلا أنه لا يبلغ بأحد منهم مبلغ كبار النَوَّاب .

وأما بحلب فلكبارهم أسوةُ صغار النَوَّاب، ولصغارهم دون ذلك .

ثم الذي نقوله أن لكبار المقدمين بالأبواب السلطانية: «الجناب الكريم» ثم «الجناب العالي» ثم «المجلس العالي»^(١).

وبدمشق: «الجناب العالي» ثم «المجلس العالي» .

وبحلب: «المجلس العالي» ثم «المجلس السَّامي» بالياء^(٢).

وبطرابلس: بالسامي، بالياء، بغير زيادة ولا نقص .

قسم الطَّبَلَخَانَات

وَأَعْلَمُ أَنْ فِي أَمْراءِ الطَّبَلَخَانَاتِ مِنْ يُكْتَبُ لَهُ «المجلس العالي» كَمَنْ يَكُونُ مَعِيناً لِلتَّقْدِمةِ، وَلَهُ عَدَّةٌ سَبْعِينَ فَارِساً أَوْ ثَمَانِينَ فَارِساً أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَكالمَقْرَبِينَ مِنْ الخاصِكيَّةِ^(٣)، أَوْ مِنْ لَهُ عَرَاقَةٌ فِي نَسَبِ كِبَاقِيا الملوِكِ، أَوْ أَرْبابِ وَظائِفِ جَليلةِ:

(١) قال القلقشندي في صبح الأعشى: ١٥٩/٧ «هذا على ما كان في زمانه (أي زمان العمري)؛ أما على ما استقر عليه الحال آخرأ فإنه يكون لكبارهم: المقرّ الكريم، كما يكتب للأتابك الآن، ثم الجناب الكريم، ثم الجناب العالي، ثم المجلس العالي» .

(٢) أي بياء النسب، أو الياء المشددة آخرأ .

(٣) يقول دوزي: إن كلمة «خاصكي» مكونة من الكلمة العربية «خاص» أضيفت إليها الكاف وهي علامة التصغير في الفارسية، ثم ألحقت بها ياء الإفراد الفارسية أيضاً (وهي تقوم مقام التنوين في الاسم المفرد في العربية) وذكر دوزي أن البعض أخطأ حين ظن أن الخاصكي غلام من خدام الملك . وقد أورد خليل الظاهري في «زبدة كشف الممالك» تعريفاً واضحاً للخاصكي يقول فيه: الخاصكية هم الذين يلازمون السلطان في خلواته، ويسوقون المحمل الشريف، ويتعنون بكوامل الكفّال، ويجهزون في المهمات الشريفة، ومتعنون للإمرة، والمقربون في المملكة . كان عدّتهم في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أربعين خاصكياً، ثم ازدادوا على ذلك حتى صاروا في أيام الملك الأشرف برسبائي نحو ألف خاصكي، ومنهم من هو صاحب وظيفة، ومنهم من ليس له وظيفة .

(انظر: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل للدكتور أحمد السعيد سليمان . ص ٨١ - ٨٥؛

وزبدة كشف الممالك: ١١٥ - ١١٦)

كحاجب كبير، أو أستاذ دار^(١) جليل، أو مدبر^(٢) دولة لم يصرِّح له بالوزارة، أو دَوَادار^(٣) متصرِّف، وهؤلاء كلُّهم، إن كُتِب لهم «بالمجلس العالي»، فإنه يُكتب لهم بغير افتتاح بالدعاء، والمكاتبه إليهم «بالعالي» على سبيل العَرَض لا الاستحقاق، وإلا فأنجُلُ رسم مكاتبه أمراء الطبلخانات: «السامي» بالياء، ولجمهورهم - مصرراً أو شاماً - من التُّرك والتُّركمان والأكراد: «السامي» بغير الياء؛ فأعلم ذلك.

(١) بهذا الرسم في ط. ق. وفي صبح الأعشى «إستدار» وترد في أكثر الحالات «استادار». وقد اختلف في تأصيلها، فقال القلقشندي إنها مركبة من لفظين فارسيين: أحدهما «إستد» ومعناها الأخذ، والثانية «دار» ومعناها الممسك، فأدغمت الذال الأولى وهي المعجمة في الثانية وهي المهملة فصار «إستدار» والمعنى: المتولي للأخذ. سُمِّي بذلك لأنه يتولى قبض المال. قال: ويقال فيه «ستدار» بإسقاط الألف من أوله وكسر السين. والمتشدِّقون من الكتاب يضمُّون الهمزة في أوله ويلحقون به ألفاً بعد التاء فيقولون «أستادار» وربما قالوا «أستاذ الدار» ثم قال: وهو خطأ صريح. - صبح الأعشى: ٤٥٧/٥.

غير أن القلقشندي نفسه ذهب إلى هذا الخطأ الصريح لثبوتِه في زمنه فاستعمل لفظ «أستاذ الدار» في صبح الأعشى: ٣٤٢/١١. كما وقع في نفس الخطأ كل من الإمام عبد الوهاب السبكي في معيد النعم، والنويري في نهاية الأرب: ٢٢٤/٨. ويقول الدكتور أحمد السعيد سليمان في تأصيل الدخيل إن «إستد» التي ذكرها القلقشندي هي «ستد» الفارسية بكسر السين وفتح التاء المثناة من فوق ثم دال مهملة ساكنة، ومعناها: الأخذ.

وعلى ذلك يكون الرسم الصحيح للفظ هو «ستدار». والستُّدار أو الأستاذار - كما هو شائع - يشرف على الواردات الخاصة بالسلطان المملوكي، ويشرف على كل من بالقصر من خدم المطبخ والشرابخانة والغلمان، وهو الذي يسلمهم رواتبهم (الجامكية) وكل ما يحتاجون إليه لعملهم أو لأنفسهم. وهو المسؤول عن فتح باب القصر وإغلاقه.

(٢) مدبر الدولة: من ألقاب الوزراء وكتاب السر. (صبح الأعشى: ٦٩/٦، ١٤٦).

(٣) من الكلمة العربية «دواة» ومن الفارسية «دار» بمعنى صاحب والقيم. والمراد: صاحب الدواة. وهي وظيفة أحدثها السلاجقة (النجوم الزاهرة: ١٨٥/٧). وكانت الدوادارية في دولة المماليك وظيفه صغيرة في البداية ثم ما لبثت أن عظمت في منتصف القرن الرابع عشر. فبعد أن كان يليها أمراء العشرات أو الطبلخانات، وليها أمراء الألوف أي أمراء الدرجة الأولى، وكان ذلك في عهد الناصر حسن. وفي عهد الأشرف شعبان ولي أقبغا الدوادارية فعظم شأنها حتى صارت كنيابة السلطنة. وفي أيام الناصر فرج بن برقوق كان الدوادارية يشرفون على البريد والمالية وعلى العزل والنصب والقضاء. (تأصيل الدخيل: ١١٠ - ١١١). أما في الأصل فإن صاحب وظيفة الدوادارية هو الذي يحمل دواة السلطان ويتولى أمرها مع ما يلحق ذلك من المهمات نحو تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور وتقديم القصص إليه وتقديم البريد. (صبح الأعشى: ٤/١٩ و ٥/٤٦٢ - وخطط المقرئ: ٢/٢٢٢)

قسم العَشَرَات

اعلم أن لكلهم «مجلس الأمير»، فإن زيد قَدْرُ أحدٍ لسببٍ ما كُتِبَ له «المجلس السامي» بغير الياء.

وقسم من دون ذلك كمقدّمي الحَلَقَة^(١) والجنود؛ فللمقدّمين أسوة أمراء العشرات في المكاتبه. وأما الجند: «فالأمر الأجل»، وأما جند الأمراء «فالتواشي»، فأعلم ذلك.

(١) هناك اختلاف على مصدر كلمة «حلقة» وعلى طبيعة تكوين فرق «أجناد الحلقة» في الجيش المملوكي.

فكاترمير Quatremère يقول إن الجيش المملوكي سمي بأجناد الحلقة لأنه كان يحيط بالسلطان؛ وبولياك Poliak يعتبر أن الاسم جاء من نظام الفروسية التركي، بحيث أن الأجناد كانوا يحيطون بالأعداء إن في الصيد أو في الحرب. ومن حيث تكوينهم يعتبر Demombynes أن جند الحلقة هي فئة من الجيش المملوكي مكونة من محترفي الجندية من ممالك السلاطين السابقين «أولادهم»، وهم أقرب الفئات إلى نظام الجيش الثابت في العصور الحديثة. ويقدم المؤرخ كمال الصلبي في كتابه: منطلق تاريخ لبنان تعريفاً مناقضاً لما قدمه Demombynes فيقول: وجند الحلقة في عرف دولة المماليك هم رديف من الفرسان الأحرار، أي من غير المماليك، تنتقيهم الدولة من بين العناصر المحلية في مختلف المناطق للمساعدة في الحفاظ عليها.

والواقع أن أجناد الحلقة لم يكونوا دائماً من فئة واحدة؛ فقد تكونوا في البداية من المماليك الذين كان ينشئهم السلاطين دون فئات ممالك الأمراء، ثم ازداد عدد أجناد الحلقة بمن انضم إلى الجيش المملوكي من التتار والوافدية، واعتبر أيضاً من أجناد الحلقة بعض أرباب الحرف والصنائع على أثر ضعف الجيش المملوكي، إذ كان يعهد أفراداه إلى بيع إقطاعاتهم إلى أهالي البلاد، وأضيف أحياناً إلى أجناد الحلقة ممالك الأمراء الذين انحلت إقطاعات أسانذتهم، واعتبر أيضاً من أجناد الحلقة العربان والأكراد والتركمانيان بحيث تركز عملهم في حماية أطراف الدولة والاشتراك بفرسانهم في الحرب عندما كانت تدعو الحاجة إلى ذلك. وكان أجناد الحلقة يقسمون من حيث العمل الذي يؤدونه إلى أربعة أقسام: البحرية وهم حرس السلطان في القلعة، ومماليك الغيبة الذين كان يعينهم السلطان في مراكز محددة إبان غيابه، ومنهم من كان يرسلهم السلطان في سفاراته؛ والباقي فرق تخدم في بيوت الأمراء. وقد شكل أجناد الحلقة عصب الجيش المملوكي، غير أن دورهم تراجع مع ازدياد نفوذ المماليك السلطانية وتدخلهم المباشر أحياناً في السياسة الداخلية. وبلغ عددهم كما ذكر خليل الظاهري أربعة وعشرين ألفاً، كل ألف منهم مضاف إلى أحد الأمراء مقدمي الألف، كل مائة من الألف لهم «باش» ونقيب.

(انظر: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ١٥ - ١٦؛ وصبح الأعشى: ١٥/٣؛ وزبدة كشف الممالك: ١١٥ - ١١٦؛ ومنطلق تاريخ لبنان: ١١٩؛ والدولة المملوكية لأنطوان صومط: ٥٦ - ٥٩).

القسم الثاني: في أرباب الأعلام

والأول قسمُ الوزراء. ولم تزل مُكاتبةُ أجلاء الوزراء بـ «المجلس العالي». ثم كتب لآخرهم بالديار المصرية «الجناب العالي»، وكُتبت بالشام للصاحب عز الدين، أبي يعلى، حمزة بن القلانسي^(١) - رحمه الله - لجلالة قدره وسابقة خدَمه وعناية من كتب إليه بها. والذي استقرَّ عليه الحال للوزير بمصر «الجناب العالي»، وللوزير بالشام «المجلس العالي» بالدعاء، كما كتب للصاحب أمين المُلك^(٢).

[والثاني] قسم من يجري مجرى الوزراء ولا صريح له بها، مثل ناظر الخاص^(٣)، وكاتب السرّ، وناظر الجيش، وناظر الدولة، وكاتب السرّ بالشام، وهؤلاء كلهم بـ «المجلس العالي» والدعاء. وأما ناظر الدولة بالشام «العالِي» بغير الدعاء وناظر الجيش بالشام، وناظر الدولة بحلب، وكاتب السرّ بها، وناظر الجيش بها وناظر طرابلس، وكاتب السرّ بها «فالسامي» بالياء. وبهذه المكاتب يُكتب لموقعي الدسّت مصرًا وشامًا. فأما من دون هؤلاء فبغير الياء، ثم «بمجلس القاضي» أو «الصدر». وأما النظّار بحماة وصدف وغزة وحمص وكاتب الإنشاء بها فلا يستحقّ أحدهم منهم أكثر من «السامي» بغير الياء^(٤).

[والثالث] قسم القضاة والعلماء والأئمة وأكابرهم، مثل قضاة القضاة بمصر والشافعي خاصة بالشام - كل منهم بـ «المجلس العالي». وبقية قضاة القضاة

(١) ولي وكالة السلطان والوزارة في الشام. وأنشأ دار الحديث القلانسية، وإليه نسبتها. توفي سنة ٧٢٩ هـ (الأعلام: ٢٧٧/٢).

(٢) أحد وزراء الناصر محمد بن قلاوون. وكان تعريفه: مديّر الممالك الشريفة بالشام المحروس.

(٣) هو الذي يتولى النظر في خاص أموال السلطان.

(٤) قال القلقشندي في الصبح: ١٦٤/٧ «وكان العمري يريد ألقاب هؤلاء في الجملة، إما في مكاتب تكتب بسبب أحد منهم، وإما في توقيع ونحوه يكتب لأحدهم؛ وإلا فمن ذكره من الأصاغر لا يُكتب الأبواب السلطانية عادة. والذي صرح في «التثقيف» بذكر المكاتب إليه من هذا الضرب نفران: كاتب السرّ إذا تخلف عن الركب السلطاني لعارض، وناظر الخاص الشريف.

الحنفيّ والمالكيّ والحنبليّ بالشام، والحنفيّ والشافعيّ بحلب، وقاضي القضاة بطرابلس، وقاضي القضاة بصفد، ووكيل بيت المال المعمور بالديار المصرية، والخطيب بالشام، ووكيل بيت المال بالشام، ومن يجري مجراهم بـ «المجلس الساميّ» بالياء. وقد صار المُحتسب بمصر والشام كذلك. وأما من دونهم من أرباب الوظائف الدينية وبقية العلماء وأكابرهم بـ «الساميّ» بغير ياء، ومن دونهم بـ «مجلس القاضي» أو «الشيخ» على قدر اللائق بذلك الشخص^(١).

القسم الثالث: أهل الصلاح

وهؤلاء ما يخرج بهم عن «المجلس الساميّ الشيخي» أو «المجلس الساميّ الشيخ» أو «مجلس أو حضرة الشيخ» أو «الشيخ». ويسوّون في الألقاب المفردة؛ وأما المركبة فيتفاوتون فيها بحسب أحوالهم، فيزيد بعض وينقص آخرون.

الرُسوم في الكتب إلى أمراء العربان

اعلم أن المكاتبين من العربان بديار مصر وبرقة واليمن والحجاز والشام والعراق والبحرين أمم لا يقدر فيهم على الاستيعاب، وإنما نذكر جملاً كافية دالة فنقول:

١- أمّا العرب بمصر في الوجهين القبليّ والبحريّ فجماعات كثيرة وشعوب وقبائل لكنهم على سعة أموالهم وآنساع نُطق جماعاتهم ليسوا عند السلطان في الذروة ولا السنام، إذ كانوا أهل حاضرة وزرع، ليس منهم من يُنجد ولا يُتهم، ولا يُعرق ولا

(١) قال القلقشندي: «وكانه يريد مطلق الألقاب كما تقدّم في غيره، وإلا فهؤلاء لا يكتبون عن الأبواب السلطانية. قال: ولم يذكر صاحب التتيف مكتبة لأحد من أرباب الوظائف الدينية سوى قاضي القضاة تاج الدين الإخنائي المالكي، وقد حجّ في سنة ٧٦٧ هـ في الدولة الناصرية «حسن»، جواباً عما ورد منه. قال القلقشندي: وقد رأيت في «إيقاظ المتغفل» لابن المتوجّح أنه كتب إليه وهو مجاور بمكة: «أعزّ الله تعالى أحكام المجلس العالي».

يُشتم، ولا يخرجون عن حدود الجدران، وعلى كلِّ حال (فالمندلُ العرف^(١)) في أرجائه حَطْبُ).

وأنبهم أمراء عرب البحيرة، وهم أشبه القوم بالتخلُّق بخلائق العرب في الحَلِّ والتَّرحال، يُغربون إلى القيروان وقابس، ويفدون على الحضرة [السلطانية] وفود أمثالهم من أمراء العرب. والإمرة [فيهم] لمحمد بن أبي سليمان^(٢) وقائدبن مقدم.

ورسّم المكاتبه إلى كل منهما: «صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس السامي الأميري»^(٣). والعلامة السلطانية: [أخوه]^(٤). - وأما من دونهما فنجم بن هجل شيخ عائذ^(٥) بالشرقية.

ورسّم المكاتبه إليه: «هذه المكاتبه إلى المجلس السامي الأمير».

- وناصر الدين عمر بن فضل بالصعيد. ورسّم المكاتبه إليه مثل نجم.

- وشيخ الحداربه سمرة بن مالك^(٦)، وهو ذو عدد جم وشوكة منكية، يغزو الحبشة وأمم السودان، ويأتي بالنهاب والسبايا، وله أثر محمود، وفعل مأثور. وقد على السلطان وأكرم مئواه، وعقد له لواء وشرف بالتشريف وقلد [ذلك]، وكتب إلى

(١) كذا في ط ق. وفي الصحيح: «المندل الرطب». والمندل والمندلي: عود الطيب الذي يتبخر به؛ منسوب إلى «المندل» من بلاد الهند. (اللسان: ندل)

(٢) قال العمري في مسالك الأبصار: «وكان آخر عهدي أن الإمرة على عُربان البحيرة لقائد بن مقدم وخالد بن أبي سليمان. ثم لم أعلم ما حالت به الأحوال وجزت بعدي به تصاريف الدهور».

(انظر مسالك الأبصار: قبائل العرب في القرنين السابع والثامن: ١٨٠)

(٣) في الصحيح: «المجلس السامي، الأمير»

(٤) الزيادة من الصحيح. وهي ساقطة من ط ق.

(٥) قال في مسالك الأبصار: «وأما العائذ فكثير في العرب، والمشهور منها بمصر عائذ جذام».

(٦) في ط ق «بن ملك» والتصحيح من الصحيح ونهاية الأرب للقلقشندي. والحداربه بطن من العرب بسواكن من بلاد البجاة.

ولاية الوجه القبلي عن آخرهم وسائر العُربان بمساعدته ومعاضدته، والركوب للغزو معه متى أراد. وكتب له منشورٌ بما يفتح من البلاد، وتقليدٌ بإمرة العربان القبليّة مما يلي قوصَ إلى حيث تصل غايته، وتُرَكز رأيتُه.

ورسّم المكاتبه إليه: «السّامي الأمير» كمن تقدّم.

٢- وأما عربُ بَرَقَة فلم يبقَ فيهم من يُكاتب إلا جعفرُ بن عمر^(١)، وكان لا يزال بين طاعة وعصيان، ومُخاشنة وليّان، وكانت أمراء عرب البحيرة تُغري به، وتغيّر خاطرُ السلطان عليه، والجيوشُ في كل وقت [تتهدّد]^(٢) إليه، وقلّ أن ظفّرت منه بطائل أو رجعت بمغنم، وإن أصابته نوبة من الدهر. وآخر أمره أن ركب طريق ألواح^(٣) حتى خرج من الفيوم^(٤) وطرق باب السلطان لائذاً بالعفو، ووصل ولم يسبقْ به خبر ولم يعلم السلطان به حتى استأذَنَ المستأذِنُ له عليه وهو في جملة الوقوف بالباب، فأكرم أتمّ الكرامة، وشُرف بأجلّ التشاريف وأقام مدةً في قريّ الإحسان وإحسان القريّ، وأهله لا يعلمون بما جرى، ولا يعرفون أين يمّم ولا أيّ جهة نحا، حتى أتتهم وافداتُ البشائر، وجاءتهم منه ليتحقّقوا صحّة خبره الأماثر، وقال له السلطان: لأيّ شيء ما علمت أهلك بقصدك إلينا؟ فقال: خِفْتُ أن يقولوا: يفتك بك السلطان، فأثبّط. فأستحسن قوله، وأفاض عليه طوّله. ثم أعيد إلى أهله، فأنقلب بنعمة من الله وفضلٍ لم يمسه سوء، ولا رثى له صاحب، ولا شيمت [به] عدوّ.

(١) قال في مسالك الأبصار: «جماعة جعفر بن عمر وهم: قتيل، المثانية، الباسة، عرّعة، العظمة، العكمة، المزابل، العرّة. ومن جملة هؤلاء العرّة الجعافرة جماعة جعفر بن عمر. ومنازلهم من سوسة إلى بئر السدرة، وهي آخر حدود الديار المصرية، ومسافتها عن الإسكندرية نحو شهر بسير القوافل».

(٢) في طق «تنهل».

(٣) الواحات في مصر، وأحدتها واح، على غير قياس. وهي ثلاث كور في غربي مصر ثم غربي الصعيد. الأولى تسمى الخارجة والثانية الداخلة والثالثة الخاص.

(الانتصار: ١١/٥؛ ومعجم البلدان: ٣٤١/٥).

(٤) الفيوم: محافظة مصرية تحتلّ منخفضاً في الصحراء الليبية غربي محافظة بني سويف. وعاصمتها مدينة الفيوم.

وَرَسَمُ المَكاتِبَةِ إِلَيْهِ: «السَّامِي الأَمِير» مِثْل الأَوَّل.

٣ - وأما اليمَن فقد كانت كُتِبَ أُمراء الأشراف وردت على حضرة السلطان، ولا يحضرني الآن أسماؤهم، وإنما كُتِبَ إليهم نسبة هذه المكاتبة إلَّا المنسوب إلى قُربى الإمام فكتب إليهم بـ «السَّامِي» بالياء؛ وأما الإمام فقد تقدَّم ذكره.

وممن يُكاتب من عرب اليمَن: الدَّوَّاسِرُ وَزُبَيْدٌ. كان [ذلك] إلى رجالٍ منهم بسبب خيل تسمَّى للسلطان عندهم، وكنا نكتب إليهم على قَدْر ما يظهر لنا بالاستخبار عن مكانة الرجل منهم. وكلُّها ما بين «المجلس السامي الأَمِير» وما بين «مجلس الأَمِير» ليس إلَّا.

٤ - وأما الحِجَاز فَعُربانُه على قسمين: قسمٌ منهم أهلُ الدَّرَينِ المِصرِيِّ والشامِيِّ؛ وليس فيهم من هو في عِيرٍ ولا نَفيرٍ، ولا [يحلُّ] (١) في ذِرْوَةٍ ولا غارِبٍ. وأجلُّ مَنْ فيهم إذا كُتِبَ له «مجلس الأَمِير» كان كمن سُورَ وطُوقَ، لا بل طِيلِسَ وتَوَّجَ. وأما أمراؤه السُّراةُ فشيوخٌ لأمِّ وخالدٍ [والمُنتَفِق] (٢) وعائذُ الحِجَاز؛ وهؤلاء من كان منهم المشار إليه كُتِبَ إليه: «صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامي الأَمِيرِي»؛ والعلامةُ

(١) في طق «يمَل».

(٢) في طق «والصبح «المتفق» بالياء المثناة تحت. والتصحيح من مسالك الأبصار ومعجم قبائل العرب ونهاية الأرب.

- وبنو لام: ينتسبون إلى لام بن عمرو بن طريف بن ثمامة بن... خارجة بن فطرة بن طيء. وكانت ديارهم جبلا طيء: أجا وسلمى.

- أما بنو خالد فيدعون بنوة خالد بن الوليد. قال ابن حزم في الجمهرة: وكثر ولد خالد بن الوليد حتى بلغوا نحو أربعين رجلاً. وكانوا كلهم بالشام، ثم انقضوا كلهم في طاعون وقع فلم يبق لأحد منهم عقب. ونقل العمري في مسالك الأبصار عن الحمداني قوله: وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقب خالد بن الوليد. ويذكر الفلقشندي في نهاية الأرب أربع جماعات باسم «خالد» من قبائل مختلفة، وجميعهم يدعون الانتساب إلى خالد بن الوليد.

- وعائذ: بطن من سعد العشيرة من القحطانية. قال في مسالك الأبصار: ودارهم من حرمة إلى جلاجل والتوب ووادي القرى.

- والمنتفق: بطن من عامر بن صعصعة من العدنانية.

الشريفة إليه «أخوه». ثم من يليهم «بالسامي» بغير ياءٍ ثم الأعيانُ من بقيتهم «مجلس الأمير».

٥ - وأما عربان الشام فهم جُلُّ القوم وعَيْنُ الناس، ولا عناية للملوك إلا بهم، ولا مبالاة بغيرهم. ورأس الكل آل فضل، وآل مراء، وآل عليّ وهم من آل فضل. وفضل وميراء أخوان، وهما من سلسلة من طيّء وهم يزعمون أنهم من ولد عليّ بن جعفر بن يحيى البرمكيّ من العباسة بنت المهدي؛ ولو اقتصروا على عددهم في طيّء كان أبذخ لشرفهم وأقوم لفخارهم^(١)، إذ لا تعدل العرب بفارس. وأما جماعاتهم فمن أشتات العرب على اختلاف الشعوب والقبائل مستخدمون معهم أو منضمّون إليهم.

أ - والبداءة بآل فضل، إذ كانوا في نحر العدو، ولهم العديد الأكثر، ولهم المال الأوفر. وآل عليّ منهم، وإنما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مهنّا. وبقي عيسى بن مهنّا جارّ الفرات في تلايب التتار، ولهذا يضاعف إكرامهم، وتوفّر لهم الإقطاعات، وتُسنى العطايا. وقد صاروا الآن أهل بيتين: بيت مهنّا بن

(١) مراده: لو اقتصروا على نسبتهم إلى طيّء من العرب كان... الخ. قال العمري في مسالك الأبصار: وأصلهم إذا نسبوا إليه أشرف لهم لأنهم من سلسلة ابن عُنين بن سلامان من طيّء؛ وهم كرام العرب وأهل البأس والنجدة فيهم. والبرامكة وإن كانوا قوماً كراماً فإنهم قوم عجم، وشتان بين العجم والعرب!

قال المهندار الحمداني: وزعموا أنهم من ولد جعفر من أخت الرشيد التي عقد له عليها - كما قالوا - لتخرج عليه على أنه لا يطؤها، فوطئها على حين غرة، فحبلت بغلام كان هذا ربيعة من بني. قال: وهذا الخبر ليس بصحيح! وإن كان صحيحاً فقد دفنت المرأة وولدها كما قيل في تمام الحكاية، ولم يُعلم لهما أثر.

قال الحمداني: والأصح في نسب ربيعة [وآل فضل منهم] أنه ربيعة بن حازم بن عليّ بن مفرّج بن دغفل بن جراح... بن عُنين بن سلامان بن نُعل بن عمرو بن الغوث بن طيّء. قال العمري: وأما نسب ربيعة إلى برمك فقالوا: ربيعة بن سالم بن شبيب بن حازم بن عليّ بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك.

(انظر مسالك الأبصار: ١١٢ - ١١٤؛ وصبح الأعشى: ١/٣٢٤ - ٣٢٥).

عيسى [وهو المعبر عنه بأمير آل فضل] ^(١) وبيت فضل بن عيسى. وتقسّمت بقية بني عيسى قسمين مع أهل كل بيت منهما قسم ^(٢).

والمكاتبة إلى الأمير منهم: «أدام الله نعمة المجلس العالي، الأميري» بألقاب جلييلة معظمة مفخمة.

وأما من هو نظيره أو مُدانيه وعدته الإمرة، فرسم المكاتبة إليه:

«صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالي»، ومن دونه «السامي الأميري». وكل هؤلاء لهم العلامة الشريفة «أخوه». فمن دون هؤلاء «السامي الأمير». والعلامة الشريفة: الاسم الشريف ^(٣).

ب - وأما أمير آل عليّ فرسم المكاتبة إليه: «صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامي الأميري» والعلامة الشريفة «أخوه» ^(٤).

ج - وكذلك أمير آل مراء، ومنازلهم بلاد حوران. ومن دون هؤلاء من أقاربهم

(١) الزيادة من الصبح عن التعريف. ونقل القلقشندي عن ابن ناظر الجيش أنه كان في زمانه قارا بن مهنا، ثم كان في دولة الظاهر برقوق محمد نعيم بن حيار بن مهنا بن عيسى، ثم استقر بعده في دولة الناصر فرج ابنه العجل. قال: وهو المستقر إلى الآن (أي إلى النصف الأول من القرن التاسع الهجري). - الصبح: ١٨٥/٧.

(٢) نقل العمري في مسالك الأبصار عن الحمداني قوله: «وقد صار آل عيسى بيوتاً: بيت مهنا بن عيسى، وأميرهم وأمير سائر آل فضل أحمد بن مهنا. وبيت فضل بن عيسى، وأميرهم سيف بن فضل. وبيت حارث بن عيسى، وأميرهم قناة بن حارث. وأما أولاد محمد بن عيسى وأولاد حُذينة بن عيسى وآل هبة بن عيسى فأتباع. قال: وهذا البيت أسعد بيت في العرب في وقتنا الذي أشرقت فيه طوابع سعودهم وأينع فيهم مخضّر عودهم. وأما بقية بيوت آل فضل فمنهم آل فرج، والأمير فيهم زيد بن طاهرة وغنام بن وهيب؛ وآل سُمَيْط، والإمرة فيهم في صافية بن حجيرة بن الصميد؛ وآل مسلم، والإمرة فيهم في طامي بن عباس؛ وآل عامر، والإمرة فيهم في بني عامر بن دراج».

(٣) وذكر في «التثقيف» أسماء جماعة من أكابر بيت مهنا بن عيسى، وبيت فضل بن عيسى وذكر لكل منهم رسم مكاتبة.

(أنظر صبح الأعشى: ١٨٦/٧).

(٤) ذكر ابن ناظر الجيش في «تثقيف التعريف» أن العلامة «والده».

لأعيانهم «السامي الأمير»، ولمن دونهم من الصغار «مجلس الأمير»، فهؤلاء الأمراء المنظور إليهم بالإجلال الموفّر لهم حظّ الإقبال.

د - ودون هؤلاء بنو عَقْبَة. ورسم المكاتبة إلى أميرهم مثل أمير آل مرأ، وكذلك رسم المكاتبة إلى أقربائه كأقرباء أولئك.

هـ - وأما بنو مَهْدِيّ، ومنازلهم البلقاء [من مضافات دمشق] ونسبهم في عَدْوَة^(١)، فأمرتهم في أربعة^(٢)، رسم المكاتبة إلى كل منهم: «مجلس الأمير».

و - وكذلك عرب غَزَة^(٣) فأمرتهم آل فضل بن [حجّي]^(٤) ورسم المكاتبة إليه: «مجلس الأمير».

وأما العرب الذين بالحفار^(٥) وهي منازل الرمل فلا يؤنّه إليهم، ولا يُعبأ بهم.

ز - أما بقية عرب الشام نحو زُبَيْد المَرَج، وزُبَيْد حوران، وخالد حمص، والمشاركة، [وغزّية]^(٦) إذا أطاعوا، وزُبَيْد الأحلاف فأجلّ كبرائهم وأشياخهم من يُكتب له «مجلس الأمير» وهؤلاء جملة عرب الشام.

٦ - وأما عرب العِراق: وهم عبادة وخَفَاجَة^(٧)؛ ومن بني عبادة بنو عَزّ، وهم

(١) كذا في ط ق. وصوابه «عُدْرَة»، وهم عُدْرَة من قضاة من جَمِير بن سبأ من الفحطانية. (الصحيح: ٢١٣/٤).

(٢) سَمَى ابن ناظر الجيش أمراءهم في زمانه وهم: بربون ذئب بن محفوظ العنسيّ، وسعيد بن بحري بن حسن العنسيّ، وزامل بن عبيد بن محفوظ العنسيّ، ومحمد بن عباس بن قاسم بن راشد العسري. (الصحيح: ٢١٣/٤)

(٣) المراد «بنو جَرَم» ومرجعهم إلى طَيّء، ومنازلهم بلاد غَزَة. (الصحيح: ١٨٩/٧).

(٤) في ط ق «حمي» والذي أثبتناه من الصحيح ١٨٩/٧ وضوء الصحيح: ٣٢١

(٥) منطقة من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر. أولها رَفَح من جهة الشام وآخرها الخشي متصلة برمال تيه بني إسرائيل. وهي كلها رمال سائلة بيض.

(معجم البلدان: ١٤٥/٢ والمشارك: ١٠٤).

(٦) في ط ق «غزة» وهو خطأ.

(٧) ونسبهما في عامر بن صعصعة من قيس عيلان.

جماعةً فأجلُّ من يُكتب إليه منهم رَسْمه: «هذه المكاتبة إلى المجلس السامي الأمير».

٧ - وأما عَرَبُ البحرين: فمنهم قوم يصلون إلى باب السلطان وُصُولَ التِّجَارِ، يجلبون جِيَادَ الخيل وكِرَامَ المَهَارِي واللُّؤْلُؤَ وأمتعةً من أمتعة العراق والهند، ويرجعون بأنواع الحَبَاءِ والإِنْعَامِ والقُمَاشِ والسَّكَّرِ وغير ذلك، ويكتب لهم بالمسامحة^(١) فيردون ويَصُدُّرون. وببلادهم بلاد زَرْعٍ وِضْرَعٍ، وبرِّ وبحر، ولهم مَتَاجِرُ مُرْبِحةٍ، وواصِلهم إلى الهند لا ينقطع، وببلادهم ما بين العراق والحجاز، ولهم قصور مبنية، وآكَامٌ عليَّة، وريفٌ غيرُ مَتَسِعٍ، إلى ما لهم من النِّعمِ والماشية، والحاشية والغاشية؛ وإنما الكلمة قد صارت بينهم شَتَّى والجماعة مفترقة.

وَرَسْمُ المَكَاتِبَةِ إِلَى كِبْرَائِهِم: «بالسامي» بالياء. والعلامة الشريفة «أخوه». ثم ما دون ذلك لمن دونهم. فأعلم ذلك، فهو لأجل جملة العُربان المكاتبين.

وأما المَطْلَقَاتُ^(٢)

فأقسامها لا تخرج عن ثمانية أنواع: إلى الوجه القِبْلِيّ؛ وإلى الوجه البحريّ، وإلى عامَّةِ الديار المصرية، وإلى بعض البلاد الشاميَّة، وإلى كل البلاد الشاميَّة، وإلى بعض أولياء الدولة كالأمراء بدمشق أو حلب، وإلى قبائل العرب أو التركمان أو الأكراد أو بعضهم.

فهذه جملة ما يكتب فيها المطلقات.

(١) المسامحات: جمع مسامحة، وهي الجود والموافقة على ما أريد منه. وقد جرت العادة أن السلطان إذا سمح بترك شيء كتب به مرسوم شريف وشملته العلامة الشريفة. وهي على ضربين: المسامحات العظام، وما يكتب عن نواب السلطنة بالممالك الشامية. وغالب ما يكون في مسامحات التجار بمقرر وما يتعاونونه أو يشترونه أو بقدر معين يحصل الوقوف عنده، ويعبر عما يكتب منه بـ «التواقيع». وأكثر ما يفتح بـ «رسم بالامر».

(انظر صبح الأعشى: ٢٣/١٣ - ٣٩).

(٢) هي المكاتبات العامة إلى أهل المملكة.

(١) [والمُطلقات على ضربين :

الأول: المطلقات المكبّرة؛ وهي ما يُكتب إلى سائر النواب بالممالك الشريفة، خلا سبب فإنها مستجدة. غير أنه إن رُسم بإضافته إليهم فيحتاج إلى تحرير الحال في أمره: هل يُكتب له بعد نائب طرابلس أو بعد نائب صَفد؟ ولا يمكن أن يكون بعد مقدّم العسكر بغزة، ولا نائب الكرك، لأن رُتبته في المكاتبه أعلى منها؛ فإنها نظيرُ مكاتبه نائب طرابلس وحماة وصفد] (٢).

(١) [الثاني: المطلقات المصغرة]؛ وفي كلّها يُكتب: «مثالنا هذا إلى كل واقفٍ عليه من المجالس السّامية، الأمراء، الأجلّاء، الأكابر، المجاهدين، المؤيدين، الأنصار، الغزاة، الأنجاد، الأمجاد، أمجاد الإسلام، أشرف الأمراء، أعوان الدولة، عدد الملوك والسلاطين: الولاة، والنواب، والشاّدين» (٣)، والمتصرفين بالوجه الفلاني، أو بالديار المصريّة، أو بالبلاد الشامية، أو بالبلاد الفلانية، أو بالديار المصرية والبلاد الشامية وسائر الممالك الإسلاميّة. وقد يُزاد في هذا لمقتضيه: «والشغور والحصون والأطراف المحروسة».

فإذا كان إلى الممالك الإسلاميّة قيل: «بالديار المصرية، والبلاد الشامية،

(١) اتضح لنا من خلال مقابلة نصّ العمري في (طق) التي اعتمدها بالنصّ الذي أورده القلقشندي في كلامه على المطلقات، نقلاً عن التعريف للعمري، أن هناك سقطاً في طق، وقد نقلناه من الصبح ووضعه بين معقوفين، استكمالاً للنصّ وتتميماً للفائدة.

(انظر صبح الأعشى: ٢١٩/٧ - ٢٢٠)

(٢) قال القلقشندي: «هذا على ما كان الأمر استقرّ عليه من كونها نيابةً في أول الأمر؛ أما بعد استقرارها تقدّمةً عسكر، فإنه يكون بعد مقدّم العسكر بغزة: لأن كلاّ منهما مقدّم عسكر، ومقدّم العسكر بغزة أقدم من مقدّم العسكر بسيس. وأيضاً فإن غزّة مضافةً إلى دمشق، وسيس مضافةً إلى حلب، ودمشق أكبر من حلب» ثم أورد القلقشندي صورة المطلق المكبّر نقلاً عن التثيف لابن ناظر الجيش.

(انظر الصبح: ٢٢٠/٧).

(٣) الشّد: ترادف كلمة «التفتيش». ويسمى متولّي هذه الوظيفة: الشادّ، والجمع: الشادّون، ويضاف إليها جهة الاختصاص فيقال: شادّ الجوالي، وشادّ الأوقاف، وشادّ الدواوين وغير ذلك.

(انظر: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ١٩٣).

وسائر الممالك الإسلامية المحروسة، وما جاورها من البلاد الشرقية، والممالك القانية».

وقد يكون إلى جهة الروم فيقال: «وما جاورها من البلاد الرومية وما يليها».

فأما إذا كان إلى بعض أولياء الدولة نُظِرَ: فإن كان إلى عامة أمراء دمشق قيل: «صدرت هذه المكاتبه إلى المجالس العالية الأمراء» وبقية الألقاب من نسبة ما يكتب للمجلس العالي. فإذا انتهى إلى أعضاء الملوك والسلاطين، أو عضد الملوك والسلاطين - ويجوز إطلاق هذا الأفراد على الجمع - قال: «جماعة الأمراء مقدمي الألو، وأمراء الطبخانات، وسائر مجالس الأمراء أمراء العشرات، ومقدمي الحلقة المنصورة».

(٥)

فأما ما يكون لأمرء حلب أو غيرها من الممالك «بالسامية».

وإن كان لأمرء العُربان أو التركمان أو الأكراد كُتِبَ على عادة المطلقات «بالسامية» وكتب بعد «عُدَد الملوك والسلاطين»: «الجماعة الفلانية» أو غير ذلك مما يقتضي التعريف بمن كُتِبَ إليه.

ثم بعد «التعريف» في المطلقات: «الدعاء»، ثم الإفضاء إلى الكلام.

وفي آخر المطلقات يتعين أن يقال: «فليعلموا ذلك ويعتمدوه بعد الخط الشريف أعلاه» أو «وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخط الشريف أعلاه».

وعنوان المطلقات مخالف لعنوان الكتب المفردة للأحاد: فإن تلك في ظاهر الورق، وهذه في باطن الورق، فوق وصلين أو ثلاثة، فوق البسملة، إذ كانت لا تُختم. ويُقال فيها: «مثال كريم^(١) مُطلق إلى الولاية والنواب» أو غير ذلك من نحو ما في الصدر، ويضمّن العنوان ملخص ما فيه، ثم يقال: «على ما شرح فيه» أو «حسبما شرح فيه».

(١) في الصبح: «شريف».

وجميعُ المطلقات لا تُختَم، اللهم إلا بعض ما هو لأولياء الدولة، إذا كان في سرِّ يُكتب ولا يُراد إظهاره إلا عند الوقوف عليه، فيُختَم على عادة الكتب، فأعلم ذلك^(١).

وأما ترجمةُ العلامة بالقلم الشريف

فنقول: أكثرُ من يُكتب إليه من الأمراء وممالك البيت الشريف فترجمته بالخط الشريف: «والده»، ومن دون ذلك «الاسم الشريف».

وأما الغرباء: كملوك المسلمين، والعُربان، وأكابر القضاة، وأهل الصلاح، والأكابر فترجمته بالخط الشريف: «أخوه» ومن دون ذلك: «الاسم الشريف». والترجمةُ على التواقيع الشريفة مطلقاً: «الاسم الشريف»، وعلى المناشير مطلقاً: «العلامة الشريفة»، وعلى شواهد ما يُكتب ما صورته: «يكتب».

ويُكتب لكبار ملوك الإسلام «الطُّغْرا»^(٢) فوق البسملة وهي: «السلطان الملك الفلاني، فلان الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، ملك البسيطة» بألقاب طوال، ذهب، مزدوجة، سطر واحد. ويكتب الاسم بين الألقاب: قاطع ومقطوع، وتحتة: «خَلَّدَ اللهُ سلطانه».

(١) ذكر القلقشندي ضرباً ثالثاً من المطلقات، وهو «البرالغ» بالباء الموحدة (الصحيح: ٢٢٩/٧)، وكان قد ذكره باسم «البرالغ» بالياء المثناة تحت في الجزء الرابع ص ٤٢٨، وهو الصواب.

قال: وهي كلمة تركية معناها المرسوم، وعليها جرى عُرف كتاب بلاد الشرق، وقيل أن نُكتب بالديار المصرية، ولذلك لم يتعرَّض لها في التعريف ولا في التثقيف. ثم أورد صورة «برلغ» شريف رآها في تذكرة العمري في الجزء السادس والأربعين منها، بخط أخيه المقرِّ العلائي ابن فضل الله، كتب في أيام الناصر محمد بن قلاوون في عاشر شهر رجب الفرد سنة ٧٢٩ هـ.

(٢) هي عبارة عن وصل كان يوضع في عصر المماليك البحرية في مناشير الإقطاعات بين وصل الطُّرَّة والبسملة، وترد فيه ألقاب السلطان. ولم تزل هذه الطُّغرئ مستعملة في المناشير إلى آخر دولة الأشرف شعبان بن حسين - توفي سنة ٧٧٨ هـ - ثم تركت بعد ذلك ورفض استعمالها. (صبح الأعشى: ١٦٢/١٣).

وأما جميع ملوك الكُفَّار فإن الكتب التي تكتب إليهم لا يشملها الخط الشريف بالجملة الكافية، وإنما يُكتب فوق البسمة في الكتاب - بخط الكاتب عَوْضَ العلامة الشريفة - أسطر قصيرة بياض من الجانبين ما صورته، وتسمى الطغرا أيضاً:

من السلطان الأعظم، الملك الفلاني، العالم، العادل،
المجاهد، المرابط، المناغر، المؤيد، المظفر، المنصور،
الشَاهِنشَاه، فلان الدنيا والدين، سلطان الإسلام،
والمسلمين، مُحْيِي العدل في العالمين، وارث الملك، ملك
العرب والعجم والترك، ظل الله في أرضه، القائم بسننه
وفرضه، إسكندر الزمان، مملك أصحاب المنابر والأسيرة
والتُّخوت والتيجان، واهب الأقاليم والأمصار، مُبِيد
الطغاة والبغاة والكُفَّار، حامي الحرمين، خادم القبلتين،
جامع كلمة الإيمان، ناشر لواء العدل والإحسان،
سيد ملوك الزمان، إمام المتقين، قسيم أمير المؤمنين،
أبي فلان، فلان ابن السلطان الشهيد الملك الناصر،
والد الملوك والسلاطين، أبي المعالي محمد، خَلَّدَ اللهُ
سلطانه ونصر جنوده وجيوشه وأعوانه.

القسم الثاني من الكتاب

في عادات العهود والتقاليد والتفاويض والتواقيع والمراسيم والمناشير

اعلم أن هذا ينقسم إلى أقسام:

أ - فمنها عهود؛ ولا تكون إلا للخلفاء عن الخلفاء أو للملوك، ولا يكون إلا عن الخلفاء أو الملوك: تكتب لولاة العهد عن المستقلين^(١). فأما من قام من الخلفاء بغير عهد ممن تقدم فإنما يكتب له مبايعة، ومعناها معنى الماجرئ الذي يكتب. وأما من قام من الملوك بغير عهد من خليفة ولا ملك متقدم فلم تجر^(٢) العادة بكتابة مبايعة له.

ب - ومنها تقاليد؛ ولا تكون إلا لكفلاء الملوك، كأكابر النواب والوزراء ومن كان في معناهما؛ وقد يكون لأكابر قضاة القضاة.

فأما عامة القضاة فالواجب أن لا يُسمى ما يكتب لهم إلا تفاويض.

فأما جمهور من عانى الكتابة في زماننا وما قاربه فعلى تسميته تواقيع، (ونبئنا على هذا لموضع الفائدة فيه). وأعلم أنني لا أكتب هذا إلا تفاويض؛ وأما صغار النواب فيأتي ذكرهم في التواقيع إن شاء الله، فأعلم ذلك.

(١) كذا في ط ق. ولعل الصواب: «المستقلين» أو «السابقين» أو ما في معناه.

(٢) وكأنه يريد اصطلاح بلاد المشرق والديار المصرية. أما بلاد المغرب فقد جرت عادة مصطلحهم بكتابة البيعات لملوكهم، وذلك أنه لم يكن عندهم خليفة يدينون له ويتقلدون الملك بالعهد منه، بل جلهم أو كلهم يدعي الخلافة، فهم يكتبون البيعات لهذا المعنى.

(صبح الأعشى: ٣٣٧/٩).

ج - ومنها تواقع؛ وهي لعامة أرباب الوظائف، جليلها وحقيرها، وكبيرها وصغيرها، حتى النواب اللاحقين بشأو الكبار فمن دونهم. وعندي في هذا نظر: والذي أرى أن يكون لمن لِحَقَ بشأو الكبار منهم «تفاوض»، وللصغار «مراسيم»، ولأدنى الطبقات منهم «تواقع» لميزة السيوف على الأقلام؛ وكذلك تجري نسبة التواقع على ما يُكتب في المسامحات والإطلاقات.

د - ومنها مراسيم؛ وهي ما يُكتب في صغائر الأمور التي لا تتعلّق بولاية. ثم المراسيم: منها ما يُستفتح بالبسملة، وهو للأهم، وما لا يُستفتح بها، وهو لما هو أدنى، كأوراق الجواز في الطُّرُق. ويُكتب عن النواب مثل هذا في الإطلاقات من الخزانة العالية، والإهداء، والإصطبلات، وخزائن السلاح، وغير ذلك. ثم إذا فهمت ذلك فأعلم:

أولاً: العهود

أ - عهود الخلفاء عن الخلفاء: لم تجر عادة سلف الفضلاء الكتاب أن يستفتحها إلا بما يُذكر، وهو: «هذا ما عهد به عبد الله ووليه فلان أبو فلان، الإمام الفلاني، أمير المؤمنين. عهد إلى ولده (أو إلى أخيه) الأمير السيد الجليل، ذخيرة الدين، وولي عهد المسلمين، أبي فلان فلان، أيده الله بالتمكين، وأمدّه بالنصر المبين، وأقرّ به عين أمير المؤمنين». ثم يُنفق كل كاتب بعد هذا على قدر سعته، ثم يقول: «أما بعد، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويصلّي على نبيه سيّدنا محمد» ويخطب في ذلك خطبة يُكثر فيها التحميد وينتهي فيه إلى سبعة، ثم يأتي بعد ذلك بما يناسب من القول، ووصف فكر الذي يعهد فيمن بعده، ويصف المعهود إليه بما يليق من الصفات الجليلة. ثم يقول: «عهد إليه وقلده بعده جميع ما هو مقلده، لم رآه من صلاح الأمة، ومصالح الخلق، بعد أن استخار الله تعالى في ذلك، ومكث مدة يتدبّر ذلك، ويروّي فيه فكره وخاطرّه، ويستشير أهل الرأي والنظر، فلم ير أقوم منه بأمور الأمة ومصالح الدنيا والدين» ومن هذا ومثله، ثم يُقال: «إن

المعهودَ إليه قبل منه ذلك» ويأتي في ذلك بما يليق من محاسن العبارة وأحاسن الكلام^(١).

ب - ما يُكتب عن الخلفاء للملوك: وطريقُ القدماءِ فيه على قريب من هذا النحو؛ وعليه كتب^(٢) القاضي الفاضل عهدِي أسد الدين شيركوه، وابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين؛ وهكذا كتب شيخنا شهابُ الدين أبو الثناء محمود الحلبي عهدِي^(٣) العادل كُتُبًا والمنصور لاجين. فأما ابنُ لقمان فقد أَسْتَفْتَحَ العهدَ المكتَبَ للملك الظاهر بيبرس بخطبة^(٤)، وليس ابنُ لقمان بحُجَّة، وإنما ذكرناه لثلاثي متمسك به من لم يعرف حقائق الأقدار. على أن الفاضل مُحْيِي الدين بن عبد الظاهر تبعه فيما كتب به للمنصور قلاوون^(٥).

(١) قال القلقشندي في الصبح: ٣٦٩/٩ «ولم أظفر بنسخة عهد على هذا الأسلوب الذي ذكره المقر الشهابي. وقد أنشأت عهداً على الطريقة التي أشار إليها لأن يكون عن الإمام المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن المعتضد أبي الفتح أبي بكر، خليفة العصر، لولده العباس، ليكون انموذجاً ينسج على منواله». - انظر نصَّ العهد في الجزء والصفحة المذكورين أعلاه.

(٢) انظر نسخة ما كتب به القاضي الفاضل عهد أسد الدين شيركوه بالوزارة عن العاضد الفاطمي، والوزارة يومئذ قائمة مقام السلطنة - صبح الأعشى: ٨٠/١٠، ونسخة عهد صلاح الدين عن العاضد في نفس الجزء ص: ٩١.

(٣) نسخة العهدين في الصبح: ٤٧/١٠ و ٥٣.

(٤) كتب صاحب فخر الدين، إبراهيم بن لقمان «ت ٦٩٣ هـ» نسخة العهد للظاهر بيبرس وابتدأها بخطبة وهي: «الحمد لله الذي أضفى على الإسلام ملابس الشرف، وأظهر دُرَرَه وكانت خافية بما استحکم عليها من الصدف، وشيّد ما وهي من علائمه حتى أنسى ذكر ما سلف... الخ». انظر نص العهد كاملاً في الصبح: ١١١/١٠. قال القلقشندي: «ليس ابن لقمان هو المبتكر لهذا المذهب بل كان موجوداً معمولاً به، استعمله كتاب الإنشاء بديوان الخلافة ببغداد قبل ذلك بزمان طويل. وعليه كتب عهد العادل أبي بكر بن أيوب أخي صلاح الدين من بغداد. (نص العهد في الصبح: ٩٩/١٠) وإليه مال ابن الأثير في «المثل السائر» وذكر أن الافتتاح بـ «هذا ما عهد» قد ابتدل بكثرة الاستعمال؛ وابن لقمان تابع لا متبوع. وهو وإن كان ليس بحجة فابن الأثير حجة في هذا الشأن، يُرجع إليه ويُعمل بقوله. ويؤيده حديث: «كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم». ولذلك مال أهل العصر إلى اختياره والعمل عليه؛ إلا أن فيه مخالفة لما وقع في عهد النبي لعمرو بن حزم وغيره من عهود الصحابة».

(٥) انظر نصَّ العهد في صبح الأعشى: ١١٦/١٠، وهذا العهد عن الخليفة الإمام أبي العباس أحمد الحاكم بأمر الله.

جـ - وما يُكتب للملوك عن الملوك مثل ولاية العهود والمنفردين بصغار البلاد: فإنه لا تُستفتح عهودهم إلا بالخطب. وكلما كثرت التَّحْمِيدَاتُ في الخطب كان أكبر لأنها تدلُّ على عِظَمِ قَدْرِ النعمة.

وللناس مذهبان فيما يُكتب للملوك عن الخلفاء من الألقاب:

فالأوَّل: أن يُكتب «السلطان، السيِّد، الأجل، الملك الفلاني، العالم، العادل» مع بقية ما يناسب من الألقاب المفردة والمركبة.

والثاني: فعلى أن يُكتب لهم: «المقام الشريف أو الكريم أو العالي» مجرداً عنهما، ويقتصر على المفردة [دون المركبة]. وأنا إلى رأي الأوَّل أجح، وعليه أعمل.

د - وأما ما يُكتب عن الملوك لأولياء العهود والمنفردين بصغار البلاد فيكتب لهم: «المقام الشريف أو الكريم أو العالي» مجرداً عنهما، ويُقتصر على المفردة دون المركبة. على أن في هذا ضابطاً كان في القديم وهو أنه لا يُكتب لملك إلا ما كان يلقَّب به من ديوان الخلافة بالنصِّ من غير زيادة ولا نقص.

ثانياً: التَّقَالِيدُ (١)

وأما التَّقَالِيدُ فلا تُستفتح إلا بالخطب بـ «الحمد لله» وليس إلا؛ ثم يُقال بعدها: «أما بعد»؛ ثم يذكر ما يَسْنَحُ من حال الولاية وحال المولى وحسن الفكر فيمن يصلح، وأنه لم يرَ أحقَّ من ذلك المولى، ويُسمَّى، ثم يُقال ما يُفهم أنه هو المقدم الوصف أو المتقدم إليه بالإشارة، ثم يُقال: «رُسم بالأمر الشريف، العالي، المولوي، السلطاني، الملكي، الفلاني» ويُدعى له أن يُقلَّد كذا، أو أن يُفوض إليه كذا؛ والأوَّل أجل، ثم يوصي بما يناسب تلك الولاية مما لا بدَّ منه، تارةً جُماليّاً، وتارةً تفصيليّاً. ويُنبّه فيه على تقوى الله تعالى، ثم يُختتم بالدعاء للمولى بالإعانة، أو التأييد، أو

(١) انظر صبح الأعشى: ١٠١/١١ - ١٠٧.

المزيد، أو التوفيق، أو ما يجري هذا المجرى. ثم يُقال: «وسبيلُ كلِّ واقفٍ عليه العملُ به بعد الخطِّ الشريفِ أعلاه».

ولفضلاءِ الكتابِ في هذا أساليب، وتفنُّنٌ كثيرٌ الأعاجيب، وكلُّ مألوفٍ غريب. ومن طالع كلامهم في هذا وجد ما قلناه، وتجلَّى له ما أبهمناه. والتقاليدُ يُقال في عنوانها: «تقليدُ شريفٍ لفلان بكذا».

ثالثاً: التَّفَاوِيضُ (١)

وأما التَّفَاوِيضُ فهي من هذا النمط، غير أنه لا يُقال بعد الخطبة إلا «وبعد فإن» ولا يُقال «يقلِّد»، وتكون أخصرَ من التَّقَالِيدِ. ويُقال في تعريفها: «تفويضُ شريفٍ لفلان بكذا».

رابعاً: التَّوَاقِيعُ (٢)

وأما التَّوَاقِيعُ فهي على هذا الأنموذج؛ وقد يقال فيها: «أن يفوض» وقد يُقال: «أن يُرتَّب» و«أن يقرَّر»؛ وعنوانها: «توقيعُ شريفٍ لفلان بكذا».

وقد تُستفتح التَّوَاقِيعُ بـ «الحمدُ لله» نحو ما تقدَّم، وقد تُستفتح بقول: «أما بعدَ حَمْدِ اللَّهِ». وقد تُستفتح بقول «أما بعدُ فإن». وقد تُستفتح بقول: «إنَّ أَوْلَى ما كان كذا» أو ما هذا معناه. وقد تُستفتح بقول: «مَنْ حَسَنَتْ طرائقه، وحُمدتِ خلائقه» أو ما هذا معناه. وقد تُستفتح بقول: «رُسمُ بالأمرِ الشريفِ» بالألقاب السلطانية الكاملة، و«الحمدُ لله» أكبرها، و«رسمُ بالأمرِ الشريفِ» أصغرها، وما بينهما على الترتيب (٣).

(١) انظر صبح الأعشى: ١١٢/١١ - ١١٣.

(٢) انظر صبح الأعشى: ١١٤/١١ - ١٢٧.

(٣) أشار القلقشندي إلى أن هذه الافتتاحات كانت مستعملة في الدولة العباسية ببغداد، وفي الدولة الفاطمية بالديار المصرية والبلاد الشامية، ثم في الدولة التركية إلى زمن المقر الشهابي ابن فضل الله العمري في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون. ثم رفضت بعد ذلك وترك استعمالها بالديار المصرية، فلم يكن أحد من كتاب ديوان الإنشاء يستعمل شيئاً منها.

ومن أَسْتُصْغِرُ من المولِّين لا يُدْعَى له في آخر توقيعه، ولا يُقال في آخر التوقيع على اختلافها: «وسبيل كل واقف عليه» بل يُقال: «فليعتمد ما رُسِم به فيه بعد الخطَّ الشريف أعلاه».

خامساً: المراسيم

وأما المراسيم فعلى هذا النحو، وينتهي في ألقها إلى: «رُسِم بالأمر الشريف، زاده الله شرفاً» من غير إطالة.

فأما ما هو عن النواب في الإطلاقات فلا يكتب فيه إلا «العالي» خاصة، مجردة عن «الشريف» فأعلم ذلك.

وأعلم أن شيخنا شهاب الدين محمود الحلبي - تغمده الله - قَسَم مقدار التَّحْمِيدَة أو التوقيع تقسيماً^(١) لا أرضاه؛ والذي أراه اختصاراً مقدار التَّحْمِيدَة التي في الخطبة والخطب مطلقاً، وإطالة ما بعد ذلك، والإطناب في الوصايا، اللهم إلا لمن جلَّ قدره، وعَظُم أمره، فإنَّ الأُولَى الاقتصارُ في الوصايا على أهمِّ الجُمليات؛ ويُعتدَّر في الاختصار بما يُعرف من فضله، ويُعلم من علمه، ويوثق به تجربته، ومن هذا ومثله. والكاتبُ في هذا كلُّه بحسب ما يراه، ولكل واقعةٍ مَقَالٌ يليق بها، ولملبس كل رَجُلٍ قدرٌ معروف لا يليق به غيره. وفي هذا غِنَى لمن عرف، وكفاية لمن علم.

(١) يشير العمري هنا إلى ما ذكره شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه «حُسن التوسُّل إلى صناعة الترسُّل» حيث يقول: ويحسن أن يكون الكلام منقسماً في التقليد على أربعة أقسام متقاربة المقادير. فالربيع الأول: الخطبة، والثاني: ذِكْرُ موقع الإنعام في حقِّ المقلِّد وذِكْرُ الرتبة وتفخيمُ أمرها، والثالث: في أوصاف المقلِّد وذِكْرُ ما يناسب تلك الرتبة (...). والرابع: في الوصايا. (انظر: حسن التوسُّل: ص ٣٦٨ وما بعدها). وهو: شهاب الدين، أبو الثناء، محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الدمشقي الحنبلي. عمل في ديوان الإنشاء بمصر بعد موت محيي الدين بن عبد الظاهر أكثر من عشرين سنة، ثم ولي كتابة السرِّ في دمشق بعد موت شرف الدين العمري. توفي شهاب الدين سنة ٧٢٥ هـ. (انظر ترجمته في: فوات الوفيات: ٨٢/٤؛ وشذرات الذهب: ٨٦/٦؛ والنجوم الزاهرة: ٢٦٤/٩؛ وكشف الظنون: ٦٦٦؛ وهدية العارفين: ٤٠٧؛ والأعلام: ١٧٢/٧).

سادساً: المناشير

أما المناشير فهي ما يكتب للأمرء والجند بما يجري في أرزاقهم من ديوان الإقطاع^(١)؛ وشأنه شأن ما تقدم، إلا أن المناشير أخصر، ولا وصايا فيها، ولا إطناب في مقاصد للكاتب يستوفيها. ومن كان مؤهلاً لأن يكتب له تقليد كان منشوره من نوعه^(٢)، ومن دون ذلك إلى أدنى الرتب من النسبة. إلا أنه لا يُقال: «رُسم بالأمر الشريف» وإنما العادة الجارية في المصطلح أن يُقال: «خرج الأمر الشريف» سواء كان في أثناء المنشور أو ابتداءً.

ويكتب لكل ذوي الطبلخانات وأدناها من له أربعون طواشياً بـ «الحمد لله»، ولذوي العشرات ومن لا يبلغ حد أدنى الطبلخانات: «أما بعد حمد الله». ويكتب لمقدمي الحلقة وجندها: «خرج الأمر الشريف» ابتداءً. والمناشير لا يكتب في أواخرها المُستند^(٣)، ويكتب فيها كاتب الإنشاء إلى أن ينتهي إلى قوله: «أن يجري في إقطاعه» ثم يكتب نص ما كتب به من ديوان الإقطاع، وهو ديوان الجيوش، إلى أن

(١) إن تخصيص ما يكتب في الإقطاعات باسم المناشير هو ما حدث الاصطلاح عليه في الدولة التركية. أما في الزمن المتقدم فقد كانوا يطلقون اسم المناشير على ما هو أعم من ذلك، مما لا يحتاج إلى ختم: كالمكتوب بالإقطاع، والمكتوب بالولاية، والمكتوب بالحماية، وما يجري مجرى ذلك.

(انظر صبح الأعشى: ١٣/١٥٧)

(٢) وقد قسّم القلقشندي المناشير في زمانه إلى أربعة أصناف: الصنف الأول: ما يكتب في قطع الثلثين من الورق، وهو لأعلى المراتب من الأمراء كمقدمي الألف، وكذلك لجميع النواب بالممالك الإسلامية، وللمقدمين بدمشق.

الصنف الثاني: ما يكتب في قطع النصف، وهو لأمرء الطبلخانات بمصر والشام، وللأمراء المقدمين من نواب القلاع الشامية.

الصنف الثالث: ما يكتب في قطع الثلث، وهو لأمرء العشرات مطلقاً بسائر الممالك.

الصنف الرابع: ما يكتب في قطع العادة المنصوري، وهو للمماليك السلطانية ومقدمي الحلقة ورجال الحلقة.

(انظر صبح الأعشى: ١٣/١٥٨ - ١٥٩).

(٣) أي بيان سبب ما كتب به الكتاب.

يكمِّله، ويلتزم تاريخ المربَّعة الجيشية^(١) التي كُتِبَ على حُكْمِها، لما يترتَّب على ذلك من المحاسبات.

وَممَّ فائدة تُعلم، وهي أن الأمير إذا رُسم له بزيادة أو تعويض نُظِر: فإن كان من ذوي الألوْف أو من قارِبهم كُتِبَ له: «أما بعد [حمد اللّهِ]»، وإن كان من ذوي الطَّبَلْخانات الصُّغار فمن دونهم حتَّى جُنِد الحَلَقَة كُتِبَ له: «خرج الأمر الشريف». فأما إذا أنتقل الأمير من إقطاعٍ إلى غيره كُتِبَ له على العادة نحو ما ذكرناه أولاً كأنه مُبتدأ.

[الطُّغْرِيّ التي تكون بين الطَّرَة والبسملة]

وقد جرت العادة أن تُكْتَب للمناشير الكبار - كمقدِّمي الألوْف والطَّبَلْخانات - طُّغْرِيّ بالألقاب السلطانية، تكون فوق وصل^(٢) بياضٍ فوق البسملة. ولهذه الطُّغْرِيّ رجلٌ مفردٌ لعملها وتحصيلها بالديوان. فإذا كُتِبَ الكاتبُ منشوراً أخذ من تلك الطُّغراوات واحدةً وأصقها فيما كُتِبَ به، فأعلم ذلك.

[في مقادير قَطْع الورق]

وأما مقادير قَطْع الورق الذي يُكْتَب فيه فللعهود: القَطْع الكامل بقلم مختصر الطَّومار^(٣)، وللتقاليد: قَطْع الثلثين وقَطْع النصف بقلم الثلث الكبير، وللتفاويز وكبار التَّواقيع والمراسيم: قَطْع النصف وقلمُ التُّلث الخفيف، ولما دون ذلك من التَّواقيع والمراسيم: قَطْع التُّلث وقلمُ التَّوقيعات، ثم لما دون ذلك: قَطْع العادة وقلمُ الرِّقاع. وهكذا حُكِّم المناشير في الترتيب.

وهذا مُنتَهَى تَصِلُ إليه، وتفصيلٌ لائقٌ قِسَّ عليه، وبالله التوفيق.

(١) أي المنشور الذي يأتي من ديوان الجيش، وفيه أمر الإقطاع. وكانت العادة أن يكتب في ورقة مربَّعة.

(٢) في التقييف: بعد وصلين أو ثلاثة من الطَّرَة.

وحول هذه الطُّغراوات وطريقة كتابتها أنظر صبح الأعشى: ١٦٢/١٣ وما بعدها.

(٣) حول أنواع الورق ومقادير قطعها وأنواع الأقلام انظر: صبح الأعشى: ٤٧/٣ - ٤٨.

وأما المُستندات فقد تقدّم أن المناشير لا يُكتب في آخرها المستند؛ وأما التّواقيع والمراسيم والمربّعات والكتّاب فإنها يُبيّن فيها سبب ما كتب به؛ وأما ما كان مستنداً شاهده بتلقّي «نائب السلطنة الشريفة» فإنه يُكتب ما صورته: «بالإشارة العالِيّة، الكافليّة، الفلانيّة، أعلاها الله تعالى»، وأما ما كان شاهده بتلقّي [أستاذار العالِيّة] (١). فإنه يُكتب ما صورته: «بالإشارة العالِيّة، الأميريّة، الفلانيّة، أعلاها الله تعالى»، وأما ما كان شاهده بتلقّي «أمير آخور» (٢) فإنه يُكتب: «برسالة الجناب العالِي، الأميريّ، الفلانيّ، أمير آخور الفلانيّ، ضاعف الله نعمته»؛ وأما ما كان شاهده بتلقّي «الدوادار» (٣) فإنه يُكتب: «برسالة المجلس السامي، الأميريّ، الفلانيّ، فلان، الدوادار الفلانيّ، أيده الله تعالى». وأما ما كان شاهده بتلقّي صاحب ديوان الإنشاء الشريف فإنه يكتب: «حسب المرسوم»؛ وأما ما كان شاهده بتلقّي صاحب ديوان الإنشاء والموقّعين بدار العدل فإنه يكتب: «حسب المرسوم الشريف من دار العدل»؛ وأما ما كان شاهده من «ديوان الخاص الشريف» أو من ديوان الجيوش المنصورة فيقال: «حسب المرسوم الشريف» ثم يقال فيه: «من ديوان كذا». وهذا شيء كان في المراسيم المربّعة لا غير، وكان الذي يكتب في ديوان الإنشاء بما يتلقّى عنهم يقال فيه: «حسب المرسوم الشريف» لا غير، كما يقال فيما يتلقاه صاحب ديوان الإنشاء، فأوجب في هذا الوقت أن يكون هذا الضابط في الجميع ليُعرف المستند في الوقت الحاضر من غير تأخير.

وموضِعُ كتابة المستند في التواقيع التي على ظهور القصص على الجانب الأيمن من الورقة، بين السطرين الأول والثاني، وفي البقيّة بعد التاريخ.

(١) في طق «أستاذ الدار العالِيّة». راجع ص ١٠٤ الحاشية (١).

(٢) من الفارسية: «آخور» بمدّ الألف بمعنى المعلف أو المذود، ثم أطلقت على الإسطبل. وقد عرف صاحب هذه الوظيفة عن سلاجقة الروم باسمين: أمير آخور، وكند إسطبل. وأمير الآخور عند المماليك هو الناظر في أمور الاسطبلات والمناخات السلطانية ورئيس العاملين بها جميعاً.

(انظر تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل: ص ١١).

(٣) أي متولّي أمر دواة السلطان. (المرجع السابق)

وأما أوراق الطريق^(١) فإنها لا يُكتب فيها إلا: «حَسْبَ المرسوم الشريف» لا غير، وموضِعُها من ورقة الطريق موضعُها من التواقيع التي على القصص، واللَّهُ الموفِّق.

(١) وتسمى أيضاً: أوراق الجواز؛ وهي أوراق تسمح لحاملها بالتوجُّه إلى جهة قصده والعود منها، م الإشارة إلى المعنيين بالأمر بمعاملته بالإكرام والاحترام. وهي لا تكتب إلا لأمير أوزي قدر كبير. (صبح الأعشى: ٢٣٢/٧).

الوصايا

(جملة من الوصايا التي تُذكر في

العهود والتقاليد والتفاويض والتواقيع والمراسيم)

وهذا بابٌ كبير، وللقلم فيه سَبْحٌ طويل. ولو تكلفنا آستيعابَ الوصايا لألزمنا تكليفَ ما لا يُطاق، وإنما نقدّم منها المهمّ، ونأتي بالجوامع كالتبصرة للناظر، والتنبيه للغافل؛ ومن كان ذا خاطر تفجرت له ينابيعه، وجرت له شِعَابُه^(١).

١ - عهودُ الخلفاء إلى ولاية العهود وإلى الملوك، وعهودُ الملوك من الملوك، وكل ذلك في طبقة تتقارب؛ والوصية فيها:

«بتقوى الله وإقامة حدوده، والشَّرْعِ الشريف وتشييد عُقُودِه، والوفاء بعهوده، وأخذِ مال الله بحقّه، وصرفه في مستحقّه، والاجتهاد في الجهاد، وحسن النظر للأمرء والأجناد، وطوائف العرب والترُكمان والأكراد، وغزو أعداء الله برّاً وبحراً، وقصدهم حيث كانوا بُعداً وقرباً، ورعاية الرعايا وعمارة البلاد، وتأمين الجواد، وإفاضة المهابة التي تقشعُر لها عُصَبُ الفساد، وعمارة المعازل والقلاع والحصون والثغور، وحماية الأطراف والمواني، وجمع كلمة الأمة، وآستعباد القلوب بالإحسان،

(١) قال القلقشندي: «والوصايا مختلفة باختلاف موضوعاتها إلا أن الجميع يشترك في الوصية بتقوى الله، فهي الأس الذي يبنى عليه، والركن الذي يستند إليه. وهذا الباب هو الذي يطول فيه سبح الكاتب، ويحتاج فيه إلى سعة الباع؛ فإنه ما لم يكن الكاتب حاذقاً بما يلزم رب كل ولاية ليوفيها في الوصية حقها، ضل عن الطريق، وحاد عن جادة الصنعة. ولذلك يُقال للكاتب: «القلم الأكبر» لأنه بصدد أن يعلم كل واحد من أرباب الولايات ما يلزمه في ولايته.» ثم ذكر القلقشندي أنواع الوصايا لكل واحد من أرباب الولايات. ثم أشار إلى أن الكتابة بهذه الوصايا قد توقفت في زمانه.

(انظر صبح الأعشى: ٩١/١١ وما بعدها)

وإقامة منار العدل والإنصاف، والأخذ من الظالم للمظلوم، وللضعيف من القوي، وتأمين الحرمين وبيت المقدس الذي هو ثالث المساجد التي تُشَدُّ إليها الرِّحال، وإقامة موسم الحجِّ في كل عام، وتجهيز السبيل على أكمل العوائد، وإجراء ضرائح الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - على أكمل ما يكون من الإكرام، والتَّوقير والاحترام، ورعاية من فيها من القَوَمَةِ والخُدَّام، وتحرير مَعَايير النقود والمعاملات، والتَّنَّانِي في آرتياد الأكفَاءِ للولايات، وتقديم الأَحَقِّ فالأَحَقِّ، والوصِيَّةُ بَدْرِيَّة من يموت أبوه في موقف جهاد أو موضع خِدْمَة، وبقايا أرباب البيوت، وصَرْف وجوه الصَّدقات والمرتبات التي أجزتها الملوك لذوي الاستحقاق - ما لم يكن مانع - وإجراء جهات الأوقاف على اختلافها في مجاريها، وصرْفها في مصارفها، وعلى حُكْمِ شَرْطِ واقِفها؛ وإذا بلغ الرأْي المَشُورَة آسْتَشَارَ فيه وآجْتَهَد، وله رأْيُه. ولْيُقِمِ البريدَ وينصِبْ له عيوناً تأتيه بالأخبار، وتستنتق له ألسنة تُشافهه بالأنباء. ولا يزال للأحوال متفقداً، وللأمور متعهداً، يبدأ بالأهمَّ فالأهمَّ، ويقدم الأوْلَى فالأوْلَى، ويُحسِن في كل أمرٍ فعلاً وقولاً. وليكن في هذا كله بقوَّة من غير عَسْف، ولينٍ من غير ضَعْف، وأناةٍ لا يتراخى بها مدد الإمهال، ولا تُودي عواقبها إلى الإهمال». وغير هذا في هذا ومثله من كل ما يُقال.

٢ - وصية نائب سلطنة:

«يوصي بتقوى الله وتنفيذ الأحكام الشرعية، ومُعاضدة حُكَّامها، واستخدام السُّيُوف لمساعدة أعلامها، وتفقد العساكر المنصورة وعَرْضِها، وإنهاضهم لنوافل الخدمة وفَرْضِها، والتخيير للوظائف، وإجراء الأوقاف على شَرْطِ كلِّ واقِف، والملاحظة الحُسْنَى للبلاد وعمارة أوطانها، وإطابة قلوب سُكَّانها، ومُعاضدة مباشري الأموال مع عدم الخروج عما أُلِف من عدل هذه الأيام الشريفة وإحسانها، وتحصين مالهديه، وتحسين كلِّ ما أمره إليه، وأستطلاع الأخبار والمطالعة بها، والعمل بما يرد عليه من المراسيم المطاعة والتمسك بسببها؛ وأنه مهما أشكل عليه يستضيء فيه بنور آرائنا العالية فهو يكفيه، ومن قِيل من الجند أو مات وخُلِف ولداً يصلح لإقطاعه يُعَيَّن

له ليقوم بمخلفيه، ويُقال من هذا ما يقوم بتمام الغرض ويوفيه».

٣ - وصية وزير:

«يوصى بتقوى الله فإنه عليه رقيب، وإليه أقرب من كل قريب، فليجعل له أمامه، وليطلب [منه] (١) لكل ما شرع فيه تمامه؛ وليجمل رأيه في كل ما تشد به الدولة أزرها، وتُسند إليه ظهرها؛ وليجعل العدل أصلاً بيني على أسه، والعمل في أموره كلها لسلطانه لا لنفسه؛ وليدع منه الغرض جانباً، وحظ النفس الذي لا يبدو إلا من العدو وليصدق من دعاه صاحباً؛ وليبصر كيف يُثمر الأموال من جهاتها، وكيف يخلص بيوت الأموال - بالاعتصار على الدراهم الحلال - من شبهاتها؛ ولينزّه مطاعم العساكر المنصورة عن أكل الحرام فإنه لا يُسمن ولا يغني من جوع، ولا يرى به من العين إلا ما يُحرم الهُجوع؛ وليحذر من هذا فإن المفاجيء به كالمخاتل؛ وليتجنب إطعام الجند منه فإن [آكل] (٢) الدرهم الحرام ما يُقاتل؛ وليحسن كيف يولي ويعزل، ويسمن ويهزل؛ وعليه بالكفاة الأمانة، وتجنب الخونة وإن كانوا ذوي [غناء] (٣)؛ وإياه والعاجز، ومن لو رأى المصلحة بين عينه رأى بينه وبينها ألف حاجز؛ وليظهر بابه، ويسهل حجابيه، ويفكر فيما بعد أكثر مما قرب: مقدماً للأهم فالأهم من المصالح، وينظر إلى ما غاب عنه وحضر نظر المماسي والمصايح؛ ولا يستبدل إلا بمن ظهر لديه عجزه أو ثبتت عنده خيانتته؛ ولا يدع من جميل نظره من صححت لديه كفايته، أو تحققت عنده أمانته؛ وليسلك أقصد الطرق في أمر الرواتب التي هي من صدقاتنا الشريفة وصدقات من تقدم من الملوك، وهي إما لمن وجب له حق وإن كان غنياً أو عُرف صلاحه وهو صُعلوك؛ وكذلك ما هو لأيتام الجند الذين ماتوا على الطاعة، وأمثالهم ممن خدم دولتنا القاهرة بما أستطاعه: فإن غالب من مات منهم لم يخلف لهم إلا ما نسمح لهم به من معروف، ونجريه لهم من جارٍ هو أنفع من كثير مما يخلفه الآباء للأبناء من المال المتملك والوقف الموقوف؛ وليصرف اهتمامه إلى استخلاص

(١) الزيادة من صبح الأعشى.

(٢) في طق «غنى». والتصحيح من الصبح.

مالِ اللَّهِ الَّذِي نَحْنُ أَمْنَاؤُهُ، وَبِهِ يَشْغَلُ أَوْقَاتَهُ وَتَمْتَلِي كَالْإِنَاءِ أَنَاؤُهُ؛ فَلَا يَدْعُ شَيْئاً يَجِبُ لِبَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ مِنْ مُسْتَحَقِّهِ؛ وَلَا يَتَسَمَّحُ فِي تَخْلِيَةِ شَيْءٍ مِنْهُ كَمَا أَنَا نُوصِيهِ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ شَيْئاً إِلَّا بِحَقِّهِ؛ وَلِيَبْقِ لِأَيَامِنَا الزَّاهِرَةَ بِتَوَاقِيْعِهِ ذِكْراً لَا يَفْنَى، وَبِراً لَا يَزَالُ ثَمْرُهُ الطَّيِّبُ مِنْ قَلَمِهِ يُجْنَى، لِيَكُونَ مِنْ رِيَاحِ دَوْلَتِنَا الَّتِي [تَغْتَم] (١) مَا يُبَيِّرُهُ مِنْ سَحَابِهَا الْمَطِيرِ، وَحَسَنَاتِ أَيَامِنَا الَّتِي مَا ذُكِرْنَا وَذُكِرَ مَعْنَا فِيهَا إِلَّا وَقِيلَ: نِعْمَ الْمَلِكُ وَنِعْمَ الْوَزِيرُ!.

٤ - وصية نائب قلعة:

«وَعَلَيْهِ بِحِفْظِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الَّتِي زُفَّتْ إِلَيْهِ عَقِيلَتُهَا الْمَمْنَعَةُ، وَجُلِيَّتْ عَلَيْهِ سَافِرَةٌ وَدُونَهَا السَّمَاءُ بِالسُّحُبِ مَقْنَعَةً، وَسُلِّمَتْ إِلَيْهِ مَفَاتِيحُهَا - وَخَوَاتِيمُ الثَّرِيَا أَقْفَالُ - وَأَوْقَدَتْ لَهُ مَصَابِيحُهَا - وَقَنَادِيلُ (٢) الْبُرُوقِ لَا تُشَبُّ لِقْفَالِ؛ فَلْيَبْدَأْ بِعِمَارَةِ مَا دَعَتْ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ مِنْ تَجْدِيدِ أبنيتها، وَتَشْيِيدِ أَفْنِيَتِهَا (٣)، وَشَدِّ عَقُودِهَا، وَعَدِّ مَا لَا يُحْصَى فِي الذِّخَائِرِ مِنْ نَفُودِهَا، وَتَنْبِيهِ أَعْيُنِ رِجَالِهَا وَالْكَوَاكِبِ قَدْ هَمَّتْ بِرُقُودِهَا، وَالْأَخْذِ بِقُلُوبِ مَنْ فِيهَا، وَتَدَارُكِ بَقِيَّةِ ذَمَائِهِمْ (٤) وَتَلَافِيهِا، وَجَمْعِهِمْ عَلَى الطَّاعَةِ، وَبَذْرِ الْإِحْسَانِ فِيهِمْ إِذَا عَرَفَ أَرْضاً تَزْكُو فِيهَا الزَّرَاعَةُ، وَالتَّمَادِي لَهُمْ: فَرَبٌّ رِجَالٌ تَجْزِي عَنْ عِدَّةِ سِنِينَ فِي سَاعَةٍ، وَتَحْصِينَ هَذَا الْحِصْنِ الْمُنِيْعِ بِمَا يَدَّخِرُ فِي حَوَاصِلِهِ، وَيُسْتَمَدُّ بِعِمَارَةِ الْبِلَادِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ مِنْ وَاصِلِهِ، وَمَا يَكُونُ بِهِ مِنَ الْمَجَانِيْقِ الَّتِي لَا تُرْقَى عَقَارِيْهَا، وَلَا تُوقَى مِنْهَا أَقَارِيْهَا، وَلَا تُرَدُّ لَهَا مَضَارِبُ، وَلَا يُكْفُّ مِنْ زُبَانِي (٥) زُبَانِيَتِهَا كُلُّ ضَارِبٍ، وَلَا يُخْطِيءُ سَهْمُهَا، وَلَا يَخْفَى بَيْنَ النُّجُومِ نَجْمُهَا، وَلَا يُعْرَفُ مَا فِي صَنْدُوقِهَا الْمَقْفَلِ، مِنَ الْبَلَاءِ الْمُرْسَلِ، وَلَا فِي فَخْذِهَا الْمَشْمَرِ السَّاقِ مِنَ النُّشَاطِ الَّذِي لَا

(١) فِي طِقِ «تَقِيْمٍ» وَمَا أَثْبَتَاهُ مِنَ الصَّبْحِ .

(٢) فِي الصَّبْحِ «وَفَتَالٍ» .

(٣) فِي الصَّبْحِ «أَقْيِيْتِهَا» وَهِيَ أَوْضَحُ فِي الْمَقَامِ .

(٤) الذَّمَاءُ: بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْمَذْبُوحِ وَغَيْرِهِ .

(٥) زُبَانِي الْعَقْرَبِ: قَرْنِهَا، وَهِيَ زُبَانِيَانِ .

وَالزُّبَانِيَّةُ: الشَّرْطُ . وَسُمِّيَ بِهَا بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ لِذَفْعِهِمْ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا .

يَكْسَلُ؛ وغيرها من [الرايات] ^(١) التي في غيرها لا تُشَدُّ، ولسوى خيرها لا تُعَدُّ ^(٢)، وما يُرْمَى فيها من السهام التي تُشَقُّ قلب الصخر، ويُبَكِّي خنساء كلَّ فاقدةٍ على صَخْرٍ؛ وكذلك قِيسِيَّ اليد التي لا يَدْبُها ولا قَيْلٍ، وَكَنَائِنُ السَّهَامِ التي كم أصبح رجلٌ وبه منها مثلُ الجبل، وما يَصَانُ من العَدَدِ ^(٣) واللُّبُوسِ، ويَعُدُّ للنعم وللُّبُوسِ، وما يَمُدُّ من الستائر التي هي أسوارُ الأسوار، ولمَعَاصِمِ ^(٤) عقائلِ المَعَاقِلِ منها جَلَى سِوَى كُلِّ سِوَارٍ، وهي التي تُلَاثُ لُثْمَهَا على مَبَاسِمِ الشَّرْفَاتِ، وتُضْرِبُ حُجْبَهَا على أَعَالِي الغُرْفَاتِ؛ وسوى هذا مما [تعتصم] ^(٥) به شِوَامِخُ القِلَالِ، وَيُتَبَوَّأُ به مَقَاعِدُ للقتالِ، فَكُلُّ هذا حَصْلُهُ وَحِصْنُهُ، وَأَحْسِبُهُ وَحِصْنَهُ، وَأَعِدُّ مِنْهُ فِي الأَمْنِ لِأَوَاقَاتِ الشَّدَائِدِ، وَأَجْرِيهِ عَلَى شَأْوٍ مَنْ تَقَدَّمَ وَزِدْ فِي العَوَائِدِ؛ وَهَكَذَا مَا يُدْخِرُ مِنْ عُدَدِ أَرْبَابِ الصَّنَائِعِ، وَمَمْدَدِ التَّحْصِينِ المَعْرُوفِ بِكثرةِ التَّجَارِبِ فِي الوَقَائِعِ، والأَزْوَادِ والأَقْوَاتِ، وَمَا لَا يُزَالُ يُفَكَّرُ فِي تحصيله لِأَجْلِ بَعْضِ الأَوَاقَاتِ؛ وَكُنْ مِنْ هَذَا مُسْتَكْتَرًا، وَلَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مُؤَثَّرًا، حَتَّى لَا تَزَالَ رِجَالُكَ مَطْمَئِنَّةَ الخَوَاطِرِ، طَيِّبَةً فِي غِلْقِ ^(٦) القلوبِ مَا عَلَيْهَا إِلَّا السُّحْبُ المَوَاطِرِ، وَأَعْمَلْ بِعَادَةِ القَلَاعِ فِي غَلْقِ أَبْوَابِ هَذِهِ القَلْعَةِ وَفَتْحِهَا، وَتَفَقُّدِ مُتَجَدِّدَاتِ أَحْوَالِهَا فِي مَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ وَصُبْحِهَا، وَإِقَامَةِ الحَرَسِ، وَإِدَامَةِ العَسَسِ، وَالْحِذَارِ مِمَّنْ لَعَلَّهُ يَكُونُ قَدْ تَسَوَّرَ أَوْ أَحْتَلَسَ، وَتَعَرَّفَ أَخْبَارَ مَنْ جَاوَرَكَ مِنَ الأَعْدَاءِ حَتَّى لَا تَزَالَ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَلَا تَبْرَحَ تُعَدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ مُصِيرَةٍ، وَأَقِمِ نُوبَ الحِمَامِ الَّذِي قَدْ لَا تَجِدُ [فِي] بَعْضِ الأَوَاقَاتِ سِوَاهُ رَسُولًا، وَلَا تَجِدُ غَيْرَهُ مُخْبِرًا وَلَا سِوَاهُ مَسْئُولًا، وَطَالِعِ أَبْوَابَنَا العَالِيَةَ بِالأَخْبَارِ، وَسَارِعْ إِلَى مَا يَرِدُ عَلَيْكَ مِنْهَا مِنْ أِبْتِدَاءٍ وَجَوَابِ، وَصُبِّ فِكْرَكَ كُلَّهُ لِيَهِيَ وَإِلَى مَا تَتَضَمَّنُهُ مِنَ الصَّوَابِ».

(١) فِي طَوْقِ «الزِّيَارَاتِ» وَهُوَ خَطَأٌ.

(٢) فِي طَوْقِ «يَعُدُّ». وَفِي الصَّبْحِ «تَعْقُدُّ».

(٣) هَذَا اللَّفْظُ سَاقِطٌ مِنَ الصَّبْحِ. وَفِي بَعْضِ النُّسخِ: «مِنَ العَدَدِ وَالعُدَدِ وَاللُّبُوسِ».

(٤) فِي طَوْقِ «والمعاصم».

(٥) فِي طَوْقِ «يعصم».

(٦) فِي الصَّبْحِ: طَيِّبَةُ القلوبِ... الخ.

«وليتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها، وأنواع وظائفها، وليرتبها في الخدمة على ما يجب، وينظر في أمورهم نظراً لا يخفى معه شيء مما هم عليه ولا يحتجب؛ وليبدأ بهمَّ السَّمَاطِ المقدم الذي يُقدِّم، وما يتنوع فيه من كل مَطْعَم، وما يمدُّ منه في كل يوم بُكْرَةً والعصر، وما يُستدعى معه من الطواريء التي لا يحدها الحدُّ ولا يحصرها الحصر، وأحوال المطبخ الكريم الذي منه ظُهورُ تلك المَخَافِي، ووفاء ذلك الكرم الوافي، والتقدُّم إلى الأمانة والمشرفين فيه بأمانة الإنفاق، وصيانة المآكل مما يُعاب على الإطلاق؛ ثم أمر المشروب وما تُغلق عليه أبواب [الشَّرَابِ خاناه] (١) السعيدة من لطائف مأكولٍ ومشروب، وشيء عزيز لا يوجد إلا فيها إذا عَزَّ المطلوب، ومراجعة الأطباء فيما تجري عليه قوانينها، وتُسَبُّ لطبخه من جَمْرٍ (٢) اليواقيت كواينيتها، وإفراز ما هو للخاص الشريف (٣) منها وما هو للترفة، وما لا يصرف إلا بَخَطِّ الطيب ولا يسلم إلا إلى ثِقَّة؛ ثم «الطُسْتُ خاناه» (٤) السعيدة التي هي خزانة اللباس،

(١) في طق «الشرنجاناه» وهو تصحيف. وتكتب أيضاً: الشرابخاناه. ولفظ «خاناه» فارسي ومعناه المخزن. والمراد: مخزن الشراب. وكانت الشراب خاناه تحتوي على أدوات الشراب النفيسة من أنواع الصيني والطاسات النحاسية والشوك والكيزان، وتشتمل على أنواع مختلفة من المشروبات والحلوى والسكر والفواكه والعطريات، حتى الأدوية والعقاقير، إذ كانت أشبه بالصيدلية، فكان لذلك يطلق عليها أحياناً «الدواء خاناه». وكان يخزن فيها أيضاً الثلج الذي كان يجلب من الشام إلى مصر. وكان يشرف على الشراب خاناه «مهتار» يعرف بمهتار الشراب خاناه، يتسلم حواصلها، وتحت يده غلمان يسمون: الشرايدارية.

(انظر: صبح الأعشى: ٤٧٢/٣ و ١٠/٤ - ٢١، و ٤٦٩/٥ - وزبدة كشف الممالك: ص ٢٢٥ - ونهاية الأرب للنويري: ٢٢٤/٨)

(٢) في الصبح: «حُمْر».

(٣) أي ما هو مختصٌ باستعمال السلطان.

(٤) معناه: بيت الطشت. وسميت بذلك لأن فيها الطشت الذي تغسل فيه الأيدي ويغسل فيه القماش. وقد غلب استعمال لفظ «الطشت» بشين معجمة مع كسر الطاء؛ وصوابه بالسين المهملة مع فتح الطاء. وكان بالطشت خاناه ثياب الخليفة أو السلطان المفصلة والتي لا بد لها من الغسل. وكان يوجد فيها أدوات غسل الملابس الخاصة بالسلطان والساكنين في القلعة. وكان لها مهتار يشرف عليها، ومعه غلمان

وموضع ما نُبرِّزُ به من الزَّينة للناس، وما يُحتاج إليه من آلات التَّطيب، وما يعين لها من الصابون وماء الورد والطيب، وغير ذلك من بقية ما هي مُستقرُّه، ويؤخذ منها مُستدرُّه، ومن يُستخدم بها ممن برىء من الرِّيب، وعُرف بالعفاف والأدب، وعُلم أنه من أهل الصَّيانة، وعلى ما سلَّم إليه ومَن خالطته الأمانة؛ ثم «الفراشخانة»^(١) وما يُنصب فيها من الخيام، وما يكون فيها من فَرشٍ [سَفَرٍ ومُقَامٍ]^(٢)، وشَمع يفضُّضُ كافورُ كافورِيته آبنوس الظلام؛ ثم غلمان الإصطبل السعيد والنَّجَّابة^(٣)، وإن كان إلى سواه أستخدمهم، ولدَى غيره مُستقرُّهم ومُقَامهم، لكنهم ما خرجوا من عديده، ولا يروقههم ويروعههم إلاَّ حَسَنٌ وَعَدِهٌ وَحَسِينٌ وعيده؛ ثم المُنَاخات السلطانية وما بها من جَمال، وما يسرح فيها من مالٍ وجَمال، ومن يستخدم فيها من «سَيَرَوَان» و«مِهْمَرْد»^(٤) وما فيها من قطار مزدوج وفرد؛ فيوفَّر لهذه الجهة نصيباً من النظر يشاهد أُمورها وقد غابت في الأقطار، وتفرقت كالسُّحب يلزمها القَطَارُ القَطَّارُ؛ وليكونوا على باله فإنهم يسرقون ذرَّة الكُحل من العين ومعهم الدَّهَبُ العِينُ محملاً بالقِنطار، فليحسن منهم الارتياح، وليتخيَّرَ أرقَّهم أفدَّةً فإنهم بكثرة ملازمتهم للإبل مثلها حتى في غَلِظِ الأكباد. وطوائف المُعامَلين، والأبقار ومَن عليها من العاملين، وزرائب الغنم

— يسمون «الطشت دارية» أو «الطستدارية» ومعناها الغسالين، والرختوانية أي المنظفين. وقد أطلق على جميع العمال الذين يعملون بالطست خاناه أي الذين يقومون بالغسيل والتنظيف وغير ذلك لقب «البابا» وهو لفظ يوناني ومعناه: أبو الآباء، والقصد من ذلك تعظيمهم لأنهم يعملون على ترفيه مخدمهم ويمسكون بأيديهم ملابس السلطان الداخلية عند تنظيفها.
(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٢٣١ - ٢٣٢).

(١) وكان موضعها بالقصر، بالقرب من دار الملك.

(أنظر: صبح الأعشى: ٤٧٣/٣؛ وزبدة كشف الممالك: ١٢٥)

(٢) في ط ق: «تنفر وتقام». والتصحيح من الصبح.

(٣) النَّجَّابة أي البريديَّة.

(٤) اليهْمَرْد: هو الذي يتصدَّى لحفظ قماش الجمال أو قماش الإصطبل والسقَّاتين ونحو ذلك. ومعناه بالفارسية: الرجل الكبير. من لفظين: مه بمعنى كبير، ومرد بمعنى رجل. (انظر صبح الأعشى: ٤٧١/٥). أما لفظ سيروان فلم نعر على معناه فيما بين أيدينا من المراجع. ولعله «الرختوان» - انظر المصدر السابق.

وَحَوَّلِيهَا وَرِعَائِهَا، وَأَصْنَافَ الْبُيُوتِ الْكَرِيمَةِ وَمَا تَطْلُبُهُ فِي أَسْتَدْعَائِهَا، وَنَفَقَاتِ الْأُمَرَاءِ الْمَمَالِيكِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي إِهْلَالِ كُلِّ هَلَالٍ، وَمَا يُصْرَفُ فِي كَسَاوِيهِمْ عَلَى جَارِي عَادَتِهِمْ أَوْ إِذَا دَعَتْ إِلَيْهِ ضَرُورَةُ الْحَالِ، وَمَا يُؤْخَذُ عَلَيْهِ خَطُّهُ مِنْ وَصُولَاتِ تُكْتَبُ؛ وَأَسْتَدْعَاءَاتِ تُحَسَّبُ مِنْ لَوَازِمِهِ وَهِيَ لِلْكَثْرَةِ لَا تُحَسَّبُ؛ فَلْيَكُنْ لِهَذَا كُلِّهِ مِرَاعِيًّا، وَلَا أُمُورَهُ وَاعِيًّا، وَلَمَا يَجِبُ فِيهِ دُونَ مَا لَا يَجِبُ مُسْتَدْعِيًّا أَوْ إِلَيْهِ دَاعِيًّا؛ وَهُوَ كَبِيرُ الْبَيْتِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ أَمْرُ كُلِّ مَمْلُوكٍ وَمُسْتَخْدَمٍ، وَبِأَمْرِهِ يُؤَخَّرُ مِنْ يُؤَخَّرُ وَيُقَدَّمُ مِنْ يُقَدَّمُ، وَمِثْلُهُ يُتَعَلَّمُ مِنْهُ وَلَا يُعَلَّمُ، وَعَصَاهُ عَلَى الْكُلِّ مَحْمُولَةٌ عَلَى الرَّقَابِ، مَبْسُوطَةٌ فِي الْعَفْوِ وَالْعِقَابِ، وَمَكَانُهُ بَيْنَ أَيْدِينَا حَيْثُ نَرَاهُ وَبِرَانَا وَلَدِينَا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنْ قَابٍ.

وعليه بتقوى الله فيها تمام الوصايا وكمال الشروط، والأمر بها فعصاه محكمة وأمره مبسوط، وكل ما يناط بنا: من خاصّة أمورنا في بيتنا - عمره الله ببقائنا وزاد تعميره - بتدبيره منوط.

٦ - وصية مقدم الممالك^(١):

«وَلِيُحْسِنَ إِلَيْهِمْ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِمْ، وَلِيَأْخُذَ بِقُلُوبِهِمْ مَعَ إِقَامَةِ الْمَهَابَةِ الَّتِي يُخَيَّلُ إِلَيْهِمْ بِهَا أَنَّهُ مَعَهُمْ وَخَلْفَهُمْ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ، وَلِيُلْزِمَ مُقَدَّمُ كُلِّ طَبَقَةٍ بِمَا يَلْزِمُهُ عِنْدَ تَقْسِيمِ صَدَقَاتِنَا الْجَارِيَةِ عَلَيْهِمْ: مِنْ تَرْتِيبِ الطَّبَاقِ^(٢)، وَإِجْرَاءِ سَاقِيَةِ جَارِيَةٍ مِنْ إِحْسَانِنَا إِلَيْهِمْ وَلَا يَنْسَ السَّوَاقَ؛ وَلِيَكُنْ لِأَحْوَالِهِمْ مَتَعَهِّدًا، وَأُمُورِهِمْ مَتَفَقِّدًا، وَلِيَسْتَعْلِمَ أَحْبَابَهُمْ حَتَّى لَا يَزَالَ مِنْهَا عَلَى بَصِيرَةٍ، وَلِيَعْرِفَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِمَّا لَا

(١) وهو الذي يتحدث في أمر الممالك السلطانية والحكم بينهم، ويركب خلفهم إذا ركب السلطان كأنه يحفظهم.

(صبح الأعشى: ١١/١٧٣).

(٢) الطباق أو الأطباق: ومفردها طبقة؛ وهي الأماكن التي يسكنها الممالك الذين يشتريهم السلطان أو حتى الأمراء، وهي المدارس العسكرية. وكانت هذه الطباق موجودة في أماكن متفرقة في القاهرة وخارجها، ولا سيما في القلعة، حتى لقد بلغ عددها اثني عشر طبقاً أو أكثر، وكان بعضها يشغل مساحة كبيرة كأنه حيّ بأكمله قد يحتوي على ألف مملوك.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٢٢٨).

يخفى عليه فإنهم إن لم يكونوا له أهلاً فإنهم جيرة، وليأمر كلاً منهم ومن مقدميهم والسواقين بما يلزمهم من الخدمة، وليرتبهم على حكم مكانتهم مناً فإن تساؤوا فليقدم من له قُدمة، وليعدل في كل تفرقة، وليحسن في كل عرض ونفقة، وليفرق فيهم ما لهم من الكساوى ويُسبل عليهم رداء الشفقة، وليعدّ منهم لغابنا المحمي سباعاً تفرس العاديّة، وليجمل النظر في أمر الصغار منهم والكبار أصحاب الطبقات العالية، وليأخذهم بالركوب في الأيام المعتادة، والدخول إلى مكان الخدمة الشريفة والخروج على العادة، وليدّرهم في أوقات البياكير^(١) والأسفار نطاقاً دائر الدهليز^(٢) المنصور، وليأمرهم أمراً عاماً بأن لا يركب أحد منهم إلا بدستور^(٣) ولا ينزل إلا بدستور، وليحترز عليهم من طوائف الغلمان^(٤)، ولا يستخدم منهم إلا معروفاً بالخير ويُقيم عليه الضمان، وليحرر على من دخل عليهم وخرج، ولا يفسح^(٥) لأحد منهم إلا من علم أنه ليس في مثله حرج، ولا يدع للريبة بينهم مجالاً للاضطراب، وليوص مقدميهم بتفقد ما يدخل إليهم فإن الغش أكثره من الطعام أو الشراب، وليدّم مراجعتنا في أمرهم فإن بها يعرف الصواب، ويعمل بما نأمره به ولا يجد جوى في جواب».

٧ - وصية أمير آخور:

«وليكن على أكمل ما يكون من إزاحة الأعدار، والتأهب لحركاتنا الشريفة في بل كان أو نهار، مقدماً الأهم فالأهم من الأمور، والأبدأ فالأبدأ من تقديم مراكبنا

(١) في صبح الأعشى «البياكير». والبيكار: لفظ فارسي معناه الحرب عامة. (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٧٠)

(٢) هي الخيمة التي ترافق السلطان في الحرب، وتختلف عن غيرها من الخيم والدهاليز الكبيرة التي تقام للسلطين في الصيد والتنزه - بكونها خيمة قائمة بذاتها، ليس بجوانبها خيم صغيرة كالتي تقام عادة لتجهيز حاجات السلطان في أيام السلم.

(Dozy: Supp. Dict. Ar.)

(٣) أي إذن.

(٤) أي غلمان الطباق.

(٥) كذا في ط. وفي الصبح «يفتح»

السعيدة وتهيئة موكبنا المنصور، وترتيب ذلك كله على ما جرت به العوائد، وتحصيل ما تدعو الحاجة إليه على قدر الكفاية والزوائد، والنظر في جميع اصطبلاتنا الشريفة، والجشرات^(١) السعيدة، وخيل البريد، والركائب المعدة لقطع كل مدى بعيد، وما يجتمع في ذلك وينقسم، وما يُركب منها ويُجنب مما يسم الأرض بالبدور والأهلة من كل حافر ومنسِم، وما هو برسم الإطلاق، وما يُعدُّ لممالك الطُّباق، وخيل التُّلاد، وما يُجلب من قود^(٢) كل قبيلة من القبائل ويجيء من كل بلد من البلاد، والمشتري مما يُباع من الموارث ويُستعرض من الأسواق، وما يُعدُّ للمواكب وللسباق؛ ولِيُجَلَّ رأيه في ترتيب ذلك كله في مراتبه على ما تقتضيه المهمات، والاحتراز في التُّلاد مما لعله يُبدل ويقال هو هذا أو يؤخذ بحجة أنه مات؛ وليجتهد في تحقيق ما نفق؛ وليجره على حكم ما يتحقق عنده لا على ما أتفق، وكذلك ليكن فحصه عن استخدام عنده من العُلَّمان، ولا يهمل أمورهم مع معاملتهم بالإحسان، ولا يَستَخدِمُ إلا من تُشكر سيرته في أحواله، وتُعرف خبرته فيما يراد من أمثاله؛ وكذلك الرِّكَّابة الذين تملك أيديهم أَعِنَّة هذه الكرائم، والتَّحرُّز في أمرهم ممن لعله يأوي إليهم من أرباب الجرائم، والأوشاقية^(٣) الذين هم مثل ممالكهم وهم في الحقيقة إخوانه، وجماعة المباشرين الذين هم في مباشرة الإصطبلات السعيدة ديوانه، وكل هؤلاء يلزمهم بما يلزم أمثالهم من السلوك، ويُعلمهم ما يجب عليهم أن يتعلموه من خدمة الملوك، ولا يسمح لأحد منهم في أمر يُفْضِي إلى إخلال، ولا يقتضي فَرَطَ إِذْلال، وليُقيم أَوْدَهُم بالأدب فإنَّ الأدب ما فيه إِذْلال؛ وكل هؤلاء الطوائف ممن يتجنبُ العامَّةُ مخالطتهم لما طار في أيام من تقدَّم على أمثالهم من سوء السُّمعة، ويُتخوفُ منهم السرعة فليكن لهم منك أعظمُ زاجر، ومن شُكِّيَ إليك منهم فسارع إلى التَّنكيل به وبإدر وأشهر من فعلك بهم ما يوجب منهم الطُّمأنينة، ولا يعود أحدٌ بعده يكذبُ يقينه

(١) جمع جشار؛ وهو مكان رعي الماشية من خيل وغيرها.

(٢) من معاني القود: الخيل، وهو المناسب هنا. (انظر اللسان).

(٣) الأوشاقية أو الأوجاقية: واحدها أوشاقي أو أوجاقي، وهو الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة.

(صبح الأعشى: ٤٥٤/٥)

وأمرأء أخورية الذين هم أتباعك، وبهم يمتدُّ بأعك، هم بحسب ما تجعلهم بصدده، وما منهم إلا من يقدر [أن] يتعدى حدّه في مقام قدّمه وبسط يده، فأجعل لكل منهم مقاماً معلوماً، وشيئاً تجعل له فيه تحكيماً؛ وتثمين الخيول المشتراة والتّقادِم قومها بأهل الخبرة تقويم عدل، وقل الحقّ ولا يأخذك فيه لومٌ ولا عدلٌ، وما يُصرف من العليق برّسُم الخيول السلطانية ومن له من صدقاتنا الشريفة عليق، مُر بصرفه عند الاستحقاق وأضبطه بالتعليق، وتصرف في ذلك كله ولا تتصرف إلا تصرف شفيق؛ وصنّه بأقلام جماعة الديوان ولا تقنع في غير أوقات الضرورة برفيق عن رفيق؛ وكذلك البراسيم^(١) السنوية أصلاً وزيادة، ولا تصرف إلا ما تأمر به وإلا فلا تخرج فيه عن العادة؛ ونزلاًوك من أمرأء العربان عاملهم بالجميل، وزد في أخذ خواطهم ولو ببسط ساط الأنس لهم فما هو قليل، لتضاعف رغبتهم في كل عام، وليستدلّوا ببشاشة وجهك لهم على ما بعده من الإنعام؛ وبغال الكوسات^(٢) السعيدة والأعلام المنصورة، وأبغال الخزانة العالية المعمورة، أجعلها من المهمات المقدّمة، والمقدّمات لتتأج أيام النصر المعلّمة، وربّها في موافقها، وأتمّها أتمّ ما يكون من وظائفها، فيها تثبت مواقف العسكر المنصور، وإيها ياوي كل مستظّل ورحى الحرب تدور، وغير ذلك من قماش الإصطبلات السعيدة من الذهب والفضّة والحريز، وكلّ قليل وكثير، باشره مباشرة من لا يتخلّى، وأحصه خرّجاً ودخلاً، وإياك والأخذ بالرخص، أو إهمال الفُرص، أو طلب فائت جُرم أهملته حتى نكص.

٨ - وصية والي حرب:

«وهو يعلم ما علق بذمّته من أمر الجمهور، وقبّل فيه قوله من ستر المهتوك وهتك المستور، وما يجمعه سواد البلد من غثاء السيل، وما يغطي عليه دجى الليل من الويل، فليجعل هذا منه ببال، وليسترفع أوراق الصباح حتى لا يخفى عليه ما تستره

(١) في الصبح «البراسيم السلطانية». والبرسيم: نبات يستعمل للعلف.

(٢) الكوسات: من رسوم السلطان وآلاته؛ وهي صنوج من نحاس تشبه الترس الصغير يدق بأحدهما على الآخر بإيقاع مخصوص. (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٢٩٠)

سُودُ اللَّيَالِ؛ وَلِيخْمَدُ نَوَائِرَ الْعَامَةِ فَإِنَّهَا أَطِيرُ شَرَاراً مِنَ النِّيرَانِ، وَتُزَيِّعُهُمْ بِهَيْبَةِ السُّلْطَانِ فَإِنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ. وَنَحْنُ نُوصِيهِ أَنَّهُ لَا يُغْلَقُ بَاباً مَفْتُوحاً وَلَا يَفْتَحُ بَاباً مَغْلَقاً، وَلَا يَقْتُلُ عَقْرَباً يُمْكِنُ كَفُّ شَرِّهَا بِالرُّقَا؛ وَلِيَتَّبِعَ الْمَفْسِدِينَ لِإِقَامَةِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْحُدُودِ، وَلِيَرْاجِعَ الشُّرْعَ الشَّرِيفَ إِذَا أَبْهَمَ عَلَيْهِ الْمَقْصُودُ، وَلِيَتَغَاوَلَ عَمَّنْ تَسْتَرُّ بِدَارِهِ فِي جُنْحِ اللَّيَالِي الْأَثَائِثِ^(١)، وَلِيُعَقِّمَ نَسْلَ الْخَمْرِ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، وَلِيُرِقَّ مَا ظَفَرَ بِهِ مِنَ أَجْلَابِهَا، وَلِيُودِّبَ تَجَارَهَا وَبِئْسَ التِّجَارُ وَيَبَالِغُ فِي آدَابِهَا، وَلِيَنْصِبَ الْأَرْصَادَ عَلَى مَنْ دَخَلَ بِهَا أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ أَوْ أَتَى الْبُيُوتَ مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا، وَكَذَلِكَ أَخْتَهَا فِي مُخَاوَمَةِ الْعَقْلِ، وَشَقِيقَتِهَا فِي التَّأْدِيبِ، إِنْ لَمْ يَكُنِ الْحَدَّ لِعَدَمِ النُّقْلِ؛ وَهِيَ الْحَشِيشُ الَّتِي يُعْرَفُ أَكْلُهَا دُونَ النَّاسِ بَعِينَهُ، وَتَقْضِيهِ مِنْ سُكْرِ الْمُدَامِ مَا فَاتَهُ مِنْ دَيْنِهِ، وَتَبْدُو صَفْرَاءَ فِي وَجْهِهِ سُودَاءَ فِي جِسْمِهِ خَضْرَاءَ فِي فَمِهِ حَمْرَاءَ فِي عَيْنِهِ، مِثْلَمَا تَجْرِيهِ الضَّرْبُ الْمَبْرَحُ مِنْ دَمِهِ فَإِنَّهَا طَالَمَا حَسَّنَتْ لِأَهْلِهَا الشَّهَوَاتِ، وَأَعْطَتْهُ طَعْمَ الْمَرْوِ هِيَ نَبَاتٌ، طَالَ مَا طَلَبَهَا هِيَ وَأَخْتَهَا الْخَمْرُ إِبْلِيسُ وَأَسْتَدْعَاهَا، وَأَخْرَجَ بِهَا لِسَوَائِمِ الضَّلَالَةِ مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا؛ وَلِيخْلَصَ مِنَ الْحَقُوقِ مَا رُفِعَ إِلَيْهِ، وَيَطَالِبَ بِهِ مَنْ مَطَّلَ بِهِ وَقَدْ أَوْجَبَهُ الْحَقُّ عَلَيْهِ، وَلِيَتَّقِدَ أَرْبَابَ الرِّزْغِ نَقْدَ الصَّيَارِفِ لِزَيْفِهِمُ الْمَرْدُودِ، وَلِيُقِمَّ عَلَيْهِمُ السِّيَاسَةَ إِذَا لَمْ تُمَضَّ عَلَيْهِمُ الْحُدُودُ؛ وَلِيَتَفَقَدَ الْجُبُوسَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَيَتَعَرَّفَ أَحْوَالَهَا لِيَعْرِفَ مَا يَفْعَلُهُ عَنْ يَقِينٍ؛ وَلِيَسْتَعِدَّ لَطَوَارِيءِ الْمَهْمَاتِ، وَعَوَادِي الْمَلَمَّاتِ، وَلَا يَبِيتَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَّا وَهُوَ مَتَأَهَّبٌ لِإِطْفَاءِ كُلِّ نَارٍ، وَإِخْمَادِ كُلِّ لَهَبٍ وَأَوْلَهَا نَارَ الْفِتَنِ وَمَا يَطِيرُ فِيهَا مِنْ شَرَارٍ، وَإِنْ وَقَعَ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ حَرِيقٌ فِي قَطْرِ مَنْ أَقْطَارَ الْمَدِينَةَ يَعْجَلُ إِلَيْهِ الْبِدَارُ، وَيَعْجَلُ بِهِدْمِ أُنْبِيئِهِ وَهَدْمِ مَا حَوْلَهُ حَتَّى لَا يُوْخَذَ الْجَارُ بِالْجَارِ؛ وَلِيَكُنْ عِنْدَهُ مِنْ طَوَائِفِ السَّقَّايِينَ وَالْقَصَّارِينَ مَنْ لَا يَجِدُ فِي خَوْضِ الْمَاءِ مَشَقَّهُ، وَلَا تَطُولُ عَلَيْهِ شَقَّهُ، وَلَا يَرَى جِدَاراً دَبَّتْ فِي أَحْسَائِهِ النَّارُ إِلَّا وَيَطْفِيءُ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَاءِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحُرْقَةِ؛ وَالْحَذَرُ مِمَّنْ فِي بَابِهِ فَإِنَّهُ لَا دَوَاءَ لِدَائِهِمُ الْعُضَالِ، وَلَا أَسْتِقَامَةَ لِمَنْ حَادَّ مِنْهُمْ

(١) الْأَثَائِثُ وَالْأَثَائِثُ: الْكَثْرَةُ وَالْعِظْمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. يُقَالُ: أَثَّ النَّبَاتُ أَي كَثُرَ وَالتَّفُّ، فَهُوَ أَثِيثٌ، وَالْأَثْرُ أَثِيثَةٌ، وَالْجَمْعُ أَثَائِثٌ وَأَثَائِثٌ. وَالْمُرَادُ بِاللَّيَالِي الْأَثَائِثِ: اللَّيَالِي الْمُدْلَهْمَةُ السُّودَاءُ. (انظر اللسان)

وحداد إلا بأخذ الروح والمال؛ ونحن منه بمرأى ومسمع، فليتق الله وليحذرنا ففي هذا وهذا الخير أجمع».

٩ - وصية أتاك^(١) المجاهدين :

«وأنت ابنُ ذلك الأب حقيقة، وولد ذلك الوالد الذي لم تعمل له إلا من دماء الأعداء عقيقة؛ وقد عرفت مثله بثبات الجنان، وصلت بيدك ووصلت إلى ما لم يصل إليه رمح ولا قدر عليه سنان، ولم يزاحمك عدوٌ إلا قال له: أيها البادي المقاتل كيف تزاحم الحديد، ولا سمّي أسمك لجبار إلا قال له: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]؛ وأنت أولى من قام بهذه الوظيفة، وألف قلوب هذه الطائفة التي ما حلّم بها الحالم إلا وبات يُرعدُ خيفةً، فليأخذ هذا الأمر بزمامه؛ وليعمل لله ولإمامه، وليرم في حبّ البقاء الدائم بنفسه على المنية، ولينادِم على مُعاقرة الدماء زهور سكاكينه الحنّية. وأطبّع منهم زُبراً^(٢) تطاول السيوف بسكاكينها، وتأخذ بها الأسود في عرينها، وتمتدُّ كأنها آمال لما تريد، وترسل كأنها آجالٌ ولهذا هي إلى كل عدوٍ أقرب من حبل الوريد؛ وأذك منهم شعلاً إذا دُعيت لأحسابها لا تجد إلا متحامياً، وأرم منهم سهاماً إذا دُعيت بأنسابها الإسماعيلية فقد جاء أن إسماعيل كان رامياً؛ وفرّج بهم عن الإسلام كل مضيق، وأقلع عن المسلمين من العوانية كل حجر في الطريق؛ وصرف رجالك الميامين، وتصيّد بهم فإنهم صقورٌ ومناسيرهم السكاكين؛ وأخطف بهم الأبصار فبايمانهم كل سكينه كأنها البرق الخاطف، وأقطف الرؤوس فإنها ثمرات أينعت لقاطف، وأعرف لهم حقهم وضاعف لهم تكريماً، وأدم لهم بنا برأ عميماً، وقدم أهل النفع منهم فقد قدمهم الله ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ

(١) الأتابك: من الكلمتين التركيتين: «أنا» بمعنى الأب، والشيخ المحترم لسنه؛ واللقب التركي «بك» بمعنى الأمير. ويطلق على أمير أمراء الجيش: «أتابك العساكر». ويرى القلقشندي أن أصله «أطابك» بالطاء المهملة، وأن أول من لقب بذلك زكي أطابك صاحب الموصل، ثم غلبت فيه التاء المثناة بدل الطاء.

(تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي: ١٢؛ وصبح الأعشى: ٤/١٨)

(٢) زُبُر الحديد: القطع الضخمة منه.

على القاعدين أجراً عظيماً» [النساء: ٩٥] - وأعلم أنهم مثل الوحوش فزِد في تأنسهم، وأشكر إقدامهم فطالما أقتحموا على الملوك وما هابوا يقظة حرسهم، وأرفع بعضهم على بعض درجات في نَفَقَات تَسَافِيرهم وقُعود مَجْلِسهم، ولا تَسَوِّ بينهم فما هم سَوَاءٌ ولا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ من المؤمنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم» [النساء: ٩٥] -. وأصل هذه الدعوة ما زالت تنتقل بالمواريث حتى آنتهت إلينا حقوقها، وأومضت بنا حيث خلعت هياكلها بجرعاء^(١) الحمى بروقها؛ والله تعالى يوفقه ويرشده، ويُطوّل باعه لما قصرت عنه سواعد الرياح ووصلت إليه يده.

١٠ - وصية أمير مكة المعظمة:

«وليعلم أنه قد وُلِّيَ حيث وُلد بمكة في سُرة بطحائها، وأمر عليها ما بين بطن نَعْمَانها إلي فَجوة رَوْحَانها^(٢)، وأنه قد جُعِل له ولاية هذا البيت الذي [به] تمَّ شرفه، وَعَلَتْ غُرْفُه، وَعَرَفَ حَقُه له أَبْطَحُه ومُعَرَّفُه^(٣)، إذ كان أُولَى ولاة هذا الحَرَم بتعظيم حُرْمَاتِه، وسرور جوانبه بما يلوح من البشَر على قَسَمَاتِه، ولأنه أَحَقُّ بني الزهراء بما أبقته له آباؤه، وألقته إليه من حديث قُصِيَّ جَدِّه الأَقْصَى أَنبَاؤه؛ وهو أَجْدَرُ من طَهَّر هذا المسجد من أشياء يُنْزَه أن يَلْحَقَ به فُحْشُ عَابِهَا^(٤)، وشنعاء هو يعرف كيف يتبّعها وأهل مكة أَعْرَفُ بشعابها.

فليتلقَ رايةَ هذه الولاية باليمين، وليتوقَّ ما [يتخوَّف] ^(٥) به ذلك البلد الأمين،

(١) الجرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل.

(٢) الرّوْحَاء: بقعة منبسطة من عمل الفُرْع على نحو من أربعين يوماً. والفُرْع: قرية من نواحي المدينة. ونَعْمَان: وادٍ بين مكة والطائف (معجم البلدان: ٧٦/٣ و ٢٥٢/٤ و ٢٩٣/٥).

(٣) المُعَرَّف: موضع الوقوف بعرفة. والأبطح: موضع منبسط يُضَاف إلى مكة وإلى منى، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة.

(معجم البلدان: ٧٤/١ و ١٥٥/٥)

(٤) العاب والعيب بمعنى واحد.

(٥) في طق «يتجؤون». والتصحيح من الصبح.

وليعلم أنه قد أعطى الله عهده وهو بين رُكنٍ ومقام، وأنه قد بايع الله، والله عزيز ذو انتقام، وليعمر تلك المواطن، ويعم بيته المار والقطن، ويعمل في ذلك بما [ينجث عنه نجاره] (١)، ويأمن به سكان ذلك الحرم الذي لا يروغ حمامه فكيف جاره، وليُنصت إلى اسمه [عز وجل] حيث يعلن به الداعي على قبة زمزم في كل مساءً ويعرف حق هذه النعمة، ويعامل من ولي عليهم بما يليق أن يعامل به من وقف تحت مِيزاب الرحمة؛ وقد أكد مؤثقه والله في نقضه، ومدد عليه (٢) يده والحجر الأسود يمين الله في أرضه، وليتبصر أين هو فإن الله قد استأمنه على بيته الذي بناه، وسلمه إليه بمشعره الحرام ومسجد خيفه (٣) ومناه؛ وإنه البيت المقصود: وكل من تشوق حمى ليلى فإنما قصده أو لعلع بللغ (٤) فإنما عناه؛ وفي جمعه يجتمع كل شتيت، وفي ليالي مناه يطيب المبيت، وبمحصبه (٥) تقام المواسم، وتفتت الثغور البواسم، وتهب من قبل نعمان الرياح النواسم، وفي عقوة داره محط الرحال في كل عام، ومقر كل ذات عود تجذب بقلع وعوذ (٦) تقاد بزمام، وإليه تضرب الرجال البراري والبحار، وتأتيه الوفود على كل قطار يحدث من الأقطار؛ وكل هؤلاء إنما يأتون في ذمام الله بيته الذي من دخله كان آمناً، وإلى محلّ ابن بنت نبيه الذي يلزمه من طريق بر الضيف ما أخذ لهم وإن لم يكن ضامناً.

فليأخذ بمن أطاع من عصي، وليردع كل مفسد ولا سيما العبد فإن العبد لا يزرجه إلا العصا، وليتلق الحجاج بالرحب والسعة، فهم زواره وقد دعاهم إلى

(١) في طق «ينجب به نجاده». والتصحيح من الصبح.

وينجث: يستخرج. والنجار: الأصل.

(٢) الضمير يعود إلى الحجر الأسود. وعبارة صبح الأعشى: «ومد يده على الحجر الأسود. يمين الله في أرضه».

(٣) مسجد الخيف في منى. (معجم البلدان: ٤١٢/٢)

(٤) لعلع: موضع ماء في ديار بكر. وقيل: منزل بين البصرة والكوفة.

(انظر معجم البلدان: ١٨/٥. وصفة جزيرة العرب: ٢٦٤)

(٥) المحصب: موضع رمي الجمار بمنى. (معجم البلدان: ٦٢/٥)

(٦) العائد: جمع عوذ، وعودان، وهي الناقة تكون حديثة عهد بالتناج. (لسان العرب)

بيته وإنما دعاهم إلى دَعَاةٍ؛ ولتلقَّ المحمّل الشريف والعصائب المنصورة، وليخدُم على العادة التي هي من الأدب مع الله مَعْنَى وَمَعْنَا صورة؛ وليأخذ بخواطر التُّجَار فإنهم سبَّب الرَّفْقَ لأهل هذا البلد وتَوَسَّعَ ما لديهم، والمستجاب فيهم دَعْوَةُ خليله إبراهيم - صلوات الله عليه - إذ قال: ﴿وَأَجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ولا تَتَحَيَّفْ أموالهم بغرامةٍ يَقْبَلُ بها الغنم، ولا بظلامة فإنه بإزاء هذا البيت الذي يُرَدُّ دونه من اراد فيه إلحاداً بظلم؛ ولينظر كيف حُسِبَ دونه الفيل، وليكيف عَادِيَةً من جاوره من الأعراب حتى لا يخاف ابن سبيل؛ وليُقَمِّ شعائر الشَّرْعِ المطَّهَّر، وأوامِرَ أَحْكَامِهِ التي قامت بأبويه: بحكم جدِّه سيِّدنا محمد ﷺ وسَيْفِ أبيه حيدر؛ وليأمر طوائف الأشراف وأشياعهم وسائر أهل موالاتهم وأتباعهم بلزوم ما كان عليه صالح السلف وما عليه الإجماع، وتَجَنَّب ما كانت الزُّيْدِيَّةُ قد زادت فيه وكَفَّ الأطماع؛ ولتَقِ الله فإنه مسؤولٌ لديه عما آسترعاه وقد أصبح وهو له رَاعٍ؛ وإياه أن يَتَكَلَّ على شرف بلده، فإن الأرض لا تَقْدَسُ أحداً، أو شَرَفٍ مَحْتَدِهِ، فإن يوم القيامة لا يَنْفَعُ فيه ولدٌ والداً ولا والدٌ ولداً».

١١ - وصية أمير المدينة المشرفة:

«فكَمَّلْ بتقوى الله شرفك، وأتَّبِعْ في الشريعة الشريفة سلفك؛ وكتاب الله المُتَزَّل؛ أنتم أهل بيت فيكم تنزَّل، وسنة جدكم سيِّدنا رسول الله ﷺ لا تُهْمَل، وهي مجدكم المؤثَّل، ومعرفة حق من مضى عنكم، وإلا فعمَّن تُنْقَل، ومنكم، وإلا فممن تومَّل؛ وإزالة البدع وإلا فلاي شيء سيوفكم تُصَقَّل، ولماذا رماحكم تعدَّل، والرافضة وغلاة الشيعة هم دَنَسٌ من أنتمى إلى هذا البيت الشريف بولائه، وسبب وقوف من يقصد الدُّخول تحت لوائه، فهم وإن حُسبوا من أمداده، ليسوا - وحاشي نور الساطع - إلا من المكثرين لسواده؛ أرادوا حفظ المودَّة في القربى فأخلوا، وقصدوا تكثير عددهم فقلُّوا، وأنف من هو بريء من سوء مذهبهم، أن يتظاهر بالولاء فيعدُّ في أهل البدع بسببهم، مع أنهم طمعوا في رضَى الله فأخطأتهم المطامع، وصحيح أنهم

زادوهم عدداً إلا أنها كزيادة [الشَّغْيَاء] (١) أو كزيادة الأصابع . فصَمَّم عَزَمَكَ عَلَى مَا عَاهَدَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قُضَاتِهِمْ ، وَمَنْعِهِمْ هُمْ وَمَنْ أَتَّبَعَ خَطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرَضَاتِهِمْ ، وَحَدَّرَهُمْ مِمَّا لَا يَعُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ سِتْرٌ يُسْبَلُ ، وَلَا يَبْقَى مَعَهُ لَغَيْرِ السَّيْفِ حُكْمٌ يَقْبَلُ ؛ فَمَنْ خَاضَ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ يَمًّا دَمًّا أَغْرَقَ فِي تَيَّارِهِ ، أَوْ قَدَحَ فِيهِمْ زِنَادَ عِنَادٍ أَحْرَقَ بِنَارِهِ ؛ وَالزَّمَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ بِكَلِمَةِ السَّنَةِ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا رُفِعَتْ بِتِلْكَ الْمَوَاطِنِ الْمَعْظَمَةِ أَعْلَامُهَا ، وَسُمِعَتْ فِي تِلْكَ الْحُجْرَةِ الْمَكْرَمَةِ أَحْكَامُهَا ، مَعَ تَعْفِيهِ آثَارَ مَا يَنْشَأُ عَلَى هَذِهِ الْبَدْعَةِ مِنَ الْفِتَنِ حَتَّى لَا يَنْعَقِدَ لَهَا نَقْعٌ مُثَارٌ ، وَتَوَاطِئَةٌ أَكْنَافٌ [ذَلِكَ] الْجَمْعِيُّ لِثَلَا يَبْقَى بِهِ لِمُبْطَلٍ فِي مَدَارِجِ نَطْقِهِ عِثَارٌ ؛ وَالْوَصِيَّةُ بِسَكَّانِ هَذَا الْحَرَمِ الشَّرِيفِ وَمَنْ يَنْزِلُ بِهِ مِنْ نَزِيلٍ ، وَيَجَارُ بِهِ مَسْتَقَرًّا فِي مِهَادِ إِقَامَةٍ أَوْ مُسْتَوْفَزًا عَلَى جَنَاحِ رَحِيلٍ ، وَمَنْ يَهْوِي إِلَيْهِمْ مِنْ رِكَابٍ ، وَيَأْوِي إِلَيْهِمْ مِنْ رُفْقَةٍ مَالَتْ مِنَ نَشْوَاتِ الْكُرَى بِهِمْ رَاقِصَاتُ النَّجَائِبِ ، وَمَنْ يَصِلُ مِنْ رِكْبَانِ الْآفَاقِ ، وَإِخْوَانِ أَنْوَى يَتَشَاكُونَ إِلَيْهِمْ مُرَّ الْفِرَاقِ ، وَمَنْ يَتَلَقَّى بِهَا مِنْ طَوَائِفِ كُلِّهِمْ فِي بِيوتِ هَذَا الْحَيِّ عُشَّاقٍ ، وَأُمَمٍ شَتَّى جَمُوعُهُمْ مِنْ مِصْرٍ وَشَامٍ وَيَمَنَ وَعِرَاقٍ ، وَمَا يَصِلُ مَعَهُمْ فِي مَسِيلِ وَفُودِنَا ، وَسَبِيلِ جُودِنَا ، وَمَحَامِلِنَا الشَّرِيفَةِ الَّتِي يُنْصَبُ لَنَا بِهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ سَرِيرٌ ، وَأَعْلَامِنَا الَّتِي مَا سُمِّيَتْ بِالْعِقبَانِ إِلَّا وَهِيَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَشْوَاقِ تَطِيرُ ؛ فَمَتَى شَعَرْتَ بِمَقْدَمِ رِكَابِهِمْ ، أَوْ بَرَقَتْ لَكَ عَوَارِضُ الْأَقْمَارِ مِنْ سَمَاءِ قِبَابِهِمْ ، فَبَادِرْ إِلَى تَلْقَائِهِمْ ، وَقَبَّلْ لَنَا الْأَرْضَ فِي آثَارِ مَوَاطِينِهِمْ ، وَقُمْ بِمَا يَجِبُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ وَطَاعَتِنَا ، وَأَخْرِجْ عَنْهُمْ كُلَّ يَدٍ وَلَا تُخْرِجْهُمْ عَنْ جَمَاعَتِنَا .

وَأَهْلُ الْبَادِيَةِ هُمْ حَزْبُكَ الْجَيْشِ اللَّهَامِ ، وَحَرْبِكَ إِذَا كَانَ وَقُودَهَا جُثْثٌ وَهَامٌ ، وَهُمْ قَوْمٌ لَمْ يُوَدِّبْهُمْ الْحَضْرُ ، وَلَا يَبِيْتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَنْفَتِهِ عَلَى حَدْرٍ ؛ فَاسْتَجَلِبْ بِمَدَارَاتِكَ قُلُوبَهُمِ الْأَشْتَاتِ ؛ وَبَادِرْ حِبَالَ إِبِلِهِمِ النَّافِرَةِ قَبْلَ الْبَتَاتِ (٢) ، وَتَرَقَّبْ مَرَامِينَا

(١) فِي طَوْقِ «الشَّفَاه» وَهُوَ خَطَأٌ . وَالسَّنُّ الشَّاعِيَّةُ وَالشَّغْيَاءُ هِيَ الزَّائِدَةُ عَلَى الْأَسْنَانِ ، وَهِيَ الْمَخَالَفَةُ لِنَبْتَةِ غَيْرِهَا مِنْ الْأَسْنَانِ . (انظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ)

(٢) فِي الصَّبْحِ «الْإِبْتَات» .

المطاعة إذا ذُرت لك مشارفها، وتَأَهَّبَ لجهاد أعداء الله متى لمعت لك من الحروب بوارفها، وأَحْسِنُ كما أَحْسَنَ اللهُ إليك، ولولا أن السيف لا يحتاج إلى حِلْيَةٍ لأَطلنا حمائل ما نمليه عليك، فما شَهَدَ للشَّريف بصحَّة نَسبه، أَزكى من عمله بحسبه؛ والله تعالى يَقْوِي أسبابك المتينة، ويمتَع العيونَ بلوامعك المُبينة، ويمسك بك ما طال به إرجاف أهل المدينة».

١٢ - وصية ناظر الحرمين:

«وليعلم أن نَظَرَه في هذا البيت المقدس نظيراً نَظَرَه في البيت المحرّم، وأن تَدَمَّمَه بضريح الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام مثل تَدَمُّمِه بقرآبه سيّدنا محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلّم، وأنه إذا أمَّ القُدسَ كان تشبيهاً بقصد مَكَّة إذا يَمَّم، وإذا زَمَّ المطايا إلى عين سلوان^(١) كان كمن زَمَّ إلى زَمَزَم، وإذا زار بلد الخليل كان مثل من زار طَيِّبَةَ^(٢) إلا أنه ما أُسْبِلَ فاضِلَ بُرْدِه ولا تَلَمَّ، وإذا علا نَشْراً من جبال الأرض المقدسة كان كأنما علا جبال الحجاز وإن لم تحدّ ركائبه بأحد ولا ألمَّ بيلملم^(٣).

فليأشِر هذا النَّظَر بعين لا تَمَلُّ من النظر، ولا تخلّ بمصالح يوفي بها النَّذْر مَنْ نَذَرَ، وليتعهَّد هذين الحرمين الشريفين متعهِّداً لأوقافهما تعهِّد المطر، وليردِّد في أكنافهما وليتفقَّد دوام إسعافهما بما وصلت إليه طاقته وما قَدَرَ، وليُقم وظائفهما أتمَّ القيام، وليدِّم عوارِفهما التي تعمُّ من جاور فيهما مقيماً أو مرَّ بهما وما أقام؛ وليلزِم أرباب الخدم فيهما بما يلزم كلاً منهم عمله، وليرم في قلوبهم رُعباً لا يغيب عن عيانهم، وليمدِّ السَّماط الكريم للظَّاعن والمقيم، وليعلم أنه قد ناب عن صاحبه عليه

(١) سلوان: محلة في ريف مدينة بيت المقدس، تحتها عين عذبة تسقي جناناً عظيمة وقفها عثمان بن عفان على ضعفاء البلد، تحتها بئر أيوب. ويزعمون أن ماء زمزم يزور ماء هذه العين ليلة عرفة.

(معجم البلدان: ١٧٨/٤)

(٢) طَيِّبَةُ: اسم للمدينة المنورة (انظر معجم البلدان: ٥٣/٤)

(٣) يَلْمَلَمُ: ويقال: أَلْمَلَمُ؛ وهو موضع على ليلتين من مكة؛ وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد مُعَاذ بن

جبل. (معجم البلدان: ٤٤١/٥)

الصلوة والسلام في إفاضة برّه العميم، وإضافة الطّارق المتّاب في ضُحىّ النهار ودُجىّ الليل البهيم، ووقف في بابه يتلقّى الضّيفان وهو يعلم ما يلزم من وقف في باب كريم؛ وليسط يديه بسمح ذلك الجُود، ويفتح ويمد ذلك السماط فإنهما ما أنقطعا من الوفود.

وأصلّ الوصايا تقوى الله، وما يُنبّه على وصية إلا وفيه أحسنها، وبآدابه الحسنى يجمع مسيئها ويُزاد محسنها».

١٣ - وصية أمير العرب:

«والتقوى ذرْعك الحصين، والشّرْع الشريف سبيلك المُبين، والحدودُ والقصاص بهما تمنع المحارم، والجهاد فإن فيه شفاء لصدور الصّوارم؛ فأقتد بالإنصاف زمام زمانك، وأثّن إلى الحقّ عنان عنانك، وفرغ فكرك لمصالح الإسلام، وأمنع كل طارق حتى الطّيف في الأحلام، ومزق بعزمك جلايبب الدّيجور، وفرق بغوثك والصبح بالكوكب الدرّي منحور، وأستعلم أخبار العدا في طليعة كل صباح، وتأهّب لهم فربّ يوم يجيء بوجه وقاح^(١)، وأثبت في اللقاء ثبات مجرب، وتطلّع إلى جموعهم التي كم ناظر إليها مع الصبح نجم مغرب، ولا تفارق من وجه البلاد وسيمما، ولا تشمّ من غير الطيبة نسيمما، وإذا نزلت على الباب فلا تطلب سوى البراعة له قسيمما، ولا تبدّل بالفرات وإرداء، ولا تتبعك المناظر إذا أرسلت طرفك إلى سواها رائدا؛ وأضرب بقارعة الطريق خيامك، وأنشر [للمعتافين]^(٢) غمامك، وطنب دخانك إلى السماء وأبسط ضيرامك، وأقبل على الذكر الجميل فكلّ شيء غادٍ ورائح، وأنزل بساحتك الضيوف وأنحر لهم كؤوم الهجان وكلّ طرف^(٣) سانح، وأحفظ أطراف البلاد ممن يتولّع بينانها، أو يترصد لمرايع أسودها أو مراتع غزلانها، وخصّ الرعايا

(١) يقال: رجل وقّاح الوجه أي قليل الحياء

(٢) أي المسافرين. أعتاف الرجل: تزوّد للسفر. وقد وردت في طق «المعتفين».

(٣) الطّرف (بكسر الطاء المهملة) هو الكريم من الخيل ونحوها. والسّانح من الطير والظباء وغيرها هو الذي مرّ من مياسرك إلى ميامنك فولّك ميامنه. والعرب يتيمنون به. وعكسه البارح.

برعاية تُنبت لهم الزُّروع، وتُدِرُّ من سوائهم الضُّروع، ولا تدخل إلى البرية إلا إذا لم يبق لك بالبلاد مُقام، ولا منزل بين شَيْحٍ وخُزَام^(١).

وأما العربُ فهو أميرهم المُطاع، وأميرهم وهم له أتباع، وهو يعرف مقاديرهم، وكيف يعاملُ كبيرهم وصغيرهم، فليجمعهم على طاعتنا الشريفة ما أستطاع؛ وليمنعهم من طبع الطُّباع، وليصدِّعهم بالحقِّ على حُكم استحقاقهم في كلِّ إقطاع وأقطاع؛ وهو بما يصلح لركابنا العالي من الخيلِ جِدُّ خبير، وبما يناسب سَرَجنا الشريف من كلِّ سابقٍ وسابقة^(٢) مالها نظير؛ فليأخذ نفسه وإخوته وبنِي عمِّه وأهلَه وعترته الأقربين، بأن يكونوا بالجياد إلينا متقربين، ومتى وردت عليه مراسمنا الشريفة بأمرٍ سارع إلى العمل بحُكمه، أو اتَّصلَ متجدِّدٌ يُعلمنا منه بما وصل إلى علمه.

وهذا تقليدنا الشريف حُجةً على من سمَّعه، أو قصَّد في خِلافه تفریق كلمة مُجمَّعة. ومرسومنا أن يُنقل مضمونه إلى الآفاق، ويعلم به كلُّ مُصعِّدٍ إلى الشام ومُنحدرٍ إلى العراق، ليحدِّد به كلُّ حادٍ والركابُ تُساق، ويسمَّر به في كلِّ حيٍّ سائرٍ يتجاذب حواشي حديته الرِّفاق، ويتناجى كلُّ راكبٍ مطيةً وفارسٍ مُطهمةً عناق^(٣)؛ فمن بلغنا أنه حاد عن أمره، أو تأوَّل في نقض لرفعة قدره، فالسيفُ أسبقُ شيءٍ إلى نحره، والموتُ أعجلُ إليه لأنه فتح من فمه ما كان مسدوداً من باب قبره.

١٤ - وصيةٌ مُقدِّم الأكراد:

«فليجمع أشتات هذه الفرق، وليجمع من شملهم ما أفترق، وليؤلِّف قلوب أكابره ممن نَفَّر، وليذْهب بأس بينهم ليكون بأسهم فيمن كفر، وليخلص أظفار

(١) الشَّيْح: نبت سهلي من الفصيلة المركبة، رائحته طيبة قوية، ترعاه الماشية. والخُزَام: جنس نبات من الفصيلة الشغوية أنواعه عطرة.

(٢) السابق والسابقة من الخيل: السريعة.

(٣) كذا في ط. ق. ولعله «مناق» والمناق: السابق من الخيل (انظر لسان العرب). أو لعله أراد: عناق، وهو اسم فرس مشهور في الجاهلية كان لمسلم بن عمرو الباهلي. وقد كتبي به عن الخيل السابقة السريعة. (انظر: فائت الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام: ص ١٠٤؛ والقاموس: عناق).

بعضهم من بعض ليخلص الظفر، وليقرر عندهم أن إحساننا إليهم غير منزور^(١)، وأن أقل شبر أقطعناهم من الأرض خير لهم عند الله وعند أنفسهم مما لهم من أقصى العجم إلى شهرزور^(٢)، وأن أكنافنا الموطأة لهم خير من تلك الجبال الموعرة، وأن بلادنا الآمنة أقر لهم من تلك البلاد التي لا تزال محاصرة أو محصرة؛ وليعرف حق قبائلهم على اختلاف الشعوب، وأنواع الطوائف التي لو اتفقت كلمتها لما وجدت خيلاً تكفيها في الركوب، وليكرم منهم ذوي البيوت الكريمة، والإمرة القديمة، والأصول التي بلغت السماء فروعها، وحلت لمعان الشمس سيوفها المبرقة ودروعها؛ وليعلم أن صدقاتنا العميمة غير قليلة، وأن رعايتنا الشريفة ستعمهم وتوقد نار كل قبيلة، وأنا لا ينقص عندنا بخت «بختي»^(٣)، ولا ننسى طرف «ديسني»، ولا نحل أزرار «زرزاري» إلا لنلبسه الملبس السني، ولا نسهر طرف «سهري» إلا لينام قير العين، ولا نتعب «راندوادي» وما فيهم [إلا من هو] ذو الخويرة ولا فيهم إلا من هو ذو اليمين.

وكذلك بقية أنفارهم الذين ألفهم الإحسان، وعرفهم الجود بما أوجب لبلادهم ومن خلفوا فيها من أولادهم للنسيان. وأنت عليهم الأمير، والجامع لهم بمشيئة الله على الطاعة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير؛ فأعرف منهم ساكن كل عمود^(٤) وجدار، ومن قربت به أو بعدت الدار، وضمهم إلى كف الاكتناف، وألفهم بكلمة الائتلاف، وكُن بهم على انتظار ما صرفنا إليه الوجه من الجهاد، والتأهب بلبس الجلد للجلاد، واتخاذ أكابر فيهم لتصل منهم يدك بالبنان، وتشتد بهم كما يشتد

(١) أي غير قليل

(٢) شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمدان. أحدثها زوربن الضحاك. ومعنى «شهر» بالفارسية: المدينة. وأهل هذه النواحي كلهم أكراد. (معجم البلدان: ٣/٣٧٥).

(٣) الواضح أن هذا الاسم والأسماء التالية هي لملوكهم. ولم نتوصل إلى ضبطها على وجه التحقيق.

(٤) أي ساكن الخيمة والبيت. وهو من باب تسمية الكل بالجزء.

بِكُحُوبِ الرِّمَاحِ الْمُثَقَّفَةِ السَّنَانِ؛ وَأَسْبُرَهُمْ بِخَوْضِ السَّبَارِيتِ^(١)، وَأَرْمِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَلَا تَخَفْ فَإِنَّهُمْ عَفَّارِيتٌ، وَأَلْزِمَ بِالْخِدْمَةِ الدَّائِمَةِ الْخَبْرَةَ، وَلَا تَلْزِمَ غَيْرَ الْمُخْبِرَةَ^(٢)، وَمَيِّزْ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ إِلَّا فِي الْأَوْقَاتِ الَّتِي تَحِيضُ فِيهَا الذِّكُورُ بِأَيْدِي الرِّجَالِ وَلَا تُعْرِفِ الْمُمَيَّزَةَ مِنْ غَيْرِ الْمُمَيَّزَةِ؛ وَمَنْ مَاتَ مِنْ ذَوِي الْإِقْطَاعِ آتَهُ خُبْرُهُ حَتَّى يُعَيِّنَ لغيرِهِ خُبْرَهُ^(٣)، وَكَذَا الْعَاجِزُ وَتَأَنَّ حَتَّى يَتَحَقَّقَ عَجْزُهُ، وَمَا يَجِبُ عَلَى أَصْحَابِ الْمَاشِيَةِ مِنْ حَقِّ هُوَ حَقُّ أَقْوَامٍ وَرِزْقُ طَوَائِفَ أُخْرَى مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ مَضَتْ عَلَيْهِ السَّنُونَ وَلَهُمْ فِي أَعْدَائِهِ أَيَّامٌ فَاعْمَلْ بِمَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِهِ فِي اسْتِخْرَاجِهِ بِالرَّفْقِ مِنْ غَيْرِ تَرْكِ شَيْءٍ مِنْهُ يُنْسَى فِي الْأَجْلِ، وَيُنْسَبُ إِلَى التَّقْصِيرِ إِذَا أَخْرَهَ عَنْ وَقْتِ اسْتِحْقَاقِهِ فِي الْعَاجِلِ. وَكَذَلِكَ مِيرَاثٌ مِنْ مَاتَ مِنْهُمْ وَلَا وَاثَرٌ لَهُ إِلَّا بَيْتَ الْمَالِ، وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَهِيَ الْعُدَّةُ لِلْمَالِ».

١٥ - وصية مقدم التركمان:

«فَلِيَجْمَعْ لَنَا طَوَائِفَ التُّرْكَمَانَ، وَلِيَأْمُرْهُمْ بِالِاسْتِعْدَادِ لِلْجِهَادِ فَإِنَّهُمْ تَرَكُوا الْإِيمَانَ، وَلَا يَدْعُ مِنْهُمْ - إِذَا رَسَمْنَا لَهُ - مَنْ يُلْقَمُ سَهْمُهُ الْوَتْرَ، وَمَنْ إِذَا جَرَّ قَوْسَهُ رَأَى مِنْهُ طَالِعًا فِي الْعَقْرَبِ الْقَمَرِ. وَلِيَجْمَعْ طَوَائِفَهُمْ عَلَى كَثْرَةِ أَفْرَاقِهِمْ، وَبُعْدِ مَا بَيْنَ بَيْتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ، وَلِيَوْلِّفَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ الَّتِي بِهَا تَقَدَّمَ، وَبِسَبَبِهَا سَدَّدَ سَمَهْرِيَّهِ وَتَقَوَّمَ؛ وَسَهَامُهُمْ هِيَ الَّتِي تَبْقَى، وَسَيُوفُّهُمْ هِيَ الْأَرَاقِمُ الَّتِي لَا تَلِينُ لِلرُّقْيِ؛ وَمَا بَرَحَتْ تُرْفَعُ لَهُمُ الْقِيَابُ، وَتَشْفَعُ لَهُمْ إِلَيْنَا وَصَائِلُ الْأَنْسَابِ، وَوَسَائِلُ الْأَسْبَابِ. وَلِيَأْمُرْ أَمْرَاءَهُمْ بِإِقَامَةِ وَطَائِفِ الْإِمْرَةِ وَدَقِّ الطَّبْلَخَانَاتِ^(٣) كُلِّ عَشِيَّةٍ، وَمَا يَظْهَرُ فِيهِ التَّفَاوُتُ بَيْنَ كُلِّ ذِي هِمَّةٍ وَضَيْعَةٍ وَهَمَّةٍ عَلَيْهِ، وَمَنْ مَاتَ مِنَ الْمُخْبِرَةِ أَنْهَى إِلَيْنَا - أَوْ إِلَى مَنْ قَرَبَ إِلَيْهِ مِنْ

(١) اسبرهم: أي اختبرهم. والسباريت جمع سبروت. والسبروت من الأرض: القفر، وهي سبروتة. ويقال: أرض سباريت، كما يقال: ثوب أخلاق.

(٢) المخبرة: الذين لهم إقطاع معين، وعليهم مقدمة مقررة إلى بيت المال. ولفظ الخبز كان يستعمل في هذا العصر بمعنى الراتب المقرر والإقطاع.

(٣) هي مجموعة الطبول والأبواق والزمر. - راجع ص ١٠٢ حاشية (١).

نوابنا - خبره، وألزم مَنْ طلب إقطاعه من مُخلفيه بما عليه من التَّقْدِمة المقرَّره. ومن لم يترك وارثاً إلا بيت المال حُفِظَ له حقُّه الموروث: فإنه مال الله المقسوم، ولكل مسلم فيه حقٌ معلوم. وما هو على السَّائِمة من الزَّكاة يساعِد على آسْتِخْرَاجِه، وإيصال الحق إلى مستحقِّه وإلى كل مُقْطَع على حُكْم مَنشُورِه الشريفة أو إفراجِه.

وتَقْوَى اللهُ سَبَبُ مزيده فلا يزال متمسكاً بذلك السَّبب، وليقم منها بما وَجِبَ.

١٦ - وصية مُقدِّم الجبليَّة:

«وليَعْرِفْ ما قُلِّدَ من المِنَنِ، ويعلم أنه قد قُدِّمَ على الفريقين من قيس ويَمَن، وأنه قد جُمِعَت له هذه الذوائب، وحُمِلت له الرايات: هذه محمَّرَةٌ الخدود وهذه صُفْرُ التَّرابِ. وقد قُلِّدَ هذا الأمرَ الجَلَل، وجُمِعَ عليه أهل السَّهْلِ والجبَل؛ وهو لا يُعَدَم من نُصَحَاءِ الطائفتين، قولَ المشير، ومن كُبراءِ الفريقين، من يحسِّن له العسير. ولم نَقْدَمُه إلا لعلنا أنه ممَّن لا يستميله الهوى، ولا يُمليه حظ النفس لأقربائه ولو سَقَطَ الجبلُ أو هوى. فليكن عند ظنِّنا الجميل، وليعدُلْ بكل سبيل؛ فكلمةُ الإسلام تجمع الجميع، وتعمُّ الكلَّ في حُكْمِ التَّشْرِيع. فليُصْلِح ذاتَ بينهم، وليُسْقِطَ بينهم ما كانت رجالُ كل فرقة تطلب به الأخرى من دِينهم، فقد قال رسول الله ﷺ: «المسلمون تتكافأ دِمَاؤُهُم وَيَسْعَى بِدِمَتِهِمْ أَدْنَاهُمْ» فليجعل هذا الحديث مُسْنَدَه، ولييسط به لسانه ويكفَّ يده، وليفُضَّ جَمْعَهُم على صلحٍ يعمل على أنه يدوم، وتندمل به الجراح وتعفو الكلوم، ويُدْفَن كلُّ قتيل عند أهله، وتبطل به دَعْوَى كلِّ فريق متى ادَّعى به ادَّعى الآخرُ بمثله؛ وليجفَّف تلك الدماء التي كانت تَتَّعَبُ^(١)، ويرأب تلك الصُدُوع التي كانت تتشعب، وليُنزِلِ القبيلتين منزلةَ أبناءِ أب واحد، ويصْرِفْ بأسَهُم الذي كان بينهم إلى كلِّ جاحِد؛ وليتَأَلَّفَهُم بجُهدِه، وليفهم عليه ببذلِ رِفْدِه؛ وليسْتَصْفِ خواطرَ بعضهم لبعض، ويعلمهم أن الشيطان الذي دخل بينهم قد آن له أن يخلد إلى الأرض؛ وليَعْرِفْ لكلِّ من الفريقين حقَّ سابقه قديمة، ومكانه في أوَّل الإسلام

(١) أي تتفجر وتسيل.

عظيمة؛ وإنما هم لَمَعُ من تلك الأنوار، وتَبَعُ لأسلافهم ذوي المهاجرين
والأنصار؛ وليجعل هِمَمَهُم على الجهاد مجتمعه، وعلى أعداء الله وأعداء الدولة
القاهرة مُجْمِعَهُ؛ وليَدَعُ سيوفهم تَقَرُّ في الأَجْفَانِ^(١)، وخطواتهم في الخدمة لا تحفُّ
بها أسود الغيل عن خَفَانِ^(٢)؛ وليَنهَهُم عن دَعْوَى الجاهليَّة، ويخفِّف عن الرِّقَابِ تلك
البلية؛ وليُعَلِّمهم أنهم مسؤولون، - ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا
يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] -

ويُسكن في رؤوس تلك الجبال نُسُورَهُم القَشَاعِمِ، وحياتهم الأراقِمِ، ليكونوا
أوقات الحاجة أهل قوة وجَلْد، وأولي بأسٍ شديدٍ على الأعداء لا على ابن عمِّ مَدَانٍ
وآبن أخت حكمه حكم الولد. وتقوى الله في تعظيم حُرَمَاتِهِ هي المنهل العذب
الكثير الزحَامِ، والأمر المطاع ولا كقوله عزَّ من قائل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

١٧ - وصيةٌ مُستوفي الصُّحبة: (٣)

«فهو المهيمُنُ على الأقلام، والمؤمَّن على مصرَ والشَّام، والمؤمَّل لما يكتب
بخطه من كل ترتيب وإنعام، والملازم لصُحبة سلطانه في كلِّ سَفَرٍ ومُقَامٍ؛ وهو
مُستوفي الصُّحبة، [والمُستولي بالهِمَمِ]^(٤) على كلِّ رُتَبَةٍ، والمُعَوَّل على تحريره،
والمعمولُ بتقريره، والمرجوعُ في كلِّ الأمور إلى تقديره. به يتحرَّر كلُّ كَشْفٍ، ويكفُّ
كلُّ كَفٍّ، وبتزيله وإلا ما يكملُ استخدامٌ ولا صَرْفٌ؛ وهو المتصَفِّحُ عَنَّا لكل
حساب، والمتطلِّع إلى ما حَضَرَ وغاب، والمناقِشُ لأقلام الكُتَّاب، والمحقِّقُ الذي إذ
قالَ قالَ الذي عنده عِلْمٌ من الكتاب، والمُظهِرُ للخبايا، والمُطلِّعُ للخفايا، والمتفَوِّقُ

(١) جمع جفن وهو غمد السيف.

(٢) خَفَانٌ: موضع كثير الأسد؛ والغيل: مجتمع الأسود.

(٣) مستوفي الصُّحبة: يشارك الوزير ويوصي بإلزام الكُتَّاب بما يلزمهم من الأعمال وتحريرها، وعمل
المكلفات، وتقدير المساحات وتمييز قيم بعضها على بعض، ومستجدُّ الجرائد وما يقابل عليه من ديوان
الإقطاعات والأحباس وغير ذلك. (صبح الأعشى: ٩٤/١١).

(٤) في طق «مستولي المهيم . . الخ».

على صحّة ما عنده إذا حصل الخلاف، ووصل الأمر فيه إلى التّلاف.

ولِيُزِمَ الكُتَابَ بما يلزمهم من الأعمال، ويحرّرها بالمستقرّ إطلاقه^(١) وضرائب رؤوس المال، وعمَل المكلّفات^(٢) وأن يُكلّفوا عمَلها، وتقدير المساحات وليتّبع [خللها]^(٣). وليُلزِمهم بتمييز قيمها بعض [عن] بعض، وتفاوت ما بين تسجيل الفُدن في كل بلد بحسب ما يصلح له زراعة كلّ أرض، وبمستجدّ الجرائد وما يقابل عليه ديوان الإقطاع والأحباس^(٤)، وغير ذلك مما لا يحصل فيه التباس.

ومثلك لا يزداد^(٥) بالتعليم، ولا يُنازع فكلُّ شيء يؤخذ منه بالتّسليم؛ وما ثمَّ ما يوصى به ربُّ وظيفة إلا وعنده يُنزَل علمه، وفيه يُنزّه فهمه؛ وملاك الكلّ تقوى الله والأمانة فهما الجُنتان الواقيتان، والجُنتان الباقيتان؛ وقد عُرف منهما بما يُفاضُ منه عليه أسبغُ جلباب، وأسبَلُ سترِ يُصانُ به هو ومن يتّخذهم من مُعينين ونُواب. والله تعالى يبلّغه من الرّتب أقصاها، ويُجري قلمه الذي لا يدعُ في مال ممالكننا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. »

(١) في صبح الأعشى «بمستقر إطلاقه».

(٢) بعد نموّ الزرع وإثباته في أوراق مربوطة، تُضمّ جميع هذه الأوراق وتجمع ثم تنظم وتكتب بها أوراق هامة تسمّى «المكلّفة» تسلّم لديوان المقطع نسخ منها.

(صبح الأعشى: ٤٥٤/٣ و ٩٤/١١)

(٣) في طق «دخلها». وما أثبتناه من الصبح وهو أوضح.

(٤) ديوان الأحباس هو ديوان الأوقاف. وقد أنشئ أول ما أنشئ في عهد الفاطميين. وكان هذا الديوان يتولى شؤون الأوقاف الخاصة والعامة. فالأوقاف الخاصة هي التي كان أفراد الناس يوقفونها على أعمال البرّ من باب الزلفى والتقوى، وتسد إلى ديوان الأوقاف لتوزيعها. أما الأوقاف العامة فهي ما توقفه الدولة على المنشآت العامة ومنها الجوامع والمارستانات. وكان متولي هذا الديوان يختار من بين العلماء المشهورين بالتقوى والصلاح والقدرة على الفتيا.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ١٤١).

(٥) في الصبح: «يزوّد».

١٨ - وصية جامعة لقاضٍ من أي مذهب كان (١):

«وهذه الرتبة التي جعل الله إليها منتهى القضايا، وإنهاء الشكاياء، ولا يكون صاحبها إلا من العلماء، الذين هم ورثة الأنبياء، (ومتولي الأحكام الشرعية بها كما ورث عن نبي الله ﷺ علمه، كذلك ورث حكمه؛ وقد أصبح بيده زمام الأحكام، وفصل القضاء الذي يُعرض بعضه بعده على غيره من الحكام؛ وما منهم إلا من ينفذ نقد الصيرفي، وينفذ حكمه نفاذ المشرفي؛ فليتروا في أحكامه قبل إمضائها، وفي المحاكمات إليه قبل فصل قضائها؛ وليراجع الأمر مرة بعد مرة حتى يزول عنه الالتباس، ويعاود فيه بعد التأمل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والإجماع والقياس؛ وما أشكل عليه بعد ذلك فليجمل ظلمه بالاستخاره، وليحل مشكله بالاستشارة، ولا ير نقصاً عليه إذا استشار فقد أمر الله رسوله ﷺ بالشورى، ومر من أول السلف من جعلها بينه وبين خطأ الاجتهاد سورا، فقد ينسح للمرء ما أعيأ غيره وقد أكثر فيه الدأب، ويتفطن الصغير لما لم يفتن إليه الكبير كما فطن ابن عمر للنخلة [و] ما منعه أن يتكلم إلا صغر سنه ولزوماً مع من هو أكبر منه للأدب؛ ثم إذا وضح له الحق قضى به لمستحقه، وسجل (٢) له به وأشهد على نفسه بثبوت حقه، وحكم له به حكماً يسره يوم القيامة أن يراه، وإذا كتب له به ذكر بخير إذا بلي وبقي الدهر ما كتبت يده. وليسو بين الخصوم حتى في تقسيم النظر، وليجعل كل عمله على الحق فيما أباح وما حظر؛ وليجد النظر في أمر الشهود حتى لا يدخل عليه زيف، وليتحرر في استيلاء الشهادات قرب قاضٍ ذبح بغير سكين وشاهد قتل بغير سيف؛ ولا يقبل منهم إلا من عرف بالعدالة، وألف منه أن يرى أوامر النفس أشد العدى له - وغير هؤلاء ممن لم تجر له

(١) كان يلي الديار المصرية قاضٍ واحد هو قاضي قضاة الشافعية إلى أن كانت أيام الظاهر بيبرس في أوائل الدولة التركية، فاضطرب الأمر لاختلاف المذاهب، فافتضى رأي السلطان تقرير أربعة قضاة من كل مذهب قاضٍ، وهم الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي؛ وكتب لكل منهم تقليد بذلك. على أن قاضي القضاة الشافعي كان دائماً المقدم على غيره من سائر قضاة المذاهب في الدولة المملوكية. (انظر صبح الأعشى: ١٧٤/١١ وما بعدها).

(٢) في طق (وأسجل) وهو خطأ.

الشهادة عاده، ولا تصدّي للارتزاق بسُختها^(١) ومات [وهو] حيٌّ على الشَّهادة.

فليقبل منهم من لا يكون في قبُول مثله ملامه، فربَّ عدل بين منطِقَةٍ وسيِّف فاسقٍ في فَرَجِيَّة^(٢) وعمامة. ولينقب على ما يصدر من العقود التي يؤسُّس أكثرها على شفا جُرْف^(٣) هار، ويوقع في مثل السَّفاح إلا أن الحدود تُدراً بالشُّبهات ويبقى العار. وشهودُ القيمة الذين يقطعُ بقولهم في حقِّ كلِّ مستحقٍّ ومالٍ كلِّ يتيِّم، ويُقلِّد شهاداتهم على كلِّ أمرٍ عظيم، فلا يعوّل عنهم إلا على كلِّ ربِّ مالٍ عارفٍ لا تخفى عليه القِيَم، ولا يُخاف معه خطأ الحدس قد صقل التجريب مرآة فهمه على طول القِدَم. وليتأنَّ في ذلك كله أناة لا تقضي بضاعة الحق، ولا إلى المطاولة التي تُفضي إلى مللٍ من استحق. وليمهد لرّمسه، ولا يتعلَّل بأن القاضي أسيرُ الشهود وهو كذلك وإنما يسعى لخلص نفسه - والوكلاء هم بلاء المبرم، والشياطين المسوِّلون لمن توكلوا له بالباطل ليُقضَى لهم به وإنما تُقطعُ بهم قطعة من جهنم؛ فليُكفَّ بمهابته وساوِس أفكارهم، ومساوِي فجَّارهم، ولا يدع مجنئاً أحداً منهم ثمرةً إلا ممنوعه، ولا يدَّ اعتداءً تمتدُّ إلا مغلولَةً إلى عنقه أو تقطوعه؛ وليظهر بابَه من دَنَس الرسل الذين يمشون على غير الطريق، وإذا رأى واحداً منهم درهماً ودَّ لو حصل في يده ووقع في نار الحريق؛ وغير هذا مما لا يحتاج به مثله من يوصى، ولا أن يُحصى عليه منه أفراد عمله وهو لا يُحصى، ومنها النَّظَرُ في أمور قاف [أهل] مذهبه نظر العموم، فليعمُرْها بجميل نظره فربَّ نظرة أنفع من مواقع

(١) السُّخت: هو الرشوة في الحكم والشهادة ونحوهما. وهو كل مكسب حرام قبيح الذكر على وجه الإجمال.

(٢) الفَرَجِيَّة: ثوبٌ يلبس فوق سائر الثياب، أو يلقي على الكتفين إلقاءً. وله طوق وأردان طوال، ويكون أحياناً مفرجاً من القدام من أعلاه إلى أسفله، مزرراً بالأزرار؛ الجمع: الفَرَجِيَّات والفراجي. والمنطقة: حزام يشدُّ على الوسط، ويعبر عنها بالحياسة.

(٣) أي الذي يؤسُّس على أساس وإياه ما يلبث أن ينهار. والصورة هنا مؤسسة على الآية الكريمة: «أم من أسس بُنيانه على شفا جُرْفٍ هارٍ فأنهار به - التوبة: ١٠٩»

الغيوم، وليأخذ بقلوب طائفته الذين خُصَّ من بينهم بالتقديم، وتفاوت بُعد ما بينهم حتى صار يُزِيلُ عَارِضَ الرجل منهم النظرة [منه] ويأسو جراحه منه التكليم. وهذه الوصايا إنما ذُكرت له على سبيل الذُكْرَى، وفيه - بحمد الله - أضعافها ولهذ أوليناه - والحمد لله - سُكْرًا؛ وقد جعلنا له أن يستنيب من يكون بمثل أوصافه أو قريب من هذه المثابه؛ ومن يرضى به أن يحمل عنه الكَلَّ (١) ويقاسمه ثوابه؛ وتقوى الله هي جماع الخير ولا سيما لصاحب هذه الوظيفة، ولمن وليها أصلاً أو فرعاً لا يستغني عنها ربُّ حُكم مطلق التصرف ولا خليفه.

ويزاد الشافعي:

وليعلم أنه صدر المجلس، وأنه أدنى القوم وإن كانوا أشباهه منا حيث نجلس وأنه ذو الطيلسان الذي يخضع له ربُّ كلِّ سيفٍ ويُبليس، وليتحقق أنه إنما رفع علمه وتُقاها، وأن سببه دينه لا دنياه هو الذي رُقاها؛ فليقدر حقَّ هذه النعم، وليقف عند حدِّ منصبه الذي يودُّ لو اشترى سوادَ مداده بحُمُر النعم.

ويقال في وصيته:

وأمر دَعَاوَى بيت المال المعمور، ومحاكماته التي فيها حقُّ كل فردٍ فردٍ من الجمهور؛ فليحترز في قضايها غايةَ الاحتراز، وليعمل بما يقتضيه لها الحقُّ من الصيانة والإحراز، ولا يقبل فيها كلَّ بينةٍ للوكيل عن المسلمين فيها مدفع، ولا يعمل فيها بمسألةٍ ضعيفة يظن أنها ما تضرُّ عند الله فإنها ما تنفع؛ وله حقوق فلا يجد من يسعى في تملك شيء منها بالباطل منه إلا الياس، ولا يلتفت إلى مَنْ رخص لنفسه وقال: (هو مال السلطان) فإنه ما لنا فيه إلا ما لواحدٍ من الناس. وأموال الأيتام الذين حذر الله من أكل مالهم إلا بالمعروف لا بالشبهات، وقد مات آباؤهم ومنهم صغار يهتدون إلى غير الثدي للرضاع ومنهم حمل في بطون الأمهات؛ فليأمر المتحدِّثين لهم

(١) الكَلُّ: الحمل الثقيل.

بالإحسان إليهم، وليعرفهم بأنهم سيُجزون في بينهم بمثل ما يعملون معهم إذا ماتوا وتركوا ما في أيديهم، وليحذر منهم من لا ولد له: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم﴾ [النساء: ٩]. وليقص عليهم في مثل ذلك أبناء من سلف تذكيراً، وليل عليهم القرآن ويذكرهم بقوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال ليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ [النساء: ١٠].

والصدقات الموكولة إلى تصريف قلمه، المأكولة بعدم أمانة المباشرين وهي بي ذمه، يتيقظ لإجرائها على السداد في صرفها في وجوه استحقاقها، والعمل بما لا يجب سواه في أخذها وإنفاقها. والمسائل التي تفرّد بها مذهبه وترجّح عنده بها للعمل، وأعدّها عنها الجواب لله إذا سأل، لا يعمل فيها بمرجوح إلا إذا كان نصّ مذهبه إمامه أو عليه أكثر الأصحاب، ورآه وقد حكم به أهل العلم ممن تقدّمه رجحانه عنده وللأستصحاب. ونواب البر لا يقلّد منهم إلا من تحقّق استحقاقه، فإنه لما يولّيه على مسلمين لا علم لأكثرهم فهم إلى ذي [العلم] أشدّ فاقه؛ هذا إلى ما عرّف من ديانتهم ومن عفافهم الذي يتجرّع المرء منهم به مرارة الصبر من الفاقة وهو يتحلّى، ثم لا يزال له عين عليهم فإن الرجال كالصناديق المقفلة لا يعرف الرجل ما وحتى يتولّى.

ويزاد الحنفى :

وليعلم أن إمامه أول من دون الفقه وجمعه، وتقدّم وأسبق العلماء من تبعه، في مذهبه ومذاهب أصحابه [أقوال] (١) في المذهب، ومسائل ما لحقه فيها مالك وهو ل من جاء بعده وممن يعدّ من سوابقه أشهب، ومن أهمّها تزويج الصغائر، حصينهنّ بالأكفاء من الأزواج خوفاً عليهن من الكبائر؛ وشفعة الجوار التي لولم ين من رأيهم لما أمن جار السوء على رغم الأنوف، ولأقام الرجل الدهر ساكناً في ربه بين أهله وهو يتوقّع المخوف؛ وكذلك نفقة المعتدة التي [هي] في أسر من طلقها

(١) في طق «أفراد». والتصحيح من الصبح.

وإن بُتَّتْ من جباله، وبقيت لا هو بالذي يُنْفَقُ عليها ولا هي بالتي تستطيع أن تتزوج من رجل يُنْفَقُ عليها من ماله؛ ومن أستاذان مالا فأكله وأدعى الإعسار، ولفَّقَ له بيَّنةً أراد أن تُسمع له ولم يدخل الحبسَ ولا أُرهِقَ من أمره الأعسار؛ وأهل مذهبه على أنه يُسَجَنُ أولاً ويمكنُ مدة، ثم إذا ادَّعى أن له بيَّنةً أحضرت ثم هل تُقبل أو لا - فهذا - وأمثاله ممَّا فيه عُمومٌ صلاح، وعظيمُ نفع ما فيه جناح، فليقتض في هذا كله إذا رآه بمقتضى مذهبه، وليهتد في هذه الآراء وسواها بقمر إمامه الطال أبي حنيفة وشُبهه؛ وليحسن إلى فقهاء مذهبه الذين أدنى إليه أكثرهم الاغتراب وحلَّقَ بهم إليه طائرُ النهار حيث لا يحلِّقُ البازيُّ وجنَّاحُ الليل حيث لا يطير الغراب وقد تركوا وراءهم من البلاد الشاسعة، والأمداد الواسعة، ما يُراعى لهم حقُّه إذا عدَّت الحقوق، ويجمعه وإياهم به أبوه أبو حنيفة وما مثله من يُنسب إلى العقوق.

ويزاد المالكي:

ومذهبه له السيفُ المُصلَّتْ على مَنْ كفر، والمُذهِبُ بدم من طُلَّ دمه وحصل الظفر؛ ومن عَدَا قدره الوضيع، وتعرَّضَ إلى أنبياء الله بالقول الشنيع، فإنه إنما يُقت بسيفه المجرد، ويُراق دمه تعزيراً بقوله الذي به تفرَّد؛ ولم يزل سيفُ مذهبه لهم بار الصَّفحة، مسلماً لهم إلى مالكِ خازنِ النار من مذهب مالكِ الذي ما فيه فسحة؛ وفي هذا ما يُصرح غُدْرَ الدين من القذى، وما لم تطلِّ دماء هؤلاء (لا يسلم الشرف الرفيع الأذنى)؛ وإنما نوصيه [بالتحرِّي] (١) في الثبوت، والبيَّنة التي لا يُستدرك بها يفوت؛ وإنما هو رجلٌ يحيا أو يموت؛ فليتمهَّلْ قبل بتِّ القضاء، وليعذرْ إليه لاحتمال ثبوت تفسيق للشهود أو بغضاء، حتى لا يُعجَلَ تلافياً، ولا يُعجَلَ بما يتلافى؛ فكما أننا نوصيه أن لا ينقضَ في شدِّ الوثاق عليهم إبراماً، فهكذا نوصيه أن يُصيب بغير حقِّه دماً حراماً. وكذلك قبول الشهادة على الخطِّ، وإحياء ما مات من الكتب وإدناء ما شطَّ - فهذا مما فيه فسحة للناس، وراحة ما فيها باس، إلا أنه يكره

(١) في طق «بالثبوت في الثبوت»

الثبوت بهذه البيّنة للاتصال، لا لنزع يدٍ ولا إلزامٍ بمجردها بمال؛ وهكذا ما يراه من ولاية الأوصياء وهو ما هو تفرّد به هو دون البقيّة، وفيه مصلحةٌ وإلا فما معنى الوصيّة؛ وهو زيادةُ احتراز ما تضرُّ مراعاةً مثلها في الأمور الشرعيّة، وسوى هذا مثل إسقاط الرّيع في وَقْفٍ آسَرَدٌ وقد بيع، وعُطِلَ المشتري من التّكسُّبِ بذلك المال مدّةً لا يشتري ولا يبيع، وهذا مما يبيتُ قضاءه في مثله، ويجعل عقاب من أقدم على بيع الوقف إحرامه مدّة البيع من مَعْلَهُ، وسوى ذلك مما عليه العمل، ومما إذا قال فيه قال بحقٍّ وإذا حكم عدلٌ. وفقهاء مذهبه في هذه البلاد قليلٌ ما هم، وهم غُرباءٌ فليحسن مأواهم، وليكرم بكرمه [مشواهم] (١) وليستقرّ بهم النّوى في كَنَفِهِ فقد ملّوا طول الدّرب، ومعاناة السفر الذي هو أشدُّ الحرب، ولينسهم أوطانهم ببرّه ولا يدع في مآقيهم دمعاً يفيض على الغُرب.

ويزاد الحنبليّ:

والمهمّ المقدم - وهو يعلم ما حدّث على أهل مذهبه من الشّناعة، وما رموا به من الأقوال التي نتركها لما فيها من البشاعة، ونكتفي به في تعفية آثارها، وإماطة أذاها عن طريق مذهبه لتأمّن السالِكَةُ عليه من عثارها؛ فتعالى الله أن يُعرف بكيف، أو يجاوبَ السائلُ عنه بهذا إلا بالسيف؛ والانضمامُ إلى الجماعة والحدُّ من الانفراد، وإقرارُ آيات الصفات على ما جاءت عليه مع الاعتقاد أن الظاهر غيرُ المراد، والخروج بهم إلى النور من الظلماء، وتأويل ما لا بدّ من تأويله مثل حديث الأُمّة التي سُئِلت عن ربّها: أين هو؟ فقالت: في السماء، وإلا ففي البليّة بإثبات الجهة ما فيها من الكوارث، ويلزم منها الحدوثُ والله سبحانه قديمٌ ليس بحدوثٍ ولا محلّاً للحوادث؛ وكذلك القول في القرآن ونحن ننذر من تكلم في ذلك بصوت أو حرف، فما جزاء من قال بالصوت إلا سَوَوطٌ وبالْحَرْفِ إلا حَتْفٌ؛ ثم بعد هذا الذي يَزَعُ به الجهال، ويردُّ دون غايته الفكرَ الجوّال، ينظر في أمور مذهبه ويعمل بكل ما صحَّ نقله عن إمامه

(١) في طق «سواهم»

وأصحابه: من كان منهم في زمانه ومن تخلف عن أيامه، فقد كان رحمه الله إماماً حقاً نهض وقد قعد الناس تلك المدّة، وقام نوبة المحنة مقام سيّد تيم^(١) رضي الله عنه نوبة الردّه، ولم تهبّ به زعازع المريسي^(٢) وقد هبت مريسا، ولا ابن أبي دواد^(٣) وقد جمع له كلّ ذؤود وساق إليه من كل فطر عيسا، ولا نكت عهدة ما قدّم له المأمون في وصية أخيه من المواتق، ولا روعة سوط المعتصم وقد صبّ عليه عذابه ولا سيف الوائق.

فليقف على أثره؛ وليقف بمُسْنَدِهِ على مذهبه كلّه أو أكثره، وليقض بمفرداته وما اختاره أصحابه الأخيار، وليقلّدْهم إذا لم تختلف عليه الأخبار، وليحترز لدينه في بيع ما دثر من الأوقاف وصرف ثمنه في مثله، والاستبدال بما فيه المصلحة لأهله، والفسخ على من غاب مدة يسوغ في مثلها الفسخ، وترك زوجة لم يترك لها نفقةً وخلأها وهي مع بقائها في زوجيته كالمعلّقة، وإطلاق سراحها لتتزوج بعد ثبوت الفسخ بشروطه التي يبقى حكمها به حكم المطلّقة؛ وفيما يمنع مضارة الجار، وما يتفرّع على قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»؛ وأمر وقف الإنسان على نفسه وإن رآه سوى أهل مذهبه، وطلعت به أهله علماء لولاهم لما جلا الزمان جُنْحَ غيبيه؛ وكذلك الجوائح^(٤) التي يُخَفَّفُ بها عن الضعفاء وإن كان لا يرى بها الإلزام،

(١) الإشارة إلى أبي بكر الصديق.

(٢) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة عبد الرحمن المريسي. نسبته إلى المريس أو مريسة، وهي قرية بمصر. كان من فقهاء المعتزلة، عارفاً بالفلسفة؛ وهو رأس الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء. توفي سنة

٢١٨ هـ. (وفيات الأعيان: ١/٢٧٧؛ والنجوم الزاهرة: ٢/٢٢٨؛ والأعلام: ٢/٥٥)

(٣) هو أبو عبد الله، أحمد بن أبي دواد: أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ورأس الفتنة المعروفة بفتنة «خلق القرآن». توفي سنة ٢٤٠ هـ.

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد كان قد دعي إلى القول بخلق القرآن أيام المعتصم العباسي فلم يجب، فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع. وكانت مدة حبسه ثمانية وعشرين يوماً في شهر رمضان سنة ٢٢٠ هـ. وبقي إلى أن مات المعتصم؛ فلما ولي الواثق منعه من الخروج من داره إلى أن أخرجه المتوكل وخلع عليه وأكرمه ورفع المحنة في خلق القرآن. توفي ببغداد سنة ٢٤١ هـ.

(وفيات الأعيان: ١/٦٣ و٨١؛ والأعلام: ١/١٢٤ و٢٠٣).

(٤) الجائحة: المصيبة تحلّ بالرجل في ماله فتجتاحه كله. وفي اصطلاح الفقهاء: ما أذهب الثمر أو بعضه من آفة سماوية؛ ويقال: سنة جائحة أي جذبة.

ولا تجري لديه إلا مجرى المصالحة بدليل الالتزام؛ وكذلك المعاملة التي لولا الرخصة عندهم فيها لما أكل أكثر الناس إلا الحرام المحض، ولا أخذ قسم الغلال والمعامل هو الذي يزرع البذور ويحراث الأرض؛ وغير ذلك مما هو من مفرداته التي هي للرفق جامعه، وللرعايا في أكثر معاشهم وأسبابهم نافعه؛ وإذا استقرت الأصول كانت الفروع لها تابعه^(١). وفقهاء مذهبه هم الفقهاء لقلّة المحصول وضعف الأوقاف، وهم على الرقة كالرياح المعدة للثقاف؛ فخذ بخواطرهم، ومدّ آمالهم في غائب وقتهم وحاضرهم، وأشملهم بالإحسان الذي يُرغّبهم، ويقلّ به طلبهم لوجوه الغنى ويكثر طلبهم».

١٩ - وصية قاضي العسكر^(٢):

إذا كان منفرداً فإنه لا يوصى كما يوصى قاضي العمل المستقل؛ وقد تكون على هذا النحو:

«وهو الحاكم حيث لا تنفذ إلا أفضية السيوف، ولا تزدهم الغرماء إلا في مواقف الصنوف، والماضي قلمه وكل خطي يمينه بالدماء، والممضى سجله وقد طوى العجاج كالكتاب سجل السماء؛ وأكثر ما يتحاكم إليه في الغنائم التي لم تحل لأحد قبل هذه الأمة، وفي الشركة وما تطلب فيه القسمة، وفي المبيعات وما يرد منها بعيب، وفي الديون الموجلة وما يحكم فيها بغيب؛ وكل هذا مما لا يحتمل طول الأناة في القضاء، وإشغال الجند المنصور عن مواقف الجهاد بالتردد إليه للإمضاء؛ فليكن مستحضراً لهذه المسائل لبيت الحكم في وقته، ويسارع السيف المصلت في ذلك الموقف ببتّه، وليعلم أن العسكر المنصور هم في ذلك الموطن أهل الشهادة، وفيهم من يكون جرحه تعديلاً له وزيادة؛ فليقبل منهم من لا تخفى عليه سيماء القبول، ولا

(١) عبارة صبح الأعشى: «فإذا استقرت الفروع كانت الأصول لها جامعة».

(٢) وهو المتحدث في الأحكام في الأسفار السلطانية؛ وله مجلس يحضره بدار العدل في الحضرة. وقد جرت العادة أن يكون قضاة العسكر أربعة: من كل مذهب قاضٍ.

(صبح الأعشى: ٢٠٤/١١).

يردّ منهم من لا يضُرُّه أن يرده هو وهو عند الله مقبول؛ وليجعل له مستقراً معروفاً في المعسكر يُقصد فيه إذا نُصبت الخيام، وموضِعاً يمشي فيه ليقضي فيه وهو سائر وأشهر ما كان على يمين الأعلام؛ وليلزم ذلك طول سفره وفي مُدد المُقام، ولا يخالفه لِيُهمّ على ذوي الحوائج فما هو بالصّالحية بمصر ولا بالعاديّة بالشام؛ وليتخذ معه كُتاباً تكتبُ للناس وإلا فمن أين يوجد مركز الشهود، وليسجّل لذي الحق بحقه وإلا فما أنسدّ باب الجُحود. وتقوى الله هي التي بها تنصر الجنود، وما لم تكن أعلى ما يكون على أعلام الحرب وإلا فما الحاجةُ إلى نشر البنود.

٢٠ - وصيةٌ مُحْتَسِبٌ (١):

«وقد ولي أمر هذه الرتبة، ووكل بعينه النظر في مصالح المسلمين لله حسبه (٢)؛ فليُنظر في الدقيق والجليل، والكثير والقليل، وما يُحصَر بالمقادير وما لا يُحصَر، وما لا يُؤمر فيه بمعروف أو يُنهى عن مُنكر، وما يشتري ويبيع، وما يُقرب بتحريه إلى الجنة ويبعدُ من النار ولو لم يكن قد بقيَ بينه وبينها إلا قَدْرُ باع أو ذراع؛ وكل ما يُعمل من المعاش في نهارٍ أو ليل، وما لا يُعرف قَدْرُه إلا إذا نطق لسان الميزان أو تكلم فم الكيل. وليعمل لديه معدلاً لكل عمل، وعبارةً إذا عُرِضت عليه المعايير يُعرف من جارٍ ومن عدل. وليتفقد أكثر هذه الأسباب، ويحذر من الغشّ فإن الداء أكثره من الطعام أو الشراب. وليتعرّف الأسعار ويستعلم الأخبار، في كل سوق من غير إعلامٍ لأهله ولا إشعار؛ وليُقيم عليهم من الأمانة من ينوب عنه في النظر، ويطمئن به وإن غاب إذا حضر؛ ويأمره بإعلامه بما أعْضَل، ومراجعتة مهما أمكن فإن رأَى مثله أفضل.

(١) المحتسب: من وجوه العدول وأعيانهم ويده مطلقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قاعدة الحسبة. وهو يتحدّث في أمر المكايل والموازن، ولا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها. وقد أفاض المقرئ في شرح وظيفة المحتسب، وقد تولاه بنفسه.
(انظر: خطط المقرئ: ١/٤٦٣ - ٤٦٤؛ وصبح الأعشى: ٣/٤٨٣ و ٤/٣٧ و ٥/٤٥١؛ والأحكام السلطانية للماوردي: ٣٠٠ - ٣١٩).

(٢) أي احتساباً.

ودار الضرب والنقود التي منها تَبَّتْ، وقد يكون فيها من الزيف ما لا يظهر إلا بعد طول اللبث : فليصدلْهُمَهَا بصدرة الذي لا يخرج، وليعرضْ منها على المحك من رأيه ما لا يجوزُ عليه بَهْرَج، وما يعلّق من الذهب المكسور ويروِّبص^(١) من الفضة ويخرج، وما أكلت النار كلَّ لِحَامِهِ [أو]^(٢) بعضه [فليقيم]^(٣) عليه من جهته الرقباء، وليقيم على شمس ذَهَبِهِ من يرقب منه ما ترقب من الشمس الحبراء؛ وليقيم الضمآن على العطارين والطرقية^(٤) في بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يُستراب فيه وهو معروف، وبخطّ متطبّبٍ ماهر لمريض معين في دواء موصوف. والطرقية وأهل النجامة وسائر الطوائف المنسوبة إلى ساسان، ومن يأخذ أموال الرجال بالحيلة ويأكلهم باللسان، وكل إنسانٍ سوءٍ من هذا القبيل هو في الحقيقة شيطان لا إنسان: آمنهم كلَّ المنع، وأصدعهم مثل الزجاج حتى لا ينجبر لهم صدع، وصبَّ عليهم النكال وإلا فما يجدي في تأديبهم ذات التأديب والصفع، وأحسِم كلَّ هذه المواد الخبيثة، وأقطع ما يجدد^(٤) ضَعْفَاءُ الناس من هذه الأسباب الرثيثة؛ ومن وجدته قد غشَّ مسلماً، أو أكل بباطلٍ ذرهماً، أو أخبر مُشْتَرِيّاً بزائد، أو خرج عن معهود العوائد: أشهره في البلد، وأركب تلك الآلة قفاه حتى يضعف منه الجلد. وغير هؤلاء من فقهاء

(١) في نسخة توقيع بشد «دار الضرب» أورد القلقشندي عبارة: «ويفوض إليه كشف الروباص وحك العيار فهو به أدري وأحري وأدرب بإدحاض غش الفساد». ويفهم من عبارة القلقشندي أن الروباص هو عملية كشف نسبة الفضة في النقود، أو هو ما يتوصل بواسطته إلى كشف هذه النسبة وتحديدها؛ وذلك كله يجري في دار الضرب. وكانوا يقولون: فضة مروبصة؛ ولعلها الفضة المخلوطة بالنحاس المعدة لضربها نقوداً.

(انظر صبح الأعمى: ١٢/٤٥٥ - طبعة دار الكتب العلمية).

(٢) في ط ق: «ولا بعضه وقيم عليه». وما أثبتناه من الصحيح.

(٣) الطرقية: هم الذين يقدمون ألباباً في الطريق ليحصلوا على الأموال بدون وجه حق.

والضمآن: مفردا ضامن؛ وهو الملتزم الذي يتولى لحسابه جمع ضريبة من الضرائب أو مكس من المكوس التي يفرضها السلطان أو الأمير ويضمن في مقابل توليه ذلك مبلغاً معيناً من المال يدفعه إلى الجهة المختصة في أوقات منتظمة كل سنة.

(٤) في ط ق: «يجر».

المكاتب^(١) وعالمات النساء وغيرهما من الأنواع ممن يُخافُ من ذنبه العائث في سِرْبِ الطُّبَاءِ والجَاذِرِ، ومن يُقَدِّمُ على ذلك ومثله وما يحاذر: آرَشُقُهُمْ بسهامك، وزلزَلْ أقدامَهُم بإقدامك، ولا تدع منهم إلا من آخترت أمانته، وآخترت صيانتَه. والنُّوَابُ لا ترضَ منهم إلا مَنْ يحسن نَفَاذاً، ويُحسِبُ لك أجرَ استنابته إذا قيل لك من آسْتَنْبَتِ فقلت هذا. وتقوى اللّهُ هي نعم المسالك، ومالك في كلِّ ما ذكرناه بل أكثره إلا إذا عملت فيه بمذهب مالك. »

٢١ - وصية خطيب^(٢):

«وليرق هذه الرُّتَبَةَ التي رُفعت له ذرى أعوادها، وقُدِّمت له من المنابر مقرِّبات جياها؛ وليصعد منها أعلى دَرَجِه، وليسعد منها بصهوة كأنما كانت له من بُكرة يومه المشرق مُسْرَجِه؛ وليرع حقَّ هذه الرُّتَبَةَ الشريفة، والذروة التي ما أعدت إلا لإمامٍ فردٍ مثله أو خليفه؛ وليقف حيث تخفق على رأسه الأعلام، ويتكلم فتخرس الألسنة وتجفُّ في فم الذرى الأعلام؛ وليقرع المسامع بالوعد والوعيد، ويذكر بأيام اللّهِ ﴿مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] ويُلين القلوب القاسية وإن كان منها ما هو أشدُّ قسوةً من الحجارة أو الحديد؛ وليكن قد قدَّم إلى نفسه قبل أن يتقدَّم، وليُسبِّل عليه درع التَّوْبَةِ قبل أن يتكلم؛ وليجعل لكلِّ مقام مقالاً يقوم به على رؤوس الأشهاد، ويُفوقُ منه سهماً لا يخطيء موقعه كلِّ فؤاد؛ وليقم في المحراب قياماً من يخشى ربَّه، ويخاف أن لا^(٣) يخطفَ الوَجَلُ قلبه؛ وليعلم أن صدقة ذلك المحراب ما أنفلقت عن مثل دُرِّته المكنونة، وصناديق الصدور ما أطبقت على مثل جَوْهرته المخزونة؛ وليومِّم بذلك الجَمَّ الغفير، وليتقدَّم بين أيديهم فإنه السفير؛

(١) فقهاء المكاتب: هم الذين يعلمون الأولاد الصغار ويقومون بتحفيظهم القرآن الكريم.

وعالمات النساء: هن اللواتي يتولَّين إدارة بيوت اللهو والمجون ويحترفن الرقص والغناء. والتسمية زالت معروفة في مصر إلى الآن.

(٢) المراد خطباء الجوامع.

(٣) لفظ «لا» ساقط من نصِّ الصبح.

وليؤد هذه الفريضة التي هي من أعظم الأركان، وأول الأعمال التي توضع في الميزان، وأقرب القرب التي يجمع إليها داعي كل أذان؛ وليقّم بالصلاة في أوقاتها، وليُرْحَ بها الناس في أول ميقاتها؛ وليخفف مع الإتمام، وليتحمل عمّن وراءه فإنه هو الإمام. وعليه بالتقوى في عقد كل نيّة، وأمام كلّ قضية؛ واللّه تعالى يجعله ممن ينقلب إلى أهله وهو مسرور، وينصب له مع الأئمة المُقسطين يوم القيامة على يمين الرحمن منابرٌ من نور.»

٢٢ - وصية شيخ الشيوخ^(١):

«وأنت في الأيام قُدوة، ولأنام أسوة، ومنك تتلقّف الوصايا، وبك تتلقّف السجايا؛ وإنما هي بركاتٌ سمائية لا يجد أحدٌ غنى عن مزيدها، وحركاتٌ إلهية لا يبلغ نهايةً في تعديدها؛ وهي مشكاة أنوار، وميقاتٌ أذكار، وأوقاتٌ تطوّع زمانها كلّها نهار، وأساس ما يبني عليه الاجتهاد فأدّم تسمير الذيل، ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ [هُود: ١١٤]؛ وخذ جماعتك بمأخذك في الأمور، وذكّرهم بأيام اللّه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] ولازم لله المراقبة، وداوم في اللّه المُصاحبة؛ ومثلك خيرٌ كلّهُ، وسحابٌ لا يتقلّص ظلّه؛ ومن عندك في هذا المكان، كلّهم لك إخوان، وهم لك على التقوى أعوان،

(١) شيخ الشيوخ: لقب يطلق على متولي الإشراف على رجال الطرق الصوفية. وكان الصوفية في عصر المماليك يكوّنون طائفة كبيرة ولهم احترام خاص. واللقب يشير إلى وظيفة، فقد ذكر أبو شامة في «الروضتين» أنه بعد وفاة شيخ الشيوخ إسماعيل بن أبي سعد في أيام المستنجد سنة ٥٤١ هـ صار بعده ابنه صدر الدين عبد الرحيم شيخ الشيوخ. أما في عصر الأيوبيين والمماليك فقد كان لقب «شيخ الشيوخ» لقباً فخرياً يطلق تحديداً على شيخ «الخانقاه الصلاحية» التي بناها صلاح الدين وتسمى أيضاً «سعيد السعداء». وقد أورد القلقشندي في صبح الأعشى نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ بالخانقاه الصلاحية بالقاهرة باسم الشيخ شمس الدين بن النُخجواني من إنشاء ابن فضل الله العمري، ونسخة توقيع آخر بمشيخة الشيوخ بالخانقاه الناصرية بسرياقوس للشيخ نظام الدين الأصفهاني من إنشاء الشريف شمس الدين.

(انظر صبح الأعشى: ٣٧٠/١١ - ٣٧٦؛ وخطط المقرئ: ٤١٤/٢).

وكَلَّمهم كالشجرة يجمعها أصلٌ واحدٌ تفرَّعت منه أغصان، فأعرفُ لأهل السَّابقة حقَّهم ومنك وإلا فمَمَّن يُطلب العِرفان؛ وبَصَّر من هامٍ بليلى وَلَعاً بِأسمها وما عرف المسمَى، ووقف حائراً لما آسَبَعِد المرمى، وظنَّ أن لِثاماً دونها يمنع لثماً، وتوهم أن الحِجَاب العِلَّة وما عرف أن طَرْفَه عن حُسْنها أعمى. فذاوِ قلوبهم المرضى، ونَبِه جفونهم من رَقَدَاتِها فقد أطالت غَمُضا، وأرْفِقْ بهم ودارهم وأرْضْ بأن تكون لهم أرضاً، ولا تَدْعُ مَنْ تراه ترك نافلةً حتى ترى دوامَ السَّهر على عينيه فرضاً. وأحْسِن تربيةً من آسَجَدَ في التَّنْقُل من حال إلى حال^(١)، وإيقاظه من أوَّل عشاء حتى يتعب ويرود الليل أسْمال. وتدرِّج المُريدين على قَدْر ما تحتمِله أفهامهم، وتشتمله من مطارف القوَّة أيامهم. وإيَّاك والمعاجلة بكووسٍ لا تقوى كل قوَّة على شَرابها، وكشَفَ حقيقةً غايةً كثيرٍ من الناس أن يقفَ بعيداً عن حِجابها. وألْزِمُ كلاً ممن عندك أو آسَجَدَ تِلاوةَ كتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ رسوله ﷺ فهما الثَّقْلان^(٢)، وحَسْبُ من غَدَى بهما قلبه وهو ملآن؛ فلا طريق إلى اللَّهِ إلا من سبيلهما، ولا هُدَى إلا لمن آسَترشُدَ بدليلهما؛ فعليك بهما فهما المِنْهَاجُ والشُّرع، وإيَّاك إيَّاك من كل مُحدثةٍ فكلُّ مُحدثةٍ ضلالةٌ وكلُّ ضلالةٍ بدَّعه.

فأتخذهما لك إلى اللَّهِ الذَّرِيعَة، ومُرَبِّتَجبٍ ما سواهما فقد أجمعتِ الأُمَّة على بطلان كل حقيقة تخالفها الشريعة. ومن مال إلى ما نعوذُ بِاللَّهِ منه من اتِّحاد أو حُلُول، أو آدَعَى أنه يكون إلى اللَّهِ من غير طريق الأنبياء وصُول، فكنُ أنت المنكِرَ عليه، والسَّارقَ بعدلك السَّيفِ إليه. ومَنْ لم يكن قلبه قد أُشْرِبَ كُفْراً، ولا أَعْمَلَ في إقامة الدليل فِكْراً، فخذُه بالتَّوْبَة والاستغفار، وخذُه بما أمرَ اللَّهُ به نبيّه: ﴿قُلْ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزُّمَر: ٤]. وأعلم يقيناً بأن

(١) المقصود أحوال الطرق الصوفية، أي المراتب والدرجات التي يتدرج فيها المريد.

(٢) الثَّقْلان: الجنُّ والإنس. وأصل الثَّقْل أن العرب تقول لكل شيء نفيس خطير مصون: ثَقُل. وسمَّى الله تعالى الإنسان والجنَّ ثقلين لتفضيلهما على سائر المخلوقات. وسمَّى النبي كتاب الله وسُنَّة نبيه ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفضيلاً لشأنهما. وقيل: سمياً ثقلين لأن الأخذ بهما ثَقيل والعمل بهما ثَقيل. (انظر لسان العرب: ثقل).

أولئك أمورهم بيّنة وهي متشابهة، وأنهم بالغوا في التوحيد فوقعوا في الشرك إذ أرادوا أن يجعلوا الكلّ إلهاً واحداً فجعلوه آلهة. ولا يُمَوّه عليك من أدعى أو أدعى له أنه إنما قال ذلك شطحةً في سُكره، فقد صدق ولكنه من خمار مُسكِراته أو من مُحَامرة كُفره.

وقد يقول قوم إنهم من العُشّاق، وما كذبوا فإنهم ما موهوا إلا في فعلهم وأما قولهم فهو مَحْمُولٌ على الإطلاق. وإياك والرافة على أحدٍ من هذه الفرقة الضالة رافة رَجِيم، أو مخادعة رأيك فيهم فما أنت به من سوء باطنهم عليهم، وخذ في أمرهم بالحزم ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] ومن دخل في هذه الطائفة من غير أهلها أو تغير عما عهد عليه لا تحسّن له مُلتقى، ولا تدع له مُرتقى، ولا تحمل أحداً منهم على الحلم ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ﴾ [آل عمران: ٧٦] وأنت كبير قوم تهوي إليك نجائبهم من كل فج عميق، وترد عليك ركائبهم من الطريقة والطريق: فوسّع لملتقاهم صدرك الرحيب، ونوع لقراهم برك القريب؛ وأعلم بأنك أصبحت في بيوتك للوفود مُقيم ومُقبل، وقبيح بمن تخلق بصفات الكريم ردّ نزيل؛ فأني مسافرٍ وقف لك على باب، أو متٌ إليك من خرقه الفقر بأسباب، عجل له الإذن في الدخول، وأضرب له ببشرِك به مثلاً في البشري بقرب الوصول: فأنتم قومٌ مبنى أمركم على التوكّل فدع هذا من التوكّل وما نوى، وأمر بأن يؤخذ عكازه وتفرّش سجّادته لتلقي عُربته عصاها ويستقرّبها النوى؛ ومثل هذا المغترب إن لم تُسهّم له مع من عندك بنصيب، لا يقدم عليك غريب، ولا يصح له مع الغرباء ما يُقال: كلُّ غريب للغريب نسيب: فمن مثل هذه الصّدقة كسبه، وما أتاك حتى توكّل على الله ومن يتوكّل على الله فهو حسبه. وبقية ما يُقاس وما يُقال، وما تُوشع به من وظائف الذّكر الحميد أزدية بكر وأصال؛ فعن تعبداتك يحكي الحاكي، ومن تهجداتك يشكو الليل لو يعطف المشكوّ على الشاكي، وبسببك يتنافس في العمل الزاكي، وبك يتأسى طرف كل واحد لولاك ما كان بالباكي ولا المُتباكي. وتقوى الله بها تبدو لطائف الأسرار، ويغدو ﴿الذين اتقوا ربهم لهم عُرفٌ من فوقها عُرفٌ مبنية تجزي من تحتها الأنهار﴾ [الزمر: ٢٠] وهي

قوت قلبك، وقوة حبك، وبها كانت أول صلتك بالحق ووصولك إلى ربك، فما نذكرها إلا لثبّتك من نوازع وجدٍ كاد ريارها يطير بلبك».

٢٣ - وصية نقيب السادة الأشراف^(١):

«ونحن نُجِلُّك عن الوصايا إلا ما نتبرك بذكره، ويُسرُّك إذا اشتملت على سرّه؛ فأهلك أهلك. راقب الله ورسوله جدك ﷺ فيما أنت عنه من أمورهم مسؤول، وأرفق بهم فهم أولاد أمك وأبيك حيدرَة والبتول؛ وكف يد من علمت أنه قد استطال بشرفه فمد إلى العناد يدا، وأعلم بأن الشريف والمشروف سواء في الإسلام إلا من اعتدى، وأن الأعمال محفوظة ثم معروضة بين يدي الله فقدم في اليوم ما تفرح به غدا؛ وأزل البدع التي يُنسب إليها أهل الغلو في ولائهم، والغلو فيما يوجب الطعن على آبائهم، لأنه يعلم أن السلف الصالح رضي الله عنهم كانوا منزّهين عما يدعيه خلف السوء من افتراق ذات بينهم، ويتعرض منهم أقوام إلى ما يجرهم إلى مصارع حينهم؛ فللشيعة عثرات لا تُقال، من أقوال تُقال؛ فسد هذا الباب سدّ لبيب، وأعمل في حسم موادهم عمل أريب، وقم في نهيم والسيف في يدك قيام خطيب، وخوفهم من قوارعك مواقع كل سهم مُصيب؛ فما دعيت بـ«حَيٍّ على خير العمل» إلى خير من الكتاب والسنة والإجماع، فأنظّم في نادي قومك عليها عقود الاجتماع؛ ومن اعتزى إلى اعتزال، أو مال إلى الزيدية في زيادة مقال، أو ادعى في الأئمة الماضين ما لم يدعوه، أو اقتفى في طرق الإمامية بعض ما ابتدعه، أو كذب في قول على صادقهم، أو تكلم بما أراد على لسان ناطقهم، أو قال إنه تلقى عنهم سراً ضنوا على الأمة ببلاغه، وذادوهم عن لذة مساعه، أو روى عن يوم السقيفة

(١) أي نقيب الأشراف الطالبيين، وهم أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله. وهذه الوظيفة كانت موجودة بمصر والبلدان التابعة لها، ويتولاها أحد شيوخ هذه الطائفة، ويكون جليل القدر وله النظر في أمورهم ومنع من يدخل فيهم من الأعداء؛ وإذا تشكك في أحدهم طلب منه شجرة نسه. وعليه أن يعود مرضاهم ويمشي في جنازهم ويسعى في حوائجهم ويأخذ على يد المعتدي منهم؛ ولا يقطع أمراً من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم.

(صبح الأعشى: ٢٧٣/٣، ٤٨١ و ٣٧/٤).

والجملِ غيرَ ما ورد أخباراً، أو تمثّل بقول من يقول: عبدُ شمسٍ قد أوقدت لبني هاشمِ ناراً، أو تمسّك من عقائد الباطن بظاهر، أو قال إن الذات القائمة بالمعنى تختلف في مَظاهِر، أو تعلق له بأئمة السُّنن^(١) رَجاء، أو أنتظر مُقيماً^(٢) برضوى عنده عَسَلٌ وماء، أو رَبَط على السُّردابِ فرسه لمن^(٣) يقود الخيلَ يقدّمها اللّواء، أو تلفت بوجهه يظنُّ عليّاً - كرم الله وجهه - في الغمام^(٤)، أو تفلت من عقال [العقل]^(٥) في أشراطِ العصمة^(٦) في الإمام. فعرفهم أجمعين أن هذا من فسّاد أذهانهم، وسوء عقائد أديانهم؛ فإنهم عدلوا في التقرّب بأهل هذا البيت الشريف عن مطلوبهم، وإن قال قائل إنهم طلبوا^(٧) فقل له ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [المطففين: ١٤].

وأنظر في أمور أنسابهم نظراً لا يدعُ مجالاً للرّيب، ولا يستطيع معه أحدٌ أن

(١) من معتقدات الإسماعيلية أن لأئمتهم أدياراً في كل دور منها سبعة أئمة: ظاهرين أو مستورين. فإن كان أهل الدور ظاهرين يسمّى ذلك الدور دورَ الكشف، وإن كانوا مستورين يسمّى دور السُّنن. وآخر الظاهرين عندهم إسماعيل الذي ينسبون إليه، وأول أئمة السُّنن ابنه المكتموم.
(انظر دائرة المعارف الإسلامية: مادة إسماعيلية وصبح الأعشى: ٢٣٩/١٣).

(٢) رضوى: جبل بالمدينة المنورة. والمقيم برضوى هو محمد بن الحنفية، كما تزعم طائفة الكيسانية.
(انظر معجم البلدان: ٥١/٣)

(٣) الإشارة إلى محمد بن الحسن العسكري، المهدي المنتظر؛ وهو آخر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية الاثني عشرية من الشيعة. وهو صاحب السُّرداب؛ إذ يقول الشيعة إنه دخل سرداباً في دار أبيه بسرّاً من رأى سنة ٢٦٥ هـ وعمره يومئذ تسع سنين ولم يخرج منه. وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من ذلك المكان.
(انظر وفيات الأعيان: ١٧٦/٤)

(٤) هذا من معتقدات غلاة النصيرية أو العلويين، إذ يزعمون أن مسكن علي بن أبي طالب السحاب، وإذا مرّ بهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، ويقولون إن الرعد صوتُه والبرق ضحكُه. وطائفة من غلاتهم - وهم الكلازية - يعتقدون بحلول علي في القمر؛ ولذلك يعبدونه. وبعضهم يعتقدون بحلوله في الشمس نهاراً ولذلك يعبدونها أيضاً. هذا في معتقد بعض الغلاة منهم؛ أما الفريق الأكبر من العلويين فلا يفتأون يعلنون إسلامهم، ومعتقدهم في الإمام علي بن أبي طالب لا يخرج عن معتقد الشيعة الاثني عشرية: أي أنه وصي النبي ﷺ.

(انظر صبح الأعشى: ٢٤٩/١٣؛ وإسلام بلا مذاهب لمصطفى الشكعة: ص ٣٠٤).

(٥) اللفظ ساقط من ط ق. وما أثبتناه من صبح الأعشى.

(٦) العصمة من شروط الإمامة لدى الشيعة.
(٧) المراد: إنهم طلبوا الحقّ فأخطأوه.

يدخل فيهم بغير نَسَب، ولا يخرج منهم بغير سَبَب، وساوٍ المتصرفين في أموالهم في كلِّ حسابٍ وأحفظُ لهم كلَّ حَسَب. وأنت أولى من أحسنَ لمن طَعَنَ في أسانيد [هذا] الحديث الشريف أو تأوَّل فيه على غيرِ مُرادِ قائله - ﷺ - تأديباً، وأزاهم مما يُوصِّلُهُم إلى الله وإلى رسوله طريقاً قريباً؛ ونكَّل بمن قد علمت أنه قد مالاً على الحقِّ ومالَ إلى فريق الباطلِ فرَقاً، وطوى صدره على الغلِّ وغلبَ من أجله على ما سَبَق في علم الله من تقديم من تقدَّم حنقاً، وحارَ وقد أوضحتَ لهم الطريقةَ المُتلى طُرُقاً؛ وأردعهم إن تعرضوا في القَدْح إلى نضالِ نضال، وأمنعهم فإنَّ فرَقهم كلَّها وإن كثرت خابطةٌ في ظلام ضلال؛ وقدَّم تقوى الله في كلِّ عَقْدٍ وحلٍّ، وأعمل بالشريعة الشريفة فإنها السَّبَبُ الموصولُ الجبل؛ والله تعالى يرفعك في الزُّلفى إلى أشرف مَحَلٍّ، ويمدُّ لك رُواقَ عِزٍّ إذا أبرز له البرقُ خَدَّه خجَلٍ أو مدَّ الغمامُ معه سُرَادِقَاتِهِ أضمحلَّ».

٢٤ - وصيةٌ وكيل بيت المال المعمور^(١):

«وهو الوكيلُ في حقوق جميع المسلمين وما له معهم^(٢) إلا حقُّ رجل واحد والمكلفُ بالمخاصمة عنهم حتى يُقَرَّ الجاحِد؛ وهو القائمُ للدَّعوى لهم وعليهم والمطلوبُ من الله ومنا بما يُؤخذ لهم أو يؤخذ من يديهم، والمعدُّ لتصحيح العقود وترجيح جهة بيت المال في العقار المبيع والثمن المنقود، والمتكلمُ بكتاب الوكال الشرعية الثابتة، والثابتُ القَدَم والأقدام غيرُ ثابتة، والمفسوح المجال في مجالس (الحُكَّام)^(٣) والمجادلُ بلسان الحقِّ في الأحكام، والموقوفةُ كلُّ دعوى لم تُسمع فو

(١) كان لمن يتولى وظيفة وكالة بيت المال التحدُّث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترياته من أراضٍ ودور وغير ذلك. وكانت هذه الوظيفة لا تُسند إلا لذوي الهبة من شيوخ العدول، ويفوض إليه السلطان بيع ما يرى بيعه من كل ما يمتلك ويجوز التصرف فيه شرعاً، وعتق المماليك وتزويج الإمام وتضمين ما يقتضي الضمان، وإنشاء ما يرى إنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك. وكان مجلس من يتولى هذه الوظيفة بدار العدل، وتارة يكون أرقى رتبة من المحتسب وأحياناً أقل منه.
(صبح الأعشى: ٤٨٣/٣ و ٣٦/٤؛ والتعريف بمصطلحات الصبح: ٣٦١).

(٢) في طق: «منهم» (٣) في طق: «الأحكام».

وجهه أو في وجه مَنْ أذِنَ له في سَمَاعِهَا، والمرجوعُ إليه في إِمَاتَةِ كُلِّ مَخَاصِمَةٍ حصل الضَّجْرُ من طولِ نَزَاعِهَا، وإبداءِ الدوافعِ، ما لم يجد بُدًّا من الإِشْهَادِ عليه بعدمِ الدافعِ، والانتِهَاءِ إلى الحقِّ كان له أو عليه ولا يقف عند تثقيلِ مُثْقَلٍ ولا شَفَاعَةِ شافعٍ؛ وبوقوفه تُحَدِّدُ الحدودَ وتُمتحنُ الشهودَ ويمشِي على الطُّرُقِ المستقيمةِ، وتُحفظ لأصحابها الحقوقُ القديمةُ؛ وبه يتمُّ عَقْدُ كلِّ بيعٍ وإيجارٍ إذا كانت المصلحةُ فيها لعامةِ المسلمين ظاهرةً، ولهم فيما يُوكَّلُ عنهم فيه الحِظُّ والعِبْطَةُ بحسبِ الأوقاتِ الحاضرةِ.

ونحنُ نُوصِيهِ في ذلكِ جميعه بالعمل بما علم، والانتِهَاءِ في مُقتضى قولنا إلى ما فهم، وتقويمِ تقوى الله فإنه متى قَدَّمَا بين يديه سَلِمَ، والوقوف مع رِضَى الله فإنه متى وقف معه غَنِمَ، والعمل بالشَّرْعِ الشَّرِيفِ كيفما توجَّهت أحكامُه، والحدْرُ من الوقوف في طريقه إذا نفذت سِهَامُه؛ ومَنْ مات وله ورثةٌ معروفةٌ تستكمل بحَقِّها ميراثه، وتحوزُ بحِظِّها تراثه: لا يُكَلِّفهم ثبوتاً يكون من باب العنتِ، والمدافعة بحقٍّ لا يحتاج مستحقُّه إلى زيادة ثبَت؛ وإنما أنتِ ومَنْ كانت قضيتُه منكرةً، والمعروفُ من مستحقِّي ميراثه نِكْرَةٌ: فأولئك شدُّدٌ في أمرهم، وأوطُ شُهَدَاءُهم في الاستفسار منهم على جَمْرِهِم، وتتبع باطنَ الحال لعلَّه عنك لا يتَسَتَّرَ، ولا يمشي عليك فيه الباطلُ ويمشي شاهدُ الزُّورِ بكُمِّيهِ ويتَبَخَّرَ؛ فإن تحقَّقت صحَّةُ شهاداتهم وإلا فأشهرُهم في الدنيا ودعهم في الآخرة لا يُخَفِّفُ عنهم العذابُ ولا يفتِّرُ؛ وكلُّ ما يُباع أو يُوجَّرُ أرجع فيه إلى العوائد؛ وتقلِّدُ أمرَ الصغيرِ، وجدِّدْ لك أمراً منا في الكبيرِ، وذلك بعد مراعاة ما نَجِبُ مُراعَاةً، والتَّائِي كُلُّ التَّائِي حتى يثبَّت ما ينبغي إثباته؛ وشهودُ القيمة عليهم المَدَارُ، وشهادتهم يُقدَّرُ المِقْدَارُ؛ وما لم يكونوا من ذوي الأقدارِ، ومن أهلِ الخبرة بالبزِّ والجِدَارِ، وممن آسَرتى العَقَارَ وأسْتَغَلَّه وبنى الدَّارَ، وإلا^(١) فأعلم أن مثله لا يُرجع إليه، ولا يُعوَّل ولا سِيَّما في حقِّ

(١) كذا في ط وفي الصبح أيضاً. والمراد أن المقومين يشترط فيهم أن يكونوا بتلك الصفات وإلا فلا يؤخذ بتقويمهم ولا يعوَّل على كلامهم.

بيت المال عليه؛ فأتفق مع ولاة الأمور من أهل الأحكام على تعيين من يُعين لتقليد مثل هذه الشهادة، وتوق^(١) منهم من له كل هذه الخبرة حتى تعرف أنه من أهل الزهادة؛ ولك أن تدعي بحق المسلمين حيث شئت ممن ترى أن حقه عنده يترجح، وأن بينتهم تكون عنده أوضح، فأما الدعوى عليك فمن عاداتها أن لا تُسمع [إلا]^(٢) في مجلس الحكم العزيز الشافعي - أجله الله تعالى - ونحن لا نغير العوائد، ولا ننتقض ما بنت الدول السالفة عليه القواعد: فليكن في ذلك المجلس سماعها إذا تعينت، وإقامة البيئات عليها إذا تبينت؛ والله الله في حق بيت المال، ثم الله الله في الوقت الحاضر والمآل. ومن تستنيهم عنك بالأعمال لا تُقر منهم إلا من تقر به عينك، ويؤفي به عند الله لا بما تحصله من الدنيا دينك؛ ومن كان لعلمه مصلحاً، ولأمله [منجحاً]^(٣): لا تُغير عليه فيما هو فيه، ودعه حتى يتبين لك خافيه؛ ولتستقص في كل وقت عنهم الأخبار، ولتستعلم حقائق ما هم عليه بما تستصحه من الأخبار، ولا تزال منهم على يقين، وعمل بما فيه خلاص دنيا ودين».

٢٥ - وصية مدرس:

«وليطلع في محرابه كالبدر وحواله هالة تلك الحلقة، وقد وقت أهداب ذلك السواد منه أعظم أسوداداً من الحدقة؛ وليرق سجادته التي هي لبدة جواده إذا استن الجدال في المضمار^(٤)، وليخف [أضواء]^(٥) أولئك العلماء الذين هم كالنجوم كما

(١) كذا في ط ق. وفي الصبح «وتعرف» وهي أصح في المقام.

(٢) ساقطة من ط ق؛ وهي ضرورية لاستقامة المعنى. والملاحظ أن رجوع وكيل بيت المال إلى القضاء الشافعي حصرأ هو زيادة في علو شأنه، إذ أن قاضي القضاة الشافعي كان مقدماً على سائر قضاة القضاة من المذاهب الأخرى لأن المذهب الشافعي كان مذهب السلطة المملوكية في ذلك الوقت.

(٣) في ط: «مُصبحاً». وما أثبتناه من الصبح، وهو أوضح في المقام.

(٤) في ط ق: «إذا استن في الجدال المضمار».

وأستن بمعنى اضطرب.

(٥) ساقطة من ط ق ومن الصبح أيضاً. وقد زاداها محقق الطبعة الأميرية من صبح الأعشى، ونحن نرى صواب ذلك.

تَتَضَاءَلُ الْكَوَاكِبُ فِي مَطَالِحِ الْأَقْمَارِ؛ وَلِيُبَيِّرَ لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْمِحْرَابِ كَمِينَهُ، وَلِيُفِضَ عَلَى جَدَاوِلِهِمُ الْجَافَةَ مَعِينَهُ؛ وَلِيَقْدِفَ لَهُمْ مِنْ جَنَابَاتِ مَا بَيْنَ جَنَبِيهِ دُرَرَ ذَلِكَ الْبَحْرِ الْعَجَاجِ، وَلِيُرِيَهُمْ مِنْ غُرَرِ جِيَادِهِ مَا يُعَلِّمُ بِهِ أَنَّ سَوَابِقَهُ لَا يَهْوُلُهَا قَطْعُ الْفِجَاجِ؛ وَلِيُظْهِرَ لَهُمْ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ مَا كَانَ يُخْفِيهِ الْوَقَارُ، وَلِيَهَبَ مِنْ مَمْنُونِ فَضْلِهِ مَا يَهَبُ مِنْهُ عَنْ ظَهْرِ غَنَى أَهْلِ الْإِفْتِقَارِ؛ وَلِيَقَرَّرَ تِلْكَ الْبَحُوثَ وَيَبَيِّنَ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا وَمَا يُرَدُّ بِهِ مَنْ مَنَعَهَا وَتَطَرَّقَ بِالنَّقْضِ إِلَيْهَا، حَتَّى لَا تَنْفَصَلَ الْجَمَاعَةُ إِلَّا بَعْدَ ظَهْوَرِ التَّرْجِيحِ، وَالْإِجْمَاعِ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ؛ وَلِيُقْبَلَ فِي الدَّرُوسِ طَلَقَ الْوَجْهِ عَلَى جَمَاعَتِهِ، وَلِيَسْتَمْلِمَهُمْ إِلَيْهِ بِجُهْدِ اسْتِطَاعَتِهِ، وَلِيُرَبِّبَهُمْ كَمَا يَرَبِّي الْوَالِدُ الْوَلَدَ، وَلِيَسْتَحْسِنَ مَا تَجِيءُ بِهِ أَفْكَارُهُمْ وَالْأَفْكَامُ رَجُلٍ بِالْجَبِّ لَبِنْتَ فِكْرٍ وَأَد. هَذَا إِلَى أَخْذِهِمُ بِالِاسْتِغْثَالِ، وَقَدْحِ أَذْهَانِهِمْ لِلِاسْتِعَالِ. وَلِيُنَشِّئَ الطَّلَبَةَ حَتَّى يُتِمِّيَ مِنْهُمُ الْغُرُوسَ، وَيُوَهِّلَ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ لَا يُظَنُّ مِنْهُمْ أَنَّهُ يَتَعَلَّمُ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ وَيُلْقِي الدَّرُوسَ».

٢٦ - وصية مقريء:

«وَلْيَدْمُ^(١) عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ مِصْبَاحُ قَلْبِهِ، وَصَلَاحُ قُرْبِهِ، وَصَبَاحُ الْقَبُولِ الْمُؤَدَّنِ لَهُ بِرِضَى رَبِّهِ؛ وَلِيَجْعَلَ سُورَةَ لَهُ أَسْوَارًا، وَأَيَاتِهِ تُظْهِرُ بَيْنَ عَيْنِيهِ أُنُورًا؛ وَلِيَتَلَّ الْقُرْآنَ بِحُرُوفِهِ^(٢) وَإِذَا قَرَأَ اسْتَعَاذَ، وَلِيَجْمَعَ طُرُقَهُ وَهِيَ الَّتِي عَلَيْهَا

(١) فِي طَرُقٍ: «وَلِيَقْدَمُ»

(٢) الْمُرَادُ الْأَحْرَفُ السَّبْعَةُ. وَنَحْنُ نَجِدُ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمَرْوِيَةِ مِنْ طَرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ مَا يَفِيدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَرَّحَ بِنَزُولِ الْقُرْآنِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، وَمَنْ أَوْضَحَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ». أَمَا عِبَارَةُ «الْأَحْرَفِ» - وَهِيَ جَمْعُ حَرْفٍ - الْوَارِدَةُ فِي الْحَدِيثِ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ لَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى مَعْنَى مُحَدَّدٍ لَهَا: فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا الْقِرَاءَاتُ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهَا اللَّهْجَاتُ أَوْ اللَّغَاتُ، وَبَعْضُ يَرَى أَنَّهَا الْعُلُومُ السَّبْعَةُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَالسَّبَبُ فِي هَذَا الْاِخْتِلَافِ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ عَنِ النَّبِيِّ أَوْ الصَّحَابَةِ نَصٌّ وَاضِحٌ يَحَدِّدُ الْمُرَادَ بِلَفْظِ «الْأَحْرَفِ». لِذَلِكَ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَرَاءِ بِهَذَا الشَّانِ إِنَّمَا هِيَ نَتِيجَةُ الْاسْتِنْبَاطِ وَالِاسْتِقْرَاءِ. أَمَا سَبَبُ نَزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَالْمَشْهُورُ لَدَى الْعُلَمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ لِلتَّخْفِيفِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَإِرَادَةِ التَّيسُّرِ بِهَا، وَتَوْسِعَةِ رَحْمَةٍ وَخُصُوصِيَّةِ لِفَضْلِهَا». وَلِلشَّيْخِ الدُّكْتُورِ صَبْحِي الصَّالِحِ بِهَذَا الشَّانِ رَأْيٌ يَسْتَحِقُّ الْوَقُوفَ عِنْدَهُ وَالتَّمَعُّنَ فِيهِ؛ فَهُوَ يَرَى - عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِنْبَاطِ وَالِاسْتِقْرَاءِ وَبِئْسَ عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ - أَنَّ اللَّفْظَ الْقُرْآنِيَّ

الجمهور ويترك الشواذ، ولا يرتدّ دون غايةٍ لإقصار، ولا يَقِفُ فبعد أن أتمّ لم يبقَ بحمد الله إحصار، وليتوسّع في مذاهبه ولا يخرج عن قراءة القراء السبعة^(١) أئمة الأمصار، وليبذل للطلبة الرّغاب، وليشبع فإن ذوي النّهمة سغاب، ولير الناس ما

= الواحد مهما تعدد أداؤه وتنوّع قراءته لا يخرج التّغاير فيه عن الوجوه السبعة الآتية: الاختلاف في وجوه الإعراب سواء أغيّر المعنى أم لم يتغيّر؛ والاختلاف في الحروف إما بتغيير المعنى دون الصورة (الاختلاف بالنقط) وإما بتغيّر الصورة دون المعنى؛ اختلاف الأسماء في أفرادها وتثنيها وجمعها وتذكيرها وتأنيتها؛ الاختلاف بإبدال كلمة بكلمة يغلب أن تكون إحداها مرادفة للأخرى وإنما تفاوتان بجريان اللسان بإحداها لدى قبيلة دون الأخرى؛ الاختلاف بالتقديم والتأخير فيما يعرف وجه تقديمه أو تأخيره في لسان العرب العام أو في نسق التعبير الخاص؛ الاختلاف بشيء يسير من الزيادة والنقصان جرياً على عادة العرب في حذف أدوات الجرّ والعطف تارة وإثباتها تارة أخرى؛ اختلاف اللهجات في الفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والهمز والتسهيل وكسر حروف المضارعة وقلب بعض الحروف وإشباع ميم الذكور وإشمام بعض الحركات.

(انظر: قضايا لغوية في ضوء القراءات القرآنية - دراسات في فقه اللغة للشيخ صبحي الصالح . . وحول هذا الموضوع يمكن مراجعة: الإتقان للسيوطي، والبرهان للزركشي، وطبقات القراء لابن الجزري، ومناهل العرفان للزرقاني؛ وغيرها كثير).

(١) عبارة «القراءات السبع» لم تكن قد عرفت في الأمصار الإسلامية حين بدأ العلماء يؤلفون في القراءات. والسابقون منهم كأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي جعفر الطبري، وأبي حاتم السجستاني ذكروا في مصنفاتهم أضعاف تلك القراءات. وإنما بدأت هذه العبارة تشتهر على رأس المثني بإقبال الناس في الأمصار الإسلامية على قراءة بعض الأئمة دون بعض. ويقع أكبر قسط من اللوم في هذه الأيام على عاتق الإمام الكبير ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) الذي قام على رأس الثلاثمائة للهجرة في بغداد بجمع سبع قراءات لسبعة من أئمة الحرمين والعراقين والشام اشتهروا بالثقة والأمانة والضبط وملازمة القراءة، وجاء جمعه لها محض مصادفة واتفق، إذ كان في أئمة القراء من هم أجلّ منهم قدراً وكان عددهم لا يستهان به، فإذا أبو العباس بن عمار (ت بعد ٤٣٠ هـ) يلوم ابن مجاهد ويقسو عليه في تعبيره فيقول: «لقد فعل مسيئ هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قلّ نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر. وليته نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة».

أما القراء السبعة فهم: عبدالله بن كثير الداربي (ت ١٢٠ هـ)، ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ)، وعبدالله اليحصبي المشهور بابن عامر (ت ١١٨ هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ)، وحزمة بن حبيب الزيات (ت ١٨٨ هـ)، وعاصم بن أبي النجود الأسدي (ت ١٨٧ هـ). والحق أن ثمة ضابطاً إذا توفّر في قراءة ما وجب قبولها؛ وتوفّر هذا الضابط وجد ما يسمّى بالقراءات العشر والقراءات الأربع عشرة.

(انظر قضايا لغوية في ضوء القراءات القرآنية: ٤٣ - ٤٤).

وهبه الله من الاقتدار فإنه آحتَضَن السَّبْع^(١) ودخل الغاب؛ وليتَمَّ مَبَانِي ما أتم «أبنُ عامر» و«أبو عمرو» له التَّعْمِير، وَلَفَّهُ «الِكِسَائِيُّ» في كسائه ولم يقل جدِّي «أبنُ كثير»، وُحِّمَ به «لحمزة» أن يعود ذاهبُ الزمان، وعرف أنه لا «عاصم» من أمر الله يلجأ معه إليه وهو الطوفان، وتدَفَّق^(٢) يتفجَّرُ علماً وقد وقفت السُّيول الدَّوافع، وضَرَّ أكثرُ قراء الزمان بعدم تفهيمهم وهو «نافع»^(٣)، وليُقبَل على ذوي الإقبال على الطُّلب؛ وليأخذهم بالتربية فما منهم إلا من هو إليه قد أنتسب؛ وهو يعلم ما من الله عليه بحفظ كتابه العزيز من النُّعماء، ووصل سببُه منه بحبل الله الممتدِّ من الأرض إلى السماء؛ فليقدِّر حقَّ هذه النُّعمة بحُسن إقباله على التعليم، والإِنصاف إذا سُئل فَعَلِمَ اللهُ ما يتناهى ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

٢٧ - وصيةٌ مُحدِّث^(٤):

وقد أصبح بالسُّنة النبوية مُضْطَلِعاً، وعلى ما جمعتَه طُرُق أهل الحديث مُطَّلِعاً، ووصَّح [في] الصحيح أن حديثه الحَسَن، وأنَّ المُرسَل منه في الطلب مقطوعٌ عنه كلُّ ذي لَسَن؛ وأنَّ سَنَدَه هو المأخوذُ عن العوالي، وسَمَاعَه هو المرقص منه طول الليالي، وأنَّ مثله لا يوجد في نَسَبه المُعَرِّق، ولا يُعرف مثله للحافظين: «ابن عبد البر» بالمغرب و«خطيب بغداد»^(٥) بالمشرق؛ وهو يعلم مقدارَ طلب الطالب فإنه طالما شدَّ

(١) السَّبْع من الحيوانات معروف. والمراد هنا السَّبْع المثاني، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾. والمثاني من القرآن: ما ثني مرة بعد مرة، وقيل: فاتحة الكتاب وهي سبع آيات. وقيل: المثاني سور أولها البقرة وآخرها براءة، وقيل: ما كان دون المثين. وقيل: هي القرآن كله. والمعنى الأخير هو المراد هنا.
(انظر لسان العرب: ثني).

(٢) في الصحيح «وطفق».

(٣) نافع والأسماء التي وردت قبلاً هي أسماء القراء السبعة المعروفين - راجع الحاشية (١) في الصفحة السابقة.

(٤) يطلق على الحافظ لأحاديث النبي ﷺ ويكون عارفاً برواة الحديث عالماً بأسماء رجال السُّنَد.

(٥) هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب: أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. من أشهر مؤلفاته: تاريخ بغداد في أربعة عشر مجلداً. توفي سنة ٤٦٣ هـ. (وفيات الأعيان: ١/٩٢؛ والنجوم

له النطاق، وسعى له سعيه وتجشم المشاق؛ وأرتحل له يشتد به حرصه والمطايا مُرزمه^(١)، وبينه له طلبه والجفون مقللة والعيون مهومة؛ ووقف على الأبواب لا يضجره طول الوقوف حتى يوذّن له في ولوجها، وقعد القرفصاء في المجالس لا تضيق به على قصر فروعها.

فليعامل الطلبة إذا أتوه للفائدة معاملة من جرب، ولينشط الأقباء منهم ويؤنس الغرباء فما هو إلا ممن طلب آونة من قريب وآونة تغرب، وليُسفر لهم صباح قصده عن النجاح، ولينتق لهم من عقود الصّاح، وليوضّح لهم الحديث، وليُرحّ خواطرهم بتقريبه ما كان يُسار إليه السير الحثيث، وليؤتّمهم مما وسع الله عليه فيه المجال، ويعلمهم ما يجب تعليمه من المتون والرجال، ويصّرهم بمواقع الجرح والتّعديل، والتّوجيه والتعليل، والصّحيح والمعتلّ الذي تتناثر أعضاؤه سُقماً كالعليل؛ وغير ذلك مما لرجال هذا الشأن به عناية، وما ينقب فيه عن دراية أو يُنقع فيه بمجرد رواية؛ ومثله ما يُزاد حلماً، ولا يُعرف بمن رخص في حديث موضوع أو كتّم علماً.

٢٨ - وصية نحوي:

«وهو زيد الزمان، الذي يُضرب به المثل، وعمرو الأوان، وقد كثر من سبويه الممل، ومازنيّ الوقت ولكنّه الذي لم تُستبح منه الإبل^(٢)، وكسائيّ الدهر الذي لو

== الزاهرة: ٨٧/٥؛ والأعلام: ١٧٢/١ - وابن عبد البر هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاث. ويقال له حافظ المغرب. توفي سنة ٤٦٣ هـ. (المغرب في حلى المغرب: ٤٠٧/٢؛ وفيات الأعيان: ٦٦/٧؛ والأعلام: ٢٤٠/٨).

(١) يقال: أرمزت الناقة: حنت على ولدها، أو صوتت حيناً على ولدها.

(٢) المازني الذي استبيحت منه الإبل هو الشاعر الجاهلي حزن بن كهف بن أبي حارثة المازني: من سادات مازن وفرسانها. أغار بنو محلم بن ذهل بن شيبان على إبل جار له وذهبوا بها، فاتبعهم حزن وقتل منهم وردّ الإبل؛ وقال في ذلك أبياتاً من عيون الشعر، أوردها الأمدي. (انظر: الأعلام: ١٧٥/٢). أما المازنيّ النحوي فهو بكر بن محمد بن حبيب بن بقة، أبو عثمان المازني: أحد الأئمة في النحو، من أهل البصرة. توفي سنة ٢٤٩ هـ. (وفيات الأعيان: ٢٨٣/١).

تقدّم لما اختار غيره الرشيدُ للمأمون^(١)، وذو السؤدد، لا أبو الأسود، على أنه ذوالسابقة والأجر الممنون؛ وهو ذو البرّ المأثور، والقدر المرفوع، ولوأوه المنسوب وذيل فخاره المجرور؛ والمعروف بما لا يُنكر لمثله من الحزم، والذاهب عمله الصالح بكل العوامل التي لم يُبق منها لحسوده إلا الجزم، وهو ذو الأبنية التي لا يُفصح عن مثلها الإعراب، ولا يُعرف أفصح [منها] فيما أخذ عن الأعراب؛ والذي أصبحت أهدأه فوق عمائم الغمام ثلاث^(٢)، ولم يزل طول الدهر يُشكرُ منه أمسه ويومه وغده وإنما الكلمات ثلاث. فليتصدّ للإفادة، وليعلّمهم مثل ما ذكر فيه من علم النحو نحو هذا وزيادة؛ وليكن للطلبة نجماً به يهتدى، ويرفع بتعليمه قدر كلّ خير يكون خبراً له وهو المبتدا؛ وليقدّم منهم كلّ من صلح للتبريز، وأستحقّ أن يُنصب إماماً بالتمييز، وليورد من موارده أعذب النطاف، وليجرّ إليه كلّ مُضاف إليه ومُضاف؛ وليوقفهم على حقائق الأسماء، ويعرّفهم دقائق البحوث حتى اشتقاق الاسم هل هو من السموّ أو من السيماء؛ وليبين لهم الأسماء الأعجمية المنقولة والعربية الخالصة، وليدلّهم على أحسن الأفعال لا ما يُشبهه فيه بصفات «كان» وأخواتها من الأفعال الناقصة، وليحفّظهم المُثل وكلمات الشعراء، وليُنصب نفسه لحدّ أذهان بعضهم ببعض نَصَب الإغراء؛ وليعامل جماعة المستفيدين منه بالعطف، ومع هذا كلّه فليرفق بهم فما بلغ أحدٌ علماً بقوة ولا غايةً بعسْف.

٢٩ - وصيةٌ مُتطبّب طبائعي^(٣) :

«وليتعرّف أولاً حقيقة المرض بأسبابه وعلاماته، ويستقصّ أعراض المريض

(١) الكسائي هو علي بن حمزة بن عبدالله، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. كان أثيراً عند الخليفة حتى أخرجته من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين. توفي سنة ١٨٩ هـ (الأعلام: ٢٨٣/٤).

(٢) لاث العمامة على رأسه: لفّها وعصباها.

(٣) هو المعروف الآن باسم طبيب الأمراض الباطنية (Dozy: Supp. Dict. Ar).

قبل مداواته، ثم ينظر إلى السِّن والفَصْل والبَلَد، ثم إذا عرف حقيقة المرض، وقدّر ما يحتمله المزاج من الدواء لما عَرَض، يَشْرَعُ في تخفيف الحاصل، وقَطَعَ الواصل، مع حِفْظ القُوَى. ولا يهاجم الداء، ولا يستغرب الدواء، ولا يقدم على الأبدان إلا بما يلائمها، ولا يبعد الشبه، ولا يخرج عن جادة الأطباء ولو ظن الإصابة حتى يقوى لديه الظنّ ويتبصّر فيه برأي أمثاله. وليتجنب الدواء، ما أمكنه المعالجة بالغذاء، والمركّب، ما أمكنه المعالجة بالمفرد؛ وإياه والقياس إلا ما صحّ بتجريب غيره في مثل مزاج من أخذ في علاجه، وما عرض له، وسنّه، وفصله، وبلده، ودرجة الدواء. وليحذر التجربة، فقد قال «أبقراط» وهو رأس القوم: إنها خطر.

ثم إذا أضطرّ إلى وصف دواء صالح للعلة نظر إلى ما فيه من المنافاة وإن قلت، وتحليل لإصلاحه بوصف يصلح معه، مع الاحتراز في وصف المقادير والكميات والكيفيات، في الاستعمال والأوقات، وما يتقدّم ذلك الدواء أو يتأخّر عنه. ولا يأمر بأستعمال دواء، ولا ما يُستغرب من غذاء، حتى يحقق حقيقته، ويعرف جديده من عتيقه: ليعرف مقدار قوّته في الفعل؛ وليعلم أن الإنسان هو بنية الله وملعون من هدمها؛ وأن الطبيعة مكافية وبؤسى لمن ظلمها؛ وقد سلّم الأرواح وهي وديعة الله في هذه الأجسام، فليحفظها وليتّق الله ففي ذلك جميع الأقسام؛ وإياه ثم إياه أن يصف دواءً ثم يكون هو الذي يأتي به، أو يدلُّ عليه، أو المتولي لمناولته للمريض ليستعمله من يديه. وفي هذا كله لله المنة [ولنا] إذ هديناه له وأرشدناه إليه».

٣٠ - وصية متطبّب بالكحل^(١):

«وها أنت قد أفردت بتسليم أشرف الحواسّ الخمس، والجوارح التي لولاها لم تُعرف حقيقة ما يدرك بالسَّمع والدُّوق والشّم واللّمس؛ وهي العين التي تُفدّى بالعين، وتوقى ساعة البين؛ وقد جعلت منها لمعالجة أشرف الأعضاء، وأشرف إنسان يحيط بصره بكل الفضاء؛ فأجعل عليها من مُداراتك الواقية، وأبقي بها من حُسن الأثر

(١) أي طبيب العيون.

ما يُرى والعين باقية؛ وتلطفُ بها في العلاج، وأرْفِقُ بها فإنها من طبقاتٍ: منها الزجاجيَّةُ ومنها شبيهُ الزجاج. ولا تقدم عليها بمداواةٍ حتى تعرف حقيقةَ المرض، والسببَ الذي نال به ذلك الجوهرَ العرض؛ ثم داوها مداواة تجلو بها القذى عن البصر، وتشفي ما بها من السَّقَامِ إلا الذي في عيون الغيد من حور، ويُقيم بأجفانها عليها سنوراً، ويُديم لإنسانها من ضوء البصر نوراً. ثم لاطفُ بما يُناسب من الغذاء ذلك الإنسان، وترْفِقُ به فإنك معروفٌ بالإحسان؛ وصنّه عن قَدحٍ قَدَحٍ، وأعنه حتى لا يُقال يا أيها الإنسان إنك كادح^(١). وأعمل على ما فيه صلاحُ ذلك السواد الأعظم، والإمتاع بذلك السواد الذي لا يُشترى بملء الأرض ذهباً منه قَدْرُ نصف درهم؛ وتخيير من الكحل ما فيه جلاءُ الأبصار، وشفاءُ العين مما يُخاف على الإنسان فيه الأخطار. وأفعل في هذا كله ما إذا كنت بسواد الحَدَقِ لم تنسخ، وإذا قيس قَدْرُ ميلٍ منه لم يبعد إليه ألف فرسخ؛ وأستشير الأطباء الطبايعية فيما أهم، وفيما لا يُستغنى فيه عن رأي مثلهم، من تخفيف مادة بالاستفراغ أو نَقْصِ دَمٍ، إلى غير هذا مما إذا فعلته لم تَلَمْ بعده بما أَلَمَّ.

٣١ - وصية جرائحي^(٢):

«وأعرف ما تحتاج إليه هذه الوظيفةُ وأجبر كلَّ كسر، وشدَّ كلَّ أسر، وخطَّ كل فتق، وقوَّ كل رتق، وداوِ الكلوم، ودارِ باللطف فإن إفراط القوة في الدواء يلحقه بالسُموم. وأعمل على حفظ الأعصاب، وشدَّ الأعضاء حتى تتمكن من معالجة المصاب؛ والتوقّي في كل أعماله^(٣) فإنه في صناعةٍ كلها خطر، وجميعُ أمورها مغيبَةٌ لا يُوقف لها على خبر. وليبادِرْ ما يفوت، ولا يكلم أحداً ما حسنَ للسان حديد السكوت، وليحدّر قطع شريانٍ ما قطع إلا نزع دم صاحبه حتى يموت. وليعدَّ معه ما يكون لإخراج النصال فإنه يكون مع عساكرنا المنصورة أوقات الحرب والسَّهَامِ تُغوص

(١) من الآية الكريمة: «يا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً فمُلاقية» - الانشقاق: ٦.

(٢) الجرائحي والجراحية: هذا الجمع ومفرده صيغة عامية للفظي: جراحي وجراحيون، أو جراح وجراحون.

(٣) انتقال غير مبرر من صيغة المخاطب إلى الغائب.

في الأجسام، والرماح في رجل هي والحسام؛ وليكن في هذا كله مُزَاحُ الأعدار، مُزَالُ العوائق في مضايق أوقاتٍ لا يُستدرَكُ فيها فائت الأعمار؛ وليعدَّ لهذا الأمر عُدَّتَهُ، وليصْرِفْ إليه هِمَّتَهُ؛ وليفعل في هذا ما لا يبقى عليه به جُنَاح، ولا يخطيء معه عمله نجاح، ولا يقاس به أحد وقد أفاد عِلْمُهُ وأجاد عمله وأجدى، وظهرت بركةُ معالجة يده التي إذا وضعها على الجرح يَهْدَاهُ.

٣٢ - وصيةٌ منجِّم:

«وقد أغناه ما رآه من مساعدة الأقدار لنا أن يُنجِّم، ونطقَتْ له الحالُ بسعادتنا فما زاد على أنه كان يترجم، ولم نستخدمه لأننا نقول بتأثير الأفلاك ولا الاحتياج [إلى ما هنالك]، إلا أن عادة الملوك جرت على ذلك؛ مع العلم بسعة علمه مما ورث عن الحكماء، وتكلم به على ملكوت الأرض والسماء، وأنه جمع من هذه الصناعة ما لا يجيء منه «أبو معشر البلخي»^(١) بمعشار، ولا غيره من جميع الجماعة وفي الجملة «كوشيار»^(٢). ومع هذا فما نمّنه من عمل ما لم يخطر على مثله من رقبة الطوالع^(٣)، ورؤية المطالع، وتحرير الأوقات حين المواليد، وتسيير الكواكب لمعرفة ما يُعرف بالحساب من رؤوس الأشهر وأيام العيد، وملازمة الخدمة الشريفة في السفر والحضر، ورؤية طلائعنا المنصورة فإنها أسعدت من رؤية كل هلالٍ يُنتظر؛ والحذر مما نهت الشريعة الشريفة عن قوله لئلا يُغمض عليه دينه علماء الإسلام، والقول في الكواكب إلا بما قيل فيها من أنها لا تعدو ثلاثة أقسام: منها معالمٌ للهدى ورجوم^(٤) للشياطين ومصايحُ تجلو الظلام».

(١) هو جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أبو معشر المنجم البغدادي. توفي سنة ٢٧٢ هـ.

(انظر ترجمته وآثاره في فهرست ابن النديم: ٣٨٦؛ وهدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي: ٢٥١).

(٢) هو أبو الحسن كوشيار بن لبنان بن باشهري الجيلي: من المنجمين. سكن بغداد ومات في حدود سنة

٣٥٠ هـ.

(هدية العارفين: ٨٣٨).

(٣) الطوالع: جمع طالع. والطالع في اصطلاح المنجمين أو الفلكيين هو ما تنبأ به المنجم من الحوادث بطلوع

كوكب معين.

(٤) الرجوم: جمع رجم، وهي الحجارة الصغيرة التي يُرمى بها.

٣٣ - وصية مؤت:

«وما أحرَّ هذه المدة إلا وكلُّ شيءٍ إلى ميقات، ولأنَّ تقديمَ مثله من الأشياء التي كانت تُحسب لها الأوقات، وإلا فقد عرف أنه المقدمُ في الزمن الأخير، والمتفرَّد وقد همَّ مماثلُه لمساواته فسقط عن درجة النَّظير، وأتقن علم الهيئة التي يُحاط بها علماً بملكوت السماء، وتُعرف بها شمسُ النهار ونجومُ الظُّلماء؛ ويتحقَّق كيف دَوْرانُ الأفلاك ومقاديرها، وهيئة المنازل وتصويرها، وانتقالات الكواكب السَّيارة وإلى أين ينتهي تسييرها، فليُصنر كيف يكون، ولينظر الطالع ولا يأمن أن يكون عليه من النجوم عيون؛ وليعرف ما على خطِّي المشرق والمغرب، ومركزي وتدي السماء والأرض المشدود بهما رواق الفلك المطب؛ وليحرِّر ذلك كلُّه تحريراً من يعلم أنه هو المقلِّد في أداء الفرائض، والمقتحم في لُجج السماء الغمرات التي لا يخوض معه فيها خائض، وأنَّ به يُقام الأذان، وتصلَّى الصلوات ويُفطر ويُصام في رمضان. وبعد تثويبه تسري العقول، وييقن كشف حجاب الليل المسبول، وتخرج مطمئنة القلوب بتسبيحه وتهاجم البيد وهي تُفترس بأنياب غول.

وكلُّ هذا متعلِّق به فليراقب الله في خلاص الذمة، ويتجنَّب الملامة مع أمة سيِّدنا محمد ﷺ ومع الأئمة. ولا يزال محرراً للارتفاع في كل بلدٍ يحلَّ به ركابنا الشريف على حُكم عَرْضه، ومقادير الأبعاد بين سمائه وأرضه، مؤذناً كلَّ من كان مؤذناً بحين كل صلاةٍ في أول وقتها، من غير تقديمٍ يودَى به قبل الوجوب، أو تأخيرٍ يضيق به الوقت الموسَّع على ذي الضرورة حين الوثوب، وليكن على يقينٍ بأنه بكل ما حصل فيه التَّقصيرُ من هذا ومثله مطلوب».

٣٤ - وصية رئيس اليهود:

«وعليه بضمِّ جماعته، ولمَّ شملهم باستطاعته، والحكم فيهم على قواعد ملته، وعوائد أئمة في الحكم إذا وضع له بأدلته، وعقود الأنكحة وخواص ما يُعتبر عندهم فيها على الإطلاق، وما يُفتقر فيها إلى الرضى من الجانبين في العقد والطلاق، وفيمن أوجبَّ عنده حكم دينه عليه التَّحريم، وأوجب عليه الانقياد إلى

التحكيم، وما أَدَعَوْا فيه التَّوَاتُرَ من الأخبار، والتَّصَاوُرَ على العمل به مما لم يُوجَد فيه نصٌّ وأجمعت عليه الأخبار، والتَّوَجُّهَ تلقاء بيت المقدس إلى جهة قبيلتهم، ومكان تعبد أهل مِلَّتِهِمْ؛ والعمل في هذا جميعه بما شرعه موسى الكليم، والوقوف معه إذا ثبت أنه فعل ذاك النبي الكريم، وإقامة حدود التوراة على ما أنزل الله من غير تحريف، ولا تبديلٍ لكلمة بتأويل ولا تحريف، وأتباع ما أعطوا عليه العهد، وشدوا عليه العَقْدَ، وأبقوا به ذَمَاءَهُمْ، ووقوا به دماءهم، وما كانت تحكم به الأنبياء والرَّبَّائِيُّونَ، ويُسلم إليه الإسلاميون منهم ويُعبر عنه العبرانيون؛ كلُّ هذا مع إلزامه لهم بما يلزمهم من حُكْمِ أمثالهم [أهل] الذمَّة الذين أقرؤا في هذه الدِّيار، ووقاية أنفسهم بالخضوع والصَّغار، ومدِّ رُؤُوسِهِم بِالإِذْعَانِ لأهل مِلَّةِ الإسلام، وعدمِ مُضَايقتِهِمْ في الطُّرُقِ وحيث يحصل الالتباس بهم في الحَمَامِ، وحملِ شعارِ الذمَّة الذي جعل لهم حِلِيَّةَ العِمَائِمِ، وعُقْدَ على رُؤُوسِهِم لحفظهم عَقْدَ التَّمَائِمِ؛ وليعلم أن شِعَارَهُم الأصفر، موجبٌ [لثلاث] (١) يُراق دَمُهُم الأحمر، وأنهم تحتَ عِلْمِ علامته آمنون، وفي دَعَا أَصَائِلِهِ ساكنون؛ وليأخذهم بتجديد صَبِغِهِ في كلِّ حين، وليأمرهم بملازمته ملازمةً لا تزال علائِمها على رُؤُوسِهِم تَبِينُ، وعدمِ التَّظَاهُرِ بما يقتضي المناقضة، أو يُفهم منه المعارضة، أو يدع فيه غير السِّيفِ وهو إذا كَلَّمَ شديدَ العَارِضَةِ، وله ترتيبُ طبقات أهل مِلَّتِهِ من الأخبار فمن دونهم على قَدْرِ استحقاقهم، وعلى ما لا تخرج عنه كلمة آتفاقهم؛ وكذلك له الحديثُ في جميعِ كَنَائِسِ اليهود المستمرَّة إلى الآن، المستقرَّة بأيديهم من حين عَقْدِ عَهْدِ الذمَّة ثم ما تأكَّد بعده بطول الزمان، من غير تجديدٍ متجدِّد، ولا إحداثٍ قدرٍ متزيِّد، ولا فعلٍ شيءٍ مما لم تُعقد عليه الذمَّة، ويُقرَّ عليه سَلْفُهُم الأوَّلُ سَلَفُ هذه الأمة، وفي هذا كفايةٌ وتقوى الله وخوفٌ بأسنا رأسُ الأمور المهمَّة.

(١) في طق «لأن يراق» وهو خطأ بمقتضى السياق.

٣٥ - وصية رئيس السامرة (١):

«ولا يعجز عن لم شعث طائفته مع قتلهم، وتأمين سربهم الذي لو لم يؤمنوا فيه لأكلهم الذئب لذلتهم؛ وليصن بحسن السلوك دماءهم التي كأنما صبغت عمائمهم الحمر منها بماطل، وأوقد لهم منها النار الحمراء فلم يتقوها إلا بالذل؛ وليعلم أنهم [شعبة] (٢) من اليهود لا يخالفونهم في أصل المعتقد، ولا في شيء يخرج عن قواعد دينهم لمن أنتقد، ولولا هذا لما عدوا في أهل الكتاب، ولا قنع منهم إلا بالإسلام أو ضرب الرقاب؛ فليبن على هذا الأساس، ولينبئ قومهم أنهم منهم وإنما الناس أجناس، وليلتزم من فروع دينه ما لا يخالف فيه إلا بأن يقول لا مساس؛ وإذا كان كما يقول: إنه كهارون عليه السلام فليلتزم الجدد، وليقم من شرط الذمة بما يقيم به طول المدد، وليتمسك بالموسوية من غير تبديل، ولا تحريف في كلمة ولا تأويل؛ وليحص عمله فإنه عليه مسطور، وليقف عند حدّه ولا يتعدّ طوره في الطور؛ وليحكم في طائفته وفي أنكحتهم وموارثهم وكنائسهم القديمة المعقود [عليها] بما هو في عقد دينه، وسبب لتوطيد قواعده في هذه الرتبة التي بلغها وتوطئته».

٣٦ - وصية بطريك النصارى الملكيين (٣):

«وهو كبير أهل ملته، والحاكم عليهم ما امتدّ في مدته؛ وإليه مرجعهم في

(١) السامرة: طائفة من اليهود؛ وهم أتباع السامري الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله في سورة الأعراف: «وأصلهم السامري». وقد اختلف في السامرة: هل هم من اليهود أم لا؟ والقراون والرّبانين ينكرون كون السامرة من اليهود. وللسامرة تورا تختصهم غير التورا التي بيد القرّائين والرّبانين والتورا التي بيد النصارى. وهم ينفردون عن القرّائين والرّبانين بإنكار نبوة من بعد موسى ما عدا هارون ويوشع؛ ويخالفونهم أيضاً في استقبال صخرة بيت المقدس ويستقبلون طور نابلس ويوجهون إليه موتاهم. (صبح الأعشى: ١٣/٢٦٨).

(٢) في طق «شيعه».

(٣) الملكيون: طائفة مسيحية من الطقس البيزنطي، منتشرة في سوريا ومصر وفلسطين؛ وكنيستهم تسمى كنيسة الروم. ويتكلم معظمهم العربية ويرأسهم بطرك يقيم في دمشق والقاهرة. سموا (الملكيين) لأنهم أيدوا القرار الذي اتخذه مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م ضد بدعة أوطيخا المونوفيزية (القائلة بطبيعة واحدة للمسيح) فلقبهم مخالفيهم ازدراءً لهم بالملكيين لوقوفهم في صف الملك مرقيانوس الذي كان يعاضد

التحريم والتحليل، وفي الحكم بينهم بما أنزل في التوراة ولم يُنسخ في الإنجيل؛ وشريعته مبنية على المسامحة والاحتمال، والصبر على الأذى وعدم الاكتراث به والاحتفال؛ فخذ نفسك في الأول بهذه الآداب، وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك طريقاً إلى الباب: فتخلّق من الأخلاق بكل جميل، ولا تستكثر من متاع الدنيا فإنه قليل؛ وليقدّم المصالحة بين المتحاكمين إليه قبل الفصل البتّ فإنّ الصلح كما يُقال سيّد الأحكام، وهو قاعدة دينه المسيحيّ ولم تخالف فيه المحمديّة الغراء دين الإسلام؛ ولينظّف صدور إخوانه من الغلّ ولا يقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام؛ وإليه أمر الكنائس والبيع، وهو رأس جماعته والكلّ له تبع: فإياه أن يتخذها له تجارة مربحة، أو يقتطع بها مال نصرانيّ يقربه فإنه ما يكون قد قربه إلى المذبح وإنما ذبحه؛ وكذلك الديارات وكلّ عمر^(١)، والقلائيّ فيتعين عليه أن يتفقد فيها كلّ أمر؛ وليجهد في إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات، وليعلم أنهم إنما آتزلوا فيها للتعبد فلا يدعها تتخذ متزهات: فهم إنما أحدثوا هذه الرهبانية للتقلّل في هذه الدنيا والتعفّف عن الفروج، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إنّ أكثرهم إذا دخل إليها ما يعود يبقى له خروج؛ فليحدّزهم من عملها مضيّدة للمال، أو خلوة له ولكن بالنساء حراماً ويكون إنما تنزهه عن الحلال؛ وإياه ثم إياه أن يوويّ إليها من الغرباء القادمين عليه من قريب، أو يكتّم عن الإنهاء إلينا مشكّل أمر وردعليه من بعيد أو قريب؛ ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يردّ إليه من أحد من الملوك^(٢)، ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشي على مثل هذا السلوك؛ وليتجنّب البحر وإياه من اقتحامه فإنه يغرق، أو تلقّي ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنه بالبين ينعق؛ والتّفوى مأمورٌ بها أهل كلّ

المجمع. ومنهم كاثوليك يعترفون برياسة بابا روما، وهم الروم الكاثوليك، وأرثوذكس لا يعترفون بهذه الرياسة. عرفهم المسلمون وناقشوا مذهبهم في طبيعة المسيح الواحدة كما فعل الشهرستاني في «الملل والنحل» وابن حزم في «الفصل في الأهواء والملل والنحل» والباقلاني في «التمهيد».

(الموسوعة العربية الميسرة: ١٧٤٢).

(١) هو بالضمّ المسجد والبيعة. (انظر القاموس المحيط). والقلائيّ: جمع قلبيّة وهي شبه الصومعة.

(٢) المراد ملوك الفرنجة المعادين للمسلمين.

مِلَّةً، وكلّ موافق ومخالف في القِبْلة؛ فليكن عمله بها وفي الكناية ما يُغني عن التصريح، وفيها رضى الله وبها أمر المسيح».

٣٧- وصية بطريك اليعاقبة^(١):

ويقال في وصية بطرك اليعاقبة مثل ذلك^(٢) إلا فيما يُنبه عليه. ويسقط منه قولنا: «وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك طريق إلى الباب» إذ كان لا يدين بطاعة الباب^(٣) الذي هو رأس الملكانيين؛ وإنما هو رأس اليعاقبة نظيره للملكانيين؛ ويقال مكان هذه الكلمة: «وأعلم بأنك في المدخل إلى شريعتك قسيم الباب، وأنتما سواء في الأتباع، ومتساويان فإنه لا يزداد مصراع على مصراع». ويسقط منه قولنا: «وليتجنب البحر وإياه من أقتحامه فإنه يغرق» وثانية هذه الكلمة إذ كان مُلْك اليعاقبة مغلغلاً في الجنوب ولا بحر، ويُبدل بقولنا: «وليتجنب ما لعله يُنوب، وليتوق ما يأتيه سراً من تلقاء الحبشة حتى إذا قدر فلا يشم أنفاس الجنوب، وليعلم أن تلك المادة وإن كثرت مقصرة، ولا يحفل بسودد السودان فإن الله جعل آية الليل مظلمة وآية النهار مبصرة» ثم يختم بالوصية بالتقوى كما تقدّم، ونحو هذا والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) فرقة مسيحية تنسب إلى يعقوب. وهي إحدى فرق ثلاث اختلفت حول طبيعة المسيح؛ والفرقتان الأخريان هما الملكانية والنساطرة. عاش اليعاقبة في مصر والنوبة والحبشة. ويدور مذهبهم على القول بأن المسيح هو الله والإنسان اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح. وفي العصر المملوكي كان جميع نصارى الحبشة أتباعاً لبطريك اليعاقبة، وفي طاعته ملك الحبشة الأكبر، وعنه تصدر ولايته. (الموسوعة العربية الميسرة: ١٩٨٢؛ وصبح الأعشى: ٣٩٥/١١).

(٢) أي مثل ما يقال في وصية بطرك الملكيين السابقة.

(٣) أي البابا رأس الكنيسة بروما. وكان يُقال أحياناً «البابه» بإبدال الألف الأخيرة هاء.

(صبح الأعشى: ٤٧٠/٥ و٤٢/٨).

القسم الثالث

(في نُسَخِ الأَيْمَانِ)

أ - يمينُ شريفٍ يُستحلفُ بها للمبايعة العامة^(١) :

«أقول وأنا فلان : واللَّهِ واللَّهِ واللَّهِ، وتاللَّهِ وتاللَّهِ وتاللَّهِ، وباللَّهِ وباللَّهِ وباللَّهِ، واللَّهِ العظيم الذي لا إله إلا هو، الباريُّ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، عالمُ الغيب والشهادة، والسر والعلانية، وما تُخفي الصدور، القائمُ على كل نفسٍ بما كَسَبَتْ، والمجازي لها بما عملت، وحقُّ جلالِ اللّهِ، وقدرةُ اللّهِ، وعظمةُ اللّهِ، وكبرياءُ اللّهِ، وسائرُ أسماءِ اللّهِ الحسنی وصفاته العلیا؛ إنني من وقتي هذا، وما مدَّ اللّهُ في عمري، قد أخلصْتُ نيتي، ولا أزال مجتهداً في إخلاصها، وأصفيت طويّتي، ولا أزال مجتهداً في إصفاها، في طاعة مولانا السلطان (ويذكر لقبه ونسبه) - خلد اللّهُ ملكه - وخدمته ومحبّته وأمثالِ مراسيمه، والعمل بأوامره؛ وإنني واللّهُ العظيم حَرَبٌ لمن حاربه، سلّم لمن سالمه، عدوٌّ لمن عاداه، وليٌّ لمن والاه من سائر الناس أجمعين؛ وإنني واللّهُ العظيم لا أضمر لمولانا السلطان بنسبه سوءاً ولا غدرأً، ولا خديعةً ولا مكرأً، ولا خيانةً في نفس ولا مال، ولا سلطنةً ولا قلاع ولا حصون، ولا بلادٍ ولا غير ذلك، ولا أسعى في تفريق كلمة أحد من أمرائه ولا مماليكه ولا عساكره ولا أجناده، ولا عُربانه

(١) هذه اليمين يحلف بها أهل الدولة من الأمراء والوزراء والنواب ومن يجري مجراهم؛ وقد أهمل العمري نسخ الأيمان التي يحلف بها الخليفة عند مبايعته. قال القلقشندي: «وهذه الأيمان قل من تعرض لها لقلّة وقوعها، إذ الخليفة قلماً يحلف لعلو رتبته. ومدار تحليف الخلفاء بعد القسم بالله على التعليق بوقوع المحذور عليهم، ولزومه لهم، مثل البراءة من الخلافة والانخلاع منها وما يجري مجرى ذلك. قال: ولم أقف على ذلك إلا في ترسل الصّابي»
(انظر صبح الأعشى: ٢١١/١٣).

ولا تُرْكُمَانِه ولا أكراده، ولا آسْتِمَالَةَ طائفة منهم لغيره، ولا أوافق على ذلك بقولٍ ولا فعلٍ ولا نيّةٍ ولا مُكَاتِبَةٍ ولا مُرَاسَلَةٍ ولا إشارةٍ ولا رَمَزٍ ولا كِنَايَةٍ ولا تصرّيحٍ؛ فإن جاءني كتابٌ من أحدٍ من خلق الله بما فيه مَضْرَّةٌ على مولانا السلطان، أو على دولته، لا أعمل به، ولا أصغي إليه، وأحمل الكتاب إلى [ما] بين يديه الشريفتين، هو ومن أحضره إن قدرتُ على إمساكه.

وإنني والله العظيم أفي لمولانا السلطان بهذه اليمين من أولها إلى آخرها، لا أنقضها ولا شيئاً منها، ولا أستثني فيها ولا في شيء منها، ولا أخالف شرطاً من شروطها؛ ومتى خالفتها أو شيئاً منها، أو نَقَضْتُها أو شيئاً منها، أو آسْتَفْتَيْتُ (١) فيها أو في شيءٍ منها طلباً لنقضها، [فكلُّ ما] (٢) أملكه من صامتٍ وناطقٍ صدقةً على الفقراء والمساكين، وكلُّ زوجةٍ في عَقْدِ نِكَاحِهِ (٣) أو يتزوجها في المستقبل طالقٌ ثلاثاً بتاتاً على سائر المذاهب، وكلُّ مملوكٍ أو أَمَةٍ في ملكه أو يملكهم (٤) في المستقبل أحرارٌ لوجه الله تعالى، وعليه الحجُّ إلى بيت الله الحرام بمكّة المعظمة، والوقوفُ بعرفة ثلاثين حُجَّةً متوالياتٍ متتابعاتٍ كوامِلٍ، حافياً حاسراً،

(١) في صبح الأعشى: «استثني»

(٢) في طق «فكلما» وهو خطأ.

(٣) انتقال غير مبرر من صيغة المتكلم إلى صيغة الغائب. وقد علّق القلقشندي على هذا بقوله: «عجيبٌ من المقرّ الشهابي ما أتى به في نسخة هذه اليمين؛ فإنه أتى بها بلفظ المتكلم إلى قوله: «وكل زوجة» فعدل عن التكلم إلى الغيبة، وقال: «في نكاحه»؛ وكذلك ما بعده إلى قوله: «من أسر الكفار ويكون بريئاً من الله ومن رسوله إن خالفتُ هذا اليمين». فإن كان فرُّ في قوله: «وكل زوجة في نكاحه» خوفاً من أن يقول «في نكاحي» فتطلق زوجته هو، فلا وجه له: لأن الحاكِي لا يقع عليه الطلاق، وكذا ما بعده من العتق وغيره. وأعجب من ذلك كله قوله: «ويكون بريئاً من الله ورسوله ومن دين الإسلام إن خالفت» فجمع بين التكلم والغيبة في حالة واحدة! على أن ما ذكره بلفظ الغيبة إنما هو فيما سطره في النسخة. أما إذا كتبت اليمين التي يحلف بها فإنها لا تكون في الجميع إلا بلفظ التكلم؛ فما المعنى في أنه خاف من الوقوع في المحذور عند حكاية القول ولم يخف مثل ذلك فيما يكتبه في نفس اليمين؟» قال: «وقد ذكر صاحب التقيف جميع ذلك بلفظ التكلم، مع المخالفة في بعض الألفاظ وزيادة ونقص فيها».

(صبح الأعشى: ٢١٨/١٣).

(٤) في الصبح: «وكل عبيدي وإمائي أحرارٌ لوجه الله»

وعليه صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ إِلَّا أَيَّامَ الْمُنْهَيِّ عَنْهَا، وَعَلَيْهِ أَنْ يَفْكَ أَلْفَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْوَ
الْكَفَّارِ، وَيَكُونُ بَرِيئاً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ رَسُولِهِ ﷺ وَمَنْ دِينَ الْإِسْلَامِ إِنْ خَالَفتْ هَذَا
الْيَمِينُ أَوْ شَرْطاً مِنْ شَرْطِهَا.

وهذه اليمينُ يميني، وأنا فلان، والنِّيَّةُ فيها بِأَسْرَها نِيَّةُ مَوْلانا السُّلطانِ فلان
وَنِيَّةُ مُسْتَحْلَفِي لَهْ بِها، لا نِيَّةَ لِي فِي باطنِي وظاهري سواها. أَشْهَدُ اللَّهَ عَلَيَّ بِذَلِكَ
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً، وَاللَّهُ عَلَيَّ ما أَقُولُ وَكَيْلٌ.

وَيَكْتُبُ الْحَالِفُ اسْمَهُ فِي الْمَوْضِعِينَ بِخَطِّهِ أَوْ بِخَطِّ مَنْ يَكْتُبُ عَنْهُ إِنْ كانَ مَمرِّ
لا يَكْتُبُ.

وقد يُزادُ فيها لِنَوَابِ القِلاعِ ونُقباؤها والوزراءِ وأربابِ التَّصَرُّفِ فِي الْأُمُورِ
والدَّوَادِرِيَّةِ وَكُتَّابِ السَّرِّياتِ:

- فَأما نَوَابُ القِلاعِ ونُقباؤها فَمِمَّا يُزادُ فِي تحليفهم:

«... وَإِنِّي أَجْمَعُ رِجالَ هذه القلعة (ويُسَمَّى القلعةُ التي هو فيها) على طاعة
مَوْلانا السُّلطانِ فلانِ وَخِدمَتِهِ فِي حِفْظِ هذه القلعةِ وَحِمايَتِها وَتَحْصِينِها وَالذَّبِّ عَنْها
وَالجِهادِ دُونِها وَالْمُدافعةِ عَنْها بِكُلِّ طَريقٍ؛ وَإِنِّي أَحْفَظُ حَواصِلَها وَذِخائِرَها وَسِلاحَها
خاناتِها على آخِلافِ أنواعِ ما فيها مِنَ الْأَقْواتِ وَالأسلِحَةِ، وَإِنِّي لا أُخْرِجُ شَيْئاً مِنْها
إِلَّا فِي أَوْقاتِ الحِجاجةِ وَالضَّرورةِ الدَّاعِيَةِ الْمُتَعَيِّنِ فِيها تَفْرِيقُ الْأَقْواتِ وَالسِّلاحِ على قَدْرِ
ما تَدْعُو الحِجاجةُ إِلَيْهِ، وَإِنِّي أَكونُ فِي ذلكِ كواحدٍ مِنَ رِجالِ هذه القلعةِ؛ وَكُلُّ واحِدٍ
مَنْ يَتَّبِعُنِي كواحدٍ مِمَّنْ يَتَّبِعُ أَتِباعَ رِجالِ هذه القلعةِ: لا أَتَخَصَّصُ ولا أَمَكِّنُ مَنْ
التَّخْصِصُ؛ وَإِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهِ لا أَفْتَحُ أَبْوابَ هذه القلعةِ إِلَّا فِي الْأَوْقاتِ الجارِيَةِ بِ
عِادةٍ فَتَحَ أَبْوابِ الحِصونِ، وَأَغْلَقُها فِي الوَقْتِ الجارِيِ بِها العِادةُ، ولا أَفْتَحُها إِلَّا
بِشَمْسٍ، ولا أَغْلَقُها إِلَّا بِشَمْسٍ؛ وَإِنِّي أَطالِبُ الحِراسَ وَالدرَاجَةَ وَأربابَ النُّوبِ فِي
هذه القلعةِ بِما جرتَ بِهِ العِوائِدُ اللَّأزِمةُ لِكُلِّ مِنْهم، مِمَّا فِي ذلكِ جَميعِهِ مصلِحَةً
مَوْلانا السُّلطانِ فلانٍ؛ ولا أَسَلِّمُ هذه القلعةَ إِلَّا لِمَوْلانا السُّلطانِ فلانٍ، أو بِمَرسومِهِ

لشريف وأمارته الصحيحة وأوامره الصريحة؛ وإنني لا أستخدم في هذه القلعة إلا مَنْ
فيه نفع هذه القلعة وأهليّة الخدمة. لا أعمل في ذلك بغيرِ نفسٍ لي، ولا أرخص
فيه لمن يعمل بغيرِ نفسٍ له؛ وإنني أبذل في ذلك كلّ الجهد، وأشمر فيه عن ساعدِ
الجِدِّ».

وأما الوزراء وأرباب التصرف في الأموال فمما يُزاد في تحليفهم:

«... وإنني أحفظ أموال مولانا السلطان فلان - خلد الله ملكه - من التبذير
الضّياع، والخونة وتفريط أهل العجز، ولا أستخدم في ذلك ولا في شيءٍ منه إلا أهل
لكفاية والأمانة، ولا أضمن جهةً من الجهات الديوانية إلا من الأمانة القادرين، أو
من زاد زيادة ظاهرة وأقام عليه الضمان الثقات، ولا أؤخر مطالبة أحدٍ بما يتعيّن عليه
وجه حَقٍّ من حقوق الديوان المعمور، والموجبات السلطانية على اختلافها؛ وإنني
الله العظيم لا أرخص في تسجيل ولا قياس، ولا أسامح أحداً بموجبٍ يجب عليه،
لا أخرج عن كلّ مصلحةٍ تتعيّن لمولانا السلطان فلان ودولته، ولا أخليّ كلّ ديوان
رجع إليّ أمره ويوكل بي أمر مباشرته من تصفح لأحواله، وأجتهد في تثمير أمواله،
كف أيدي الخونة عنه، وغل أيديهم أن تصل إلى شيءٍ منه؛ ولا أدع حاضراً ولا غائباً
من أمور هذه المباشرة حتى أجد فيه وأبذل الجهد الكليّ في إجراء أموره على
سدّاد، وحسن الاعتماد، وإنني لا أستجدّ على المستقرّ إطلاقه ما لم يرسم لي به،
لا ما فيه مصلحة ظاهرة، لهذه الدولة القاهرة، ونفع بين هذه الأيام الشريفة؛ وإنني
الله أودّي الأمانة في كل ما وكل بي ووليت من قبض والصرف، والولاية والعزل،
لتقديم والتأخير، والتقليل والتكثير، وفي كلّ جليلٍ وحقير، وقليل وكثير».

وأما الدوّادارية وكُتاب السرّ فيزاد فيهما:

«... وإنني مهما أطلعت عليه من مصالح مولانا السلطان فلان ونصائحه،
مر داني ملكه ونازجه، أوصله إليه، وأعرضه عليه، ولا أخفيه شيئاً منه ولو كان
ليّ، ولا أكتمه ولو خفتُ وصولَ ضرره إليّ».

ويُفرد الدوادار :

«بأنني لا أؤدّي عن مولانا السلطان رسالةً في إطلاق مال، ولا أستخدم مُستخدَم، ولا إقطاع إقطاع، ولا ترتيب مُرتّب، ولا تجديد مُستجدّ، ولا سداد ثاغر، ولا فصل مُنازعة، ولا كتابة توقيع ولا مرسوم، ولا كتاب صغيراً كان أو كبيراً إلا بعد عَرْضه على مولانا السلطان فلان، ومشاورته، ومعاودة أمره الشريف ومراجعتِهِ».

ويُفرد كاتبُ السرّ :

«بأنه مهما تأخّر قراءته من الكتب الواردة على مولانا السلطان فلان، من البعيد والقريب، يعاود فيه في وقت آخر؛ فإن لم يعاود فيه لمجموع لفظه - لطوله الطول الممل - عاودَ فيه بمعناه في الملخصات؛ وأنه لا يجاوب في شيء لم ينصّ المرسوم الشريف فيه بنصّ خاص - مما لم تجر العادة بالنصّ فيه - لا يجاوب فيه إلا بأكمل ما يرى أن فيه مصلحة مولانا السلطان فلان ومصلحة دولته؛ بأشدّ جواب يقدر عليه، ويصل آجتهأذه إليه؛ وأنه مهما أمكنه المراجعة فيه لمولانا السلطان فلان راجعه فيه، وعمل بنصّ ما يرسم له به فيه».

ب - أيمان أهل الكتاب :

يَمِينُ الْيَهُودِ (١)

«إنني واللّه واللّه واللّه العظيم، القديم الأزليّ الفرد الصّمد، القديم الواحد

(١) أوّل ما أستحدثت هذه الأيمان لأهل دين اليهود - فيما ذكره محمد بن عمر المدائني في كتابه: القلندر والدواة - في زمن الفضل بن الربيع وزير الرشيد؛ أحدثها كاتب له قال له: كيف تحلف اليهودي؟ قال أقول له: «وإلا برئت من إلهك الذي لا تعبد غيره ولا تدين إلا به، ورجبت عن دينك الذي ارتضيته. ووجدت التوراة وقلت: إن حمار العزير ركب جمل موسى، ولعنك ثمانمائة حبر على لسان داود وعيسى ابن مريم، ومسحك الله كما مسخ أصحاب السبب فجعل منهم القردة والخنازير، وخالفت ما دون دانيال وأشلوما ويوحنا، ولقيت الله بدم يحيى بن زكريا، وهدمت الطور صخرة صخرة، وضربت بالناقوس في بيت المقدس، وتبرأ منك الأسباط وآباؤهم: إسرائيل وإسحاق وإبراهيم، وغمست لحيّة الجاثليق في معمودية النصارى، وأنقلبت عن السبب إلى الأحد، وإلا قدر الله لك أن تلقى الذي يخرج من الماء ليل السبب، وصير الله طعامك لحم الخنزير وكروش الجمال ومعدّ الخنازير، وسلط الله عليك وعلى أهللك

الأحد، المدرك المهلك، باعث موسى بالحق، وشاد عضديه وأزره بأخيه هارون، وحق التوراة المكرمة وما فيها وما تضمنته، وحق العشر كلمات التي أنزلت على موسى في الصحف الجوهري، وما حوته قبة الزمان، وإلا تعبدت فرعون وهامان، وبرت من إسرائيل^(١)، ودنت بدين النصرانية، وصدقت مريم في دعواها، وبرأت يوسف النجار، وأنكرت الخطاب، وتعمدت الطور بالقاذورات، ورميت الصخرة بالنجاسة، وشركت بخت نصر^(٢) في هدم بيت المقدس وقتل بني إسرائيل، وألقيت العذرة على مظان الأسفار، وكنت ممن شرب [من] النهر ومال إلى جالوت، وفارقت شيعة طالوت، وأنكرت الأنبياء، ودللت على دانيال، وأعلمت جبار مصر بمكان إرميا، وكنت مع البغي والفواجر يوم يحيى، وقلت: إن النار المضيئة من شجرة العوسج نار إفك، وأخذت الطرق على مدين، وقلت بالعظائم في بنات شعيب، وأجلت مع السحرة على موسى، ثم برئت ممن آمن منهم، وكنت مع من قال: اللحاق [للحاق] لندرك من فر، وأشرت بتخليف تابوت يوسف في مصر، وسلمت إلى السامري، ونزلت أريحا مدينة الجبارين، ورضيت بفعل سكرة سدوم، وخالفت أحكام التوراة، وأستبحت السب وعدوت فيه، وقلت إن المضلة ضلال، وإن الحنكة محال، وقلت بالبداءة على الله في الأحكام، وأجزت نسخ الشرائع، وأعتقدت أن عيسى ابن مريم المسيح الموعود به على لسان موسى بن عمران، وانتقلت عن اليهودية إلى سواها من

== بختنصر ثانية يقتل المقاومة ويسبي الذرية ويخرب المدائن، وأراك الله الأيدي التي تال الركب من قبيل الأسباط، وأخذك الله بكل لسان جحدته وبكل آية حرفتها، وقلت في موسى الزور، وإنه في محل ثبور، وفي دار غرور، وجحدت إهياً أشراً إهياً أصبوت آل شداء» .
(انظر صبح الأعشى: ١٣/٢٦٦ - ٢٦٧).

(١) في الصبح: «من بني إسرائيل»

(٢) روايات المؤرخين المسلمين مختلفة ومتضاربة حول شخصية بختنصر: فمنهم من يجعله ملكاً على فارس، ومنهم من يجعله مرزباناً على العراق من قبل ملك فارس لهراسب؛ أرسله ملكه إلى بيت المقدس لإجلاء اليهود عنها. وقد عاش بختنصر هذا ما بين المثبتين السادسة والخامسة قبل الميلاد.
(انظر مروج الذهب للمسعودي: ١/٢٢٨؛ والطبري: ١/٣١٦؛ وابن الأثير: ١/١٩٨؛ ودائرة المعارف الإسلامية: ٦/٣٧٧).

الأديان، وَأَسْتَبَحْتُ لَحْمَ الْجَمَلِ وَالشَّحْمَ وَالْحَوَايَا وَمَا آخْتَلَطَ بَعْظَمَ، وتَأَوَّلْتُ أَنْ أَكَلَ ثَمْنَهُ غَيْرُ آكَلِهِ^(١)، وقلت مقالة أهل بابل في إبراهيم، وإلا أكون محرماً حُرْمَةً تَجْمَعُ عَلَيْهَا الْأَحْبَارُ، وتُقَلَّبُ عَلَيْهَا حُصْرُ الْكِنَائِسِ، وَرُدِدْتُ إِلَى التَّيْهِ، وَحُرِّمْتُ الْمَنْ وَالسُّلُوَى، وَبَرِئْتُ مِنْ كُلِّ الْأَسْبَاطِ، وَقَعَدْتُ عَنْ حَرْبِ الْجَبَّارِينَ مَعَ الْقُدْرَةِ وَالنَّشَاطِ.

يَمِينُ النَّصَارَى

«إِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ الْعَظِيمِ، وَحَقَّ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَأَمَّهُ السَّيِّدَةَ مَرْيَمَ، وَمَا أَعْتَقَدُهُ مِنْ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَالْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ، وَإِلَّا أBRأُ مِنَ الْمَعْمُودِيَّةِ، وَأَقُولُ إِنَّ مَاءَهَا نَجَسٌ، وَإِنَّ الْقَرَابِينَ رَجَسٌ، وَبَرِئْتُ مِنْ مَرْيُوحَنَا الْمَعْمَدَانِ وَالْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ، وَقُلْتُ إِنَّ مَتَّى كَذُوبٌ، وَإِنَّ مَرْيَمَ الْمَجْدَلَانِيَّةَ بَاطِلَةٌ الدَّعْوَى فِي إِخْبَارِهَا عَنِ السَّيِّدِ الْيَسُوعِ الْمَسِيحِ، وَقُلْتُ فِي السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ قَوْلَ الْيَهُودِ، وَدَنْتُ بِدِينِهِمْ فِي الْجُحُودِ، وَأَنْكَرْتُ اتِّحَادَ اللَّأَهْوَتِ بِالنَّاسُوتِ، وَبَرِئْتُ مِنَ الْآبِ وَالْإِبْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ، وَكَذَّبْتُ الْقُسُوسَ، وَشَارَكْتُ فِي ذَبْحِ الشَّمَامِسِ، وَهَدَمْتُ الدِّيَارَاتِ وَالْكَنَائِسِ، وَكُنْتُ مِمَّنْ مَالَ عَلَى قَسْطَنْطِينَ ابْنِ هَالَانِي، وَتَعَمَّدَ أُمَّهُ بِالْعِظَائِمِ، وَخَالَفْتُ الْمَجَامِعَ الَّتِي أَجْمَعَتْ عَلَيْهَا الْأَسَاقِفُ بَرُومِيَّةَ وَالْقُسْطَنْطِينِيَّةَ^(٢)، وَوَأَفَقْتُ الْبَرْدَعَانِيَّ^(٣) بِأَنْطَاكِيَّةَ، وَجَحَدْتُ مَذْهَبَ الْمَلَكَانِيَّةِ، وَسَفَّهْتُ رَأْيَ الرَّهْبَانِ، وَأَنْكَرْتُ وَقُوعَ الصَّلْبِ عَلَى السَّيِّدِ

(١) قال القلقشندي في الصبح: «كان من حق العمري أن يقول: ولم أتأول أن أكل ثمنه غير هو غير آكله؛ لأن اليهود القرآئين والربانيين يتأولون أن أكل ثمنه هو غير آكله وإنما تمنع ذلك السامرة؛ فكان من حقه أن يورد ذلك في يمين السامرة.

(٢) الإشارة إلى المجامع الدينية الثلاثة التي انعقدت بسبب مشكلة نسطوريوس القائل بأن المسيح ليس إلهاً حقيقة؛ وهذه المجامع هي: مجمع أفسوس سنة ٤٣١ م، ومجمع خلقيدونية سنة ٤٥٠ م، ومجمع القسطنطينية سنة ٥٥٣ م. وقد قررت هذه المجامع أن للمسيح طبيعتين: إلهية وإنسانية متحدتين في أُنُوم واحد وقوام إلهي واحد. ولم يبق مع نسطوريوس في النهاية إلا كنيسة فارس، وتدعى أحياناً بالكنيسة الأشورية.

(الموسوعة العربية الميسرة: ١٨٣٢).

(٣) هو يعقوب البردعاني تلميذ سويرس بطرك أنطاكية. وكان راهباً بالقسطنطينية فكان يطوف البلاد ويدعو إلى مذهب ديستُرس رأس طائفة اليعاقبة (صبح الأعشى: ٢٧٨/١٣).

اليسوع، وكنت مع اليهود حين صلبوه، وجِدتُ عن الحواريين، وأستبحت دماء الدَّيرانيين؛ وجذبت رِداءَ الكبرياء عن البطريك، وخرجت عن طاعة الباب، وصُمتُ يوم الفصح الأكبر، وقعدت عن أهل الشَّعَّانين، [وأبَّيت] ^(١) عيد الصَّليب والغِطاس، ولم أحفل بعيد السَّيدة، وأكلت لحمَ الجمل، ودنت بدين اليهود، وأبَّحت حُرمة الطلاق، وخُنت المسيح في وديعته، وتزوَّجت في قرَنِ بامرأتين، وهدمت بيدي كنيسة قُمامة ^(٢)، وكسرت صليب الصَّلْبوت، وقلت في البِنوة مقال نُسطورس، ووجَّهت إلى الصخرة وجهي، وصدَّيت عن الشرق المنير حيث كان المظَّهر الكريم، وإلا برئت من النورانيين والشعشعانيين، ودنُّت غير دين النصارى، وأنكرت أنَّ السَّيدَ اليسوع أحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وقلت إنه مرَّبوب، وإنه ما رؤي وهو مصلوب، وأنكرت أنَّ القُربان المقدَّس على المذبح ما صار لحمَ المسيح ودمه حقيقة، وخرجت في النصرانية عن لاجِب ^(٣) الطريقة، وإلا قلت بدين التَّوحيد، وتعبَّدت غير الأرباب، وقصدت بالمظانبات غير طريق الإخلاص، وقلت إن المَعَادَ غيرُ روحاني ^(٤)، وإن بني المعمودية تسيحُ في فسيحِ السماء، [وأبَّت] ^(٥) وجودَ الحُورِ العِينِ في المَعَادِ، وإن في الدار الآخرة التَّلذُّذات الجسمانية ^(٤)، وخرجت خروج الشعرة من العجين من دين النصرانية، وأكون من ديني محروماً، وقلت إن جرجس لم يُقتل مظلوماً.

(١) في طق «وأهنت». والتصحيح من الصحيح.

(٢) هي كنيسة القيامة؛ ويقال لها: كنيسة بيعة القمامة. وقد هدمت هذه الكنيسة سنة ٤٠٠ هـ بأمر الحاكم بأمر الله وظلَّت خربة حتى سنة ٤٢٩ هـ حين عقد الأمبراطور ميشيل الخامس هدنة مع والي بيت المقدس من قبل المستنصر بالله. وقد تعهَّد بتحرير خمسة آلاف أسير مسلم ومنح الحق في إعادة بناء الكنيسة فأرسل المهندسين والمعماريين فوراً من القسطنطينية. وسبب تسميتها بالقمامة - على ما ذكره ياقوت - أنها بنيت في مكان كان مزبلة أهل البلد (سَفْرانمة: ٧٤؛ ومعجم البلدان: ٣٩٦/٤).

(٣) الطريق اللاجب: الواضح المستقيم.

(٤) ذكر القلقشندي أن هذه اليمين هي للملكانيين من النصارى، وأنهم كانوا يؤمنون بالمعاد الروحاني والجسماني معاً.

(انظر صبح الأعشى: ١٣ / ٢٨٠ - طبعة دار الكتب العلمية).

(٥) في طق «وأبَّيت» وهو خطأ واضح.

فإن كان من اليعاقبة بَدَل قوله «اتّحاد اللاهوت بالنَّاسوت» بقوله: «مماسَّة اللاهوت للناسوت» ويُبطل قوله: «ووافقت البردَعانيّ بأنطاكية، وجحدت مذهب الملكانية» ويبدّل بقوله: «وكذّبت يعقوبَ البردَعانيّ، وقلت إنه غيرُ نصراني، وجحدت اليعقوبية، وقلت إن الحقَّ مع الملكية». ويُبطل قوله: «وخرجت عن طاعة الباب» ويبدّل بقوله: «وقاتلت بيدي عمد شيون، وخرّبت كنيسته وكنت أوّل مفتون» وإن كان من النَّساطرة أبدل القولين وأبقى ما سواهما، وقال عوض «مماسَّة اللاهوت للناسوت»: «إشراق اللاهوت على الناسوت»؛ ويُزاد بعد ما يحذف: «وقلت بالبراءة من نسطورس وما تضمنه الإنجيل المقدّس»^(١).

يمينُ السَّامِرَةِ^(٢)

وهي على نحو من يمين اليهود، لأنهم منهم؛ وقد قال العلماء: «إن وافقت أصولهم أصولَ اليهود أقرُّوا [بالجزية]»^(٣) وإلا فلا». وقد خرجت لهم نسخة يمين تفردهم لموضع خلافهم لفرق اليهود وهي:

«أقول وأنا فلان، إنني واللّه واللّه واللّه العظيم، الباريء، القادر، القاهر، القديم، الأزليّ، ربّ موسى وهارون، منزّل التوراة والألواح الجوهر، منقذ بني إسرائيل، وناصب الطور قبلةً للمتعبدين، وإلّا كفرت بما في التوراة، وبرئت من نبوة موسى، وقلت بأن الإمامة في غير بني هارون، ودكّيت الطور، وقلعت بيدي أثر البيت المعمور، وآستبحت حرمة السَّبْت، وقلت بالتأويل في الدين، وأقررت بصحة توراة اليهود، وأنكرت القول بأن لا مَسَاس^(٤)، ولم أتجنّب شيئاً من الذبائح، وأكلت

(١) وقد أورد القلقشندي في الصباح: ٢٩٠/١٣ نسخة يمين حلّف عليها ملك النوبة النصراني للسلطان الملك المنصور قلاوون عند استقراره نائباً عنه في بلاد النوبة.

(٢) كان من حقّه أن يورد هذه اليمين قبل يمين النصارى، أي بعد يمين اليهود القرّائين والربانيين.

(٣) الزيادة من صبح الأعشى. والمراد بالعلماء علماء الشافعية.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: «فأذهب فإنّ لك في الحياة أن تقول لا مَسَاس - طه: ٩٧». يقال إن موسى همّ بقتل السامريّ، فقال الله تعالى له: لا تقتله فإنّه سخيّ. ويقال: لما قال له موسى: «فأذهب فإنّ

الجَدِّي بلبن أمه، وسعيت في الخروج إلى الأرض المحظور عليَّ سكنها، وأتيت النساءَ الحِيضَ زمانَ الطَّمْثِ مستبيحاً لهنَّ، وبِتُّ معهن في المَضَاجِعِ، وكنت أوَّلَ كافرٍ بخلافةِ هارونَ، وأنفُتُ منها أن تكونَ».

يَمِينُ الْمَجُوسِ (١)

«إني واللهُ الرَّبُّ العَظِيمُ، القَدِيمُ، النورُ الأوَّلُ، رَبُّ الأربابِ وإلهُ الألهةِ، ماحي آيةِ الظُّلْمِ، والموجدُ من العدمِ، مقدِّرُ الأفلاكِ ومسيرها، ومنورُ الشُّهُبِ ومصوِّرها، خالقُ الشمسِ والقمرِ، ومُنْبِتُ النجمِ والشجرِ، والنارِ والنورِ، والظَّلِّ والحُرُورِ، وحقُّ «جِيومَرْتِ» (٢) وما أوْلدُ من كرائمِ النسلِ، و«زرادشت» وما جاءَ به من القبولِ الفِصْلِ، والزَّندُ وما تَضَمَّنَ، والحِطُّ المُستدِيرُ وما بَيَّنَّ، وإلا أنكرتُ أنَّ «زرادشت» لم يأتِ بالدائرةِ الصحيحةِ بغيرِ آلهِ، وأن مملكةَ «إفريدونَ» كانت ضلالةً، وأكونُ قد شَرِكْتُ «بهراسف» (٣) فيما سفكَ طُعماً لحيَّتهِ، وقلتُ إن كايانَ (٤) لم يسلِّطَ عليه، وخرَّقتُ بيدي الدَّرْفَسَ (٤)، وأنكرتُ ما عليه من الوضعِ الذي أشرقتُ عليه

= لك . . الخ» خاف فهرب فجعل يهيم في البرية مع السباع والوحش، لا يجد أحداً من الناس يمسه حتى صار كالقائل: لا مساس؛ لبعده عن الناس وبُعد الناس عنه.
(انظر تفسير الطبري وتفسير القرطبي).

(١) المجوسية هي الملة التي كان عليها الفرس ومن دان بدينهم. وهم ثلاث فرق: الكيومرتية والثنوية والزرادشتية.

(حول هذه الملة بالتفصيل انظر صبح الأعشى: ٢٩٤/١٣ وما بعدها).

(٢) جيومرت أو كيومرت هو الذي تنسب إليه الفرقة الكيومرتية من المجوس. وهؤلاء أثبتوا إلهاً قديماً سمّوه «يزدان» وهو النور، وإلهاً مخلوقاً سمّوه «أهرمان» وهو الظلمة؛ وقد خرج أهرمان على طاعة يزدان فجرت بينهما محاربة كان آخر الأمر فيها أن أصطلحا أن يكون العالم السفلي لأهرمان سبعة آلاف سنة ثم يسلمه ليزدان. ثم إنه أباد الذين كانوا في الدنيا قبل الصلح وأهلكهم، وبدأ برجل يُقال له كيومرت أو جيومرت، وحيوان يُقال له الثور، فكان من جيومرت البشر، ومن الثور البقر وسائر الحيوان.

(٣) هو نفسه بيوراسب الملك الفارسي، رابع ملوكهم؛ وهو الضحّاك، يقال له بالفارسية: الدهاش، ومعناه: عشر آفات. وكان ظلوماً غشوماً. وكان على كتفه سلعتان مستورتان بثيابه يحركهما إذا شاء، فكان يدعي أنهما حيّتان، ويزعم أن ما يأخذه من الرعيّة يطعمه لهما ليكفهما عن الناس وأنهما لا يشبعان إلا بأدمغة بني آدم. أما إفريدون المقدم ذكره فهو أحد ملوكهم، وهو الذي قتل الضحّاك، لذلك فإنهم يعظمونه.

(٤) هو رجلٌ ظهر بأصبهان كان الضحّاك قد قتل له ابنين، فأخذ كايان المذكور دَرْفَساً (وهو الحربة) وعلق

أجرأ الكواكب، وتمازجت فيه القوى الأرضية بالقوى السماوية، وكذبت «ماني» وصدقت «مزدك»^(١)، وأستبحت فضول الفروج والأموال، وقلت بإنكار الترتيب في طبقات العالم، وألاً مرجع في الأبوة إلا إلى آدم، وفضلت العرب على العجم، وجعلت الفرس كسائر الأمم، ومسحت بيدي خطوط الفهلوية^(٢)، وجحدت السياسة الساسانية، وكنت ممن غزا الفرس مع الروم، وممن خطأ سابور في خلع أكتاف العرب، وجلبت البلاء إلى بابل، وودت بغير دين الأوائل، وإلاً أطفأت النار، وأنكرت فعل الفلك الدوار، ومالات فاعل الليل على فاعل النهار، وأبطلت حكم النيروز والمهرجان، وأطفأت ليلة الصديق مصابيح النيران، وإلا أكون ممن حرم فروج الأمهات، وقال بأنه لا يجوز الجمع بين الأخوات، وأكون ممن أنكر صواب فعل أردشير، وكنت لقومي بش المولى وبش العشير».

ج - أيمان طوائف من أهل البدع :

الطائفة الأولى : الشيعة .

أما الرافضة وأنواع الشيعة فهم طوائف كثيرة يجمعهم حب علي رضي الله عنه، وتختلف فرقتهم في سواه .

فأما مع إجماعهم على حبه فهم مختلفون في اعتقادهم فيه؛ فمنهم أهل غلو مفرط وعتوزائد: ففيهم من أدى به الغلو إلى أن اتخذ علياً إلهاً وهم النصيرية، ومنهم من قال إنه النبي المرسل وغلط جبريل، ومنهم من قال إنه شريك في النبوة والرسالة،

= بأعلاها قطعة نطع كان يتقي بها النار، ونادى في الناس بمحاربة الضحاك فأجابه خلق كثير. وهو الذي أشار بتولية إفريدون.

(١) ماني هو صاحب مذهب المانوية. والمانوية مذهب تأثر بالبوذية والغنوصية، كما أخذ من الزرادشتية. قضت النصرانية على هذا المذهب حوالي ٥٠٠ م. وكان ماني يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى. أما مزدك فهو رأس المزدكية؛ ومذهبه يقوم على ثنائية النور والظلمة؛ وكان يدعو إلى الشراكة في المال والنساء لأن بسببهما تحصل المباغضة والشقاق. قتله شروان بن قباد.

(٢) هي الفارسية القديمة.

ومنهم من قال إنه وصيُّ النبوة بالنصِّ الجليِّ؛ ثم تخالفوا في الإمامة بعده، وأجمعوا بعده على الحسن ثم الحسين. وقالت فرقةٌ [منهم]: وبعدهما محمد بن الحنفية.

[وجماهير القوم الموجودين في هذه الممالك خمسٌ فرق ظاهرة وهم]^(١):
النُصيرية، والإسماعيلية، والإمامية، والزيدية، [والدروز].

النُصيرية

وهم القائلون بالوَهية عليّ، وإذا مرَّ بهم السَّحابُ قالوا: السَّلَامُ عليك [يا] أبا الحسن؛ ويزعمون أنَّ السَّحابَ مسكنه، ويقولون إن الرِّعدَ صوته، وإن البرقَ ضحكُه، وإن سلمانَ الفارسيَّ رسوله؛ ويحبُّون ابنَ مُلجَم، ويقولون إنه خلَّص اللآهوت من النَّاسوت؛ ولهم خطابٌ بينهم، من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم، ولا يذيعه ولو ضربت عنقه؛ [وقد] جرب هذا كثيراً.

وهم طائفة ملعونة مردولة، مجوسية المعتقد، لا تحرمُّ البنات ولا الأخوات ولا الأمهات؛ ويحكى عنهم في هذا حكايات، ولهم اعتقاد في تعظيم الخمر، ويرون أنها من النور، ولهم قول في تعظيم النور مثل قول المجوس أيضاً أو يقاربه. وأيمانهم:

«إنني وحقَّ العليِّ الأعلى، وما اعتقده في المظهر الأسنى، وحقَّ النور وما نشأ منه، والسَّحاب وساكنه، . . . وإلَّا برئت من مولاي عليِّ العليِّ العظيم، وولائي له، ومظاهر الحقِّ، وكشفت حجابَ سلمانَ بغيرِ إذن، وبرئت من دعوة الحُجَّة نصير^(٢)، وخضت مع الخائضين في لعنة ابنِ مُلجَم^(٣)، وكفرتُ بالخطاب، وأذعت السرَّ

(١) هذه الجملة مرتبكة في ط. وهي هناك: «وجماهير القوم الموجودين فرق ظاهرة في هذه الممالك النصيرية. الخ». وقد رتبناها بما يسهل تناولها وينطبق على النصِّ الأصلي. وكذلك الزيادات الموجودة بين معقوفين هنا أو في أماكن أخرى من المتن فهي مضافة إما لضرورة انتظام السياق اللغوي والمعنوي، وإما من مصادر أخرى نقلت عن التعريف، وخصوصاً صبح الأعشى للقلقشندي.

(٢) هو غلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

(٣) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي الذي قتل الإمام علياً بعد التحكيم في صفين. وكان الخوارج قد أعدوا م

المصون، وأنكرت دعوى أهل التَّحْقِيقِ، وإلَّا قَلَعْتَ أَصْلَ شَجَرَةِ الْعَنْبِ مِنَ الْأَرْضِ
بِيَدِي حَتَّى أَجْتَتْ أَصُولَهَا وَأَمْنَعَ سَبِيلَهَا، وَكُنْتَ مَعَ قَابِلٍ عَلَى هَابِيلَ، وَمَعَ النُّمْرُودِ
عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَهَكَذَا مَعَ كُلِّ فِرْعَوْنَ قَامَ عَلَى صَاحِبِهِ، إِلَى أَنْ أَلْقَى الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ
وَهُوَ عَلِيٌّ سَاخِطٌ، وَأَبْرَأُ مِنْ قَوْلِ قَنْبَرٍ^(١)، وَأَقُولُ إِنَّهُ بِالنَّارِ مَا تَطَهَّرُ.

الإسماعيلية.

وهم القائلون بانتقال الإمامة بعد جعفر الصادق إلى ابنه الأكبر إسماعيل، وهو
جدّ الخلفاء الفاطميين بمصر. وهذه الطائفة هم شيعة تلك الدولة، والقائمون بتلك
الدعوة، والقائلون لتلك الكلمة؛ وهم - وإن أظهروا الإسلام، وقالوا بقول الإمامية ثم
خالفوهم في موسى الكاظم، وقالوا بأنها لم تصرّ إلا إلى أخيه إسماعيل - فإنهم طائفة
كافرة، تعتقد التَّنَاسُخَ والحُلُولَ؛ ثم هم مختلفون فيما بعد: فمنهم نِزَارِيَّةٌ وهم
القائلون بإمامة نزار، [والبقيّة مُسْتَعْلَوِيَّةٌ ويقولون بإمامة المُسْتَعْلِيِّ بِاللَّهِ]^(٢). وهؤلاء
تجمعهم يمينٌ واحدة؛ ثم نبيّن موضع الخلاف بينهم فيما يأتي.

== خِطَّةٌ لِقَتْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ وَعُمَرُوبِ بْنِ الْعَاصِ. وَتَوَجَّهَ ابْنُ مَلْجَمٍ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيٍّ
فَأَصَابَ مِنْهُ مَقْتَلًا، وَلَمْ يَوْفُقْ كُلُّ مِنَ الْبِرْكِ بِقَتْلِ مَعَاوِيَةَ وَعُمَرُوبِ بْنِ بَكْرٍ بِقَتْلِ ابْنِ الْعَاصِ. قَتَلَ ابْنُ مَلْجَمٍ
سَنَةَ ٤٠ هـ عَلَى أَثَرِ فَعْلَتِهِ الشُّنْعَاءِ.

(١) خادِمُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَى وَالْوَرَعِ وَقَدْ رَوَى عَنْ عَلِيٍّ.
(تَهذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ: ٦٠/٢).

(٢) فِي طَرَفِ «وَالْبَقِيَّةُ عَلَى صِرَافَتِهِمْ». وَالْعِبَارَةُ غَيْرُ وَاضِحَةٍ. وَقَدْ انْقَسَمَ الْإِسْمَاعِيلِيُّونَ إِلَى مُسْتَعْلَوِيَّةٍ وَنِزَارِيَّةٍ
بَعْدَ الْمُسْتَنْصَرِ بِاللَّهِ أَبِي تَمِيمٍ مَعَدِّ، خَامِسَ خُلَفَائِهِمْ بِمِصْرَ. فَأَمَّا الْمُسْتَعْلَوِيَّةُ فَيَقُولُونَ إِنَّ الْإِمَامَةَ انْتَقَلَتْ
بَعْدَ الْمُسْتَنْصَرِ إِلَى ابْنِهِ الْمُسْتَعْلِيِّ بِاللَّهِ، أَبِي الْقَاسِمِ أَحْمَدَ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ الْأَمْرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ أَبِي عَلِيٍّ
الْمَنْصُورِ، ثُمَّ إِلَى الْحَافِظِ لِدِينِ اللَّهِ أَبِي الْمَيْمُونِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ، ثُمَّ إِلَى الظَّافِرِ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبِي
الْمَنْصُورِ إِسْمَاعِيلَ، ثُمَّ إِلَى الْفَائِزِ بِنَصْرِ اللَّهِ أَبِي الْقَاسِمِ عَيْسَى بْنِ الظَّافِرِ، ثُمَّ إِلَى الْعَاضِدِ لِدِينِ اللَّهِ أَبِي
مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ الْحَافِظِ، وَهُوَ آخِرُ خُلَفَائِهِمْ بِمِصْرَ. وَقَدْ تَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٤ هـ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ
صَلَاحُ الدِّينِ الْخُطْبَةَ لَهُ، وَخُطِبَ لِلْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ بِبَغْدَادَ. أَمَّا النِّزَارِيَّةُ فَيَقُولُونَ بِأَنَّ الْإِمَامَةَ انْتَقَلَتْ
بَعْدَ الْمُسْتَنْصَرِ إِلَى ابْنِهِ نِزَارِ بْنِ النَّصْرِ مِنْ أَبِيهِ دُونَ الْمُسْتَعْلِيِّ. وَمِنْ أَشْهُرِ دَعَاةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ النِّزَارِيَّةِ
الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ صَاحِبُ قَلْعَةِ الْمَوْتِ.
(أَنْظَرُ صَبْحَ الْأَعْشَى: ٢٣٥/١٣ وَمَا بَعْدَهَا؛ وَدَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ: ٣٨٤/٣).

واليمين الجامعة لهم أن يقول:

«إني واللّه واللّه والله الواحد الأحد، الفرد الصمد، القادر القاهر، الذي لا إله إلا هو، وحقُّ أئمة الحقِّ، وهُدَاة الخلقِ عليّ وبنيه أئمة الظهور والخفاء»^(١)، وإلا برئتُ من صحيحِ الولاء، وصدّقتُ أهلَ الباطل^(٢)، وقمتُ مع فرقة الضلالِ وانتصبتُ مع النواصب^(٣) في تقريرِ المُحال، ولم أفلِ بأنتقالِ الإمامة إلى السيّدِ الحسين، ثم إلى بنيه بالنصِّ الجليّ، موصولةً إلى جعفر الصادق، ثم إلى ابنه إسماعيلَ صاحبِ الدَّعوة الهاديّة، والأثرة الباقيّة، وإلا قدّحتُ في القَدّاح^(٤)، وأثّمتُ الداعيَ الأوّل، وسعيتُ في اختلافِ الناسِ عليه، ومالأتُ على السيّدِ المهديّ، وخذلتُ الناسَ عن القائم، ونقضتُ الدولة على المعزّ، وأنكرتُ أن يومَ غديرِ حُمٍّ لا^(٥) يُعدُّ في الأعياد، وقلتُ أن لا عِلْمَ للأئمة بما يكون، وخالفْتُ من أدعى لهم العِلْمَ بالحدّثان، ورميتُ آلَ بيتِ محمدٍ بالعظائم، وقلتُ فيهم بالكبائر، ووالّيتُ أعداءهم، وعاديتُ أولياءهم.»

ثم من هنا تزيد النزاريّة:

«وإلا فوجدتُ أن يكون الأمرُ صارَ إلى نزار، وأنه أتى حَمَلًا في بطنِ جارية

(١) راجع ص ١٦٩ من هذا الكتاب، حاشية (١)

(٢) في الصبح «الأباطيل»

(٣) النواصب هم الذين ينظرون على كره عليّ بن أبي طالب؛ وهي تسمية أطلقها الشيعة عليهم مقابل تسمية الشيعة بالروافض.

(٤) هو عبد الله بن ميمون القَدّاح، أحد الدعاة المتقدّمين لأهل البيت. توفي سنة ١٨٠ هـ. وفي صبح الأعشى أنه سُمّي بالقَدّاح لأنه كان يعالج العيون ويقدها. أما صاحب الأعلام فذكر أنه عُرف بالقَدّاح، وهي صناعته؛ وكان يبري القَدّاح، أي السُّهام.
(الأعلام: ١٤١/٤؛ وصبح الأعشى: ٢٤٣/١٣).

(٥) كذا في ط و في صبح الأعشى. وصوابه إسقاط لا النافية؛ ذلك أن يومَ غديرِ حُمٍّ من الأعياد العظيمة الشأن عندهم. وغدير حُمٍّ هو المكان الذي نزل فيه النبي ﷺ وخطب في الناس قائلاً: «اللهم من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللَّهُمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله، وأدر الحقَّ معه حيثُ دار»

لخوفه خوضَ بلاد الأعداء، وأن الاسم لم يغيّر الصورة^(١)، وإلا طعنت على الحسن بن الصباح، وبرئت من المولى علاء الدين صاحب الألموت، ومن ناصر الدين سنان الملقب براشد الدين^(٢)، وكنت أول المعتدين، وقلت إن ما رووه كان من الأباطيل، ودخلت في أهل الفرية والأضاليل.

وأما من سواهم من الإسماعيلية المنكرين لإمامة نزار فيقال لهم عوض هذا: «وإلا قلت إن الأمر صار إلى نزار، وصدقت القائلين إنه خرج حملاً في بطن جارية، وأكثرت ميتته الظاهرة بالإسكندرية، وأدعت أنه لم يناع الحق أهله، ويجاذب الخلافة ربها، ووافقت شيعته، وتبع الحسن بن صباح، وكنت في النزارية آخر الأدوار.»

ثم يجمعهم آخر اليمين أن يُقال:

«وإلا قلت مقالة ابن السلار في النفاق، وسدّدت رأيي ابن أيوب^(٣)، وألقيت

(١) في طق «وأن الاسم لم يغيّر كتغير الصورة»

(٢) يرى القلقشندي أن العمري قد وقع في الوهم هنا: فناصر الدين سنان الملقب براشد الدين إنما هو من إسماعيلية الشام الذين هم شيعة المستعلوية لا من الإسماعيلية النزارية الذين هم ببلاد المشرق؛ فكان من حقّه أن يلحق عبارة: «وبرئت من ناصر الدين سنان الملقب براشد الدين» بيمين من سواهم من الإسماعيلية الذين هم المستعلوية.

(٣) قوله «وإلا قلت مقالة ابن السلار في النفاق... الخ» فإن ذلك مما يختص بالمستعلوية، لأن ابن السلار كان وزير الظافر الفاطمي، والظافر من جملة الخلفاء القائمين بمصر بعد المستعلي الذين خالفت النزارية في إمامتهم. وابن السلار هذا (تولى الوزارة من ١٥ من شعبان ٥٤٤ هـ إلى ٦ من المحرم ٥٤٨ هـ) وكان سني المذهب، وقد أنشأ في سنة ٥٤٦ هـ مدرسة للشافعية في الإسماعيلية تحت إشراف الفقيه الكبير الحافظ السلفي. وكذلك قضية ابن أيوب (وهو صلاح الدين) إنما كانت مع العاضد آخر خلفاء الفاطميين من المستعلوية. إذن فالذي جعله جامعاً لهم إنما هو مختص بإسماعيلية الشام الذين هم شيعة المستعلوية دون النزارية. لذلك كان من حق العمري أن يقتصر في زيادة يمين النزارية على آخر «وبرئت من المولى علاء الدين صاحب ألموت» ويزيد في يمين سواهم من الإسماعيلية بعد قوله «آخر الأدوار»: «وإلا برئت من ناصر الدين سنان الملقب براشد الدين، وكنت أول المعتدين، وقلت إن ما رآه كان من الأباطيل، ودخلت في أهل الفرية والأضاليل» ثم يقول بعد ذلك: «وإلا قلت مقالة ابن السلار في النفاق، وسدّدت رأيي ابن أيوب، وألقيت بيدي الراية الصفراء، ورفعت السوداء، وفعلت في أهل القصر تلك الفعال، وتمحلت ذلك المحال».

بيدي الرأية الصفراء، ورفعت السوداء، وفعلت في أهل القصر تلك الفعال، وتمحلت مثل ذلك المحال .»

الإمامية

وأما الإمامية فهم القائلون بأنهم^(١) اثنا عشر إماماً: أولهم عليّ كرم الله وجهه، وآخرهم المنتظر في آخر الزمان^(٢)، وهم الذين خالفتهم الإسماعيلية، فقالت الإسماعيلية بإمامة إسماعيل بن جعفر وقال هؤلاء بإمامة موسى الكاظم ابن جعفر. وهم مسلمون إلا أنهم أهل بدعة كبيرة سبابة .

وهؤلاء يمينهم

«إني والله والله العظيم، الرب الواحد الأحد، الفرد الصمد، وما اعتقده من صدق محمد ﷺ ونصّه على إمامة ابن عمّه ووارث علمه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم غدیر خمّ، وقوله: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَآلَاهُ، وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ، وَأِدْرِ الْحَقَّ عَلَيَّ لِسَانَهُ كَيْفَمَا دَارَ» وإلّا كنت مع أوّل قائم يوم السقيفة^(٣)، وآخر متأخر يوم الدار، ولم أقل بجواز التقيّة خوفاً على النفس، وأعنتُ ابن الخطّاب، وأضطهدتُ فاطمة الزّهراء، ومنعتها حقّها من الإرث^(٤)، وساعدتُ في تقديم تيمّ وعديّ وأمّية^(٥)، ورضيت بحكم الثورى، وكذبتُ حسان بن ثابت يوم عائشة^(٦)،

(١) أي أئمتهم .

(٢) والأئمة الاثنا عشر عندهم: علي بن أبي طالب، الحسن بن عليّ، الحسين بن عليّ، علي بن الحسين، محمد الباقر، جعفر الصادق، موسى الكاظم، عليّ الرضا (وهو الذي عهد إليه المأمون العباسي بالخلافة ومات قبل أن يموت المأمون) ثم ابنه محمد الجواد، عليّ الهادي، الحسن العسكري ثم ابنه محمد الحجة وهو المهدي المنتظر .

(٣) هي سقيفة بني ساعدة التي اجتمع فيها المهاجرون والأنصار لاختيار من يخلف النبي . وكان فيها ما كان .

(٤) يشيرون إلى إرث فاطمة من رسول الله في أرض فدك؛ وقد ردّها أبو بكر الصديق إلى بيت المال .

(٥) كان تقديم تيمّ بخلافة أبي بكر، وتقديم عديّ بخلافة عمر، وتقديم أمية بخلافة عثمان .

(٦) الإشارة إلى حديث الإفك في عائشة رضي الله عنها .

وقمت معها يومَ الجمل، وشهرت السَّيفَ مع معاوية في صفين، وصدّقت دعويّ زياد، ونزلتُ على حكم ابنِ مَرْجَانَةَ^(١)، وكنت مع عمر بنِ سَعْدٍ في قتالِ الحسين، وقلتُ إن الأمرَ لم يَصِرْ بعدَ الحسنِ إلى الحسين، وساعدتُ شِمْرَ بنَ ذِي الجَوْشَنِ^(٢) على فعلِ تلكِ البليّةِ، وسيّئتُ أهلَ البيت، وسُقُتْهم بالعِصيّ إلى دمشق، ورضيتُ بإمارةِ يزيد، وأطعتُ المغيرةَ بنَ شُعْبَةَ^(٣)، وكنتُ ظهيراً لعمر بنِ العاص، ثم لبسُ بنِ أبي أَرْطَأَةَ^(٤)، وفعلتُ فِعْلَ عُقْبَةَ بنِ عبدِ الله المَرِّيِّ، وصدّقتُ رأيَ الخوارج، وقلتُ إن الأمرَ لم ينتقلْ بعدَ الحسينِ بنِ عليٍّ في أبنائه إلى تمامِ الأئمةِ إلى الإمامِ المهديِّ المنتظر، ودلّلتُ على مَقَاتِلِ أهلِ البيتِ بنيِ أميةَ وبنيِ العباس، وأبطلتُ حُكْمَ التَّمَتُّعِ^(٥)، وزدّتُ في حَدِّ الخمرِ^(٦) ما لم يكن، وحرّمتُ بيعَ أمّهاتِ الأولاد، وقلتُ برأيي في الدّين، وبرتتُ من شيعةِ أميرِ المؤمنين، وكنتُ مع [هوى]^(٧) أهلِ الشامِ والعَوْغَاءِ القائمةِ بالنّهروانِ^(٨)، وآتبتُ خطأَ أبي موسى، وأدخلتُ في القرآنِ ما لم يُثبتهُ ابنُ مسعود، وشركتُ ابنَ مُلْجَمٍ وأسعدتُهُ في صَدَاقِ قَطَامِ^(٩)، وبرتتُ من

(١) هو عبيد الله بن زياد ابن أبيه. ومرجانة أمه. وعلى يده كانت الفاجعة بمقتل الحسين بن علي في كربلاء.

(٢) من كبار قتلة الحسين. وهو الذي آحتر رأسه.

(٣) لإشارته على معاوية بتولية يزيد من بعده.

(٤) بعثه معاوية إلى الحجاز في عسكر فدخل المدينة وسفك بها الدماء، واستكره الناس على البيعة لمعاوية. وتوجه إلى اليمن بعد ذلك فوجد صبيين لعبيد الله بن عباس عامل عليّ على اليمن فقتلتهما.

(٥) هو زواج المتعة. وهو عقد زواج منقطع ينتهي تلقائياً بانتهاء المدّة المحدّدة في العقد بين الطرفين. وهذا النوع من عقود الزواج كان موجوداً في عهد النبي ومن بعده إلى أن أبطله عمر بن الخطاب.

(٦) الإشارة إلى نجدة بن عامر الحنفي الخارجي، رأس النجدات من الخوارج، حيث زاد في حدّ الخمر وغلظ فيه تغليظاً شديداً كما حكاه الشهرستاني عنهم.

(٧) الزيادة من الصبح.

(٨) وهم الخوارج الذين خالفوا علياً بعد قضية التحكيم بصفين، وأقاموا بالنهروان من العراق لقتال عليّ، ورئيسهم يومئذ عبد الله بن وهب، فسار إليهم عليّ وكانوا أربعة آلاف فقتلوا عن آخرهم. وقيل: لم يبق منهم سوى تسعة أو سبعة تفرقوا في الأمصار. ولم يقتل من أصحاب عليّ سوى سبعة.

(٩) كانت قطام قد اشترطت على ابن ملجم حين خطبها ثلاثة آلافٍ وعبداً وقينةً وقتل علي بن أبي طالب.

محبّة هَمْدَانَ^(١) ، ولم أقل باشتراط العصمة في الإمام ، ودخلت مع أهل النّصب الظلام . »

الرّيدية .

وأما الرّيدية^(٢) فهم أقرب القوم إلى القصد الأمم^(٣) ، وقولهم إن أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - أئمة عدل ، وإن ولايتهما كانت لما تقتضيه المصلحة ، مع أن علياً - رضي الله عنه - أفضل منهما ، ويرَوْن جَوَازَ ولاية المفضول على الفاضل في بعض الأحيان لما تقتضيه المصلحة أو لخوف الفتنة . ولهذه الطائفة إمامٌ باقٍ إلى الآن باليمن ، وصنعاء داره ، وأمراء مكة المعظمة منهم .

وحدثني الشريف مبارك ابن الأمير عطيفة بن أبي نمي أنهم لا يدينون إلا بطاعة لك الإمام ، ولا يروون إلا أنهم نوابه ، وإنما يتوقفون صاحب مصر لخوفهم منه للإقطاع ، وصاحب اليمن لمداراتهم لواصل الكارم^(٤) ورسوم الأنعام . وكانت هؤلاء دولة قديمة بطبرستان فرالت إلا هذه البقية .

وهؤلاء أيماهم أيمانُ أهل السُّنة ، ويُزاد فيها :

« . . . [وإلا برئت]^(٥) من معتقد زيد [بن علي] ، ورأيت أن قولي في الأذان :

حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ بِدَعَاةٍ ، وخلعت طاعة الإمام المعصوم الواجب الطّاعة ،

(١) وهي قبيلة همدان لمشايعتهم علياً ومحبتهم أهل البيت . ويروي عن علي أنه قال :

لَوْ كُنْتُ بَوَّاباً عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لَهُمْ دَانَ أَدْخَلِي بِسَلَامٍ .

(٢) وهم القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين السبط .

(٣) الأمم : البين من الأمور ، والوسط .

(٤) المراد بالكارم البهار من فلفل وقرنفل ونحوهما مما كان يجلب من الهند عن طريق ثغور اليمن . وقد عرفت تجارة هذه المواد باسم فئة من التجار كان معظمهم من بلاد «الكانم» الإسلامية التي تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد بالسودان الغربي ، فنسبوا إلى أصلهم الجغرافي بعد تحريفه إلى «الكارم» ، ثم أطلق ذلك اللفظ على جميع من مارس تلك التجارة .

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٧٣) .

(٥) في ط : «ويزاد فيه : والبراءة من معتقد زيد» وهو خطأ واضح .

وَأَدْعَيْتَ أَنْ الْمَهْدِيَّ الْمُنْتَظَرَ لَيْسَ مِنْ وَلَدِ [الْحُسَيْنِ] (١) بْنِ عَلِيٍّ، وَقُلْتُ بِتَفْضِيلِ الشَّيْخِينَ عَلَيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ، وَطَعَنْتَ فِي رَأْيِ ابْنِهِ الْحَسَنِ عَلَيَّ مَا أَقْتَضَتْهُ الْمَصْلَحَةُ وَطَعَنْتَ عَلَيْهِ فِيهِ» .

الدُّرْزِيَّةُ .

وَأَمَّا غَيْرُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ يُحْتَاجُ إِلَى تَحْلِيْفِهِ، وَيَضُمُّهُ نِطَاقُ التَّصْرُفِ فِي لَفِيْفِهِ، فَهَمَّ طَائِفَةُ الدُّرْزِيَّةِ؛ وَهِيَ بَنَاتُ الطَّائِفَةِ الْأَمَنَةِ الْخَائِفَةِ؛ وَشَأْنُهُمْ شَأْنُ النُّصَيْرِيَّةِ فِي اسْتِبَاحَةِ فُرُوجِ الْمُحَارِمِ وَسَائِرِ الْفُرُوجِ الْمُحَرَّمَةِ، وَهَمَّ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا مِنْهُمْ، وَأَبْعَدُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَأَقْرَبُ إِلَى كُلِّ شَرٍّ. وَأَنْتَمَاؤُهُمْ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ الدُّرْزِيِّ؛ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ مَوَالِيَةِ الْحَاكِمِ أَبِي عَلِيٍّ الْمَنْصُورِ بْنِ الْعَزِيزِ خَلِيفَةِ مِصْرَ. وَكَانُوا أَوْلَادًا مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، ثُمَّ خَرَجُوا عَنْ كُلِّ مَا تَمَحَّلُوهُ، وَهَدَمُوا كُلَّ مَا أَثْلُوهُ؛ وَهَمَّ يَقُولُونَ بَرَجَّةَ الْحَاكِمِ، وَأَنَّ الْأُلُوْهِيَّةَ أَنْتَهَتْ إِلَيْهِ وَتَدَيَّرَتْ (٢) نَاسُوتَهُ، وَهُوَ يَغِيبُ وَيُظْهِرُ بِهَيْئَتِهِ، وَيَقْتُلُ أَعْدَاءَهُ قَتْلَ إِبَادَةٍ لَا مَعَادَ بَعْدَهُ؛ وَهَمَّ يَنْكُرُونَ الْمَعَادَ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَيَقُولُونَ نَحْوَ قَوْلِ الطَّبَائِعِيَّةِ: إِنْ الطَّبَائِعُ هِيَ الْمَوْلُودَةُ، [وَإِنْ] الْمَوْتُ بِنِجَاءِ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ كَانَتْ نِجَاءَ السَّرَاحِ بِفِجَاءِ الزَّيْتِ إِلَّا مَنْ أَعْتَبَطَ (٣)، وَيَقُولُونَ: ذَهْرٌ دَائِمٌ، وَعَالَمٌ قَائِمٌ؛ أَرْحَامٌ تَدْفَعُ، وَأَرْضٌ تَبْلَعُ.

وَأَصْلُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ هُمُ الَّذِينَ زَادُوا فِي الْبِسْمَلَةِ أَيَّامَ الْحَاكِمِ فَكَتَبُوا: «بِسْمِ الْحَاكِمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فَلَمَّا أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ كَتَبُوا: «بِسْمِ اللَّهِ الْحَاكِمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فَجَعَلُوا فِي الْأَوَّلِ «اللَّهُ» صِفَةً لِلْحَاكِمِ، وَفِي الثَّانِي الْعَكْسَ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَهْلُ كِسْرَوَانَ (٤) وَمَنْ جَاوَرَهُمْ. وَكَانَ شَيْخُنَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَرَى أَنَّ قِتَالَهُمْ وَقِتَالَ

(١) فِي ط ق «الْحَسَنِ» وَهُوَ خَطَأٌ.

(٢) أَي سَكَنْتَ نَاسُوتَهُ. وَالنَّاسُوتُ هُوَ الْعَنْصَرُ الْإِنْسَانِي الْبَشَرِي مِقَابِلَ اللَّاهُوتِ وَهُوَ الْعَنْصَرُ الْإِلَهِي.

(٣) اعْتَبَطَ: مَاتَ بِغَيْرِ عِلَّةٍ.

(٤) كِسْرَوَانَ فِي جَبَلِ لُبْنَانَ.

النُّصيريةَ أولى من قتال الأرمن : لأنهم عدوُّ في دار الإسلام، [وشرُّ بقائهم أضراً].
وهؤلاء أيمانهم :

«إني والله، وحقَّ الحاكم، وما أعتقده في مولاي الحاكم، وما أعتقده أبو
محمد الدُرزيُّ الحُجَّةُ الواضحة، وراه الدُرزيُّ مثل الشمس اللَّائحة، وإلا قلت إن
مولاي الحاكم مات وبلي، وتفرقت أوصاله وفني، وأعتقدت تبادل الأرض والسماء،
وعود الرَّم بعد الفناء، وتبعْتُ كلَّ جاهل، وحظرتُ على نفسي ما أبيع لي، وعمِلتُ
بيدي على ما فيه فسَادُ بدني، وكفرت بالبيعة المأخوذة، وألقيتها ورائي منبوذة.»

الطائفة الثانية : الخوارج .

وأما الخوارج فهم الفرقة المباينة للسنة والشريعة؛ وهم الذين أنكروا التحكيم
وقالوا: لا حكمَ إلا لله، وكفروا علياً رضي الله عنه ومعاويةً وسائر من خالفهم ممن لم
ير رأيهم؛ وهم طوائف، ومنهم الآن الوهبيَّة.

وأيمانهم أيمان أهل السنة، ويزاد فيها:

«... وإلا أجزت التحكم، وصوبت قول الفريقين في صفين، وأطعت بالرِّضا
مني حكمَ أهل الجور، وقلت في كتاب الله بالتأويل، وأدخلت في الدين ما ليس
منه، وقلت إن إمارة بني أمية عدلٌ، وإن قضاءهم حقٌ، وإن عمرو بن العاص
أصاب، وإن أبا موسى ما أخطأ، وآستبحتُ الأموال والفروجَ بغير حق، وأجترحت
لكبائر والصغائر، ولقيت الله مثقلاً بالأوزار، وقلت إن فعلة عبد الرحمن بن ملجم
كفراً، وإن قاتل خارجة^(١) آثم، وبرئت من فعلة قَاطم، وخلعت طاعة الرؤوس،
وأنكرت أن تكون الخلافة إلا في قريش، وإلا فلا رويت سيفي ورُمحي من دماء
لمخطئين.»

(١) هو خارجة بن أبي حبيبة، صاحب شرطة عمرو بن العاص بمصر. قتله عمرو بن بكر الخارجي على ظن
أنه عمرو بن العاص. وفي تاريخ الطبري: ١٥٩/٣: «خارجة بن حذافة».

الطائفة الثالثة : القَدْرِيَّة (١) .

ويمينُهُم : «واللهِ واللهِ واللهِ العظيم ، ذي الأمرِ الأُنْفِ ، خالقِ الأفعالِ والمشِيئةِ ، وإلا قلت بأن العبدَ [غيرُ]» (٢) مُكتسب ، وأن الجعدَ بنِ دِرْهَمٍ محتقِب (٣) ، وقلت إن هشام بن عبد الملك أصاب دماً حلالاً منه ، وإن مروان بن محمد كان ضالاً في أتباعه ، وآمنت بالقدر خيره وشره ، وقلت إن ما أصابني لم يكن ليخطئني ، وما أخطأني لم يكن ليصيبني ، ولم أقل إنه إذا كان أمرٌ قد فرغَ منه فقيمَ أسدُّ وأقارب ، ولم أظعن في رِوَاةِ الحديث : «أعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خُلِقَ له» ولم أتأولَ معنى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف : ٤] ، وبرئت مما أعتقد ، ولقيتُ اللهَ وأنا أقول إن الأمرَ غيرُ أنْفِ ، وباللَّهِ التوفيقُ والعِصْمَةُ .»

د - في الأيمان التي يحلّف بها الحكماء (٤) :

«إنني واللهِ واللهِ العظيم ، الذي لا إلهَ إلا هو ، الواحدُ الأحد ، الفرصم ، الصمد ، الأبدِي ، السرمدي ، الأزلي ، الذي لم يزل عِلَّةَ العِلل ، ربُّ الأرباب ، ومدبّرُ الكل ، القدير القديم ، الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، المنزهُ أن يكون حادثاً

(١) وهم المعتزلة . وأصل تسميتهم بالمعتزلة أن واصل بن عطاء أحد أئمتهم كان يقرأ على الحسن البصر فاعتزله بمسألة خالفه فيها . وهم يسمون أنفسهم أهل التوحيد والعدل . ومن أئمتهم المشهورين : أبو الهذيل العلاف ، وإبراهيم النخّام ، وبشر بن المعتمر ، ومعمربن عباد ، والجاحظ ، وأبو علي الجبّار وغيرهم . وعندهم أنه لا قدر سابق بل الأمر أنْفِ ، وأن الله تعالى إنما يخلق الأفعال والمشية ، والعبد المكتسب لأفعاله . والمعتزلة رأس تيار نشيط في تاريخ الفكر الإسلامي وهو تيار المتكلمين الذين أراء الدفاع عن الإسلام في وجه أعدائه من المسلّحين بالفلسفة والمنطق .

(٢) ساقطة من ط ق . وهي ضرورية .

(٣) محتقِب : أي مرتكب للإثم . والجعد بن درهم هو أحد المقدمين عندهم ، اجتمع على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، أيام ولايته على الجزيرة الفراتية في خلافة هشام . وأخذ عنه مروان مذهبه في القدر بالقدّر وخلق القرآن ، وعلت رتبته عنده ، وبه سمي مروان المذكور بالجعدي . ومن الخلفاء الذي اتبعت مذهبهم المأمون العباسي ، وفي عهده كانت المحنة المعروفة بمحنة «خلق القرآن» أيام الإمام أحمد حنبل .

(٤) أي الفلاسفة .

عَرَضاً للأحداث، الحيُّ الذي اتَّصَفَ بصفات البقاء والسَّرمديَّة والكمال، والمتردِّي برداء الكبرياء والجلال، مدبِّر الأفلاك، ومُسيِّر الشُّهب، مُفيض القُوَى على الكواكب، وباتُّ الأرواح في الصُّور، مكوِّن الكائنات، ومنمِّي الحيوان والمعدن والنبات، . . . وإلا فلا رقيتُ رُوحِي إلى مكانها، ولا اتَّصلتُ نفسي بعالمها، وبقيتُ في ظلمِ الجهالة وحُجُب الضَّلالة، وفارقتُ نفسي غير مرتسمَةٍ بالمعارف ولا مكَمَّلةً بالعلم، وبقيتُ في عَوَز النَّقص وتحت إمرة الغيِّ، وأخذتُ بنصيب من الشُّرك، وأنكرتُ المعاد، وقلتُ بفناء الأرواح، ورضيتُ في هذا بمقالة أهل الطبيعة، ودُمتُ في قيد المركَّبات وشواغلِ الحسِّ، ولم أدرك الحقائقَ على ما هي عليه، . . . وإلا فقلتُ إن الهَيُولَى^(١) غيرُ قابلةٍ لتركيب الأجسام، وأنكرتُ المادَّةَ والصورة، وخرقتُ النَّواميس، وقلتُ إن التَّحسينَ والتَّقييحَ إلى غير العقل، وخُلِّدتُ مع النفوس الشَّريرة، ولم أجد سبيلاً إلى النجاة، وقلتُ: إن الإلهَ ليس فاعلاً بالذَّات، ولا عالماً بالكلِّيات، ودنَّتُ بأن النِّبَواتِ متناهيةٌ وأنها غيرُ كَسْبِيَّة^(٢)، وحَدَّتُ عن طرائق الحكماء، ونقضتُ تقريرَ القدماء، وخالفتُ الفلاسفة، ووافقتُ على إفساد الصُّور للبعث^(٣)، وحيَّزْتُ الربَّ في جهة، وأثبتُّ أنه جسمٌ، وجعلته فيما يدخل تحت الحدِّ والماهية، ورضيتُ بالتَّقليد في الألوهية».

(١) الهَيُولَى: لفظ يونانيٌّ بمعنى الأصل والمادة. وفي الاصطلاح الفلسفي هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال، محل للصورتين الجسمية والنوعية. والهَيُولَى الكلية هي الجسم المطلق الذي يحصل منه العالم الجسماني، أي الأفلاك والكواكب والأركان الأربعة: أي الماء والهواء والتراب والنار، والمواليد الثلاثة.
(انظر التعريفات للجرجاني: ٢٥٧؛ والكلِّيات للكفوي: ٧٠/٥).

(٢) حكى الصلاح الصفدي في «شرح لامية العجم» أن السلطان صلاح الدين الأيوبي إنما قتل عمارة اليميني الشاعر، حين قام فيمن قام بإحياء الدولة الفاطمية بعد انقراضها، مستنداً إلى بيتٍ نُسب إليه من قصيدة وهو قوله:

وكان مبدأ هذا الدين من رجلٍ سعى فأصبح سيِّد الأمم
وهو في هذا جعل النبوَّة مكتسبة، وبالتالي فإن الأنبياء غير محددين باختيار من الله.
(انظر ابن خلكان: ٤٣٢/٣).

(٣) كذا أيضاً في الصحيح؛ ولعله: «إفساد البعث للصور».

القسم الرابع

(في الأمانات والدَّفْن والهَدْن والمواصَّفات والمفاسخات)

أولاً : الأمانات

فأما الأماناتُ فهي أقواها دلالةً على اشتداد سلطانِ من كُتِبَ عنه [الأمان] إذ كان يؤمِّنُ الخائفَ أماناً لا عِوَضَ عنه في عاجلٍ ولا آجلٍ . ويختلف الشَّانُ في ذلك، ويجمعُ المقاصِدَ أن يُكتبَ بعد البسملة :

« هذا أمانُ الله تعالى ، وأمانُ نبيِّه سيِّدنا محمدٍ نبيِّ الرَّحمة - ﷺ - . وأماننا لفلانِ ابنِ فلانِ الفلاني (ويذكر أشهرَ أسمائه وتعريفه) على نفسه وأهله وماله، وجميعِ أصحابه وأتباعه وكلِّ ما يتعلَّقُ به : من قليلٍ وكثيرٍ، وجليلٍ وحقيقٍ، أماناً لا يبقى معه خوفٌ ولا جَزَعٌ في أولِ أمره ولا آخره، ولا عاجله ولا آجله، يخصُّ ويعمُّ، وتُصانُ بالنفسِ والأهلِ والولدِ والمالِ وكلِّ ذاتِ اليدِ . فليحضُرْ هو وبنوه، وأهله وذووه وأقربوه، وغلمانُه وكلُّ حاشيته، وجميعُ ما يملكه من دانيته وقاصيته، وليصلِّ بهم إلينا، ويفلِّحنا على حضرتنا في ذِمِّمِ الله وكلاءته وضمَّانِ هذا الأمان، له ذمَّةُ الله وذمَّةُ رسوله - ﷺ - . أن لا يناله مكروهٌ منا، ولا من أحدٍ من قبِلنا، ولا يُتعرَّضَ إليه بسوءٍ ولا أذى، ولا يُرَنَّقَ له موردٌ بقَدَى؛ وله منَّا الإحسان، والصِّفَاءُ بالقلبِ واللسانِ، والرعاية التي تؤمِّرُ سرِّبه، وتهنِّئُ شربَه، ويطمئنُّ بها خاطرُه، ويرفرفُ عليه كالسَّحابِ لا يناله إلا ماطرُه فليحضُرْ واثقاً بالله تعالى وبهذا الأمان الشريف؛ وقد تلفظنا له به ليزدادَ وثوقاً ولا يجدَ بعده سوءَ الظنِّ إلى قلبه طريقاً؛ وسبيلُ كلِّ واقفٍ عليه إكرامُه في حاضره، وإجراؤه على أحسنِ ما عُهدَ من أموره، وليكن له ولكلِّ من يحضُرُ معه و

يُحضر أوفر نصيب من الإكرام، وتبلغ قُصارى القصد ونهاية المَرَام؛ والاعتمادُ على الخطِّ الشريف أعلاه»^(١).

ثانياً: الدفن^(٢).

وهو وإن كان أقوى من هذا سبباً، وأسأل لما في الصدور، فإنه مؤخر عن رُتبته لقلّة وقوعه عند الملوك، ويُعد طريقهم فيه عن جادة السلوك. وهو كثيرٌ مُتداول بين العربان، ولا يطمئن خاطرُ المذنب منهم إلا به. وطريقتهم فيه أن يجتمع أكابرُ قبيلة الذي يدفن بحضور رجالٍ يثق بهم المدفونُ له، ويقوم منهم رجلٌ ثم يقول [للمجنّي عليه]^(٣): نريد منك الدفنَ لفلان، وهو مُقرُّ بما أهاجك عليه، ثم يعدد ذنوبه التي أخذ بها، ولا يُبقي منها بقية. ويُقرُّ الذي يدفنُ القائل على أنّ هذا جملة ما نَقمه على المدفون له، ثم يحفر بيده حفيرةً في الأرض ويقول: «قد أَلقيتُ في هذه الحفيرة ذنوبَ فلان التي نَقمتُها عليه، ودفنتُها له دفني لهذه الحفيرة». ثم يردُّ ترابَ الحفيرة إليها حتى يدفنها بيده. ولم تجرِ للعرب عادةً بالكتابة في ذلك، بل يُكتفى في هذا بما كان بمحضر كبار الفريقين؛ ثم لو كانت دماءٌ أو قتلى عُفيت وعَفَتْ بها آثارُ الطلائب.

(١) ودُكرت صورة الأمان في «تثقيف التعريف» لابن ناظر الجيش بصيغة أخرى أخصر من هذه. وزاد فقال: ثم التاريخ والمستند والحسيلة. قال: ولا يكتب فيه «إن شاء الله» لأنها تقتضي الاستثناء فيما وقع من الأمان المذكور. قال القلقشندي: والتحقيق ما ذكره صاحب «موادّ البيان» وهو أن مقاصد الأمان تختلف باختلاف الأحوال؛ والذي يضبط إنما هو صورة الأمان؛ أما المقاصد فإن الكاتب يدخل في كل أمان ما يليق به مما يناسب الحال. ومن غرائب الأمانات ما حكاه محمد بن المكرّم في كتابه «تذكرة اللبيب» أن رسل صاحب اليمن وفدت على الأبواب السلطانية في عهد السلطان المنصور قلاوون سنة ٦٨٠ هـ في شهر رمضان وسألوا السلطان في كتب أمان لصاحب اليمن وأن يكتب على صدره: «صورة أمان له ولأولاده» فكتب له ذلك وشملته العلامة السلطانية وعلامة ولده وليّ العهد الملك الصالح علي؛ وأعلمهم السلطان أن هذا مما لم تجر به عادة، وإنما أجابهم إلى ذلك إكراماً لمخدومهم وموافقة لغرضه واقتراحه. (انظر صبح الأعشى: ٣٤٥/١٣ وما بعدها).

(٢) والمراد به دفنُ ذنوب من يكتب له حتى لم تُر بعد.

(صبح الأعشى: ٣٥٢/١٣)

فأما إذا كانت من المملوك كُتِبَ بعد البسملة :

«هذا دفنٌ لذنوب فلان، من الآن لا تُذكر ولا يُطالب بها، ولا يُوأخذ بسببها، أقتضته المَراحِمُ الشريفة السلطانية الملكية الفلانية - ضاعف الله حسناتها وإحسانها: وهي ما بدا من الذنوب لفلان من الجرائم التي ارتكبتها، والعظائم التي آحتقَبها، وحصل العفو الشريف عن زَلَلها، وقابل الإحسانُ العميم بالتغمُّد سُوءَ عملها؛ وهي كذا وكذا (وتُذكر) دَفْنًا لم تبقَ معه مؤاخِذةٌ بسبب من الأسباب، ومات به الحقد وهيل عليه التراب، ولم يبقَ معه لمطالبٍ بشيء منه مطمع، ولا في إحيائه رجاء - وفي غير [ما وَارَتْ] (١) الأرضُ فَاطْمَعُ - وتصدَّق بها سيِّدنا ومولانا السلطانُ الأعظم (ويذكر ألقابه وأسمه) - تَقَبَّلَ اللهُ صَدَقَتَهُ - وعفا عنها، وقطع الرجاءَ باليأس منها، وأبطل منها كلَّ حقٍّ يُطلب، وصفح منها عن كل ذنب كان به يُستَدْنَب، ودفنها تحت قدمه، ونسيها في علم كرمه، وخلاها نَسِيًّا مَنْسِيًّا لا تُذكر في خِفاةِ دِمَمه، وجعله بها مقيمًا في أمن الله إلى أن يبعث الله خلقه، ويتقاضى كما يشاء حقَّه، لا يُعَقَّب في هذا الأمان معقَّب (٢)، ولا ينتهي إلى أمدٍ له نظر مترقَّب، لا يُنبِشُ هذا الدَّفِين، ولا يوقف له على أثر في اليوم ولا بعد حين، ولا يُخشى فيه صبر مصابر، ولا يقال فيه إلا: وَهَبْهَا كشيءٍ لم يكن أو كنازجٍ به الدارُ أو من غيَّبته المقابر.

ورُسم بالأمر الشريف العالي، المولوي، السلطاني، الملكي، الفلاني، أعلاه الله وشرِّفه، وغفر به لكل مُذنب ما أسلفه، أن يُكتب له هذا الكتاب بما عُفِيَ له عنه وحفر له ودفن، وأصبح بعمله غير مرتهن، ودُفن له فيه دَفْنُ العَرَب، وقطع في التذكُّر له [أَرَبُ كُلِّ ذِي أَرَب] (٣)، ودُرس في القبور الدَّوَارِس، وغُيِّب مكانه فيما طُمِر في الليالي الدَّوَامِس.

وسيلُ كل واقفٍ على هذا الكتاب - وهو الحُجَّة على من وقف عليه، أو بلغه

(١) في طق «من وارث» وهو خطأ.

(٢) في صبح الأعشى: «لا يتعقَّب . . متعقَّب»

(٣) في طق «أدب كل أدب». وما أثبتناه من صبح الأعشى.

خَبْرُهُ، أو سمعه، أو وضع له أثره - أن يتناسى هذه الوقائع، ويتخذها فيما تَضَمَّتْهُ الأرض من الودائع، ولا يذكر منها إلا ما اقتضاه جِلْمنا الذي يُؤْمَنُ معه التَّلْف، وعفوناً الذي شمل وعفا الله عما سَلَفَ» .

ثالثاً: الهدن

أما الهدن فاعلم أنها تكون بين ملكين؛ وأكثر ما تكون من ملك الإسلام لملك كافر؛ وتكون إلى [أجل]^(١) معلوم يُهادن بها أحدهما الآخر على نفسه، وعساكره، وبلاده، ورعاياه، وما يدخل في دائرته، وينضوي إلى سائرتة، أو على شيء يقرّره له على ذلك، وإما لا على شيء .

فأما إذا كان من الجانبين فتلك مُواصفة^(٢)؛ وسيأتي، فاعلم ذلك .

فأما الهدنة فسبيل الكتابة فيها بعد البسملة :

«هذا ما هادَن عليه، وأجل إليه، مولانا السلطان فلان - خَلَّدَ اللهُ سلطانه، وشرف به زمانه - الملك فلان الفلاني: هادنه حين ترددت إليه رسله، وتوالت عليه كُتبه، وأمله ليمهله، وسأله ليكف عنه أسلّه، حين أبت صفاحه أن تصفح، وسماء عجاجه بالدماء إلا أن تَسْفَح؛ فرأى - سدّد اللهُ آراءه - أن الصلح أصلح، وأن معاملة الله أربح، وهادن هذا الملك (ويسميه) على نفسه وأهله، وولده ونسله، وجميع بلاده، وكل طارفه وتلّاده، وماله من ملك ومال، وجهات وأعمال، وعسكر وجنود، وجموع وحشود، ورعايا في مملكته من المقيم والطاريء، والسائر بها والساري، هدنة مُدَّتْها لأوّل تاريخ هذه الساعة الراهنة وما يتلوها مدّة كذا وكذا (ولهم عادة أن

(١) في طق «رجل» وهو خطأ.

(٢) سميت بذلك لأن الكاتب يصف ما وقع عليه الصلح من الجانبين. على أن الكتاب يخصون لفظ المواصفة بما إذا كانت المهادنة من الجانبين. ولا شك أن ذلك جارٍ في لفظ المoadعة والمسالمة والمقاضاة أيضاً: لأن «المفاعلة» لا تكون إلا بين اثنين، إلا في ألفاظ قليلة محفوظة على ما هو مقرر في علم العربية. أما لفظ الهدنة فإنه يصدق أن يكون من جانب واحد، بأن يعقد الأعلى الهدنة لمن هو دونه. على أنها عند التحقيق ترجع إلى معنى المفاعلة، إذ لا تكون إلا بين اثنين.

يحسبونها مدة سنين شمسية فيحرّر [الكاتب] حسابها بالقمرية ويذكر سنين وأشهرًا وأياماً وساعاتٍ حتى يستكمل السنين الشمسية المهادن عليها) يحمل فيها هذا الملك فلان إلى بيت مال المسلمين، وإلى تحت يد مولانا السلطان فلان قسيم أمير المؤمنين، في هذه المدّة (ويذكر المقرّر ويحرّر، ثم يقول:) يقوم به هذا الملك من ماله، ومما يتكفل بجبايته من جزية أهل بلاده وخراج أعماله، يقوم به (ثم يذكر أفساطه) قياماً لا يُحوجُّ معه إلى تكلفٍ مُطالبه، ولا إلى تناوله بيد مُطالبه .

على أن يكفّ مولانا السلطان عنه بأسّ بأسائه، وخيَلَه المطلّة عليه في صباحه ومسائه، ويضمّ عن بلاده أطرافَ جنوده وعساكره وأتباعهم، ويؤمّنه من بطّانهم وسيراعهم، ويمنع عن بلاد هذا الملك المتاخمة لبلاده، والمزاحمة لدوافق أمداده، ويردّ عنها وعمّا^(١) جاورها من بقية ما في مملكته، وهي كذا وكذا (وتذكر) أيدي^(٢) النّهب، ويكفّ الغارات ويمنع الأذى، ويردّ من نزع من رعايا هذا الملك إليه - ما لم يدخل في دين الإسلام وشهد الشهادتين ويقرّ بالكلمتين المعتادتين - ويؤمّن جلاّبة هذا الملك وتجاره والمرتدّين من بلاده إلى بلاد الإسلام في عوارض الأشغال، ولا يحصل عليهم ضررٌ في نفس ولا مال؛ وإن أخذت المتجرّمة لهم مالاً أو قتلت منهم أحداً أمر بإنصافهم من ذلك المتجرّم، وأن يؤخذ بحقّهم من ذلك المجرّم. وعليه مثل ذلك فيمن يدخل إليه من بلاد الإسلام، وأن لا يفسح لنفسه ولا لأحد من جميع أهل بلاده في إيواء مسلم متنصّر، ولا يرخص لذي عمى منهم ولا متبصّر. وإنه كلما وردت عليه كتب مولانا السلطان فلان، أو كتب نوابه، أو أحد من المتعلّقين بأسبابه، يسارع إلى أمثاله والعمل به في وقته الحاضر ولا يؤخّره ولا يمهله، ولا يطرحه ولا يهمله .

وعليه أن لا يكون عوناً^(٣) للكفار، على بلاد الإسلام وإن دنت به أو بعدت

(١) في الصبح «وعمن» .

(٢) مفعول به لفعل «يردّ» المتقدّم .

(٣) في الصبح «عيناً» . وكلاهما يصحّ في المقام .

الدار، ولا يواطيء على مولانا السلطان فلان أعداءه وأولهم التتار^(١)، وأن يلتزم ما يلزمه من المُسكَّة بالمُسكَّنة، ويفعل ما تسكت عنه به الأسنَّة وما أشبهها من الألسنة؛ وعليه أن يُنهي ما يتجدد عنده من أخبار الأعداء ولو كانوا أهل ملته، وينبئ على سوء مقاصدهم، ويعرّف ما يهمّ سماعه من أحوال ما هم عليه.

هذه هدنة تمّ عليها الصلح إلى منتهى الأجل المعين فيه ما آستمسك بشروطها، وقام بحقوقها، ووقف عند حدها الملتزم به، وصرف إليها عنان أجهاده، وبنى عليها قواعد وفائه، وصان من التكدير فيها سرائر صفائه. سأل هو في هذه الهدنة المقررة، وأجابه مولانا السلطان إليها على شروطها المحررة، وشهد به الحضور في المملكتين وتضمنته هذه الهدنة المسطرة. وبالله التوفيق». (ويورّخ بالعربي والسرياني).

أما المواصفات: فهي ما يقرّر بين ملكين على تقرير من الجانبين - كما تقدّمت الإشارة إليه. وسبيل الكتابة فيها بعد البسملة:

«هذه هدنة استقرت بين السلطان فلان والسلطان فلان: هادن كل واحد منهما الآخر على الوفاء عليه، وأجل له أجلاً ينتهي إليه، لما آقتضته المصلحة الجامعة، وحُسمت به موادّ الآمال الطامعة. تأكّدت بينهما أسبابها، وفتحت بهما أبوابها، وعليهما عهد الله على الوفاء بشرطها والانتهاؤ إلى أمدها، ومدّ جبل الموادعة إلى آخر مدديها، ضربا لها أجلاً أوّل ساعة تاريخه وإلى نهاية المدة، وهي مدة كذا (ويذكر نحو ما تقدم)؛ على أن كل واحدٍ منهما يُعيّد بينه وبين صاحبه سيف الحرب، ويكفّ ما بينهما من السهام الراشقة، وتُعقل الرماح الخطّارة^(٢)، وتُقرّ على مرابطها الخيل

(١) قال القلقشندي: «الظاهر أنه كان يكتب بهذه النسخة عن صاحب الديار المصرية والممالك الشامية لمتملك «سيس» لأن متملك «سيس» - وهي بلاد الأرمن - كان يماليء التتار ويميل إليهم ويساعدهم في حرب المسلمين.

(٢) رمح خطّار: ذو اهتزاز شديد. وخطران الرمح: ارتفاعه وانخفاضه للطمع.

المغيرة؛ وبلاد السلطان فلان كذا وكذا، وبلاد السلطان فلان كذا وكذا، وما في مملكة كل منهما من الثغور والأطراف والمواني والرّساتيق^(١) والجهات والأعمال: برّاً وبحراً، وسهلاً وجبلاً، ونائياً ودانياً، ومن فيها: من ملكها المسمّى وبنيه، وأهله وأمواله، وجنده وعساكره، وخاصّ ما يتعلق به وسائر رعاياه على اختلاف أنواعهم، وعلى أفرادهم واجتماعهم، البادي والحاضر، والمقيم والسائر، والتّجار والسّفارة، وجميع المترددين من سائر الناس أجمعين؛ على أن يكون على فلان كذا، وعلى فلان كذا (ويعيّن ما يعيّن من مال أو بلاد أو مساعدة في حرب أو غير ذلك) يقوم بذلك لصاحبه، وينهض من حقّه المقرّر بواجبه؛ وعليهما الوفاء المؤكّد الموثق، والمحافظة على العهد والتمسك بسببه الوثيق، هدنةً صحيحة صريحة، نطقاً بها، وتصادقاً عليها، وعلى ما تضمّنته المواصفة المستوعبة بينهما فيها، وأشهدا الله عليها بمضمونها، وتوثاقاً على ديونها، وشهد من حضر مقام كلّ منهما على هذه الهدنة وما تضمّنته من المواصفة، وجرت بينهما على حكم المناصفة، رأياً فيها سكون الجراح، وعضّ طرف الطّماح؛ وعلى أنّ على كلّ منهما رعاية ما جاوره من البلاد والرعيّة، وحملهم في قضاياهم على الوجوه الشرعيّة؛ ومنّ نزع من إحدى المملكتين إلى الأخرى أعيد، وما أخذ منها باليد الغاصبة استُعيد؛ وبهذا تمّ الإشهاد، وقرىء على المسامع وعلى رؤوس الأشهاد».

رابعاً: المُفاسّحات

وهي نوعان: فسّخ ومفاسّخة.

فالفسّخ: ما وقع من أحد الجانبين، فيه نقض عهدٍ حصلت الموثقة عليه؛ وقيل أن يكون في هذا إلا ما يبعث به على ألسنة الرّسل. وقد كتب عمي الصّاحب شرف

(١) الرزداق والرساق: كل موضع فيه مزدرع وقرى؛ ولا يقال ذلك للمدن.

الدين أبو محمد عبد الوهاب^(١) - رحمه الله - سنة دخول العساكر الإسلامية مَلْطِيَّة^(٢) سنة أربع عشرة وسبعمائة فَسَخاً على «التَّكْفُور»^(٣) متملك «سيس» كان سبباً لأن زاد قطيعته .

والذي أقول فيه : إنه إن كُتِب فيه ، كُتِب بعد البسملة :

«هذا ما استخار الله تعالى فيه فلان ، استخارةً تَبَيَّن^(٤) له فيها عَدْرُ الغادر ، وأظهر له بها سِرُّ الباطن ما^(٥) حَقَّقَه الظاهر ؛ فَسَخَ فيها على فلان ما كان بينه وبينه من المهادنة التي كان آخرُ الوقتِ الفلاني آخرَ مدَّتِها ، وطَهَّرَ السيفَ الذُّكُورَ^(٦) فيها من الدماءِ إلى أنقضاءِ عَدَّتِها ، وذلك حين بدا منه من موجباتِ النَّقْضِ ، وحل المعاهدة^(٧) التي كانت يُشَدُّ بعضُها ببعض ، وهي كذا وكذا (وتُذَكَّرُ وتعدُّ) مما يوجبُ كلُّ ذلك إخْفَارَ الذمَّةِ ، ونقْضَ العهودِ المرعيَّةِ الحرمةِ ، وهَدَّ قواعد الهدنة ، وتَخْلِيَةَ ما كان قد أُمسِكَ من الأَعْنَةِ . كُتِب [إنذاراً ، وقَدَّمَ حذاراً]^(٨) ؛ ومن^(٩) يشهد بوجوب هذا الفسخ ، ودخول ملة تلك الهدنة في حكم النَّسْخِ ، ما تشهد به الأيام ، ويحكم به عليه^(١٠) النصرُ المكتتب للإسلام . وكُتِب هذا الفسخُ عن فلان لفلان وقد نَبَذَ إليه عهدَه ،

(١) خدم الملك الأشرف ، والملك الناصر ، وسيف الدين تنكز ؛ ونقله الملك الناصر إلى كتابة السَّر في دمشق فتوفي فيها سنة ٧١٧ هـ . كان إماماً في كتابة الإنشاء عارفاً بتدبير الممالك .
(النجوم الزاهرة : ٢٤٠/٩ والدرر الكامنة : ٤٢٨/٢) .

(٢) مدينة في تركيا . سماها الروم «ميليئين» . وكانت من أجل الثغور الإسلامية أمام الروم ؛ وهي إلى الجنوب من سيواس .

(٣) التكفور لفظ أجنبي معناه : المتوجِّح ، أطلقه الأرمن على ملوكهم .

(٤) في ط ق «بين» . وما أثبتناه من الصبح .

(٥) في ط ق «ما» .

(٦) سيف ذكر : قوي قاطع .

(٧) في الصبح : «المعاهدة» .

(٨) في ط ق «كتب للإنذار ، وقَدَّمَ والحذار» وما أثبتناه من الصبح .

(٩) كذا في ط ق وفي الصبح . ولعل الصواب : «ومما» .

(١٠) في ط ق «غلبة» .

وأنفذ إليه سهمه وأنجز وعده^(١)، بعد أن صبر ملياً على ممالاته ، وأقام مدة يداوي مرض وفائه ولا ينحج فيه شيء من مداواته ؛ ولينصرن الله من ينصره، ويحذر من بأس مكره من يحذره .

وأمر فلان بأن يُقرأ هذا الكتاب على رؤوس الأشهاد، لِيُنقل مضمونه إلى البلاد، أنفةً من أمر لا يتأدى به الإعلان، وينصب به لهذا الغادر لواء لا يقال [إذا يقال]^(٢): هذا اللواء لغدرة فلان [بن فلان]^(٢) .

وأما المفاسخة: فتكون من الجهتين؛ وصورة ما يكتب فيها:

«هذا ما اختاره فلان وفلان من فسح ما كان بينهما من المهادنة التي هي إلى آخر مدة كذا: اختاراً فسح بنائها، ونسخ أنبائها، ونقض ما أبرم من عقودها، وأكد من عهودها. جرت بينهما على رضى من كل منهما بإيقاد نار الحرب التي كانت أطفئت، وإثارة تلك الثوائر التي كانت كُفيت. نبذاه على سواهما بينهما، واعتقاد من كل منهما، أن المصلحة في هذا لجهته، وأسقط ما يحمله للآخر من ربقته، ورضي فيه بقضاء السيوف، وإمضاء أمر القدر والقضاء في مساقاة الحتوف؛ وقد أشهدا عليهما بذلك الله وخلقه ومن حضر، ومن سمع ونظر؛ وكان ذلك في تاريخ كذا؛ والله الموفق والهادي إلى طريق الحق» .

(١) عبارة الصباح: « . . وأنجز وعده، وأنفذ إليه سهمه بعد أن صبر ملياً على ممالاته» .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى .

القسم الخامس

(في نطاق كل مملكة وما هو مُضاف إليها من المدن والقلاع والرّساتيق)

أما نطاق كل مملكة، فسأذكر مملكة الإسلام، وما تجري فيه لكتّابها الأقاليم؛ وأبتديء بالقاهرة التي هي اليوم أمّ الممالك وحاضرة البلاد؛ وهي في وقتنا دار الخلافة وكرسيّ الملك، ومنبع العلماء ومحطّ الرّحال، وتبعها كل شرق وغرب، ويُعدّ وقرب، خلا الهند؛ فإنه نائي المكان، بعيد المدى، يقع إلينا من أخباره ما نُكبره، ونسمع من حديثه ما لا نألّفه.

وكان يحقّ لنا أن نجعل كل النطق بالقاهرة دائراً، وإنما نفردها بما أشتملت عليه حدود الديار المصرية، ثم ندير بأمّ كل مملكة نطاقها، ثم إليها مرجع الكل، وإلى بحرهما مصبّ تلك الخُلق.

[أولاً: في ذكر مملكة الديار المصرية]

ومصرُ يشتمل عليها أربعة حدود:

- فأما الحدّ القبليّ^(١) فينتهي من ضفة القلزم حيث عيذاب على بلاد الحدارية^(٢)، إلى الروم من بلاد النوبة خلف الجنادل التي على مصبّ النيل، إلى جبال المعدن، إلى صحراء الحبشة.

(١) أي الجنوبي.

(٢) في طق وفي صبح الأعشى «الحدارية» بالياء المثناة. وصوابه: الحدارية، بالياء الموحدة. وهم بطن من العرب بسواكن من بلاد البجاة. وسواكن بلد مشهور على سواحل بحر الجار قرب عيذاب (معجم قبائل العرب: ٢٤٩/١).

وأما الحدُّ الشرقيّ فينتهي إلى بحر القلزم؛ وغالب ما بينه وبين مجرى النيل مُنْقَطَعُ رمالٍ ومحاجر وجبال؛ ويسمَّى ما سَاحَلَ البَحْرَ في هذا الحدِّ: بَرَّ العجم، ثم يتسع من حيث السُّويس وما أخذ شرقاً عن بركة الغُرُنْدَل^(١) التي أغرق الله فيها فرعونَ فينتهي الحدُّ إلى تيه بني إسرائيل^(٢) حتى يقع على أطراف الشام.

وأما الحدُّ [الشَّاميّ]^(٣) وتسمّيه أهل مصر: البَحْرِيّ فما بين الزَّعَقَةَ وَرَفَحَ حيث الشجرتان؛ وما إخال اليوم بقاء الشجرتين^(٤)، وإنما هما موضع الشجرة التي تُعَلَّقُ فيها العوامُّ الحِرْقُ، وتقول هذه مفاتيح الرمل، وهي حيث الكُتَبُ المجنبة عن البحر الشامي قريباً من الزَّعَقَةَ. فأما الأشجار التي بالمكان المعروف الآن بالخرُوبَة^(٥)، ويُعرف قديماً بالعُشَّ - وقد بُنِيَ بها خان سبيل، وعملت ساقية يجري منها الماء إلى حوض تستقي منه المارَّةُ والحلَّال - فهي وإن عظمت محدثة عن زمان من حدّد الأقاليم وليست في موقع ما ذكره. ثم يأخذ هذا الحدُّ مُسَاحِلًا مع البحر الشامي.

وأما الحدُّ الغربيّ فأخره في العمارة معمور الإسكندرية، آخذاً على الليونة إلى العميدين، إلى العقبة، وهو آخر حدِّ مصر؛ ثم يعطف الحدُّ على الواحات مقتبلاً على الصعيد حتى يقع على الحدِّ القبليّ^(٦).

(١) قال الفلقشندي في كلامه على بحر القلزم - وهو البحر الأحمر - إنه يمتد حتى ينتهي إلى القصر، فُرْصَة قوص؛ ثم يتسع في جهتي الجنوب والشرق حتى يكون اتساعه تسعين ميلاً، وتسمَّى تلك القطعة المتسعة: بركة الغرندل.

(صبح الأعشى: ٢٤٠/٣)

(٢) هو الموضع الذي ضلَّ فيه موسى بن عمران عليه السلام وقومه. وهي أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم وجبال الشراة من أرض الشام.

(معجم البلدان: ٦٩/٢؛ والروض المعطار: ١٤٧).

(٣) في طق «الشامي» وهو خطأ.

(٤) قال ياقوت: هما شجرتان كانتا بين رفح والعريش.

(٥) في معجم البلدان: الخروبة: حصن بسواحل بحر الشام مشرف على عكا.

(٦) على هذا النحو تقريباً جرى تعيين حدود مصر في صبح الأعشى للفلقشندي وفي تقويم البلدان للسلطان

[في ذكر كُورِها]

وهذا أو أن ذكر النطاق فنقول: لمصر وجهان: قبليّ وبحريّ .

الوجه القبليّ

هو أجلُّهما قدراً، وأطولهما مدًى، وأكثرهما جدًى؛ وهو:

١ - بلاد الجيزة^(١): وهي أقربها إلى القاهرة غربيّ النيل . ويقع قبالة القبليّ منها بلاد إتفيح^(٢) .

٢ - بلاد إتفيح: شرقيّ النيل في برّ القاهرة، تصاقب بركة الحَبَس وبساتين الوزير.^(٣)

= عماد الدين صاحب حماه . إلا أنه في «تقوم البلدان» جعل ابتداء الحدّ الشمالي نفس رفع، ونهاية الحدّ الغربي حدود بلاد النوبة .

قال في الصباح: وقد خالف في ذلك القضاعيّ فجعل الحدّ الشمالي من العريش وجعل الحدّ الجنوبي يقطع بحر القلزم وينتهي إلى ساحل الحجاز بالحوراء: أحد منازل طريق الحجاز من مصر . والحدّ الشرقي يمتد على ساحل البحر الشرقي إلى مدين إلى أبلة إلى تيه بني إسرائيل إلى العريش؛ فأدخَلَ بحر القلزم - من حدّ الحوراء إلى نهايته في الشمال، وما على ساحله من برّ الحجاز مما يسامت العريش - في أرض مصر .

قال: وفيه نظر! والظاهر ما تقدّم: لأن البر الشرقي من القلزم معدود من ساحل الحجاز من جملة جزيرة العرب، وهي ناحية على انفرادها؛ وكان الذي حمل القضاعيّ على ذلك مسامته هذا الساحل لحدّها بساحل البحر الرومي .

فال: واعلم أن جميع المحدّدين لها - وإن اختلفت عباراتهم في ابتداء الحدّ الشمالي الفاصل بينها وبين الشام، هل هو من العريش أم من رفح، أو بين الزعقة ورفح - متفقون على أن ابتداء الحدّ حيث الشجرتان؛ وكأنهما شجرتان قديمتان حدّد في الأصل بهما .

(١) مدينة الجيزة اختطها عمرو بن العاص سنة ٢١ هـ؛ وقيل: فرغ منها سنة ٢٢ هـ. وفي سبب بنائها رواية طويلة ذكرها ابن دقماق في «الانتصار» .

(الانتصار: ١٢٥/٤ - ١٢٦) .

(٢) يقال: إتفيح وإطفيح، بالتاء المثناة والطاء .

(٣) كانت تُعرف قديماً ببركة المعافر وحمير، وتعرف بإسطبل فاش، وكانت في ملك محمد بن عليّ المادرائي وزير آل طولون بجميع ما تشتمل عليه من المزارع والجنائن. وتسميتها نسبة إلى قتادة بن قيس بن حبشي الصدفي الذي شهد فتح مصر .

(الانتصار: ٥٥/٤) .

(٤) منسوبة إلى الوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله؛ ويقال إنها منسوبة إلى الوزير محمد بن =

٣ - بلاد البهنّسا: وهي مما يلي الجيزة مقتبلاً في برّها^(١).

٤ - بلاد الفيوم: تصاقب البهنّسا من غربها، وبينهما منقطع رمل. والفيوم هو الذي يجري بحره^(٢) دائماً مستمراً؛ وينقسم به الماء في مقاسيم مثل دمشق؛ ولا يعرفون قسمة الماء إلا بالقصبات.

٥ - بلاد الأشمونين^(٣) والطحاوية: وتلي البهنّسا من جنوبيه.

٦ - بلاد منفلوط: وتلي بلاد الأشمونين من جهة الجنوب.

٧ - بلاد أسوط^(٤): جنوبي بلاد منفلوط.

= علي المادرائي، وقيل إنها منسوبة إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن خنزابة وزير كافور الإخشيدي. وهي سبعة بساتين كانت من عند مقابر النصارى إلى البحر. وقيل كان بها مكان يسمّى العروسة.

(الانتصار: ٥٧/٤).

(١) أي الجهة الجنوبية.

(٢) المراد هنا بحيرة الفيوم، وهي بركة قارون. وهي بركة تصب فيها المياه بشكل مستمر وليس لها مصرف تتصرّف إليه لإحاطة الجبال بها، ولذلك غلبت على كثير من قرى الفيوم وعلا ماؤها على أرضها.

(صح الأعشى: ٣٣٧/٣، ٤٥١)

(٣) في معجم البلدان: «أشمون»، وأهل مصر يقولون: الأشمونين. والاسم «أشمونين» - بصيغة المثنى - يطابق الاسم المصري القديم: «خمونو» والاسم القبطي: «شمون». وأطلق اليونان والرومان عليها اسم: «هرموبوليس ماجنا».

(معجم البلدان: ٢٠٠/١، ودائرة المعارف الإسلامية: ٤٤١/٣)

(٤) ضبطها السمعاني في «كتاب الأنساب» والفيروزابادي في «القاموس» بضمّ الألف. وضبطها ياقوت بالفتح. وذكرها الحميري في «الروض المعطار» في حرف الهمزة؛ أما ابن دقماق في «الانتصار» فقد حذف الهمزة وقال: «سيوط» و«الأعمال السيوطية». ووقعت كذلك في شعر ابن الساعاتي بغير ألف في قوله:

لله يومٌ في سُيُوطٍ وليلةٌ عمرُ الزمانِ بمثْلِها لا يغلُطُ

قال القلقشندي: «وإثبات الألف فيها هو الجاري على السنة العامة بالديار المصرية، والثابت في الدواوين حذفها».

٨ - بلاد إخميم^(١): وهي مصابفة لعمل أسيوط في جنوبيه. وإخميم شرقي النيل؛ ويقارب ديمتها البرابي^(٢) المشهورة في البلاد، المضروب بها المثل على الألسنة. وهي وإن كانت شرقي النيل فكل بلادها ومزارعها غربي النيل.

٩ - بلاد قوص: وقوص أيضاً شرقي النيل؛ وهناك جُل العمارة وموضع الحرث والزرع. وفي غربي النيل قبالتها البلاد المعروفة بغرب قُمولا^(٣)، وهي من مضافات قوص وبلادها؛ ثم أسوان^(٤) وهو من عمل قوص، وواليه نائب عنه؛ ويُخرج مما بين قوص وأسوان إلى صحراء عيذاب حتى ينتهي إلى عيذاب، وهي قرية حاضرة البحر، ومنها يعدى إلى جُدة، ويكون بها جند من قوص؛ وواليها - وإن كان من قبل السلطان - فإنه نائب^(٥) لوالي قوص؛ ووالي قوص أعظم ولاية مصر وأجلهم.

(١) ضبطها في تقويم البلدان ومعجم البلدان ومعجم ما استعجم: بكسر الهمزة في أولها. وفي دائرة المعارف الإسلامية: إخميم، بالفتح، كانت تعرف عند قدماء المصريين باسم «أبو» أو «ختي مين» ومنها اشتق اسمها القبطي: «شمين». وكان اليونان يطلقون عليها اسم: «رخمس أوبانوبوليس».

(٢) البرابي: جمع برباة أو برّبا. وهو أسم أطلقه المصريون على جميع المعابد والآثار القديمة. وهذا القول الذي قال به ابن جبير يؤيده ياقوت إذ يقول: «برّبا كلمة قبطية، وهي اسم للبناء المحكم القديم الذي كان يقام في الأيام الوثنية وكان يستعمل موضعاً للسحر. ويستعمل سفروس الأشمونيني - المؤرخ النصراني لبطاركة الإسكندرية - كلمة «بربا» بمعنى محدد وهو المعبد الوثني تمييزاً له من العماثر المقامة للعبادة المسيحية. والكلمة العربية «بربا» هي رواية في رسم الكلمة القبطية «بربيه» أي المعبد، واستعمالها أكسبها الجمع الفصح أي «برابي».

قال القلقشندي: «واعلم أن أكثر البرابي بالوجه القبلي من الديار المصرية، وبالوجه البحري القليل منها، وقد استولى الخراب على جميعها، وذابت معالمها ولم يبق إلا آثارها. والذي وقفت عليه في التواريخ ووقفت على آثار غالبه ورسومه سبع برابٍ وهي: بربا سمنود بظاهر سمنود من الأعمال الغربية بالوجه البحري؛ وبربا تمي بالمرتاحية من الوجه البحري على القرب من مدينة تمي الخراب؛ وبربا إخميم بظاهر مدينة إخميم: وهي أعظم البرابي وأحسنها صنعة، ولم تنزل عامرة إلى أواسط المائة الثامنة؛ وبربا دنذرة من الأعمال القوصية؛ وبربا الأقصر؛ وبربا أرمنت؛ وبربا إسنا».

(انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٥٦٤/٦؛ وصحح الأعشى: ٣/٣٢٣)

(٣) كذا في ط. وفي معجم البلدان والانتصار: «قُمولة»

(٤) ضبطه السمعاني بفتح الهمزة وسكون السين المهملة؛ أما ابن خلكان ف ضبطه بضم الهمزة وغلط السمعاني في فتحها؛ وكذلك فعل ياقوت في معجم البلدان. والجاري على ألسنة العامة فتحها.

(٥) ذكر القلقشندي أن والي أسوان في أيامه قد أصبح مستقلاً بنفسه لا حكم لوالي قوص عليه.

هذه جملة الوجه القبلي؛ وفيه الصَّعِيدَان^(١): الأدنى والأعلى. فالأدنى هو كل ما سفَلَ عن الأَشْمُونَيْنِ إلى القاهرة، والأعلى هو كل ما علا عن الأَشْمُونَيْنِ إلى أسوان. وغالب زَرَعُه ورفعه، وجلب قوته وحلب ضَرَعُه غربي النيل. وما يوجد شرقي النيل قليل، وهو تبع لا متبوع.

الوجه البحري

وهو كل ما سفَلَ عن الجيزة^(٢) إلى حيث مصب النيل في البحر الشامي بدمياط ورشيد؛ وهو أعرَضُ من الوجه القبلي، وبه الإسكندرية وهي مدينة مصر العظمى.

فأما ما وقع منه شرقي النيل في برّ القاهرة المتصل بها فأقربها منه: الضَّوَّاحي^(٣)؛ وهي القرى التي أمرها بيد والي القاهرة؛ ثم قَلْيُوب^(٤)؛ ثم الشرقية^(٥) ومديتها بلبَّيس^(٦).

وأما ما وقع [بين فرقتي النيل الشرقية والغربية]^(٧) في هذا الوجه فأقربها إلى

(١) سمي صعيداً لأن أرضه كلما ولجت في الجنوب أخذت في الصعود والارتفاع.

(٢) في صبح الأعشى: «كل ما سفَلَ عن القاهرة».

(٣) جمع ضاحية؛ وهي في أصل اللغة: البارزة للشمس؛ والضواحي هي ما يجاور القاهرة من جهة الشمال من القرى. وعدتْهم إحدى وثلاثون بلدة كما جاء في الانتصار: ٤٣/٥.

(٤) المراد عمل القليوبية، وفيه خمسة وخمسون بلداً (الانتصار: ٤٧/٥) وعمل القليوبية مصابب للضواحي من شمالها مما يلي جهة النيل. وكانت قليوب عاصمة محافظة القليوبية حتى سنة ١٨٥٠ م. ثم أصبحت عاصمتها «بناها» - (الموسوعة العربية الميسرة: ١٣٩٣).

(٥) عمل الشرقية مصابب للضواحي من شمالها مما يلي جهة المقطم. وقد عدّد صاحب «الانتصار» الأعمال الشرقية على مدى سبع عشرة صفحة - (الانتصار: ٥١/٥ وما بعدها).

(٦) ضبطها في القاموس بضم الباء كغُرْنِيق. قال: وقد يفتح أوله. وفي معجم البلدان بكسر البائين وسكون اللام. وفي معجم ما استعجم للبركري بفتح أوله وسكون ثانيه. وفي تقويم البلدان بكسر الباء الأولى وسكون اللام وفتح الباء الثانية وسكون المثناة تحت ثم سين مهملة. قال القلقشندي: والجاري على الألسنة ضم الباء في أولها.

(٧) عبارة طق «وأما ما وقع غربي أحد مرمي النيل الفرقتين في هذا الوجه» وهي مشوشة. وما أثبتناه من صبح الأعشى.

الجيزة جزيرة بني نصر، ثم مُنُوف، وكلاهما عملٌ واحد. والاسم لمُنُوف؛ وهي كانت مدينة مصر العظمى زمن فرعون موسى، ثم أبيار وهي من عمل مُنُوف أيضاً. واسم مُنُوف: مَنْف^(١). ثم يليها بلاد «الغربية» ومدينتها «محلّة المرحوم»^(٢)؛ وهي عملٌ جليل متسع يضاهاي قوص؛ ثم يليه «أشمون»^(٣) وتُعرف «بأشمون الرمان» لكثرة وجود الرمان بها؛ وهي بلاد الدقهلية والمرتاحية. ثم يليها «دمياط» - حماها الله - وهي أحد الثغور، والضالّة المستنشدة بعد طول الدهور، ويليها أحد مصبي^(٤) النيل.

ثم ما هو غربي الفرقة الثانية من النيل فأقربُه إلى الجيزة بلاد البحيرة، ومدينتها: «دمنهوور الوحش». وهذه البلاد تشتمل على برٍّ مقفر وطوائف من العرب، وبها «بركة النطرون» الذي لا يعلم في الدنيا أن يستغل^(٥) من بقعة صغيرة نظير ما يستغلُّ منها: فإنها نحو مائة فدّان تغلُّ نحو مائة ألف دينار.

(١) قال القلقشندي في الصبح: «لقد وقع للمقرّ الشهابي ابن فضل الله في «التعريف» في بلاده وأعماله من الوهم ما لا يليق بمصري... من ذلك أنه غلط في مُنُوف فظن أنها مَنْف، وبينهما بعد كبير: إذ مَنْف جنوبي القسطاط على اثني عشر ميلاً منه، ومُنُوف شمالي القسطاط والقاهرة في أسفل الأرض».

(٢) هنا أيضاً يقع العمري في الخطأ - كما أشار القلقشندي - ووجه الخطأ أن «محلّة المرحوم» قرية من قرى عمل الغربية. أما مدينة بلاد الغربية فهي «المحلّة الكبرى» أو «المحلّة» كما غلب عليها على وجه الإطلاق. قال في المشترك: ويقال لها أيضاً: محلّة الدقلا.

(٣) يجعل العمري هنا أشمون غربي «الغربية» أي مما يلي الفرقة الغربية من النيل. وجعلها القلقشندي من أعمال شرقي الفرقة الشرقية من النيل وهي: عمل الضواحي وعمل القليوبية وعمل الشرقية ثم عمل الدقهلية والمرتاحية، وأشمون أو أشموم هي مقرّ الولاية بهذا العمل الأخير. لذلك كان من حق العمري ذكر أشمون بعد ذكره لمدينة بليس أعلاه.

والذي عليه أكثر المصادر: أشموم بالميم (هكذا في تقويم البلدان، ومعجم البلدان، والمشارك، والانتصار). وذكرها في «اللباب» بالنون. وهذا الإبدال عراه في تقويم البلدان للعامّة.

(٤) هو مصبّ الفرقة الشرقية من النيل في بحر الروم أو الشامي أو البحر المتوسط.

(٥) المراد أنهم يستخرجون منها معدن النطرون. قال ابن ممتي: النطرون من المعادن التي توجد بأرض مصر يستخرج من الطرانة الواقعة غربي النيل وهو أجود أصنافه، ويستخرج أيضاً من الفاقوسية. ومنه الأحمر والأخضر وهو الأكثر استعمالاً.

(قوانين الدواوين: ٣٣٤)

ثم يلي بلاد البحيرة مدينة الإسكندرية: ثغر الإسلام المفتّر، وجمي الملك
المخضّر - حرسها الله وكفاها - وهي مدينة لا يتسع لها عمل، ولا يكثر لها قرى. فهذه
جملة^(١) الوجه البحري.

ثم لم يبقَ ما يُنبّه عليه إلا «قَطِيَا» وهي قرية في الرمل^(٢) جعلت لأخذ
المُوجَبَات، وحفظ الطرقات؛ وأمرها مهم، ومنها يطالع بكل وارد وصادر.

وأما «الواحات»^(٣) فجارية في إقطاع أمرائهم يولّون عليها كل مُقَطَّع في
إقطاعه؛ ومغلّها كأنه مصالحة لعدم التمكّن من استغلاله أسوةً ببقية ديار مصر لوقوعه
منقطعاً في الرمال النائية والقفار النازحة. وهذه جملة^(٤) نُطق القاهرة المحيطة بمصر
سفلاً وعلواً، وبالله التوفيق.

[ثانياً: في ذكر المملكة الشاميّة]

أما الشام فيحدّه جميعه من القبلة [إلى] البرّ المقفر: تيه بني إسرائيل وبرّ
الحجاز والسّماوة إلى مرمي الفرات بالعراق. وهذه المحادّات كلها من جزيرة العرب.

(١) لعله نسي أن يذكر عمل «المزاحمتين» وهو ما جاور خليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر
الرومي، وبعضه في البرّ الشرقي من النيل، وحاضرته مدينة «فُوّة»
(انظر صبح الأعشى: ٤٠٣/٣)

(٢) المراد: قرية في الرمل المعروف بالجفار على طريق الشام على القرب من ساحل البحر الرومي.

(٣) ذكرها القلقشندي باسم «بلاد الوّاح» نقلاً عن السمعاني في «اللبّاب»، وذلك بإثبات الهمزة الأولى
ولفظها. أما في «المشترك» فقال: «واح بغير ألف ولام ويجمع على واحات». وهي ناحية غربي بلاد
الصعيد. والواحات ثلاث: واح الأولى مقابل الأعمال البهنساوية، وهي أعمرها وأكثرها ثمرأً، وتعرف
بواح البهنسا وبواح الخاصّ. والثانية مقابل شمالي الأعمال الأسيوطيّة، وتعرف بالواح الداخلة. والثالثة
مقابل جنوبي الواح الثانية، وتعرف بالواح الخارجة.

قال في مسالك الأبصار: ولا تعدّ في الولايات والأعمال ولا يحكم عليها من قبل السلطان.

(٤) نسي أن يذكر أيضاً: «برّقة» أو قسماً من برقة. قال القلقشندي: «والتحقيق أن برقة قسمان: قسماً
محسوب من الديار المصرية، وهو ما دون العقبة الكبرى إلى الشرق، وقسم محسوب من إفريقية، و
ما فوق العقبة المذكورة إلى الغرب.

(صبح الأعشى: ٤٤٨/٣)

ويحدُّه جميعه من الشرق طرف السَّماوة والفرات .

ويحدُّه من الشمال البحر الشامي^(١) .

ويحدُّه من الغرب حدُّ مصر المتقدِّم ذكره . وهذه الحدود هي الجامعة على ما يُحتاج [إليه] ، وإذا فُصِّلت [تحتاج] إلى زيادة إيضاح .

ثم نقول : للناس في الشام أقوال : فمنهم من لا يجعله إلا شاماً واحداً ، ومنهم من يجعله شامات^(٢) ، فيجعل بلاد فلسطين والأرض المقدَّسة إلى حدِّ الأردن شاماً ، ويقولون : الشام الأعلى ؛ ويجعل دمشق وبلادها من الأردن إلى الجبال المعروفة «بالطوال» شاماً ، ويقع على قرية «النَّبِك» وما هو على خطِّها ؛ ويجعل سوريا : وهي حمص وبلادها إلى رحبة مالك [بن طوق] شاماً ، ويجعلون حماة وشيْزُر من مضافاتها ، وثمَّ من يجعل منها حماة دون شيْزُر ؛ ويجعل قنَّسرين وبلادها وحلب مما يدخل في هذا الحدِّ إلى جبال الروم وبلاد العواصم والثغور - وهي بلاد سبس - [شاماً] . فأما عكاً وطرابُلس وكلُّ ما هو على ساحل البحر فكلُّ ما قابِلُ منه شيئاً من الشامات حُسب منه ؛ ونَبَّهنا على هذا كلِّه ليُعرف .

فأما ما هو في زماننا ، وعليه قانونُ ديواننا ، فإنه إذا قال السلطان : بلاد الشام ، ونائب الشام ، لا يريد به إلا دمشق ونائبها ؛ وولايته من لُدُن العريش - حدِّ بلاد مصر - إلى آخر سَلَمِيَّة مما هو شرق بشمال ، وإلى الرِّحبة مما هو شرق محض . وقد أُضيف إليها في أيام سلطاننا بلاد جَعْبَر^(٣) ، وحقُّها أن تكون مع حلب . فعلى هذا قد صارت

(١) كذا في صبح الأعشى عن التعريف . وفي ط ق «ويحدّه من الشام البحر الشامي» والصواب أن يقال : «ويحدّه من الشمال بلاد الروم» وليس البحر الرومي : إذ أن البحر الرومي هو الأبيض المتوسط الذي يحدُّ بلاد الشام من الغرب ؛ وهذا ما يتناسب مع تحديد «تقويم البلدان» . وفي تحديد حدود بلاد الشام اختلاف فيما بين من كتبوا في المسالك والممالك من الجغرافيين المسلمين . (انظر في ذلك : صبح الأعشى : ٧٨/٤ وما بعدها) .

(٢) وقد قَسَم المتقدِّمون الشام إلى خمسة أجناد هي : جُنْد فلسطين ، وجنْد الأردن ، وجنْد دمشق ، وجنْد حمص ، وجنْد قنَّسرين .

(٣) تغيَّر نظام جعبر الإداري في عهد المماليك إذ ألحقت بدمشق فترة من الزمن ثم بحلب فيما بعد .

(انظر دائرة المعارف الإسلامية : ٤٥/١٢)

مملكة دمشق مشتملةً على الشام الأعلى وما يليه وما يلي ما يليه وبعض الشام الأدنى، وليس يخرج عنها من ذلك إلا حماة، وما أُخرج مع صفد ومع طرابلس وأفردا به، والكرك؛ ويكون في نيابة نائبها نيابة غزّة ونيابة دمشق ونيابة حمص وبعض شيء مما يقتضي الحق أن يكون في نيابة حلب.

ونحن نذكر ذلك على ما هو الآن، فأعلم أن نيابة الشام تشتمل على ولاية بَرِّ وأربع صَفَقات:

فأما البرُّ فهو ضواحي دمشق؛ وحده من القبلة قرية الخيَّارة المجاورة للكُسوة وما هو على سمتها طولاً، ومن الشرق [الجبال] الطَّوال إلى النَّبْك وما وقع على سمتها [من القرى] آخذاً على عَسال^(١) وما حولها من القرى إلى الزَّبداني، ومن الغرب ما هو من الزَّبداني إلى قرى القيران^(٢) المسامته للخيَّارة المقدِّمة الذكر، وفي هذا مرج دمشق وغُوطتها. وأما صَفَقَاتُهَا^(٣) فأربع صَفَقات:

الصَّفَقَةُ الْأُولَى (الساحلية والجبليّة)

وأُمُّ هذه البلاد مدينة غزّة؛ والنيابةُ بها، ولنائبها الحديث في هذه الصَّفَقَة، مع مراجعة نائب الشام. وأما الولاية والعزلُ بها فلنائب الشام^(٤)، إلا في مرقريتا^(٥) وبيت

(١) كذا في ط ق وفي الصبح. وفي ياقوت: عَسَان، بالنون.

(٢) كذا في ط ق. وفي الصبح «القران».

(٣) كانت مملكة دمشق كبرى الممالك الشاميّة وأوسعها رقعة؛ وقد قَسَمها المماليك لهذا السبب إلى أربع مناطق إدارية عرفت بالصَّفَقات.

(انظر منطلق تاريخ لبنان: ص ١٣١)

(٤) يذكر القلفشندي أن غزّة كانت أكثر الأحيان «تقدمة عسكري» مضافة إلى دمشق، وتارة «نيابة مستقلة» تضاف إليها الصَّفَقَة الساحلية بكمالها فيكون لها حكم النيابات. وفي جميع الأحوال فإن «مقدم العسكري» فيها أو «النائب» إنما كان يولّى من الأبواب السلطانية وليس بأمر نائب السلطنة بالشام كما يذكر العمري. أما وصاية نائب السلطنة بدمشق على متولي غزّة فإنها تكون قائمة عندما تكون غزّة بمثابة مقدمة عسكري.

(٥) كذا في ط ق. ولعلّ الصواب «مَرْقِيَّة» وهي قلعة حصينة في سواحل حمص كانت خربت فجَدَّدها معاوية =

جبريل والدَّاروم فإن نائب غزّة يولّي ولايتها .

وهذه الصَّفقة هي الشام الأعلى ، ينقص منه ما هو من نهر الأردن إلى أول حدّ قاقون^(١) . فأما ما يدور بهذه [الصفقة]^(٢) من النطق والولايات الجليلة فالجبليّ منها: بلد الخليل^(٣) عليه السلام ، وهو أقربها إلى غزّة ، ثم القدس الشريف ، ثم نابلس .
وأما الساحليّ : فولاية مدينة غزّة ، ثم الرملة - وهي فلسطين - ثم لُدّ ، ثم قاقون .

الصفقة الثانية

(القبليّة)

سمّيت بهذا لأنها قبليّ دمشق؛ وحدّها من القبلة جبال الغور القبليّة المجاورة لمرج بني عامر، ومن الشرق البريّة، ومن [الشمال]^(٤) حدّ ولاية برّ دمشق القبليّ، ومن الغرب الأغوار إلى بلاد الشقيف^(٥) .

ومدينتها «بصريّ»، وبها قلعةٌ كأنها قلعة دمشق، وكانت دارَ مُلك لبعض بني أيوب .

ومقرّ الولاية بأذرعات^(٦) - أعني ولاية الوالي الحاكم على مجموع الصفقة .

وهذه الصفقة أولّها من جهة القبلة «البلقاء» - ومدينتها «حُسان» - ثم

= ورتب فيها الجند وأقطعهم القطائع .

(معجم البلدان: ١٠٩/٥)

(١) حصن بفلسطين قرب الرملة . (معجم البلدان: ٢٩٩/٤) .

(٢) في ط ق «المملكة» . والتصحيح يقتضيه السياق .

(٣) بلد الخليل هي «حَبْرُون»، وقد غلب عليها اسم «الخليل» ويقال لها أيضاً «حبري» .

(الروض المعطار: ١٨٦ ، ومعجم البلدان: ١٩٩/٢ ؛ ومعجم ما استعجم: ٤٠٨) .

(٤) في ط ق «الشام» . والتصحيح من الصحيح .

(٥) بلاد الشقيف إلى الشمال من نهر الليطاني في لبنان، في المنطقة المعروفة بجبال عامل أو جبال عاملة .

(٦) هي اليوم درعا . وأذرعات في الصبح مفتوحة الراء؛ وفي ياقوت والبكري مكسورة .

«الصَّلْت»^(١)، ثم عَجَلون - وجبل «عَوْف» منه، ومدينة [هذه القلعة]: الباعونة^(٢). وعَجَلون اسم القلعة المبنية على الجبل المطل على [الباعونة]: وهو حصن جليل على صغره، وله حَصَانة وَمَنْعَة مَنِيعَة. ثم أذْرَعَات؛ ولأذْرَعَات ولاية خاصة بها.

وأول حدّ هذه الصَّفقة من الشرق: «صَرْخَد»، ولها قلعة، وكان بها متملك من المماليك المعظمية، وقد يُجعل بها من يحطّ عن ملك أو نيابة معظمة.

ثم يلي صَرْخَد: بُصْرَى، ثم «رُزَع»^(٣)، ثم أذْرَعَات. وقد يتصل عمل بُصْرَى بأذْرَعَات من القبلة لوقوع «رُزَع» متشاملة. ويلي «رُزَع» مغرباً عنها: «نَوَى»^(٤)، وينتهي من عملها إلى أذْرَعَات. ويلي «نَوَى» مغرباً عنها بشمال بلاد الشَّعْرَا^(٥): والولاية بها تكون تارةً في قرية «حَانَ»^(٦) وتارةً في قرية «القيطرة». ويليها مغرباً بشمال «بانياس»: وبها قلعة «الصُّبَيْيَة»، وهي من أجل القلاع، مبنية في أعلى البقاع.

وأعلم أن الأغوار كلّها لهذه الصَّفقة، خلا ما هو مختصّ «بالكَرْك».

ومدينة الغُور المضاف إلى هذه الصَّفقة: «بَيْسَان»، وبها مقرُّ الولاية. وهذه

جملة الصَّفقة القبليّة.

(١) قوله «ثم الصَّلْت» يعني أن يكون الصَّلْت عملاً مستقلاً عن البلقاء وعن عجلون. أما في مسالك الأبصار فقد جعل العمري نفسه الصَّلْت داخلياً في عمل عجلون. قال القلقشندي: والذي رأيته في التذكرة الأمدية نقلاً عن شهاب الدين بن الفارقي أحد كتاب الإنشاء بدمشق في الدولة الناصرية ابن قلاوون يوافق كلام التعريف. قال: وأخبرني بعض كتاب الإنشاء أن المستقر الصَّلْت فقط، والبلقاء مضافة إليها، وعليه يدل كلام أورده القاضي تقي الدين ابن ناظر الجيش في التثقيف.

(صبح الأعشى: ٤/١١٠).

(٢) في طق «الباعونة» بالتاء المثلثة فوق. وهو خطأ.

(٣) بضم الزاي المعجمة وفتح الراء المهملة. وهي بلدة من بلاد حوران، لها عمل مستقل.

(٤) بفتح النون والواو. وهي بلدة صغيرة، عن دمشق من جهة الغرب إلى الجنوب على نحو مرحلة.

(٥) هي عن بانياس شرق بجنوب.

(٦) في طق «خان» بالحاء المعجمة. والصواب بالحاء المهملة.

الصَّفقة الثالثة (الشمالية)

أما الصَّفقة الثالثة وهي المعروفة بالشمالية فحدُّها من القبلة حدُّ ولاية برّ دمشق الشاميّ وبعض الغربيّ؛ ومن الشرق قرية «جُوسِيَّة» التي بين القرية المعروفة «بالْقَصَب» من عمل حِمص وبين القرية المعروفة [بالْفِيحَة] ^(١) من عمل بَعْلَبَك؛ ومن [الشَّمال] ^(٢) «مَرَج الأَسَل» المستقلّ عن قائم الهرمل حيث يمدّ «نهر الأَرُنْكا» ^(٣) - وهو العاصي - والبلاد المفردة لطرابُلس من كل ما تشامَل عن جبل لبنان إلى البحر ^(٤)؛ ومن الغرب ما هو على سَمْت البحر منحدرًا عن صور [إلى] حدِّ ولاية برّ دمشق القِبليّ والغربيّ.

[وتشتمل هذه الصَّفقة على خمسة أعمال]:

الأول (عمل بَعْلَبَك): وبها القلعة الحصينة الجليلة التي هي من أجل مباني الأرض؛ وإنما بُنيت قلعة دمشق على مثالها، وهيئات لا تُعدُّ من أمثالها! وأين قلعة دمشق من قلعة بعلبك؟! وحجارتها تلك الجبال الثوابت، وعُمدتها تلك الصخور الثوابت. - [شعر: البحر البسيط].

قد يبعُد الشيءُ من شيءٍ يُشابههُ إن السماءَ نظيرُ الماءِ في الزرَقِ

وكانت دارُ مُلكٍ موروثه جليلة الذِّكر، نبيهة الشَّان؛ ومن عَشَّها دَرَجُ نجمُ الدين أيوب، والد الملوك الأيوبيّة. ولبعلبك ولاية خاصة بها، ومن مضافاتها ولايتان جليلتان

(١) في طق «اللفيكة» والتصحيح من الصبح. والفيجة قرية بين دمشق والزبداني عندها مخرج نهر دمشق: بردى.

(معجم البلدان: ٢٨٢/٤)

(٢) في طق «الشام».

(٣) في معجم البلدان «الأرند»؛ وهو اسمه قرب أنطاكية عند مصبّه في البحر المتوسط. وهذا النهر يجري قسم منه في لبنان والقسم الآخر في سوريا.

(٤) عبارة صبح الأعشى: «... حيث يمدّ العاصي بطرابلس، وكل ما تشامَل عن جبل لبنان إلى البحر»

وهما عملا البقاعين المعروفين بالبعليكي وبالعزيزي .

الثاني (عمل البقاع البعلبكي): [نسبة إلى بعلبك لقربه منها؛ وليس له مقرٌ ولاية] (١).

الثالث (عمل البقاع العزيزي) (٢): ومقرُّ الولاية به «الكرك» المعروف «بكرّك نوح». وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بعلبك، وهما مجموعتان لوالٍ واحد جليل مُفرد بذاته .

الرابع (عمل بيروت): وهو يصاقب بلاد بعلبك من شامها بقرب؛ وهو عمل جليل . ومدينة بيروت هي الشام (٣)؛ وهي به نظيرُ الإسكندرية بمصر .

الخامس (عمل صيدا): وهي ولاية جليلة واسعة العمل، ممتدة القرى . وهذه جملة الصفقة الشمالية .

الصفقة الرابعة (الشرقية)

وحدها من القبلة قرية «القَصَب» المجاورة لقرية «جُوسِيَّة» المقدم ذكرها، آخذاً هذا الحدّ على «النَّبِك» إلى «القريتين» (٤)، ومن الشرق السّماوة إلى الفرات وينتهي

(١) بين معقوفين ساقط من طق . وقد زدناه من صبح الأعشى نقلًا عن التعريف .

(٢) قال في صبح الأعشى : «وتسميته بالعزيزي نسبة إلى الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين» . - أما في دائرة المعارف الإسلامية : ٣٥٨/٧ فقد جاء : «البقاع العزيز، أو العزيزي، نسبة إلى «العزيز» وهو معبود متصل بإله الشمس؛ وقد نسبت تلك الهضبة إليه لا إلى أحد أبناء صلاح الدين .

(٣) المراد: هي بيروت الشام، أي أنها كانت تابعة لبلاد الشام .

(٤) القرّيتان : قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سُحْتة وأزك، أهلها كلهم نصارى . وبينها وبين تدمر مرحلتان .

(معجم البلدان : ٣٣٦/٤)

إلى مدينة «سَلْمِيَّة»^(١)؛ ولها قلعة تقاربها تعرف بـ «سَمِيمِش»^(٢)؛ ومن الشمال ما بين سَلْمِيَّة إلى الرُّسْتَن؛ ومن الغرب نهر الأُرْنُط وهو العاصي؛ ومدينة هذه الصَّفقة حمص: وهي دارُ مُلْك البيت الأَسدي^(٣)، ولم يزل لملكها في الدولة الأيوبيَّة سطوة تُخاف وبأس يُحذَر. وبها القلعة المصفَّحة، ولا مَنَعَة لها؛ ولها نيابةٌ جليلة وعسكر.

وتشتمل هذه الصَّفقة على ولاية «قَارَا»^(٤): وهي قبليّ حمص، وولاية مدينة حمص نفسها، وولاية سَلْمِيَّة، وولاية تَدْمُر - وهي ما بين القريتين والرَّحْبَة.

وبهذه الصَّفقة مدينة الرَّحْبَة على الفرات، وبها قلعة ونيابة، وفيها بحرية وحيّالة وكشافة وطوائف من المستخدمين. فهذه جملة هذه الصَّفقة الشرقية^(٥)، وبها تمّت الصَّفقات الأربع.

ولم يبقَ من مضافات الشام إلَّا جَعْبَرَة؛ وهي مجدّدة^(٦) البنيان مستجدّة لأنها جدّدت منذ سنوات بعد أن طال عليها الأبد، وأخنى عليها الذي أخنى على لُبْد^(٧).

(١) ضبطها في صبح الأعشى بكسر الميم ثم ياء مثناة مشدّدة. وفي معجم البلدان والقاموس بسكون الميم ثم ياء مثناة مخففة. وفي البكري بكسر الميم ثم ياء مثناة مخففة. قال ياقوت: وأهل الشام لا يعرفونها إلَّا «سَلْمِيَّة» أي بالياء المثناة المشدّدة.

(٢) كذا في ط. ق. وقد وردت في «تشریف الأيام والعصور» للقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر: «شميميس». وقد صوّبها المحقق بقوله «شميميس» Scheumimis.

(تشریف الأيام والعصور: ص ٣٩)

(٣) يعني أسد الدين شيركوه عمّ السلطان صلاح الدين الأيوبي.

(٤) في معجم البلدان وتقوم البلدان: قارة.

(٥) ذكر القلقشندي من أعمال هذه الصَّفقة عمل مِصْيَاف. قال: كانت أولاً مضافة إلى طرابلس ثم أفردت عنها وأضيفت إلى دمشق. وسيأتي العمري على ذكرها في أعمال بلاد طرابلس.

(٦) جدّد بنيانها في أواخر الدولة الناصرية محمد بن قلاوون، كما أشار القلقشندي.

(٧) أي بعد أن درست وانتهت. قال النابغة:

أضحّت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا
أخنى عليها الذي أخنى على لُبْد

و«لُبْد» اسم آخر نسور لقمان بن عاد. ولذلك قصة مشهورة.

(انظر لسان العرب: ٣/٣٨٥ وما بعدها)

وبتمام ذكرها تمَّ ما يُطلق عليه الآن الشَّام في المصطلح على ما يجري على لسان
سلطاننا ويصرِّح به فيما يُكتب عنه .

[القاعدة الثانية من قواعد البلاد الشامية]

(حلب)

ويحدُّها من القبلة المعرَّة وما وقع على سَمَتها إلى الدِّمَنة الخراب والسلسلة
الروميَّة ومجرى القنَّاة القديمة الواقع ذلك كله بين «الجيار» والقرية المعروفة بـ «قبة
ملاعب»؛ ويحدُّها من الشرق البرِّ حيث يحدُّ «بَرْدَى» آخذاً على جبل الثلج ونهر
الجُلَّاب^(١) على أطراف «بالس»^(٢) إلى الفرات دائرة بحدِّها . وبهذا التقسيم تكون
بلاد جَعْبَر داخلة في حدودها . ويحدُّها من الشمال بلاد الروم مما وراء بَهْسَنَى وبلاد
الأرمن مما وراء نهر جاهان^(٣)، ومن الغرب ما أخذ مع بلاد الأرمن على البحر
الشامي .

ولحلب قلاعٌ وولايات . فأما القلاع فهي :

قلعة البيرة^(٤) : وهي التي لا تُماثل ، ولها عسكر ومَنعة ، ولنائبها مكانة جليلة .

قلعة المسلمين : وهي المعروفة بقلعة الروم . كانت مسكناً لخليفة الأرمن ، ولا

(١) وهو نهر بمدينة حرَّان التي بالجزيرة ، مسمى باسم قرية يقال لها جُلَّاب .

(معجم البلدان : ١٤٩/٢)

(٢) باليس مدينة شمالي الشام على الفرات عند تحوُّل النهر من مجراه الجنوبي إلى الشرق . واسمها اليوم
«إسكي مسكين» .

(دائرة المعارف الإسلامية : ١٢٢/٦)

(٣) أو نهر جيحان . وهو الاسم العربي الذي يطلق على Pyramus وهو النهر الشرقي من النهرين اللذين
يخترقان سهول كيليكية . وينبع من نبع فياض غير بعيد من البستان . وهذا النهر يصب اليوم في خليج إلى
الغرب من أياص . وفي عهد المماليك خلع اسمه على البلاد التي انتزعتها الناصر محمد بن قلاوون من
دولة كيليكية الأرمنية والتي عرفت باسم «الفتوحات الجاهانية» .

(دائرة المعارف الإسلامية : ٩٩/١٣ ؛ وصبح الأعشى : ٨٥/٤)

(٤) هي قلعة في البرِّ الشرقي في الشمال عن الفرات ، وإلى الشرق من قلعة الروم .

يزال بها طاغوت الكُفر، فقصدها الملك الأشرف خليل^(١) - تغمّده الله برحمته - ونزل عليها، ولم يزل بها حتى أفتتحها وسماها قلعة المسلمين. وهي من جلائل القلاع.

قلعة الكَحْتَا: وهي ذات عمل متّسع، وعسكر متطوّع مجتمع.

قلعة كَرُكْر: [وهي قلعة حصينة شاهقة في الهواء يُرى الفرات منها كالجدول الصغير. وكانت من أعظم الثغور في زمان التتار]^(٢).

قلعة بَهَسْنِي: وهي الثغر المتاخم لبلاد الدروب^(٣)، والمشتعل جمره في الحروب. به عسكر من التُّركمان والأكراد، ولا يزال لهم آثار في الجهاد. ولناثبها مكانة جلييلة، وإن كان لا يلتحق بنائب البيرة.

قلعة عَيْتَاب: وهي مدينة حسنة. [وبها قلعة حصينة منقوبة في الصخر]^(٤).

قلعة الرَّأُونْدَان: [وهي قلعة حصينة على جبل مرتفع أبيض، ذات أعين وبساتين وفواكه، وواد حسن. ونهرها من تحتها نهر «عِفْرِين»]^(٤)

قلعة الدَّرَبَسَاك: [وهي قلعة حصينة من جند قنسرين شمالي حلب. وبها مسجد جامع، ويمر بها النهر الأسود]^(٤).

قلعة بَغْرَاص^(٥): وكانت ثغر الإسلام في نحر الأرمن حتى استُضيفت الفتوحات الجاهانيّة^(٦). وبها «الرُّصَصُ»^(٦) وهو عضو من أعضائها، وجزء من أجزائها.

(١) الأشرف خليل ابن الملك المنصور قلاوون. خلف والده على السلطنة سنة ٦٨٩ هـ ومكث في الحكم ثلاث سنين. قتل سنة ٦٩٣ هـ (الخطط التوفيقية: ٨٨/١)

(٢) الكلام بين معقوفين من «تقويم البلدان». وقد زدناه للفائدة. إذ أن العمري اقتصر على ذكر اسمها فقط.

(٣) أي بلاد ممرات طوروس. (انظر في ذلك دائرة المعارف الإسلامية: ٥١٤/٧)

(٤) الزيادة من صبح الأعشى. وهي غير منقولة عن التعريف.

(٥) ضبطه السمعاني في الأنساب بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وراء مهملة وألف ثم سين مهملة. قال القلقشندي: والجاري على السنة الناس ضمُّ أوله.

(٦) راجع الصفحة السابقة، حاشية (٣).

(٧) في صبح الأعشى «رُصَصُ». قال: براء مهملة مضمومة وصادين مهملتين الصاد الأولى مفتوحة؛ وهي بلدة على الساحل الرومي.

قلعة القَصِير: وهي لأنطاكية^(١).

قلعة الشُّغْر وبَكَاس: وهما كالشيء الواحد^(٢).

قلعة حَجْر شُغْلَان: [بالقرب من بَغْرَاس شمالي حلب على مسافة قريبة جداً]^(٣).

قلعة أَبِي قُبَيْس: [وهي قلعة حصينة غربي حلب مما يلي الساحل]^(٣).

قلعة شَيْزَر: [وهي من جند حمص غربي حلب، على نحو ثلاث مراحل منها]^(٣).

فهذه جملة قلاعها؛ وهي على هذا الترتيب؛ وإن كانت عَيَّنْتَاب داخلة عن النُّطَاق فإنها في موقعها بين ما ذكر، وبالله التوفيق.

وأما ولاياتها فأجلُّها الغربيات، وهي «سَرْمِين» وما معها. وجملة ولايات حلب هي:

كَفْرِطَاب^(٤)، وفامية^(٥)، وسَرْمِين، والجَبُول، وجبل سِمْعَان، وعَزَاز^(٦)، وتَلِّ باشِر، غير ما في هذه القلاع مما له ولاية مُضافة إليه^(٧).

(١) قال في مسالك الأبصار: وهي قلعة غربي حلب على نحو أربع مراحل منها.

(٢) قال في الصبح: اسمان لقلعتين بينهما رمية سَهْم؛ وهما مَبِينَتَان على جبل مستطيل وتحتهما نهر يجري ولهما رستاق ومسجد جامع. قال في تقويم البلدان: وهما في الجنوب عن أنطاكية.

(٣) الزيادة من صبح الأعشى وهي غير منقولة عن التعريف.

(٤) قال في الصبح: بسكون الفاء - على إضافة كَفْرٍ إلى طاب. وهذا هو الجاري على الألسنة وهو الصواب.

وأصله من الكَفْر وهو التغطية، والمراد مكان الزرع والحرث لتغطية الحب بالزراعة كما في قوله تعالى:

«كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ»، يريد الزَّرَاع. قال: ووقع في كلام صاحب حماة (أي في تقويم

البلدان) بفتح الفاء وهو وهم. قلت: وكذلك ضبطها ياقوت في معجم البلدان.

(٥) ويقال لها أيضاً «أفامية».

(٦) بزاي مكسورة في الآخر. والجاري على الألسنة «أعزاز»

(٧) وقد ذكر في صبح الأعشى - زيادة على ما جاء في التعريف - الأعمال التالية: عمل قلعة حَارِم، عمل

مَنْبِج، عمل تيزين، عمل الباب وبُزَاغَا، عمل دَرْكُوش، عمل أنطاكية، عمل ملطية، عمل دَرْنُدة، عمل

ولمدينة حلب نفسها ولايةٌ برُّ كما لدمشق . وهذه جملة البلاد الحلبية .

[القاعدة الثالثة من قواعد البلاد الشامية]

(حماة)

وحدها من القبلة [مدينة] الرستن وما سامتها آخذاً ما بين «سَلْمِيَّة» و«قَبَّة ملاعب» إلى حيث مجرى النهر (١) والآثار القديمة ؛ وحدها من الشرق البرُّ آخذاً على سَلْمِيَّة إلى ما استقلَّ عن قبة ملاعب ؛ وحدها من الشمال آخر حدِّ المعرَّة من انقراتا (٢) ؛ وحدها من الغرب مضافات مِصِيف وقلاع الدعوة . وليس لها نطاق يدور على غير ولاية برُّها الخاص بها نفسها ، و«بَارِين» و«المعرَّة» .

[القاعدة الرابعة من قواعد البلاد الشامية]

(طرابلس)

وحدها من القبلة جبل لبنان ممتداً على ما يليه من مَرَج [الأسد] (٣) حيث يمتدَّ نهر العاصي ؛ ومن الشرق نهرُ العاصي ؛ ومن الشمال قلاع الدَّعوة ؛ ومن الغرب البحر [الرومي] .

وبلاط طرابلس لها قلاعٌ وولايات .

فأما القلاع فهي : حصن عَكَار - حصن الأكراد : وهو حصنٌ جليل وقلعة

— آياس ، عمل دَبْرَكِي ، عمل طَرَسُوس ، عمل أذنة (أطنة) ، عمل سِرْفَنْدَكَار ، عمل سِيس ، عمل قلعة باري كَرُوك ، عمل كَاوَرَا ، عمل كَوَلَاك ، عمل كِرْزَال ، عمل كُومي ، عمل تَلْ حَمْدُون ، عمل الهارونيتين ، عمل قلعة نجمة ، عمل قلعة حُمَيْص ، عمل قلعة لؤلؤة ، عمل قلعة تامرون ، عمل سنياط كلا ، عمل بلسلوص .

(انظر صبح الأعشى : ١٢٣/٤ - ١٤٤)

(١) المراد نهر العاصي .

(٢) كذا في ط ق . وفي صبح الأعشى : «العرايا» كذا بالإهمال . وفي ضوء الصبح للقلقشندي : «من الغرب» .

(٣) في ط ق «الأسل» . وما أثبتناه من الصبح .

شَمَاء، لا تبعد منها السماء؛ وكانت محلَّ النِّيابة ومقرَّ العسكر قبل فتح طرابلس - وبَلْأَطْنَس - وَصَهْيُون - ثم قلاع الدَّعوة^(١) وهي: العُلَيْقَة، والمَيْنَقَة، والكَهْف، والمرْقَب، والقَدْمُوس، والخَوَابِي، والرُّصَافَة، ومُصَيَاف^(٢): وهي دار ملك هذه القلاع الإسماعيلية، ولها على قُللها الرُّتَب العليَّة.

وأما ولاياتها فهي: أَنْطَرُطُوس، واللادقية، وجبَّة المَيْطَرَة، وبلاد الضَّنين، ومنها بُشْرِيَّة^(٣)، وجبَلَة (وبها مقام إبراهيم بن أدهم^(٤) رحمة الله عليه) وأنْفَة وجُبَيْل^(٥)، وما لعل في تلك [القلاع] مما له ولاية. فهذه جملة البلاد الطَّرَابُلسِيَّة.

[القاعدة الخامسة من قواعد البلاد الشامية]

(صفد)

وحُدُّها من القبلة الغُور حيث جسر الصَّنْبَرَة من وراء طبرية؛ ومن الشَّرَف المَلَّاحَة الفاصلة بين بلاد الشَّقِيف وبين حوَلَة بانياس. ومن الشمال نهر «ليطا»^(٦) ومن الغرب البحر.

وولاياتها: الشَّقِيف؛ وهو الشَّقِيفُ الكبير المسمَّى بشَقِيف أَرْنُون، وهو قلع مَنِيفة مَنِيعة، ولها برُّ له وال - وولاية جِينين - وولاية عَكَّا - وولاية النَّاصِرَة - وولاية

(١) سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية؛ وهو يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهاديَّة؛ وكانوا يعرفون في ديوان الإنشاء بالقُصَاد، وبين العامة بالفداوية.

(٢) كانت في أيام العمري مضافة إلى طرابلس ثم نقلت بعد مدَّة وجيزة إلى دمشق.

(٣) قال في صبح الأعشى: هكذا مكتوب في التعريف. والجاري على الألسنة «بُشْرَاي» بإبدال الهاء ياء مشتق تحت. قلت: ولعلها المعروفة اليوم باسم «بُشْرِي».

(٤) قال الزركلي في «الأعلام»: وإبراهيم بن أدهم أخباره كثيرة وفيها اضطراب واختلاف في نسبه ومسكنه وموتوفاه. ولعل الراجح أنه مات ودفن في «سوفن» حصن من بلاد الروم - كما في تاريخ ابن عساكر. كذلك نقل الزركلي عن المناوي أن إبراهيم بن أدهم مات بالجزيرة سنة ١٦٢ هـ وحمل فدفن بصور (الأعلام: ٣١/١)

(٥) لم يذكرها القلقشندي في أعمال طرابلس.

(٦) هو نهر الليطاني الذي يصب في المتوسط عند منطقة القاسمية في جنوبي لبنان.

صور؛ وبصور كنيسة يقصدها ملوك من البحر عند تمليكهم ليملكوا بها وإلا فما يصح لهم تمليك، وشرطهم أن يدخلوها عنوة: فلهذا لا يزال عليها الرقبة، لذلك وهم على هذا يأتونها مباعثة فيقضون منها ما أرادوا ثم ينصرفون^(١).

[القاعدة السادسة من قواعد البلاد الشامية]

(الكرّك)

ويُعرف بكرّك الشّوبك. وحده من القبلة عقبة الصّوّان. ومن الشرق بلاد البلقاء. ومن الشّمال بحيرة سدّوم، وهي المعروفة بالمنتنة وبحيرة لوط. ومن الغرب تية بني إسرائيل.

والكرّك حصن الإسلام، ومعقله والسلام. بناه الملك العادل ابن أيوب، وشيّد بناءه، ووسّع فناءه؛ وكان ديراً لرهبان عملوا به مراكب ونقلوها إلى بحر القلزم لقصد الحجاز [لأمور سؤلتها لهم أنفسهم]^(٢) فأوقع الله بهم بالعزائم الصّلاحية، والهمم العادلية، وأخذوا، وأمر السلطان صلاح الدين بهم فحملوا إلى منى وذبحوا بها على جمّرات العقبة حيث تُذبح البُدن بها. ولم تنزل الملوك تُعده لمخاوفها، وتدّخر به أموالها، وتخلّف فيه أبناءها. والشّوبك الآن من مضافاته، إلا أن قلعتة أُخلت من لرجال، وسُدّ بابها. ورسم الولاية قائم، ومتوليها يكون من قبل السلطان؛ وهو يراجع من له الحكم في الكرك.

وللكرك ولاية برّ يحكم على بلاده. والبلقاء تارة تُضاف إليه، وتارة لا تُضاف؛ وهي الآن نائبة عنه مع دمشق لا معه.

وأما ما بقي مما أفردته بالذكر ما أتصل بذيل المملكة الحلبية، وهو الفتوحات

(١) على ذكر هذه الولايات الست اقتصر العمري. وزاد القلقشندي عليها ست ولايات أخرى - نقلًا عن العمري نفسه في مسالك الأبصار - وهي: عمل برّصفد - عمل طبرية - عمل تبينين وهونين - عمل غثيث - عمل الشاغور - عمل الإقليم -

(٢) الزيادة من الصبح عن التعريف.

الجاهانية . وأُتيت [بها] هنا إذ لم يكن لها تعلق بمملكة تُذكر فيها، وليست هي من الشامات في شيء، وإنما هي من بلاد الأرمن المسماة قديماً ببلاد «العواصم والثُّغور»^(١) والعهد بفتحها قريب. وجُعِلت نيابة جليلة نحو حمص، وجُعِل أمرُها إلى نيابة الشام؛ ثم جعلت إلى حلب، وأمرُها مزَلزَلٌ حتى الآن.

وحُدَّها من القِبلة البحر، ومن الشرق البلاد الحلبية حيث باب إسكندرونة، ومن الشمال نهر جاهان يفصل بينها وبين بلاد الدُّروب، ومن الغرب الباقي بأيدي الأرمن ومدينتها آياس، وبها عدة قلاع خربت عند الفتح أجُلُّها: كاورًا والبقية ونَجْمة، وتَلَّ حمدون، وحُمَيِّص، والهارونيتان: وهما حصنان بناهما هارون الرشيد. والبقية من بناء^(٢) المأمون.

وبهذا تمَّ ذكر النُّطاق بمصر والشَّامات وما معها من جميع الممالك الإسلامية إلا الحجاز، وهو قطعةٌ من جزيرة العرب، وليس أمرُه بمضبوط، ولا بحفظ الثَّقة مُنوط. وقد تقدَّم في رسوم المكاتبات من تحديد الممالك ما هو المهمُّ المقدم، وفي ذلك غِنَى، واللَّه وليُّ التوفيق بمنَّه وكرمه.

(١) بلاد العواصم والثُّغور: اسم على مسمَى واحد. وهي اسم لناعية. وأول من سماها بذلك هارون الرشيد حين بنى بها مدينة طرسوس سنة ١٧٠ هـ. والذي يظهر أنها سميت بذلك لعصمتها ما دونها من بلاد الإسلام من العدو؛ إذ كانت متاخمة لبلاد الكفر، واقعة في نحر العدو. وذكر السلطان عمان الدين صاحب حماة في تاريخه أن الرشيد في سنة ١٧٠ هـ عزل الثُّغور كلها من الجزيرة وقَسرين وجعلها حيزاً واحداً وسماها: العواصم.

(٢) ذكر في تقويم البلدان أنها من بناء السلطان محمود بن زنكي.

القسم السادس

(في مراكز البريد، والحمام، وهُجُن الثَّلِج والمراكب المُسَفِّرة
به في البحر، والمَنَاوِر والمُحْرِقات)

الباب الأول

في البريد

اعلم أن البريد المحرَّر هو أربعة فراسخ، والفرسخ هو ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي، والذراع أربعة وعشرون إصبعاً، والإصبع أربع شعيرات: ظهْر واحدة إلى بطنٍ أخرى، والشعيرة أربع شعرات من ذنب بغل. فهذا هو^(١) البريد لمعمول عليه كل عمل.

فأما مراكز البريد الموضوعه الآن فإنها ليست على هذا العمل، لتفاوت الأبعاد، ذلَّجات الضرورة إلى ذلك: تارة لبعد ماء، وتارة للأنس بقرية، حتى إنك لترى في هذه المراكز البريديين قدَّر بريد واحد^(٢)؛ ولو كانت على التحرير الذي عليه الأعمال ما كانت تفاوتت.

وقد كان البريد في عهد الأكاسرة والقياصرة، ولكن لا أعرف على أي حالين^(٣) كان، ولا أظنه إلا على المحرَّر، إذ كانت حكمتهم تأبى إلا ذلك.

فأما أوَّل من وضع البريد في الإسلام فمعاوية بن أبي سفيان

(١) ويكون مقدار البريد بالأمطار: ٢٢١٧٦ متراً، أي حاصل ضرب: ٥٥٤٤ متراً (وهو طول الفرسخ) بالعدد أربعة، أي أربعة فراسخ.

(انظر النظم الإسلامية لصبحي الصالح: ص ٤١٧)

(٢) عبارة الفلقشندي التي نقلها عن التعريف: «حتى إنك لترى في هذه المراكز البريد الواحد بقدر بريدين». والذي أثبتناه عبارة ط ق.

(٣) أي هل كان على المقدار المحرَّر المحدد أو كانت مقاديره متفاوتة كما هو الحال في أيام العمري.

- رضي الله عنه - حين استقرت له الخلافة، ومات أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه - وسلّم له ابنه الحسن، وخلا من المنازع، فوضع البريد لتسرّع إليه أخبار بلاده من جميع أطرافها، فأمر بإحضار رجالٍ من دهاقين الفرس وأهل أعمال الروم وعرفهم ما يريد، فوضعوا له البردَ وأتخذوا لها بغالاً بأكفّ كان عليها سفر البريد.

وقيل: إنما فعل ذلك زمنَ عبد الملك بن مروان^(١) حين خلا وجهه من الخوارج عليه: كعمرو بن سعيد الأشدق، وعبد الله بن الزبير، ومُصعب بن الزبير، والمختار بن أبي عبيد. وكان الوليد بن عبد الملك يحمل عليه الفسيفساء - وهو الفصّ المذهب - من القسطنطينية إلى دمشق، حتى صفح منه حيطان المسجد الجامع. [ومساجد] مَكَّةَ والمدينةَ والقدس الشريف. ولم يبقَ منه الآن إلا ما هو بجامع دمشق في الصحن، وبقية بمكة في توسعة المهديّ، قريب باب بني شيبّة ودار العجلة، وإلى الآن به أسم المهديّ، وبقية بقبة الصخرة؛ وأما باقيه فذهب.

ثم لم يزل البريد قائماً، والعمل عليه دائماً، حتى آن لبناء الدولة المروانية أن ينتقض، ولحبلها أن يتيكث، فأنقطع ما بين خراسان والعراق، لانصراف الوجوه إلى الشيعة القائمة بالدولة العباسية. ودام الأمر على هذا حتى انقرضت أيام مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، ومَلِك السفّاح ثم المنصور ثم المهديّ والبريد لا يُشدُّ له سرّج، ولا يلجم له دابة.

ثم إن المهديّ أغزى ابنه هارون الرشيد الروم، وأحبّ أن لا يزال على علم قريب من خبره، فرتّب ما بينه وبين معسكر ابنه برّداً كانت تأتيه بأخباره، وتريه متجدّات أيامه؛ فلما قفل الرشيد قطع المهديّ تلك البرد؛ ودام الأمر على هذا باقي

(١) الذي ذكره العسكري في «الأوائل» أن عبد الملك إنما أحكمه؛ أما الذي وضعه فمعاوية. وذكر عن عبد الملك أنه قال لابن الدّعينة: وليتك ما حضر بابي إلا أربعة: المؤذن، فإنه داعي الله تعالى فلا حجاب عليه، وطارق الليل، فشرّ ما أتى به ولو وجد خيراً لنام، والبريد، فمتى جاء من ليل أو نهار فلا تحجبه، وربما أفسد على القوم سنة حبسهم البريد ساعة، والطعام إذا أدرك، فافتح الباب وارفع الحجاب وخلّ بين الناس وبين الدخول. ثم قال العسكري: ويذكر هذا الكلام عن زياد أيضاً.

مدته ومدّة خلافة موسى الهادي بعده .

فلما كانت خلافة هارون الرشيد ذكر يوماً حُسنَ صنيع أبيه في البرد التي جعلها بينها، فقال له يحيى بن خالد: لو أمر أمير المؤمنين بإجراء البريد على ما كان عليه صلاحاً لمملكه، فأمره به، فقرره يحيى بن خالد ورثبه على ما كان عليه أيام بني أمية، وجعل البغال في المراكز؛ وكان لا يُجهز عليه إلا الخليفة أو صاحب الخبر، ثم آسَمَر على هذا. ولما دخل المأمون بلاد الروم ونزل على نهر البرذون^(١)، وكان الزمان حراً والفصل صيفاً، قعد على النهر ودلّى رجليه فيه وشرب ماءه، فاستعذبه وأستبرده وأستطابه، وقال لمن كان معه: ما أطيب ما شرب عليه هذا الماء؟ فقال كلُّ رجلٍ برأيه، فقال: أطيب ما شرب عليه هذا الماء رطب «إزاز»، قالوا له: يعيش أمير المؤمنين حتى يأتِيَ العراق ويأكل من رطبها الإزاز، فما آسَمَمُوا كلامهم حتى أقبلت بغال البريد تحمل أطفافاً منها رطب إزاز، فأتى المأمون منها فأكل وأمعن، وشرب من ذلك الماء فأكثر، فعجب الحاضرون لسعادته في أنه لم يقم من مقامه حتى بلغ أمنيته، على ما كان يُظنُّ من تعذُّرها؛ فلم يقم المأمون [من مقامه] حتى حُمَّ حُمى حادة كانت فيها مَنيته .

ثم قطع بنو بويه البريد [حين]^(٢) علّوا على الخلافة وغلبوا عليها؛ وإنما أرادوا بقطعه أن يخفى على الخليفة ما يكون من أخبارهم وحركاتهم أحياناً قَصِدِهِم بغداد؛ وكان الخليفة لا يزال يأخذ بهم على بَعْتة .

وجاءت الملوك السلاجقة على هذا؛ وأهمُّ ملوك الإسلام اختلافُ ذات بينهم وتنازُعهم، فم يكن بينهم إلا الرسل على الخيل والإبل^(٣)، في كل أرضٍ بحسبها. فلما أتت الدولة الزنكية أقامت لهذا النَّجَابَةِ^(٤)، وأعدت لها النُّجُب المتخبة .

(١) والبرذون: بليدة من نواحي خوزستان قرب بصتّى .

(معجم البلدان: ٣٨١/١)

(٢) في طق «حتى» وهو خطأ .

(٣) في الصحيح «على الخيل والبغال» .

(٤) أي رجال البريد؛ ويقال أيضاً: البريديّة والبريديون . واحدها بريديّ .

ودام هذا كل زمانها وزمان بني أيوب - رحمهم الله - إلى آخر أيامهم، وسقوط أقدامهم. وتبعها على ذلك أوائل الدولة التركية، حتى صار الملك إلى الملك الظاهر بيبرس - رحمه الله - واجتمع له ملك مصر والشام وحلب إلى الفرات، وأراد تجهيز دولته إلى دمشق فعين لها نائباً ووزيراً وقاضياً و كاتباً للإنشاء. وكان عمي صاحب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب - رحمه الله - هو كاتب الإنشاء، فلما مثل لديه ليودعه أوصاه بوصايا كثيرة أكدها مواصلته بالأخبار وما يتجدد من أخبار التتار والفرنج، وقال له: إن قدرت أن لا تبيّني كل ليلة إلا على خير، ولا تصبّحني إلا على خير فافعل. فعرض له بما كان عليه البريد في الزمان الأول وأيام الخلفاء وعرضه عليه فحسن موقعه منه وأمر به. قال عمي: فكنت أنا المقرّر له قدامه وبين يديه. وحدثني بذلك مفصلاً مطولاً عن عمي جمال الدين عبد الله الدوّاداري البريدي المعروف بأبن الشديد. وهاهو الآن على ذلك. وهو جناح الإسلام الذي لا يُحصّ (١)، وطرف قادمته التي لا تُقص (٢).

وسنذكر مراكز البريد (٣) في الممالك الإسلامية ونبدأ بمصر:

مركز قلعة الجبل

ونقدّم من مصر ما هو من مركز قلعة الجبل المنحروسة إلى نواحيها الخاصة

(١) حصّ الشّعْر: حلقة، والریش: قصّه ونتفه.

(٢) وتابع القلقشندي العرض التاريخي لحال البريد قائلًا: ولم يزل البريد بعد ذلك مستقرًا بالديار المصرية والممالك الشامية إلى أن غشي البلاد الشامية تمرلنك صاحب ما وراء النهر، وفتح دمشق وخرّبها وخرّفه سنة ٨٠٤ هـ، فكان ذلك سبباً لحصّ جناح البريد وبطلانه من سائر الممالك الشامية. ثم سرى هذا السم إلى الديار المصرية فألحقها بالهمل، ورماها بعد الحلي بالمطل، فذهبت معالم البريد من مصر والشام، وعفت آثاره، وصار إذا عرض أمر من الأمور السلطانية في بعض نواحي الديار المصرية أ الممالك الشامية ركب البريدي على فرس له، يسير بها الهويتا سير المسافر إلى المكان الذي يريد، ثم يعود على هذه الصورة، فيحصل بواسطة ذلك الإبطاء في الذهاب والإياب.

(صبح الأعشى: ٤٠٩/٤)

(٣) وهي الأماكن التي تقف فيها خيل البريد لتغيير خيل البريديّة فيها فرساً بعد فرس.

بها، وهي ثلاث جهات: جهة إلى قوص ثم إلى أسوان، وجهة الإسكندرية، وجهة دمياط. ثم نذكر بعدها ما هو من مركز القلعة إلى الفرات - نهاية حدّ الممالك المحروسة من الشرق.

١ - فأما ما هو إلى جهة قوص: فمن مركز القلعة إلى «الجيزة»؛ ثم منها إلى «زاوية [أم]»^(١) حسين» وإلى «مُنيّة القائد» - وهي الآن المركز - ثم منها إلى «وَنَا»^(٢)؛ ثم منها إلى «ببَا»^(٣)؛ ثم منها إلى «دَهْرُوط»؛ ثم منها إلى «أقلوسنا»^(٤)؛ ثم منها إلى «مُنيّة ابن خَصِيب»: وهي مدينة على ضفة النيل، ذات مرأى جميل، وبها مدارس وحمامات وسوق غير قليل، ويقال إنَّ الخَصِيب أيامَ ولايته مصر عمَّرها وأنشأها لابنه وسَمَّاهَا باسمِ ابنه فعرفت به، وبها «رَبِيع الكَرِيمي» مَطْلُ الطاقات على النيل، يفصل بينهما ساحةٌ متوسّطة المساحة، يسرح فيها النظر؛ ثم منها إلى «الأشْمُونِين»: وهي إحدى مدن الصعيد، وبها مقرُّ الولاية كما تقدم؛ ثم عنها إلى «ذُرْوَة سَرَبَام»^(٥)؛ وتُعرف بِذُرْوَة الشريف، نسبةً إلى الشريف حصن الدين بن تغلب^(٦)، فإنها كانت دارَ مقامه، وبها قصوره ودُورُه، وكان قد خرج ومَلَكَ الصَّعيد، وعجز عنه ملوك مصر، وأَمَنَ أيامَ المعزِّ أَيُّك ومن بعده فلم يظفر به، ثم خدعه الظاهر بيبرس ومَنَّاه العَوْضَ بالإسكندرية، فلما أَناب، أَعْلَقَ به الظَّفَر والنَّاب، وجُهِّزَ إلى الإسكندرية لِيتملكها فُشِّقَ على بابها. والذَّرْوَة هذه على ضفَّة النيل وفوهة «بحر المَنهَى» وهو «البحر

(١) ساقطة من ط ق.

(٢) بلدة من عمل البهنسا.

(٣) بيائين مفتوحين. وهي من قرى الصعيد على غربي النيل. قال في معجم البلدان: وبمصر عدة قرى تشبه في الخط وتختلف في اللفظ وهي: ببَا (بالفتح)، وببَا (بفتح الباء ونون) من كورة السَّمْنُود، وتبَا (بتائين مشائين من فوقهما) من كورة المنوقية، وتبَا (بتونين مفتوحين) من كورة البهنسا، وببَا (ببَاء موحدة وباء) في كورة حوف رمسيس. - معجم البلدان: ١/٣٣٣.

(٤) في معجم البلدان وفي الانتصار: «قلوسنا»

(٥) في الانتصار «دروة سرمام» بالبدال المهملة، وميم بدل الباء.

(٦) في صبح الأعشى: «نسبة إلى الشريف ناصر الدين محمد بن تغلب»

اليوسفِيّ» المشتقُّ منه إلى الفيوم، ويُنسَب عمله إلى يوسف عليه السلام؛ ثم منها إلى «مَنْفُلُوط»: وهي من مدن الصعيد، وأجَلٌ خاصٌّ^(١) السلطان؛ ثم منها إلى «أَسْيُوط»: وهي من مدن الصعيد وأحسنها جباية وظاهراً؛ ثم منها إلى «طِمَا»؛ ثم منها إلى «المَرَاغَة» وربما سَمَّيت «المرائع»؛ ثم منها إلى «بَلْسُبُورَة»^(٢) وبعضهم يُبدل السين زايًا؛ ثم منها إلى «جَرَجَا»^(٣)؛ ثم منها إلى «البُلَيْنَة»^(٤)؛ ثم منها إلى «هَو» ويليهما «الكَوْم الأَحمر»: وهما من خاصِّ^(١) السلطان، وعندهما ينقطع الرِّيف في البرِّ الغربي، ويكون الرمل المتصل «بَدَنْدَرَا» ويسمَّى «خَانِق»^(٥) دَنْدَرَا؛ ثم من «هَو» هذه إلى «قُوص»؛ ثم من «قُوص» يركب البريد الهُجْنَ إلى «أَسوان» وإلى «عَيْذَاب»، ثم إلى «النُّوبَة» أو إلى «سَوَاكِن» على ما يكون^(٦).

٢ - أما إلى الإسكندرية فالمراكز إليها في طريقتين.

- فالوسطى تشقُّ العامِرَ الأهل، وهي من مركز القلعة المحروسة إلى «قَلْيُوب»؛ ثم منها إلى «مُنُوف»؛ ثم منها إلى «المحلَّة» وهي «محلة المرحوم»^(٧) مدينة الغربية؛ ثم منها إلى «النَّحْرِيْرِيَة»^(٨)؛ ثم منها إلى الإسكندرية.

- والطريق الأخرى وهي الآخذة على البرِّ وتسمَّى طريقَ الحَاجِر، وهي من مركز

(١) في طق «خالص» وهو خطأ. والمراد أنها من أملاك السلطان. وكان لأملاك السلطان والنواحي التابعة له ديوان يعرف بديوان الخاص.

(٢) وفي الانتصار: «بلسفورة». وهي من أعمال إخميم.

(٣) في طق «جرجة». وما أثبتناه يناسب رسم الصحيح والانتصار.

(٤) ويقال فيها «البُلَيْنَا» بإبدال الهاء ألفاً. وهي بلدة من عمل قوص.

(٥) في صبح الأعشى: «خان دندرا»

(٦) قال في صبح الأعشى: ومن أراد المسير من قوص إلى جهة أسوان ركب الهجن من قوص إلى أسوان ثم منها إلى بلاد النوبة. ومن أراد المسير إلى عيذاب سار من قوص إلى «كيمان قُفْط» على القرب من قوص.

(٧) قال القلقشندي: لقد وهم صاحب التعريف فسَمَّى قاعدة الغربية بمحلة المرحوم؛ وإنما محلة المرحوم -

وهي بلدة من بلاد الغربية أيضاً - هي غير المحلَّة الكبرى.

(٨) النَّحْرِيْرِيَة، بالنون الموحدة وليس بالثاء المثناة فتنبه.

القلعة إلى الجيزة؛ ثم منها إلى «جزيرة القِطِّ»^(١)؛ ثم منها إلى «وَرْدَان»؛ ثم منها إلى «الطَّرْانة»؛ ثم منها إلى «زاوية مُبَارَك» وأهل تلك البلاد تقول: «أَنْبَارَك»^(٢)؛ ثم منها إلى «دَمَنهور الوحش» مدينة أعمال البحيرة؛ ثم منها إلى «لُوقين»؛ ثم منها إلى الإسكندرية.

٣ - وأما طريق دِمِيَاط فتشعّب من «السَّعيدية» الآتي ذكرها في المراكز الآخذة إلى الفرات، وقاصدها يسلك من القلعة في المراكز الآتي ذكرها إلى السَّعيدية، ثم منها إلى «أشُموم الرَّمَان» ثم منها إلى دِمِيَاط. وبهذا تمّ ذكر المراكز الخاصة بالديار المصرية.

وأما المراكز الآخذة من قلعة الجبل المحروسة إلى الفرات فمنها إلى «سِرْيَاقُوس»^(٣) - وكان قبل هذاب «العُشَّ» وكان طويل المدى في مكان منقطع، وكان لا يزال تتشكّى منه البريديّة فصلح بنقله، وحصل به الرفق لأمرٍ لو لم يكن منها إلا قرُبُه من الأسواق المجاورة للخانقاه^(٤) الناصرية وما يوجد فيها، وأنسُه بما حوله [لكفى]^(٥)؛ ثم منها إلى «بئر البيضاء» ثم منها إلى «بُلْبَيْس» وهي آخر المراكز التي لخيل السلطان، وهي الخيل التي تُشترى بمال السلطان، ويُقام لها السُّوَّاس والعلوفات، ثم مما يليها خيل البريد المقرّرة على عُربان ذوي إقطاعات عليها خيول موظفة مُحضَر في هلال كل شهر إلى مراكز أصحاب النوبة، فإذا أنسلخ الشهرُ جاء غيرهم، وهم لهذا يُسمَّون خيَل الشَّهارة. وعلى الشَّهارة والٍ من قِبَل السلطان يستعرض في رأس كل

(١) هي قرية من آخر عمل الجيزة من الجهة البحرية. وهي ليست بالجزيرة المحاطة بالماء كما يوهم اسمها.

(٢) ويقال لها أيضاً «طيلاس» كما في الصبح، و«طملاس» كما في الانتصار.

(٣) بلدة من ضواحي القاهرة.

(٤) الخانقاه: كلمة فارسية معناها بيت. وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك. والخوانق

حصلت في الإسلام في حدود الأربعمئة من الهجرة وجعلت لتخل الصوفية فيها لعبادة الله.

(انظر خطط المقريري: ٢/٤١٤)

(٥) هذه الزيادة ضرورية لتتيمم المعنى.

شهر خيَل أصحاب النُّوبَةِ فيه، ويُدوِّعُهَا بالدَّاعِ^(١) السلطانيّ. وما دام أنها تستجدّ فهي قائمة، فمتى أكثرى أهل نوبَةٍ ممن قبلهم تلفت المراكز، إذ كان لا [يهيَلُ الشَّهْر]^(٢) وفي خيَلِ الْمُنْسَلِخِ قوَّة، لا سيَّما والعرب قَلَّ أن تَعْلِفَ. وأوّل هذه المراكز «السَّعِيدِيَّة»؛ ثم منها إلى «الْحَطَّارَةَ»؛ ثم منها إلى «قبر الوائلي» وقد أسْتَجَدَّ به أبنية [وأسواق]^(٣) وبساتين حتى صار كأنه قرية؛ ثم منها إلى «الصَّالِحِيَّة» وهي آخر معمر الدير المصري؛ ثم بئر «غزي»^(٤) وماؤه مجلوبٌ من بئر وراءه؛ ثم منها إلى «القُصَيْر» وقد كان كريم الدين وكيلُ الخاصِّ الناصري بنى بها خاناً ومسجداً ومثدنة، وعمل ساقيةً، فنهَدَم ذلك كله، ولم يبقَ له من يجدِّده، وبقيت المثدنة، وقد رُتِب لها زيت للتنوير. وهذا «القُصَيْر» يقارب المركز القديم المعروف «بالعاقولة» المقارب لقنطرة الجسر الجاري تحتها فواضِلُ ماء النيل أوانَ زيادته إذا خرج إلى الرمل؛ ثم منها إلى «حَبوَّة» ولا ماء لها، ولا بناء بها، وإنما هي موقف تقف بها خيَلُ العرب الشَّهارة، ويُجلب إليها الماء من بئر وراءها؛ ثم منها إلى «الغرابي»؛ ثم منها إلى «قَطِيَا»^(٥)؛ ثم منها إلى «صَبِيحَةَ نَحْلَةَ مَعْن» ومن الناس من يقتصر على إحدى هذه الكلمات في تسميتها؛ ثم منها إلى «المُطَيْلِب»؛ ثم منها إلى «السَّوَادَةَ» - وقد حوِّلت عن مكانها الأوّل فصار المسافر لا يحتاج إلى تعريج إليها؛ ثم منها إلى «الورادة» وهي قرية صغيرة وبها المسجد الأشرفي على قارعة الطريق، بناه الملك الأشرف خليل - تغمَّده الله برحمته - وبه رِفْقٌ للمارة، وهو مأوى لمبيت السَّفَّارَةِ. وقد كان فخر الدين كاتبُ المماليك بنى إلى جانبه رباطاً بيع بعده؛ ثم منها إلى «بئر القاضي» وهذا المدى

(١) الدَّاعُ: كلمة فارسية، تجمع على داغات. والداع السلطاني هو علامة السلطان أي خاتمه.

(التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ١٣٢)

(٢) في طق «يهيل» والتصحيح من الصبح.

(٣) في طق «وسواقي». وما أثبتناه من الصبح.

(٤) في صبح الأعشى: «بئر عفري» وفي الموسوعة الفلسطينية ١/٣٨٩: «بئر غدي»

(٥) قال في الصبح: وهي قرية صغيرة بها تؤخذ المرتبات السلطانية من التجار الواردين إلى مصر والصادرين

عنها، وهناك رملٌ بالطريق يُختم في الليل ويحفظ ما حوله بالعربان حتى لا يمر أحد ليلاً. فيكون من

القاهرة إلى قطيا اثنا عشر بريداً.

بينهما طويل جداً يَمَلُّهُ السَّالِكُ؛ ثم منها إلى «العريش» وقد أحسن كريم الدين - رحمه الله - بعمل ساقيةٍ سبيلٍ به، وبناء خانٍ حصين فيه يأوي إليه من ألجأه المساء، وينام فيه آمناً من طوارق الفرنج؛ ثم منها إلى «الخروبة» المقدّمة الذكر، وبها الساقية والخان المذكوران فيما تقدّم بناهما فخر الدين كاتب الممالك - رحمه الله - وحكمه في تحصين السّفارة حكمُ الخان الكريمي بالعريش؛ وهذا آخرُ مراكز العرب الشّهارة، ثم مما يليها خيلُ السلطان ذوات الإصطبلات والخدمة تُشترى بمال السلطان [وتُعَلَّف] (١) منه، وأولها «الرّعقة» ثم منها إلى «رَفَح» ثم منها إلى «السّلقة» وكان قبل هذا البريد «بئر طرنطاي» حيث الجُمُزُ ويسمى سطر. وكان في نقله إلى «السّلقة» المصلحة؛ ثم من «السّلقة» إلى «غزة» (٢).

مراكز غزّة

[والذي يتفرّع عنه مراكز ثلاث جهات، وهي: الكرك، ودمشق، وصفد].

١ - [فأما الطريق إلى الكرك] فمن غزّة إلى «مَلّاقِس» وهو مركز بريد؛ ثم من «مَلّاقِس» إلى بيت جبريل وهو بلد الخليل عليه السلام؛ ثم منها إلى «جنبنا»؛ ثم منها إلى «الصّافية» ثم منها إلى «الكرك».

٢ - ومن قصد من غزّة دمشق أتى «الجينين» وهو مركز بريد؛ ثم أتى «بيت داراس» (٣) وبها خانٌ بناه ناصر الدين الخزندار التُّكُزِّي، وكان قديماً «بياسور» وكان طويل المدى وكانت المصلحة في نقله؛ ثم منها إلى «قطرة» (٤) وهو مركز مستجد، وهناك بئر سبيل وآثار لطاجار الدّوّادار الناصري، وهو كان المشير بتجديد هذا المركز،

(١) في ط ق «وتكلف» والتصحيح من الصبح.

(٢) في صبح الأعشى: ثم من السّلقة إلى الدّروم، ثم منها إلى غزّة. ويكون من قطيا إلى غزّة أحد عشر مركزاً.

(٣) في ط ق «دارس» وفي صبح الأعشى «دارس» والذي أثبتناه من الموسوعة الفلسطينية. قال الفلقشندي: والناس يقولون: تدارس.

(٤) في الصبح «قطري» وفي ط ق «قطري» والذي أثبتناه من الموسوعة الفلسطينية.

وحصل به رِفْقٌ عظيم لُبْعِد ما بين «لُد» وبيت داراس أو ياسور؛ ثم منها إلى لُد، ثم منها إلى «العَوْجَا» وهي زُوراء عن الطريق لو نُقلت منه لكان أرفق؛ ثم منها إلى «الطَّيرَة» وبها خان كان شرع فيه ناصر الدين الدوادار التُّنكزيّ ثم كمل بيد غيره؛ ثم منها إلى «قاقون» ثم منها إلى «فَحْمَة» ثم منها إلى «جيينين» وهي على صفد. وقد عمّر طاجارُ الدوادار بها خاناً جميل البناء جليل النِّفَع ليس على الطريق أحسن منه ولا أَحصَن، ولا أزيد نفعاً منه ولا أزيَن.

٣ - وَمَنْ قَصَدَ مِنْهُ ^(١) صَفَدَ أَيْ [تَبَيَّنَ] ^(٢) ثُمَّ إِلَى حِطَّيْنٍ وَبِهَا قَبْرُ شَعِيبِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ثُمَّ مِنْهَا إِلَى صَفَدٍ.

ومن قصد دمشق توجّه منها ^(١) إلى «ذُرْعَيْن» ^(٢) [ومنها] ينزل على درب «عين جالوت» ماراً عليها وهي مركز مستجدٌ حصل به أعظم الرِّفْق والراحة من العقبة التي يسلك عليها بين جيينين وبيسان مع طول المدى؛ ثم من «ذُرْعَيْن» إلى بيسان ومنها إلى «المَجَامِع» وهو مركز مستجدٌ كنتُ المشير به، وهو عند جسر أسامة ^(٤) حصل به الرفق لُبْعِد ما كان بين بيسان وزُحُر، وقد كانت الطريق قديماً من بيسان على «طَيِّبَة» ^(٥) إلى «أزبد» وكانت غايةً في المشقّة، وكان المسافر ما بين بيسان وطَيِّبَة يحتاج إلى خوض الشريعة ^(٦) وبها معدّيّة للفارس دون الفرس، وإنما يعبر الفرس سباحةً؛ وكان في هذا من المشقّة ولا سيّما أيام زيادة الشريعة وكَلَبِ البَرْد ما لا يوصف: لقطع الماء، ومعاونة العُقَاب ^(٧) التي لا يشقُّها جناحُ العُقَاب، وإنما الأمير الكبير كافلُ الشَّامِ الطَّنْبغا - رحمه الله - نقل هذه الطريق وجعلها على «القَصِيرِ المُعِينِي» ^(٨) حيث هي اليوم، ونقل

(١) أي من مركز جيينين

(٢) في ط ق «نين» وهو خطأ. وتبين بلدة في جنوبي لبنان على تلة مرتفعة عليها قلعة حصينة من بناء الصليبيين.

(٣) كذا في ط ق وفي الصبح. وفي الموسوعة الفلسطينية «زرعين».

(٤) ويعرف حالياً بجسر المجامع.

(٥) ذكرها في صبح الأعشى باسم «طيبة أسم».

(٦) هونهر الأرون.

(٧) جمع عقبة.

(٨) في الصبح «القصير» فقط. وفي ط ق «القصير العيني» وهو خطأ؛ والصواب ما أثبتناه؛ وهو منسوب إلى

المركز من الطَّيِّبَةِ إِلَى «زَحْر» حين غرق بعضُ البريديَّةِ الجبليين بالشَّريعة - لا نسيَّ اللهُ ذلك لفاعله - ولما بُعثتُ من الأبواب السلطانية إلى الشام سنة إحدى وأربعين وسبعمائة استَطَلَّت المدى ما بين بيسان وزَحْر فأشرتُ بتجديد هذا المركز فاستجدَّ؛ ثم من هذا المركز إلى «زَحْر»؛ ثم منها إلى أَرْبَد؛ ثم منها إلى «طَفْس»؛ ثم منها إلى «الجامع» وكان قديماً بالمكان المسمَّى «برأس الماء» فلما ملكه الأمير الكبير كافلُ الشام تُتَكَز - رحمه اللهُ - نقل المركز منه إلى هذا الجامع فقرب به المدى ما بينه وبين «طَفْس» وكان بعيداً فما جاء إلا حسناً؛ ثم منها إلى «الصَّنمين»؛ ثم منها إلى «عَبَّابِغ»؛ ثم منها إلى «الكُسوة»؛ ثم منها إلى دمشق المحروسة .

[في ذكر مركز دمشق وما يتفرَّع عنه من المراكز]

ومن دمشق تتشعب المراكز: فمن أراد منها طريق البيرة أو الرَّحبة اللتين هما آخر حدِّ الممالك الإسلامية من الشرق أتى منها القَصِير؛ ثم منها إلى القطيفة . ثم منها الافتراق:

- فطريق البيرة: منها إلى القَسَطَل؛ ثم منها إلى «قارا»؛ ثم منها إلى «بريج العطش» وقد كان مقطوع طريق وموضع خوف، فبنى به قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس [أحمد بن صَصْرَى] ^(١) التغلبي - رحمه اللهُ - مسجداً وبركةً، وأجرى الماء إلى البركة من مِلْكٍ كان له هناك وقفه على هذا السبيل، فبدل الخوف أماناً، والوَحْشة أنساً - لا نسيَّ اللهُ له ذلك - ثم منها إلى «الغسولة» ومنها تشعب طريقٌ إلى طرابلس على «القَصَب» سيأتي ذكرها؛ [ثم من الغسولة إلى «سُمنين» ومنها إلى حمص] ^(٢) ثم من حمص إلى الرُّسْتَن؛ ثم منها إلى حماة؛ ثم منها إلى «لَطْمين»؛ ثم منها إلى

= معين الدين . وقد قال: المعيني لتمييزه عن «القصير» الذي بمصر .

(انظر معجم البلدان: ٣٦٧/٤)

(١) في طق «لعهد ابن حصري». وفي الأعلام: هو أحمد بن محمد بن سالم، أبو المواهب، نجم الدين ابن صَصْرَى: قاضٍ من الكتاب . توفي سنة ٧٢٣ هـ .

(٢) الزيادة من صبح الأعشى .

طرابلس؛ ثم منها إلى «المعرّة» ثم منها إلى «أنقراتا»؛ ثم منها إلى «إياد»؛ ثم منها إلى قِنَسْرِين؛ ثم منها إلى حلب؛ ثم منها إلى «الباب»؛ ثم منها إلى «السَّاجور»؛ ثم منها إلى البيرة: وهي في البرّ الشرقي. والبيرةُ أجلُّ قلاع الإسلام، وعقائل المعائل التي لم تُفترع على طول الأيام.

- ومن أراد الرّحبةَ فطريقه من القَطِيفَة المقدّمة الذكر على «العَطنة» وليس بها مركز، وإنما بها خانٌ تُفرَّق به صدقة من الخبز والأحذية ونعال الدّواب؛ [ثم] إلى «جُلَيْجِل»؛ ثم منها إلى «المصنَع»؛ ثم منه إلى «القريتين»؛ ثم منها إلى «الحسير» ومنها إلى «البيضاء»، ومنها إلى «تَدْمُر» وهي المدينة الغربية البناء المنسوبة إلى عمل الجنّ؛ ومنها إلى «أرك»؛ ومنها إلى «السُّخنة»؛ ومنها إلى «قُبَاب» ومنها إلى «كُوَائِل»^(١) وهي اليوم عُظْل؛ ثم منها إلى الرّحبة، وهي البيرة المقدّمة الذكر آخرُ الحدِّ الشرقي كما تقدم.

وأما ما يتشعب من المراكز من دمشق فمنها إلى «بريج الفلوس» إلى «أرْبِينَة» إلى «لغران» إلى صَفْد.

- ومن دمشق إلى خان^(٢) ميسلون إلى «زُبْدَان»^(٣) إلى الحُصَيْن إلى بيروت.

- ومن خان ميسلون المذكور إلى جَزِين إلى صيدا.

- ومن خان مَيْسَلُون أيضاً إلى كَرْك نُوح - عليه السلام - مقرّ ولاية البقاع، ثم منها إلى بَعْلَبَك إن أراد. وأعلم أنّ بين صيدا إلى بيروت قدْرُ مركز لمن أراد.

- ومن دمشق إلى الزُّبْدَانِي إلى بَعْلَبَك.

- ومن أراد من بعلبك حِمَصَ توجّه منها إلى «القَصَب» [ثم] إلى الغَسُولَة.

في ط ق «كُوَائِل» وهو خطأ.

(٢) في الصبح: إلى ميسلون.

(٣) في ط ق «زبدل». والتصحيح من الصبح.

- ومن أراد منها^(١) طرابلسَ توجَّهَ منها إلى القَصَبِ؛ ثم منها إلى «قَدَس»؛ ثم منها إلى «أَقَمَار»؛ ثم منها إلى «الشَّعْرَاء» ثم منها إلى «عرقا» ثم منها إلى طرابلس. ومن دمشق إلى طرابلس ركوبُ مراكزِ حِمَصَ إلى الغَسُوْلَةِ المقدَّمةِ الذِّكْرُ ثم إلى القَصَبِ ثم ما ذكِرَ.

- ومن دمشق إلى «جَعْبَر» مراكزُ حمص، ثم من حمص إلى «سَلْمِيَّة» ثم منها إلى «بُعَيْدِيْد»؛ ثم منها إلى سوريا؛ ثم منها إلى «الحَصَّ»^(٢) ثم منها إلى جَعْبَر.

- ثم مَنْ أراد من جَعْبَر «رَأْسَ العَيْن» توجَّهَ من جَعْبَر إلى «عَيْنِ بَدَال» ثم منها إلى «صَهْلَان» ثم منها إلى «الخَابُور» ثم منها إلى رَأْسِ العَيْنِ

- ومن دمشق إلى مِصْيَافٍ: المراكزُ [المذكورة] إلى حمص، ثم من حمص إلى مِصْيَافٍ.

- ومن دمشق إلى الكَرْكِ: المراكزُ [المذكورة] إلى «طَفْس» ومنها إلى «القنِيَّة» ومنها إلى «البرج الأبيض» ومنها إلى «حُسْبَان» ومنها إلى «ديباج» ومنها إلى «اكريَّة»^(٣) ومنها إلى الكَرْكِ.

- ومن دمشق إلى مركز ولاية الولاية بالصَّفْقَةِ القبلية: المراكزُ إلى «طَفْس»، ثم منها إلى أذِرْعَاتٍ.

فهذه جُمْلَةُ مراكزِ دمشق إلى كلِّ جهة؛ فأما مقدارُ الولاياتِ فمن كلِّ واحدةٍ إلى ما يليها، حتى يتوصَّلَ المسافرُ على البريدِ إلى حيثُ أراد.

(١) أي من الغسولة.

(٢) في طق «الحَصَّ» بالخاء المعجمة، وهو خطأ. والحَصَّ بالمهملة موضع بنواحي حمص. والحَصَّ بالمعجمة قرية قرب القادسية.

(انظر معجم البلدان: ٢/٢٦٣ و ٣٧٥)

(٣) كذا في طق. وهي ساقطة من مخطوطة صبح الأعشى، وقد زادها المحقق بهذا الرسم عن أصل التعريف الذي أخذنا عنه. ولعلها «الكَرْيَّة» - انظر معجم البلدان: ٤/٤٥٩.

مراكز حَلَب

وقد ذكرنا ما هو منها إلى «البيرة» وهي أجلُّ ثغورها، وعليها مدرجة جمهورها.

- فأما ما سواها فمن حَلَب إلى «السموقة» ثم منها [إلى] «سندار»^(١)؛ ثم منها إلى «بيت الفار»؛ ثم منها إلى «عَيْتَات» ثم منها إلى «بَهْسَنَى».

- ثم منها يدخل إلى جهة «قَيْسَارِيَّة» والبلاد المعروفة الآن ببلاد الروم، وهي بلاد الدروب. وقد آستضفنا^(٢) في هذا الحين القريب منها إلينا: قَيْسَارِيَّة ودرَنْدَة، وإنما المستقرُّ المعروف أن آخر حد الممالك الإسلامية من هذه الجهة: بَهْسَنَى.

- وأعلم أن من «عَيْتَات» إلى «قلعة المسلمين» إلى جسر الحجر. ثم إلى الكُخْتَا، وهي آخر الحد من الطرف الآخر^(٣).

- ومن حلب إلى «أَرْحَاب»، ومنها إلى «تَيْزِينَ»، ومنها إلى «يَعْرَا»، ومنها إلى «بَغْرَاص» وهي كانت آخر الحد مما يلي بلاد الأرمن؛ وقد آستضفنا نحن في هذا الحين ما آستضفنا فصار من «بَغْرَاص» إلى «باياس» وهي أوَّل جيل الأرمن، ثم إلى آياس: وهي الآن مدينة الفتوحات الجاهانية المستضافة.

- ومن حلب إلى «الجَبُول»؛ ثم منها إلى «بَالِس»؛ ثم منها إلى «جَعْبَر». فهذه جملة مراكز حلب. وأما بقايا القلاع ومَقَارُّ الولايات فمن شُعَب هذه الطرق أو من واحدة إلى أخرى.

مراكز طرابُلُس

- اعلم^(٤) أن من طرابلس إلى «مَرْقِيَّة»؛ ثم منها إلى «بِلْنِيَّاس»^(٥) ثم منها إلى

(١) في الصبح «سندرا».

(٢) يعني أهل الممالك الإسلامية.

(٣) الجملة غير تامة، فهو لم يذكر خبر «أن». ومراده أن الطريق إلى قلعة المسلمين: من عيتاب إليها، أي

قلعة المسلمين، ثم إلى جسر الحجر. الخ.

(٤) يجري الكلام هنا على طريق اللادقية.

(٥) في ط «بِلْنِيَّاس». وهو خطأ.

اللَّذْقِيَّة: وهي مدينة ذات ميناء يقال إنه ليس على البحر أحسن منه؛ وقد كان كريم الدين همَّ بعمارته وإدارته فعاجله ما سبق بُنِّه عليه الكتاب، وصرف عنه وقد وضع رجله إليه في الرِّكاب.

- ثم من اللَّذْقِيَّة إلى «صِهْيُون»: وهي قلعة جليلة وكانت دار متملِّك^(١)، وإليها تحيَّز الملك الكامل سُنفَرُ الأشقر، إذ كسر بعد ملك ما بين العريش والفرات، وقد كان المظفرُ بيبرس الجاشنكير - بعد عود سلطاننا وأخذ غصبيته من يده - قد سأل في تَرْكِهِ بصهيون.

- ثم من صهيون إلى «بَلَّاطُنْس»: وهو من مشاهير القلاع. ومن شاء فمن صهيون إلى «بَرْزِيَه»: وهو حصن سمِّي باسم من عمره أو عُرف بملكه. ومن شاء فمن بَلَّاطُنْس إلى [العُلَيْقَة]^(٢) أول قلاع الدَّعوة مما يلي بلاد طرابلس؛ ثم منها إلى «الكَهْف»؛ ثم منها إلى «القُدْمُوس»؛ ثم منها إلى «الخوابي»؛ ثم منها إلى «الرِّصَافَة»، ثم منها إلى «مِصْيَاف». فهذه جملة مراكز طرابلس. فأما مَقَارُ الولايات فمن واحدة إلى أخرى. ويتمام ذكر ذلك تمَّ ذِكْرُ جميع مراكز البريد بالممالك المحروسة.

فأما من أطراف ممالكنا إلى حضرة «الأردو»^(٣) حيث هو مُلك بني هولاكوف لهم مراكز تسمَّى: خيل الأولاق وخيل الياق يُحمل عليها، ولكنها لا تشتري بمال السلطان، ولا تُكلَّف منه^(٤)، وإنما هي على أهل تلك الأرض نحو مراكز العرب في رمل مصر ونحو ذلك.

(١) في صبح الأعشى: «دار مُلك». وأظن الصواب ما ورد في طق، والذي أثبتناه هنا. ذلك أن العمري وسائر كتاب ذلك العصر كانوا يميزون بين «الملك» و«التملِّك». فالتملِّك هو الذي يستطيع أن يغتصب ناحية ما من نواحي ديار المسلمين أو يسترجعها منهم بالقوة، كما كان الحال مع متملِّك سيس.

(٢) في طق «القلية» وهو خطأ.

(٣) أردو: لفظ مغولي معناه: المعسكر. وقد استعمل في المراجع العربية والفارسية في هذا العصر للدلالة على معسكر إيلخان الدولة المغولية بفارس.

(٤) في الصبح: «ولا يكلفُ ثمنها». ولعلها: «ولا تُعلَّفُ منه» أي من مال السلطان.

الباب الثاني

في مراكز الحمام (١)

وأول ما نقول إنه نشأ من بلد الموصِل، وحافظ عليه الخلفاء الفاطميون بمصر وبالغوا حتى أفردوا له ديواناً وجرائد بأنساب الحمام؛ وللفاضل محيي الدين بن عبد الظاهر في ذلك كتاب سمّاه: «تمائم الحمام» (٢).

فأما أول من أعتنى به من الملوك ونقله من الموصِل فهو الشهيد نور الدين محمود بن زنكي - رحمه الله - سنة ٥٦٥ هـ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَمَامَ بِمِصْرَ قَدْ أَنْقَطَعَ تَدْرِيجُهُ بِالْوَجْهِ الْقَبْلِيِّ، وَقَدْ كَانَ مُتَصِلًا إِلَى قَوْصٍ وَأُسْوَانَ وَعَيْدَابَ، وَلَمْ يَبْقَ الْآنَ مِنْهُ إِلَّا مَا هُوَ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَمِنْ الْقَاهِرَةِ إِلَى دِمْيَاطَ، وَمِنْ الْقَاهِرَةِ إِلَى السُّوَيْسِ، وَمِنْ الْقَاهِرَةِ إِلَى بُلْبُيْسِ مُتَصِلًا بِالشَّامِ.

وَمِنْ بُلْبُيْسٍ أَيْضًا إِلَى الصَّالِحِيَّةِ، وَمِنْ الصَّالِحِيَّةِ إِلَى قَطِيَا، وَمِنْ قَطِيَا إِلَى الْوَرَادَةِ، وَمِنْ الْوَرَادَةِ إِلَى غَزَّةَ.

وَمِنْ غَزَّةَ إِلَى بَلَدِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَمِنْ غَزَّةَ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ؛ وَمِنْ غَزَّةَ إِلَى نَابُلُسَ.

(١) ويقال فيها: مطارات الحمام الرسائلي.

(٢) وقد سبقه إلى التصنيف في ذلك: أبو الحسن بن مُلَاعِبِ الْفَوَارِسِ الْبَغْدَادِي، فَصَنَّفَ فِيهِ كِتَابًا لِلنَّصَابِ لِدِينِ اللَّهِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ بِبَغْدَادَ، وَذَكَرَ فِيهِ أَسْمَاءَ أَعْضَاءِ الطَّائِرِ وَرِيَاشِهِ، وَالْوَشُومَ الَّتِي تَبُوسَمُ فِيهَا كَعْضُوهُ، وَأَلْوَانَ الطُّيُورِ، وَمَا يَسْتَحْسِنُ مِنْ صِفَاتِهَا، وَكَيْفِيَّةَ إِفْرَاحِهَا، وَبَعْدَ الْمَسَافَاتِ الَّتِي أُرْسِلَتْ فِيهَا قَالَ الْقَلْقَشَنْدِيُّ: وَأَظُنُّ أَنَّ كِتَابَ ابْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ نَتِيجَةٌ عَنْ مَقْدَمَتِهِ.

ومن غَزَّةَ إلى لُدِّ، ومن لُدِّ إلى قاقون، ومن قاقون إلى جينين، ومن جينين إلى صَفْد، ومن جينين إلى بَيْسَانَ، ومن بَيْسَانَ إلى أُرْبَد، ومن أُرْبَد إلى طَفْس، ومن طَفْس إلى الصَّنَمِين، ومن الصَّنَمِين إلى دمشق.

ومن كل واحدة من هذه المراكز إلى ما جاورها من المشاهير: مثل من بَيْسَانَ إلى أَدْرِعَات، ومن طَفْس إليها لإشعار والي الولاية.

ثم من دمشق يسرح الحمامُ إلى بعلبك، ويسرح إلى قارا، ويسرح إلى القَرَيْتَيْن.

ثم من قارا إلى حمص، ومنها إلى حماة، ومنها إلى المعرَّة، ومنها إلى حلب ومن حلب إلى البيرة، وإلى قلعة المسلمين، وإلى بَهَسْنَى، وإلى بقية ماله شأن مما حولها.

ثم من القريتين إلى تَدْمُر، ومنها إلى السُّخْنَةَ، ومنها إلى قُبَابِ، ومنها إلى الرَّحْبَةِ. وقد تعطل الآن تدريج السُّخْنَةَ إلى قُبَابِ، وإنما صار يسوق ببطاق تَدْمُر الواقعة بالسُّخْنَةَ منها إلى قُبَابِ، ثم يسرَّح على الجناح من قُبَابِ إلى الرَّحْبَةِ.

وبهذا تمَّ ذِكْرُ الحمام في سائر الممالك الإسلامية^(١).

(١) لم يذكر العمري الأبراج الموصلة إلى أسوان وعيذاب والإسكندرية ودمياط. كما جاء في الموسوعة الفلسطينية أن مراكز الحمام من غَزَّةَ إلى الكرك كانت: الخليل والصَّافِيَة والكرك. كما ارتبطت غَزَّةَ بأبراج مدينتي بيت المقدس ونابلس.

(الموسوعة الفلسطينية: ٣٩٠/١)

الباب الثالث

مراكز هُجَن الثلج^(١) [ومَرَابه]

وهي لا تعمر بالهُجَن إلا أوانَ نقل الثلج من دمشق إلى حضرة السلطان بقلعة الجبل، وذلك ممّا حدث في أثناء دولة سلطاننا - تغمّده الله برحمته - وأستمر. وقد كان قبل هذا لا يُحمل إلا في البحر، خاصّةً من الثغور الشامية ببيروت وصيدا، ويُفرض على البقاع وبعلبك إرفادهما في ذلك؛ وكان يسيراً فكثُر، وقرّ منه على طرابلس ممّا أستقر على «جَبّة بشرّي» والمنيطرة.

والمراكب تأتي دَمِيَّاط في البحر، ثم يخرج الثلج في النيل إلى ساحل «بُولاق» فينقل منه على البغال السلطانية ويحمل إلى «الشَّرَابْخَانَاه»^(٢) الشريفة ويُخزَن في صَهْرِيح أُعَدَّ له؛ وهو الآن يُحمل في البر والبحر. ومدّة ترتيب حَمَله من حزيران إلى آخر تشرين الثاني، وعِدّة نقلاته في البر إحدى وسبعون نَقْلَةً متقاربة مدة ما بينها، وقد صار يزيد على ذلك. ويُجهز بكل نَقْلَةٍ بريديّ يتدرّكه، ويجهز معه ثَلَاجٌ خبير بحَمَله ومداراته، يُحمل على فرس ببريد ثانٍ. وأستقرّ في وقتٍ أن يُحمَل المَلَّاح^(٣) على خيل الولاية.

(١) وهي التي تحمل الثلج من الشام إلى مصر. وذكر العسكري في «الأوائل» أن أول من حُمِل إليه الثلج الحجاج بن يوسف بالعراق.

(٢) سبق التعريف بها.

(٣) كذا في ط ق. ولعلّ الصواب «الثَلَّاج»، كما هي عبارة الصبح.

والمُرْصَد في كل نَقْلة خمسة أحمال؛ والمستقرُّ في كل مركز له ستَّة هُجْن: خمسة للحَمْل، وواحد للهَجَّان.

ومراكز الهُجْن: من دمشق إلى الصنمين، ثم إلى طَفَس^(١)، ثم منها إلى أربَد، ثم منها إلى بَيْسان، ثم منها إلى جينين، ثم منها إلى قاقون، ثم منها إلى لُدَّ، ثم منها إلى غَزَّة، ثم منها إلى العريش (وهو آخر ما قرَّرت إقامته على مملكة الشام، خلا جينين فإنه على صَفْد) ثم من العريش إلى الوَرادة، ثم منها إلى المُطَيْلب، ثم منها إلى قَطِيَا، ثم منها إلى القَصِير، ثم منها إلى الصَّالحيَّة، ثم منها إلى بُلَيْس، ثم منها إلى القلعة - حُرِسَتْ.

ومن الوَرادة إليها^(٢) تركب الهُجْن من المناخات السلطانية والكلفة على مال مصر. فهذه جملة مراكز الهُجْن.

[في المراكب التي تنقل الثلج]: فأما عدد المراكب المُسَفَّرة به في البحر فكانت في أيام الظاهر بيبرس ثلاثة مراكب في السنة، لا تزيد على ذلك. ودامت على أيام سلطاننا في السلطنة الثالثة، وبقيت صدرًا منها، ثم أخذت في التَّزايد إلى أن بلغت أحدَ عشرَ مركبًا من مملكتي الشام وطرابلس، وربما أنافت على ذلك. ثم قُلِّل منها استغناءً. وآخرُ عهدي بها من السبعة إلى الثمانية تُطلب من الشام ولا تُكلَّف طرابُلُسُ إلا المساعدة، وكل ذلك بحسب اختلاف الأوقات وداعي الضرورات. وإذا سافرت سافر معها من يتداركها من ثَلَّجين لمداراتها. والواصلون بها على المراكب يعودون على البريد في البرِّ.

ولا يصل [الثلج] متوفراً إلا إذا أخذ من الثلج المجلَّد، وأجيد كَبْسُهُ، وأحترز عليه من الهواء، فإنه أسرع إذابةً له من الماء. ومنذ قرَّر ما يُحمل منه على الظهر استقرَّ منه خاصُّ المشروب، لأنه يصل أنظفَ وأَمَنَ عاقبةً؛ على أن كل المتسفرين

(١) في صبح الأعشى: من الصنمين إلى بانياس إلى أربد.

(٢) أي إلى قلعة الجبل بالقاهرة.

يأخذون الجاشني^(١) منه بحضور «أمير مجلس»^(٢) «وشاد الشرايخانا السلطانية»^(٣) وخزانها. فأما المنقول في البحر فليسوى ذلك؛ وللمجهزين به من الخلع والإنعام رؤوم مستقرة، وعوائد مستمرة. وقد نبه على ذلك كله لموضع الفائدة فيه. وبهذا تم ذكر المراكز بجميع الممالك الإسلامية مِصراً وشاماً^(٤).

(١) لعل المراد به: الثلج الرديء الذي له طعم أو رائحة نتيجة ما يعلق به من جراء نقله. فلفظ «جاشنا» بالفارسية معناه: الذوق؛ والذي يتذوق الطعام السلطاني كان يسمّى: الجاشنكير، وكان يسمّى أيضاً: الشيشني.

(٢) هو الذي يتحدّث على الأطباء والكحالين ومن شاكلهم، ولا يكون إلا واحداً. ومن عمله أيضاً أنه يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره.
(صبح الأعشى: ١٨/٤ و ٤٥٥/٥)

(٣) وهو الذي يتحدّث في أمر الشرايخانا السلطانية: من مشروبات تقدّم للسلطان وسكر وفواكه وغير ذلك. ومن يتولى هذه الوظيفة يكون تارة مقدّماً وتارة طبلخانا. وهذه الوظيفة كانت بمصر، ولا وجود لها بدمشق. (صبح الأعشى: ٢١/٤ و ١٨٨)

(٤) وقد جرت العادة أن واصل الثلج في كل نقلة في البر والبحر تُكتب به رجعة من ديوان الإنشاء؛ وهذا هو وجه تعلقه بديوان الإنشاء. (صبح الأعشى: ٣٩٧/١٤)

الباب الرابع

في المَنَاوِرِ والمُحْرِقَاتِ

أما المَنَاوِرُ: فهي مواضعُ رَفَعِ النارِ في الليل، والدُّخَانُ في النهار، للإعلامِ بحركاتِ التَّارِ إذا قصدوا البلادَ للدخولِ لحربٍ أو لإِغَارَةٍ.

ولما يُرَفَعُ من هذه النيران، أو يدخُنُ من هذا الدخان، أدِلَّةٌ يُعرفُ بها اختلافُ حالاتِ رُؤيةِ العدوِّ والمخبرِ به باختلافِ حالاتها، تارةً في العَدَدِ، وتارةً في غير ذلك. وقد أُرْصِدُ في كلِّ مُنَوَّرِ الدِّيَابِ^(١) والنظارة: لرؤية ما وراءهم وإبراء ما أمامهم، ولهم على ذلك جَوَامِكُ^(٢) مقررة لا تزال دائرة. فمنذ أصلح اللهُ بين الفئتين، وأمنَ جانبَ الجهتين، قد قلَّ بذلك الاحتفال، وصُرِفَ عن البال.

والمَنَاوِرُ المذكورة تارةً تكون على رؤوسِ الجبال، وتارةً تكون في أبنية عالية، ومواضعها تُعرفُ بها أكثرُ السَّفارةِ؛ وهي من أقصى ثغور الإسلام كالبيرة والرَّحبة إلى حضرة السلطان بقلعة الجبل؛ حتى إن المتجددَ بكرةً بالفرات كان يُعلمُ بها عشاءً، والمتجددَ عشاءً كان يُعلمُ بها بكرةً.

(١) الدِّيَابِ والنظارة بمعنى واحد، أي: المراقبون المترصِّدون. ولفظ الدياب جمع دَيْدَبان؛ وما زال مستعملاً إلى اليوم في مصر.

(٢) الجوامك هي الرواتب. ومفردها: جامكية. واللفظ من الفارسية «جامه» بمعنى اللباس، ومعناها اللغوي كما يرى دوزي: مصروفات دولاب الملابس. والجامكية في الاصطلاح: الجراية الشهرية تعطى من غلَّة الوقف، فهي من ناحية أجر، ومن ناحية منحة.

(أنظر تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل: ٥٩)

فأما طريق الرَّحْبَةِ: فكان يَنُورُ بمدينة «عانًا»^(١) قومٌ من النَّصَّاحِ (بحجَّة أمرٍ سوى التَّنوير، وَيَسْتُرُ عليهم أهل البلد حباً لملوكنا) فترى ناره أو دخانه «بخرية الروم» وبالجزف أيضاً؛ ويُرفع فيهما أو في إحداهما فيرى من كل منهما بوادي الهيكل؛ ويُرفع فيه فيرى بالقناطر؛ ويرفع بالقناطر فيرى بالرَّحْبَةِ - وقاها - الله - ويُرفع فيها فيرى في كَوَائِلَ؛ ويُرفع فيها فيرى في مَنْظَرَةِ قُبَابِ؛ ويُرفع فيها فيرى بحفير أسد الدين؛ ويُرفع فيها فيرى بالسُّخْنَةِ؛ ويُرفع فيها فيرى بمنظرة أرك؛ ويُرفع فيها فيرى بالبُوبِ (وهو فنطرة بين أرك وتدمر) ويُرفع فيها فيرى بمنظرة تدمر؛ ويُرفع فيها فيرى بمنظرة البيضاء؛ ويُرفع فيها فيرى بالحير؛ ويُرفع فيها فيرى بجُلَيْجِلَ؛ ويُرفع فيها فيرى بالقرتين؛ ويُرفع فيها فيرى بالعَطْنَةِ؛ ويُرفع فيها فيرى بثنية العُقَابِ، ويُرفع فيها فيرى بمثدنة العروس؛ ويُرفع فيها لما حولها إنذاراً للرعايا وضماً للأطراف؛ ويرفع حول دمشق بالجبل المطل على بَرَّةَ فيرى بالمانع، ويُرفع به فيرى بتل قرية الكتبية؛ ثم يُرفع فيها فيرى بالطَّرة؛ ويرفع فيها فيرى بجبل أربد وبجبل عجلون، ثم يُرفع بها فينور بجبل طيبة، ثم يُرفع بها فيرى بالمنور المعمول إزاء البئر الذي برأس الجبل المنحدر إلى بيسان ويعرف بعقبة البريد (وقد عدل الآن بطريق البريد عنه)^(٢) ويرى منه أطراف أعمال نابلس - نحو جبال أزيق وما حولها - ويُرفع من هذا المنور الذي برأس عقبة البريد فيرى بالجبل المعروف بقرية جينين؛ ثم يُرفع منه فيرى بجبل فحمة؛ ثم يُرفع منه فيرى بشُرْفَةِ قاقون؛ ثم يُرفع منه فيرى بأطراف أعمال نابلس، ويرى على قُصْدِ الطريق بذروة الجبل المصاقب لمجدل يابا؛ ثم يُرفع منه فيرى بمركز ياسور (وقد عدل البريد الآن عنه)؛ [ثم يُرفع منه فيرى بالجبال المطلَّة على غَزَّة]^(٣)؛ وترفع بغزة على

(١) ويقال أيضاً: عانة، وعنة، وعانات: وهي في العراق بين الرِّقَّة وهيت.

(٢) عبارة صبح الأعشى التي نقلها القلقشندي عن التعريف: «ولا عدول بطريق البريد الآن عنه». (الصبح:

٣٩٩/١٤)

(٣) ساقطة من ط ق. والزيادة من صبح الأعشى، وهي يقتضيها السياق.

أعالي الحَدَب المعروف بِحَدَبِ غَزَّة. ثُمَّ لَا مُنَوَّرٌ وَلَا إِخْبَارٌ بِلِسَانِ النَّارِ^(١) إِلَّا عَلَى الْجَنَاحِ وَالْبَرِيدِ.

ثم اعلم أن من جميع ما ذكرناه مناورٌ تتشعب إلى ما خرج عن جادة الطريق إلى البلاد الآخذة على جنب جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً. فأما هذه المناورُ الآن فرسومٌ قد عَفَتْ، وجُسومٌ أَكَلَتْ شُعْلُ النَّارِ أرواحها فأنطفت؛ والحمدُ لله على أمنِ إطفاءِ نارها؛ وإخفاءِ منارها.

وأما المَحْرِقَات: فقد كان الاهتمام بها أوَّلَ شيء؛ وهي مواضع مما يلي بلادنا من حد الشرق داخله في تلك المملكة^(٢)، كان يجهز رجالٌ لتحرق زرعها ونباتها؛ وهي أراضٍ مخصبة كانت تقوم بكفاية خيل القوم مرعى إذا قصدوا البلاد، فكانت تُحرقُ إضعافاً لهم وإقعاداً لحركاتهم، إذ كانوا من عاداتهم لا يتكلفون عُلوفَةً لخيولهم، بل يَكَلُونها إلى ما تُنبِت الأرض: فإذا كانت أرضاً مخصبة سلكوها، وإذا كانت مُجدبة تجنبوها. وكانوا لا يفتنون لقصد حريقها، ثم فطنهم أهل المداجاة، فصاروا يربطون عليها الطريق؛ ويمسكون منها بالأطراف، وقتل عديدٌ بسببها، وأحرقوا بأشد من نارها. وكان يُنفق في هذه المَحْرِقَات في كل سنة من الخزانة بدمشق جُمْلٌ من الأموال، ويجهز فيها أجلاذُ الرجال. وكان شأنهم في الإحراق استصحاب الثعالب الوحشية والكلاب المنفرة، ثم يكمن المجهزون لذلك عند أمناة النَّصَّاح وفي كهوف الجبال وبطون الأودية؛ وتمضي الأيام حتى يكون يومٌ ريحه عاصفٌ وهواؤه زَعزَع، تعلق النارُ موثوقة في أذنان الثعالب والكلاب، ثم تطلق الثعالب، والكلابُ في أثرها وقد جوعت، فتجدُ الثعالب في الهَرَب، والكلابُ في الطَّلَب، فتحرق ما مرَّت به [من الزرع والنبات]، وتعلقُ الريحُ النارَ منه فيما جاوره، هذا إلى ما كانت تلقيه الرجال بأيديها في الليالي المظلمة، وعشايا الأيام المعتمة. وكان أصحابنا يجدون في هذا رفقاً ودفعاً عن مباغته الأطراف ومهاجمة الثغور.

(١) عبارة صحح الأعشى: «ولا إخبار بشأن التتار». والعبارتان تؤديان نفس المعنى.

(٢) يعني مملكة بني هولاكو من التتار.

وهذه مواضع المُحْرِقات وهي: ببلاد البُقعة أرض البُقعة، والشَّرثار، والقينة، وباشزة، والهَتَّاح، ومشهد ابن عمرو^(١)، والمُوَيْلِح، وبلاد نِينَوِي وهي من الموصل الآن. ونينَوِي كانت ذات الذكر القديم، ويُقال إنها البلد المرسل إليه يونس عليه السلام. والمُحْرِقات بها: ببرطلة والقنيطرة؛ وقد كان علي باشا ابن حجك حين دانت له الدولة قد عَزَم على أن يبني بها مدينةً جليلاً تكون مقراً للسلطان، إشاراً لعدم مفارقة الأوطان، فعاجله ما حُمَّ له من حِمَامه، و فراغ الدنيا من أيامه.

وَتَمَامُ المُحْرِقات: الوادي، والمِيدان، والباب^(٢) (وأظنه يعرف بعرب طَيّ)، والصُّوَيْمعة^(٣)، والمرج المعروف ببني زَيْد، والمرج المحترق، ومنازل الأويراتية (وهي أطراف هذه المواضع إلى جبل الأكراد. وكل هذه الأرض مجال خيلهم وقرارة سيلهم) وبلاد سنجار - المنطق، والمنظرة، والمزَيِّدة، وتحت الجبال عند التُّلِيلات.

فأما أرض الجبال^(٤) فإنها كانت لا تُحَرَّق، وأبوابها بغير طارقٍ خيرٍ لا تُطرق، إذ هي بلدُ البقيَّة القادريَّة من ولد شيخ الإسلام عبد القادر الجيلي المعروف عند العامة بالكيلاني - نفع الله به وبقِيَّته الصالحة -؛ وهذه الذرِّيَّة معظَّمَةٌ في الجهتين، ولهم عند ملوكنا المكانة العالية، لقديم سَلْفهم، وصميم شرفهم، ولما للإسلام وأهلِهِ من إسعافهم بما تصل إليه القدرةُ ويبلغه الإمكان.

ومن تمام المُحْرِقات: البازار^(٥)، وأعالِي جبل سنجار، وكلُّ ما يقدر عليه في تلك الديار. فهذا جملة ما على الخاطر، وغاية ما يستحضره على طول المدة الذَّاكِر؛ وإنما هو مثال، وما تُضرب به الأمثال.

(١) في الصبح «مشهد ابن عمر»

(٢) في طق «اليرت». وما أثبتناه من الصبح.

(٣) في الصبح «الصومعة»

(٤) أرض الجبال: اسم أطلقه العرب على العراق العجمي، وهو ميديا القديمة. وهو بالتحديد الولاية التي يحدها شرقاً صحراء خراسان وفارس، وغرباً أذربيجان، وشمالاً جبال البرز، وجنوباً خوزستان.

(دائرة المعارف الإسلامية: ٤٠/١١)

(٥) في صبح الأعشى: «التارات».

القسم السابع

في أوصاف ما تدعو الحاجةُ إلى وصفه
مما يكثر ذكره في المُكاتبات

ويشتمل على سبعة فصول:

- الأول: في الآلات ما يندرج معها بحكم التَّبَع.
- الثاني: في الحيوان.
- الثالث: في الأمكنة.
- الرابع: في المياه وما هو من لازمها.
- الخامس في الكواكب.
- السادس: في الأزمنة.
- السابع: في الأنواء.

الفصل الأول

في الآلات؛ وهي أنواع

النوع الأول: السّلاح.

في السّيف: وسَلَّ منه سَيْفًا يَمْضِي حُكْمُهُ عَلَى الرَّقَابِ، وَيَقْضِي عَلَى الْمَرْءِ بِمَا تُبْقِي بَقَايَاهُ لِلْأَعْقَابِ؛ يَجِدُّ بِهِ اللَّاعِبُ، وَيَتَلَقَّى بِصَدْرِهِ الْمَتَاعِبُ؛ وَيَدْنُو مِنَ الْعَدُوِّ اقْتِبَاسُهُ، وَيَعَزُّ عَلَيْهِ إِذَا تَأَلَّى^(١) فِي الْحَرْبِ فَمَا يُقَسِّمُ بِهِ إِلَّا رَأْسَهُ؛ لَا يُمْنَعُ دُونَهُ زَرْدٌ مَوْضُونٌ^(٢)، وَلَا بَيْضٌ^(٣) مَكْنُونٌ؛ قَدْ تَوَقَّدَ شُعْلًا، وَسَفَلَ الْفِرْنَدُ^(٤) فِي تِيَّارِهِ وَعَلَا؛ وَكَادَ لَوْلَا السَّلُّ يَأْكُلُ غِمْدَهُ، وَيَقْطَعُ حَتَّى بُنْدَهُ؛ وَقَدْ تَرَدَّى حَامِلُهُ مِنْ بَابِنِ صَاعِقَهُ، وَأَرَى الْأَجَالَ مِنْهُ كُلِّ بَارِقَةٍ؛ وَقَدْ قَذَفَ فِي اللَّجِّ سَعِيرَهُ، وَقَبِلَ فِي إِبْلَاحِ الْأَجَالِ سَفِيرَهُ؛ كَأَنَّ عَلَى مَتْنِهِ سِلْخَ أَيْمٍ^(٥)، أَوْ كَأَنَّهُ مَتَلَفَعٌ بِقِطْعٍ مِنْ عَيْمٍ؛ قَدْ أَسْبَلَ الضَّارِبُ مِنْهُ ذَيْلَ ذُبَابِهِ^(٦)، وَرَاعَ الْأَعْدَاءَ فَمَا خَافُوا مِنْ أَسَدِهِ الْمَزْمَجِرِ إِلَّا سَقُوطَ ذُبَابِهِ؛ فَأَدْنَى بِهِ لِأَجَلِهِ كُلِّ مُحْضَرٍ، وَجَنَى مِنْهُ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَانِعًا مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ.

- وفيه: وسَلَّ سيفاً سال المنون من لُعبه، وسار الموت في إهابه؛ وتناوم عذاره^(٧) مِلءَ جفونه فما هَجَّعَ، وتناوب للوثوب للمُهَّحَ فما رَجَعَ، وتباكى على من قتل

(١) تَأَلَّى: اجتهد، وحَلَفَ.

(٢) الدرع المقاربة النَّسْجِ المتداخلة الحلقة بعضها في بعض.

(٣) البيضة: آلة من حديد توضع على الرأس لوقاية الضرب ونحوه. وربما كان ذلك من زرد.

(٤) الفِرْنَدُ: ما يلمح في صفحة السيف من أثر تموج الضوء؛ وهو السيف نفسه.

(٥) الأيم: الحية الذكر، جمع أيوم.

(٦) ذباب السيف: حد طرفيه.

(٧) العذار: شفرة النصل.

فَجَرَّتْ دَمُوعُهُ دَمَاءً، وَتَحَرَّقَ عَلَى مَنْ سَلِمَ فَتَوَقَّدَتْ ضُلُوعُهُ نَارًا وَتَرَقَّرَتْ مَاقِيَهُ مَاءً.

في الرَّمْحِ: وَأَعَدَّ لَهُ كُلَّ مَعْتَدَلِ الْكَعُوبِ، يَجِدُّ بِهِ اللَّاعِبُ وَهُوَ مَلْعُوبٌ؛ يُضْرَسُ الْحَرْبَ بِأَنْيَابِهِ، وَيَتَمَسَّكُ الْمَوْتُ الْمَطْنَبَ بِأَسْبَابِهِ؛ يُجْرِي الدَّمَاءَ بِالْأَنْيَابِ^(١)، وَيَأْخُذُ الْفَارِسَ بِالتَّلَايِبِ؛ تُحَرِّزُ بِهِ الْمَكَاسِبَ، وَيُلْقِطُ بِنَّانِهِ مِنَ الْأَرْوَاحِ مَا لَا يَحْصِيهِ الْحَاسِبُ؛ يُوَدُّ الْبَرْقُ الْمَعْتَرِضُ فِي السَّحَابِ لَوْ أَنَّهَ فِي هَيْئَتِهِ تَصَوَّرَ، وَيَتَمَنَّى نِطَاقُ الْبُرُوجِ فِي السَّمَاءِ لَوْ أَنَّهَ بِشُرْفَاتِهِ تَسَوَّرَ، وَيَتَمَنَّ الْأَوْلِيَاءَ بِنَعْرِهِ الضَّاحِكِ وَيَتَشَاءَمُ الْأَعْدَاءَ بِكَعْبِهِ الْمَدْوَرِّ؛ يُرِي لَهُ كُلَّ طَعْنَةٍ نَجْلَاءَ تَفْجَّرُ عَيْنَهَا الْأَنْهَارَ، وَنُطْفَةِ زَرْقَاءَ يَقْدَحُ شَجَرَهَا الْأَخْضَرَ النَّارَ؛ يَعُدُّ الْمَوْتَ لِأَسْلِهِ كُلِّ سَلِيلٍ، وَلَا يَوْجِدُ فِيهَا مَطْعَنٌ وَلِلطَّاعِنِ فِيهَا كُلُّ سَبِيلٍ.

في الطَّبْرِزِينَ وَهُوَ الطَّبْرُ^(٢): وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ مَشَى أَمَامَ رِكَابِنَا بِطَبْرِزِينِهِ وَهُوَ الطَّبْرُ، وَأَرِي مِنْ عِيَانِهِ مَا لَا يَبْلُغُهُ الْخَبْرُ؛ تَقَرَّرَ لَهُ السِّيُوفُ عَلَى نَفُوسِهَا، وَيَمْضِي حُكْمَهُ عَلَى الدَّبَابِيسِ^(٣) فَتَحْمَلُهُ إِلَى رُؤُوسِهَا؛ مَتَى جُرِّدَ مِنْ غِلَافِهِ قِيلَ: هَذَا مَعِينٌ قَدْ نَضَخَ^(٤)، وَمَتَى فَتَكَ بِهِ حَامِلُهُ إِنْ شَاءَ قَتَلَ فَاجِرِي الدَّمَاءِ وَإِنْ شَاءَ رَضَخَ.

(١) يَتَّخِذُ الرَّمْحُ مِنَ الْقَنَا، وَهُوَ قِصْبٌ مَسْدُودٌ الدَّخَلِ، وَاحِدَتُهُ قَنَاةٌ؛ وَيُقَالُ لِمَفَاصِلِهَا: أَنْيَابٌ، وَلِعَقْدِهَا: كَعُوبٌ. فَإِنْ كَانَ قَدْ نَشَأَ فِي نَبَاتِهِ مَسْتَقِيمًا بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَثْقِيفٍ قِيلَ لَهُ: الصَّعْدَةُ، وَإِنْ احتَاجَ إِلَى تَقْوِيمٍ مَقُومٌ قِيلَ لَهُ: مَثْقَفٌ. وَإِذَا اتَّخَذَ الرَّمْحُ مِنَ الْخَشَبِ كَالزَّانِ وَنَحْوِهِ يَسْمَى: الدَّابِلُ. وَيُقَالُ لِلْحَدِيدِ الَّذِي فِي أَعْلَى الرَّمْحِ: السَّنَانُ، وَلِلَّذِي فِي أَسْفَلِهِ: الرُّجُ وَالْعَقَبُ. وَيُوصَفُ الرَّمْحُ: بِالْأَسْمَرِ لِأَنَّ لَوْنَ الْقَنَا السُّمْرَةَ، وَبِالْعَسَالِ وَهُوَ الَّذِي يَضْطَرِبُ فِي هَزِهِ، وَبِاللَّدْنِ وَهُوَ اللَّيْنُ، وَبِالسُّمَهْرِيِّ نِسْبَةً إِلَى بَلَدَةٍ يُقَالُ لَهَا سُمَّهْرَةٌ مِنْ بِلَادِ الْحَبْشَةِ، وَقِيلَ إِلَى السُّمَهْرَةِ وَهِيَ الصَّلَابَةُ. كَمَا يُوصَفُ بِالْحَطِيَّيِّ نِسْبَةً إِلَى الْحَطِّ وَهِيَ بَلَدَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ.

(٢) الطَّبْرِزِينَ وَيَجْمَعُ عَلَى طَبْرِزِينَاتٍ: وَهُوَ بِاللُّغَةِ الْفَارْسِيَةِ الْفَأْسُ. وَلِذَلِكَ يَسْمَى السُّكَّرُ الصَّلْبُ: الطَّبْرِزُ يَعْنِي الَّذِي يَكْسَرُ بِالْفَأْسِ. وَيُعْرَفُ عِنْدَ أَهْلِ بَغْدَادِ الْيَوْمِ بِـ «الطَّبْرِ». وَإِلَى الطَّبْرِ تُنْسَبُ «الطَّبْرِدَارِيَّةُ» وَهِيَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْأَطْيَارَ حَوْلَ السُّلْطَانِ.

(صَبْحُ الْأَعْيُ: ٢/١٥٠؛ وَرِسُومُ دَارِ الْخِلَافَةِ: ١٣)

(٣) الدَّبْبُوسُ: وَيَسْمَى الْعَامُودُ؛ وَهُوَ آلَةٌ مِنْ حَدِيدٍ ذَاتُ أَضْلَاحٍ يَنْتَفِعُ بِهَا فِي قِتَالِ لَابِسِ الْبَيْضَةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ. وَيُقَالُ إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ كَانَ يَقَاتِلُ بِهِ.

(٤) نَضَخَ الْمَاءُ نَضَخًا وَنَضُوحًا: اشْتَدَّ فُورَانُهُ مِنْ يَنْبُوعِهِ.

في السَّكِينِ: وقد شرعت السَّكِينَةُ تَنْضِضُ^(١) لسانها، وتعطي على خُسونة الحدِّ ليانها؛ وقد كتب الفِرْدُ عليها سطوراً، وضرب الشَّنْبِرُ^(٢) عليها سورا؛ وأطْلَعَ ليلُ الغُلْفِ صبيحتَها الغرَّاءَ، وطبع حديدُها الأزرقُ من الجوهر ما يصير بالدماء، ياقوتة حمراء، وأتخذ منها الصاحب في وقت المضيق، ومثل الأخ عند وضعها في نحور الأعداء ولكنه شقيق.

في القَوْسِ: وتَنكَبُ قوساً موعداً الآجال إهلالاً هلالها، وتَفِيؤُ الأبطال بظلالها؛ يشقُّ غُدْرانُ الرِّزْدِ منها نُون^(٣)، ويُرسَل على عَدْرَاتِ الأعداء منها مَنُون؛ تَنُّ ولا يُعرف علاج أمراضها، ويبعد على السيوف ما تقدر عليه من بلوغ أغراضها؛ قد أفاضت من السَّهامِ الراشقة سَجَلَهَا، وأثبتت في مستنقع الموت رجلها؛ وأستوت في قبضة الرامي، وبأشرت القتل ونابٌ غيرها الدَّامي؛ كم أماتت نفوسَ الأعداء بِكَمَدِهَا، وتَقِيَّاتٌ دماً من مُهَجِّهم بما رمت من كبدها، فأصمَّت الرمايا وما فارقت ظلَّ الإبهام، وتقاسمت النصرَ هي والسيف ولكن كان لها دونه أوفرُ السهام.

- وفيها: وأخرج قوسه والأرواح في قبضتها، والبرقُ في خاطفٍ ومضتها؛ والسَّهامُ قد أُرِخت ذوائبُ نصالها، والأوتار لا تروِّع بفصالها؛ كأنها نصفُ دائرة المَنجُونِ^(٤)، أو تَعْرِيقَةُ نون؛ لا يُشبع سَعْبُها، ولا يُدفع شَعْبُها؛ مُعْطِيَةٌ مَنوع، واهبةٌ تروِّع؛ صابرةٌ لا تُعرف بندم، سائرةٌ لها رجلٌ إلا أنها لا تمشي بالقدم؛ طائرةٌ ومألها جناح، غائرةٌ وما طلع على كواكبها الصباح؛ هلالٌ لا يعوزُ رائيه بصير، ضاق فترٌ بمراميه عن مسير.

في السَّهامِ والكنائن: وقد أعتدَّ معه من الكنائن كلَّ ديمة، ذات وِيلٍ مستديمة؛

(١) تَنْضِضُ لسانه: ألقه وحركه. والنضاض من الحيات: الذي لا يثبت في مكانه لشرته ونشاطه، أو الذي

يخرج لسانه ينضضه.

(٢) هو الغلاف الجلدي الذي يحيط بنصلها.

(٣) النون: الحوت.

(٤) المَنجُونُ: الدولاب التي يُستقن عليها.

لما يصبُّ منها من صوائب نَبَلٍ قد برَّيتَ فيها السهامَ بَرِّي القِداحِ، ورِيشتَ لصيد ما لا تصيده ذواتُ الجناحِ؛ ووُصِلت من النُصُولِ بكل مُشْتَدِّ العَقَبِ، قويِّ العَصَبِ؛ مُرْهَفِ الصُّقَالِ، مَخُوفِ الصُّيَالِ؛ تقع حيث وقع، وإذا فاضت السيوفُ غُدْراناً بَلَّت منه نَفَعٌ؛ يصل إلى ما لو تطاول إليه الرمح لَلَبَّ (١) به معتقَله، أو جال في خاطر السيف لضرب به ضاربه وقد به صيقَله؛ لا يتكشَّف ضَلَّه (٢) إذا تجلَّى القَتَامُ، ولا تعيا حِيَلُه إذا أدرَعَت الفوارس لردِّ السَّهامِ؛ بلاءٌ مُنزَلٌ، وقضاءٌ مُرسَلٌ؛ وحَتَفٌ عاجل لا يلقاه إلا حائنٌ، وضُرْبٌ بينٌ ولهذا لا تزال تشكَّى الكنائن.

في قوس البُنْدُقِ ويسمى الجُلاهق (٣): وبَرَزَ إلى مَصارعِ الطيرِ ومعه من قِسيِّ البُنْدُقِ كُلُّ صائِلَةٍ بالحَيْنِ، صائبة بالعين؛ قد تَلَفَّعت بالحريرِ، وتوشَّعت بالحبير (٤)؛ ولبست مثل حُللِ الربيعِ، وسلبت من ريشِ الطيرِ المختلفِ الألوانِ ما ظهر عليها حُسْنُه البديعِ؛ وقد تعَقَّفت رؤوسها كأنها جِيماتُ الأصداعِ، وتَدَبَّجت قُمصها فكأنها تعلمت من السماء حسن الأصباعِ؛ وأوترت من الأوتار بما طلبت مثله من الطيورِ، وأسبلت عليها إزْرَ مكداناتها (٥) لأن الحسناء لا يحسن بها السُفورُ؛ فند أصمَّت ببنْدُقِها، ورمت الطيورَ من أفقها؛ وأصبح في يد قبضتها كُلُّ محلَّقٍ بجناحه، ومخلَّقٍ (٦) بدمه وجهَ مسائه أو صباحه، تمدُّ من مقرِّه بُنْدُقِها في الوترِ شَبْكَا، وتزمرجر ولا ترثي لمن شكَا؛ ترمي الطيرِ منها أمثال الأبايل (٧)، ويمسك بوعدها في خذ كل ما سَنَحَ في الجولا كما يمسك الماء الغرايبِل.

- (١) لَبَّبَ الرجلُ: جمع ثيابه عند نحره في الخصومة ثم جرَّه. ويقال: أخذ فلان بتلايب فلان.
(٢) الضَّلَلُ: الماء الجاري تحت الصخرة لا تصيبه الشمس، أو الجاري بين الشجر. والقَتَامُ: الغبار الأسود.
(٣) وهو قوس يتخذ من القنا ويلفَّ عليه الحرير ويغرى؛ وفي وسط وتره قطعة دائرة تسمى الجوزة توضع فيها البُنْدُقَة عند الرمي. والبندق الذي يرمى هو حَبَات من الطين توضع في آلة من جلد تسمى: الجِراوة.
(٤) الحَبير: الثوب الناعم الموشى.
(٥) كذا في ط. ولعله: «كماداتها».
(٦) خلَّقَه: طَيَّبه بالخلوق، وهو ضرب من الطيب أعظم أجزاءه الزعفران.
(٧) الأبايل: الجماعات، ويجيء في موضع الكثير.

في الجراوة والبندق^(١): ومعه جراوة كأنها أفق أنجم، أو كنانة أسهم؛ لا يزال الطير الآمن بطوالها يُنكب، وفي مطالعها يظل دمه إذا غاب كوكب منها بدا كوكب؛ قد بعدت بالبندق مراميها فما شاء راميتها أغتصب، وصال به لا بها وبالقوس مما ليس في قوة جلد ولا عصب.

في العامود وهو الدبوس^(٢): ثم ضاق به المجال، وسئم سيفه من قطع الأجال؛ فأخترط من تحت فخذة عاموداً تُهدُّ به الأبنية المشيدة، وتتساقط به الفوارس كأنها خُشب في عمد ممددة؛ قد كُمم بالحديد، وأرتج موقعه فلما قيل إنه شاش عمم به رأس الصنديد؛ يموت به قتيله ولا يتنصف، ويفزع وجيبه وما هو إلا أصلاب رجال تنصّف؛ يأمن به الضارب ما يخاف بالسيف في الضراب، ويقدمه قدّامه لا تحميه عنه الحميلة^(٣) ولا يُبعد قرّبه القراب؛ لا ترى بشقشقتيه^(٤) الأبطال إلا جموداً، ولجج السيوف إلا جموداً، ورأس القتيل إذا أهوى إليه إلا كان عليه من فلق الصباح عموداً؛ لا يحصن منه خوذة ولا سربال^(٥)، ولا يهاب إبراق سيوف ولا نبال؛ تتكسر الأصلاب به تكسر الزجاج، وتفلق به بيض الخوذ مثل بيض الدجاج.

في العصا: وقد خفّ [عليه]^(٦) محمّلها فهو لا يضعها عن عاتقه، ولا يُعدُّ سواها لإزالة عاتقه؛ قد أخذ منها آية موسوية^(٧) أصبحت بها يده بيضاء، وتصرف بها كيف شاء؛ وكان يعتمد عليها إذا وقف، ويجمع عليها فريقه إذا اختلف؛ وطالما قرع بها كاهل المنازع، وكان له في قمع الأعداء بها غير هذا من المنافع: يلين قسوتهم إذا امتنعوا، ويلقف بالادّراء بها ما صنعوا.

(١) راجع ص ٢٦٧ - حاشية (٣).

(٢) راجع ص ٢٦٥ - حاشية (٣).

(٣) الحميلة: علاقة السيف ونحوه. الجمع: حمائل.

(٤) الشقشقة: شيء يخرج من الجمل من فيه إذا هاج وهذر.

(٥) السربال: الدرع.

(٦) في طق «عليها»

(٧) إشارة إلى الآية التي جاء بها موسى أمام الملأ من قوم فرعون: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ، وَنَزَعَ

يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ﴾ [الاعراف: ١٠٧ - ١٠٨]

في البيضة^(١): وقد لبس منها بيضةً زانها بياضٌ مفرقه، وطلع فيها طلوعَ البدر في أفقه؛ وأتى فيها كأنه قد تلبس شعلةً لهب، وعكس بها شعاعَ الشمس كأنها فضةٌ قد مسها ذهب؛ لا يجد له السيفُ فيها مضرباً، ولا يمدُّ له العجاجُ عليها مضرباً^(٢)؛ لم يزل يوصفُ صبرُها المذكور، ويلبس الكوافي منها من لا يطمع بما تحت ذيله الذكور؛ قد جعلت نفسها دون رأسٍ لابسها فداء، وآلت أن لا تزال تدفع عنه أعداء.

في الدرع: وأقبل في سابعةٍ ضاقت عيونُها^(٣) فلمحت المنونَ أزوراراً، وأطردت متونها تشبُّ الوقائعَ ناراً؛ تكحلُّ بالغبارِ خزرَ حدقيها، وتطرقُ أبوابَ الشجاعة بحلقها؛ تردُّ على الشمس شعاعها، وتبدي على اللبس مناعها؛ لأم^(٤) ليست للتعريف، وموجٌ غنيٌّ عن التصريف؛ بأسها شديد، وبصرها حديد، وبحرُّها بعائمه لا يمد؛ تلافياها السيوفُ فتقف عند حدِّها، وتخاطبها السنةُ الرماح فتحسبن في ردِّها؛ تفيض على النصال فتخدم لها برِّفاً، وتحشُر مجرمي الذوابل زرقاً؛ تسمع حديثاً للقتال منقولاً، وتردُّ الطاعنَ فيها مغلولاً.

في الترس^(٥): وحمل بيده ترساً لا يزال به السيفُ ينكص على عقبيه، ويرد وما زاد على أن حصل منه على عجبهِ؛ كأنما صنع لمدافعة الأجل، أو صنع ليحمل عن الضارب فضيحةً ما يلقاه من الخجل؛ كأنما شبَّ فيه الموتُ وألتهب، وطلعت من مشرقه الشمسُ فقييل إنها ترسٌ من الذهب.

(١) راجع ص ٢٦٤ - حاشية (٣).

(٢) المضرب (بفتح الميم وكسر الراء): مكان الضرب؛ والمضرب (بكسر الميم وفتح الراء): الفسطاط العظيم. والعجاج: الغبار، والدخان.

(٣) أي عيون الرزد. قال الفلقشندي: واعلم أن لبس العرب في الحرب كان الرزد، أما الآن فقد غلب عمل الفرقلات من الصفائح المتخذة من الحديد المتواصل بعضها ببعض.

(٤) أي لأم أو لأمة، وهي كل أدوات الحرب (واللأمة تجمع على لأم ولؤم).

(٥) وهو الآلة التي يتقى بها الضرب والرمي عن الوجه ونحوه، وتسمى: الجئة (بضم الجيم - أخذاً من الاجتنان وهو الاختفاء). وربما قيل لها: الحجة. ثم هي تارة تكون من خشب، وتارة تكون من حديد، وتارة تكون من عيدان مضموم بعضها إلى بعض بخيط القطن ونحوه. وإن كانت من جلد قيل لها: ذرقة.

النوع الثاني آلات الحصار

في المنجنيق^(١): وأذرتها^(٢) المنجنيقُ ما بعدها، وحدَّرتُها: إلا تتخلَّى وتلقي ما عندها؛ فلما أبت إلا امتناعاً، وأن ترخي عقيلتها المخطوبة عليها من السَّائر قناعاً، تقدَّمت إليها المجانيقُ وقد شدَّت نطاقها، وشمَّرت للحرب ساقها، ورمت قبل القلعة قلب ساكنها بالوجل، ولطخت قبل الدماء بالشفق خدَّها بالخجل، وأستانت في قصدها وجاءت إليها على عجل؛ ورغت رُعودها وتلك هِدَّة واجب^(٣)، وقامت في قتالها بالواجب، وأثرت في أبدان البدنات أمراً^(٤)، وتقدَّمت فما خلَّت في طريقها حجراً؛ وجادلت السورَ فما أحسن الرد، ولعبت معه لعب النرد؛ فنشط اللأغب^(٥)، وأنبسط اللأعب، حتى (استردتا خيذتها)^(٦) المغصوبة، وغلبت لما جارت عليها الفصوص والمجانيقُ منصوبة؛ فقلعت السورَ والباشورة^(٧)، وقلبت المدينةَ من صورة إلى صورة، فما مضت إلا ساعة، وقد بقي صيتها إلى قيام الساعة.

وفيه: ونصَّبنا عليها من المجانيقِ ما سامى قلاعها، وسامَ أقتلاعها؛ وهدم

(١) قال ابن قتيبة في كتابه «المعارف» وأبو هلال العسكري في «الأوائل»: «وهو آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه؛ فما أصاب شيئاً إلا أهلكه. وأول من وضع المنجنيق: جذيمة الأبرش ملك الحيرة». ومما يلتحق بالمنجنيق: الزيارات، وهي اللوالب والحبال التي يجذب بها المنجنيق حتى ينحط أعلاه ليرمى به الحجر. والمنجنيق بمثابة المدفعية الأرضية في أيامنا هذه.

(٢) الضمير يعود إلى القلعة.

(٣) وجب، يجب، وجوباً: سقط إلى الأرض. ووجب القلب، وجبياً: خفق واضطرب. ووجب فلان: مات.

(٤) الأمر: جمع أمرّة، وهي العلامة. والبدنات: الدروع.

(٥) لغب فلان لغباً: تعب وأعبا، فهو لأغب.

(٦) كذا في ط ق. ولعله «حتى استردت خريدتها المغصوبة» والخريذة: اللؤلؤة لم تثقب.

(٧) الباشورة مكان في مدخل القلعة يكون ضيقاً ومتعرجاً حتى يعيق اندفاع المهاجمين.

سُورَها، وَهَتَمَ^(١) ثَغورَها؛ وَفَجَّرَ حِجارَتَها لا بِالأنهار، وَأَضَجَرَ سَيَّارَتَها وَمَا غابَ نَهار؛ وَأَتَتْ عَلى البَلدِ وَمَنْ فِيه، وَأَتَتْ عَلى ما نَطقُ بِهِ لسانَها مَلءَ فِيه؛ وَمَا هَانَ أَمْرُها وَهُوَ عَينِيد، وَلا لَأنَّ قَلْبُها وَهُوَ حَديد؛ وَلا قَصَرَ بِأَعْها وَهُوَ طَويل، وَلا آخَتَصَرَ عَناها وَهُوَ مَديد؛ مِنْ كَلِّ مُحَكِّمَةِ التَّرتيب، مُحَكِّمَةِ التَّدريب، مَبسُوطَةُ اليَدِ تَنادِي السَّماءِ مِنْ مَكان قَريب؛ مَفتولَةُ السَّاعِدِ، مَقبُولَةُ المِساعدِ؛ يَتَحَرَّكُ لسانَها كَأنَّها تَعتابُ، وَيَتَحَرَّرُ سِنانُها كَأنَّها قَلَمُ كاتِبٍ؛ لَها فَخْذٌ كَريم لا تَلوي بِهِ عَلى نَسَبِ، وَحِبْلٌ مَتينٌ وَلا يُتَمَسَّكُ مِنْه بِسَببٍ؛ قَدِ أَثَبَّتْ فِي مَسْتَنَقِ المَوْتِ رِجْلَها، وَأَثَبَتْ فِي غاباتِ القَنا أَصلَها؛ وَأَصَبَحَتْ كَالرِجالِ، لا يُعَرَفُ ما فِي صناديقِها المَقفلَةَ، وَكَالأَعمالِ لا تَخْفُ كِفاتُها المَثقالَةَ؛ لا تُكَاثِرُ [فِي] مَجالِ، وَلا تَكابِرُ أَنها تَلَقَّفُ ما صَنَعوا مِنْ عِصِي وَحِبالٍ؛ قَدِ آسَتَلَّتْ كَأنَّها عَقابُ، وَأَمَتَّدَتْ كَأنَّها سَحابُ؛ وَهَدَرَتْ كَأنَّها رَعودُ، وَأَسْتَرَّتْ كَأنَّها حُودُ^(٢)؛ وَأَضْطَرَمَتْ كَأنَّها حَريقُ، وَأَضْطَرَبَتْ كَأنَّها طَليقُ؛ وَأَطَلَّتْ كَأنَّها أَجَلُ، وَوَلَّتْ كَأنَّها وَجَلُ، وَطَلَّتْ دَماءً دَبَّتْ فِي صَفحاتِ البَديئاتِ كَأنَّها حَجلُ؛ وَأُنَّتْ وَغَيرُها الشاكيلِ، وَسَغَبَتْ وَفِي الثَغورِ المَمضُغُ مِنْها فَضْلَةُ الأَكْلِ؛ فَناجَتْ تَلِكِ الشُّرُفاتِ بِما مَحَى مَحاسِنَها، وَتَبَّعَ فِي المَكانِ مَكانَها؛ وَأَرَعَدَتْ فرائِصُ الحِجارَةِ، وَأَحَلَّتْ السُّورَ مِنَ النَظَّارَةِ؛ وَوَلَجَتْ المَدينَةَ وَوَلَعَتْ بِمَبانِيها الهائِلَةَ فَفَرَّقَتْ شَمَلَها، وَبَعقودَها الطائِلَةَ فَحَلَّتْ نَظَمَها وَعَجَّلَتْ حَلَّها؛ وَأَلَقَتْ عَنِ المَدينَةَ نِطاقَ السُّورِ، وَفَكَتْ عَنِ الجِيدِ عَقَدَ جَيبِهِ المَزرورِ؛ وَدَخَلَتْ العِساكِرُ المَنصُورَةَ إِلى داخِلِ المَدينَةَ هَجمًا مِنْ كُلِّ مَكانِ، وَوُثِّبًا عَلى آثارِ الثُّورِ كَأنَّهُ ما كانَ؛ وَمُملِكِ البِلادِ^(٣) بِمَجموعِهِ وَرَفَعَتْ بِهِ الأَعلامَ، وَسُمِعَتْ بِهِ دَعوَةُ الإِسلامِ؛ وَتُسَنَّمُ ذِروَةُ الأَبراجِ لِلأُذانِ، وَتُسَلَّمُ وَلِصانِعِ المَنجنيقِ اليَدِ وَلهِ الإِحسانِ.

فِي الزِّياراتِ^(٤): وَشَدُّ مِنَ الزِّياراتِ كُلِّ ذاتِ مَعجِزَةٍ خارِقَةٍ، وَرِجُلِ دائِئَةٍ فِي

(١) هَتَمَ الشَّيْءَ: كَسَرَهُ. وَالأَهْتَمُ: الَّذِي تَكَسَّرَتْ نِياهُ.

(٢) مَفْرودُها: حُودُ؛ وَهِيَ الشَّابَةُ الناعِمَةُ الحَسَنَةُ المَخْلُوقِ.

(٣) فِي طَرِيقِ «البِلادِ».

(٤) راجِعِ الصَّفحَةَ السَّابِقَةَ - حاشِية (١).

الأرض ولها يدٌ لأعناق المعاقِلِ خانقةٌ؛ تَهْدُرُ مثل الفَيْنيقِ^(١) إذا أُرِيدَ، وتباري المنجنيقُ فتقولُ: هذه صنعةٌ ما لي فيها يد.

في السِّتائر^(٢): وتسترَّت تلك المحجَّبه، وتسوَّرت بأسوار أخرى من السِّتائر غدت النواظِرُ منها متعجَّبه، ثم طفقت لا تنظر إلا من وراء سُتور تلك السِّتائر، ولا يُعرف بها ما في داخلها إلا كما يُعرف ما في السِّرائر؛ وقفت دريئةٌ للسَّهام إلا أنها سهامُ المنجنيق، وصِباةٌ لكلِّ صبٍّ لا يرى منظرها الأنيق؛ وأقام مَنْ فيها خلفها يخالِط، وغايته أن يدافع عن نفسه وهو يورهم أنه يقاتل.

في السَّهامِ الخطائيَّة^(٣): ومن السَّهامِ خطائيَّةٌ لا تخطي صوائبها، ولا تخطي مهلكَ قرية مصائبها؛ قد حُشيتْ صدورُها غضباً، وكاثرت السهامُ بأجنحة النار غلباً، لا تُنكَبُ^(٤) طرفها، ولا تفرِّقُ الأعداء ويحرقهم إلا^(٥) رَعْدُها المجلجل وبرقها.

في مَكاحِلِ البارود^(٦): ومن مَكاحِلِ كم أعمى عينَ بلد كحلها، وكم لَقَحِ بَدَنَةٍ^(٧) مُبِدِنَةٌ فَحَلُّها؛ وكم رمى فيها نُطفةً نار، وأشتملت أحشاؤها منه على جنينٍ كانت النار عليها به أهونٌ من العار؛ لا تُبالي بالأعداء إذا أخرجت لهم خفايا سرِّها،

(١) الفَيْنيق من الإبل: الفحل.

(٢) وهي آلات الوقاية من الطوارق وما في معناها مما يستبره على الأسوار والسفن التي يقع فيها القتال ونحو ذلك.

(٣) في صبح الأعشى: «الخطاية». قال: وهي سهام عظام يرمى بها عن قبيبي عظام توتّر بلوالب يجرّ به ويرمى عنها فتكاد تخرق الحجر.

(٤) أي لا يجيد عن طرفها.

(٥) كذا هي عبارة ط. ق. ولعله: «وتفرِّقُ الأعداء ولا يحرقهم إلا رَعْدُها». الخ»

(٦) قال في صبح الأعشى: وهي المدافع التي يُرمى عنها بالنُطف. وحالها مختلف: فبعضها يرمى عنه بأشهم عظام تكاد تخرق الحجر، وبعضها يرمى عنه ببندق من حديد من زنة عشرة أرتال بالمصري إلى ما يزيد على مائة رطل. قال: وقد رأيت بالإسكندرية - في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين - مدفعاً قد صنع من نحاس ورضاص، وقيد بأطراف الحديد رُمي عنه من الميدان ببندق من حديد عظيمة محمأة فوقعت في بحر السلسلة خارج باب البحر، وهي مسافة بعيدة.

(٧) البَدَنَة: ناقة أو بقرة تُسمَّن لتنحر قرباناً.

ولا تخشى إذا أبدت للقوم خبايا شرّها؛ تورّد القلاع منها النار ذات الوقود، وتَرُضُ بينادقها رؤوس الشُّرُفات وتكسر أضلاع العقود؛ فكم دخل بندُقُها المدينة هَجْماً، وقذف شيطانها المَرِيدَ^(١) بشهابٍ كأنَّ له رَجْماً.

في قوارير النَّفْطِ^(٢): وقد صَدَمَهُم من النَّفْطِ تلك القوارير، وأجبل في بحر أفكارهم أخبارُ تلك القراقير^(٣)؛ ورَمَت القلاع منها ببلاءٍ يقتلع قليعتها، ويسدُّ ذريعتها؛ فإذا هي في تلك البروج متسلِّقة، وبحبال تلك العقيلة متعلِّقة؛ ثم إذا بها قد نشرت عليها رايتها الحمراء، ودبَّت بعقارب البارود المصرة الضراء؛ وامتدَّت أغصانُ شجرتها وقد توقّدت ناراً تتأجج، وتفتحت ورداً إلا أنه كلما ذبل تضرَّج.

النوع الثالث

الآلات الملوكية^(٤).

في التَّخْتِ^(٥): وعقد لإجماع على مُلكه، ونظم لاجتماع في سِلْكه؛ فأنحلَّ الرِّتاج، وحلَّ على التَّخْتِ فحلَّى التَّخْتِ والتَّاج؛ وكان للسَّرير، أجلُّ مما جُلِّلَ به من الحرير؛ وأعظمُّ مما صُفِّحَ به من الذهب، بعضُ ما وهب؛ فشرفَ قَدْرَ ذلك العود، وتمنّى أن زمانه في الغصن الأخضر لا يعود؛ وأتى تَخْتِ أفريدون^(٦) دونه، وودَّ عرش بلقيس أن يكونه؛ فما علا مثله قَدْرُ تَخْتِ، ولا قُدْرَ لمثله بَخْت.

في المِنْطَقَةِ^(٧): وأنعمَ عليه بِمِنْطَقَةٍ شدَّ بها ظهره، وشدَّ أزره؛ وناط بها من

(١) الشيطان المَرِيد: الخبيث المتمرد الشرير.

(٢) وهي قُدور ونحوها يجعل فيها النَّفْطُ ويرمى بها على الحصون والقلاع للإحراق.

(٣) القراقير: نوع من السفن الطويلة العظيمة.

(٤) الآلات المتعلقة بالملوك. ويحتاج الكاتب إلى وصفها عند وصف المواكب الحفيلة التي يركب فيها السلطان.

(٥) ويقال له: السَّرير؛ وهو ما يجلس عليه الملوك في المواكب.

(٦) من ملوك الفرس العظام.

(٧) وهي ما يُشدُّ في الوسط؛ وكان يقال لها أيضاً: الحياصة. قال القلقشندي: «وهذه الآلة قد ذكرها في

«التعريف» في الآلات الملوكية، على أن ملوك الزمان [يعني زمانه] لم تجر لهم عادةً بشدِّ مِنْطَقَةٍ، وإنما يلبسها الملكُ للأمرء عند إلباسهم الخَلْع والتَّشَاريف».

العلائق ما يحسن تحت عاتقه، ولا يزال يذكرها عند المنعم بها بعلائقه؛ قد زُيِّنَتْ بها الخصور، وتطلَّب ما ضَاعَ تحتها من طيب الثياب فأصبحت عليه تدور؛ فضمَّ ذلك الوشاحَ الخصرَ إليه، وقال ذهبه: كم لي أدور وما وقعت لي عينٌ عليه.

في الخاتم: وتناول خاتم الأمان بيده، وختم على ما ختم بعسجدته؛ فكأنما سلب به الثرياً ما كانت يدها قد أدخرته لبناها، وجعلته ألسنة الشموس الملغلة خاتماً لبناها.

في المنديل^(١): وتناول منه منديل الأمان^(٢)، وكفيل السلامة الوافي بالضمنان؛ يشدُّ الوسطَ فلا ينحلَّ، ويقوم مقامَ المنطقة في المحلِّ؛ جرت على عادة الطمأنينة به الجواد، وبشرَّ يداً تناولته بأنها لا تمسُّ بعده بمنديل إلا أعراف الجياد.

في الحرمدان^(٣): والحرمدانُ كمامةٌ ثمر، وغمامة سماء تحتها قمر؛ دُوِّحُ أوراق، وقرارة ما تكدر أوراق؛ كأنما قُدت من جلدة الليل، وعلقت بالثرياً وطرفت بسهيل.

في القلم: وقلمه بالسيف الرِّكع يُخدم، والرماحُ بمطاولته تفرع السنِّ مما تندم؛ تُوفى سوداً أهدابه بالأجفان، وينزل لقرى كرمه الضيفان؛ يروِّع بالصرير، وينقل عن الأسود الزئير؛ قد قصر مجاريه، وعُدَّ من الأبرار لتمجيد باريه.

في الدواة: وما فتئت أُرشيَّة الأقلام تستقي من قلبها^(٤)، وتستسر بخضابها الأسود بياضَ مَشيبها؛ منبع الأرزاق، وموضع الإرفاق؛ ذات الليل الذي

(١) وهو منديل يجعل في المنطقة المشدودة في الوسط مع الصلوق وغيره. والصلوق عبارة عن حقيبة كبير يعلقها المملوك في الجانب الأيمن من حياسته.

(٢) كان من عادة الملوك إرسال الخاتم أو المنديل إلى الخائف تأميناً له وعلامة للرضا عليه والصفح عما جناه واقترفه.

(انظر صبح الأعشى: ١٤٠/٢)

(٣) لم نثر فيما بأيدينا من المصادر على معنى هذا اللفظ. والظاهر أنه نوع من المظلات.

(٤) القلب: البئر. الأرشية: جمع رشاء، وهو حبل الدلو.

كله نجوم وأقمار، ومنبت السمرات^(١) ذوات الأثمار؛ قد تردت بمثل جناح العقاب، وأردت الأعداء وجعلت بأيدي الأولياء العقاب .

وفيهما: وقُدِّمت له الدَّوَاة وهي رُتْبَةُ التَّشْرِيفِ، وآلة التَّصْرِيفِ؛ والأفق الذي يبعث إلى كل أرض غَمَاماً، ويراسل في كل دَوْحٍ حَمَاماً؛ وتحوي حِكَمَ الأقاليم أقاليمها، وينفلق عن صباح المعاني ظلامها؛ وتتفجر الأرزاق من منبعها، ويشكر أيادي النِّيل وما يجيء من القلم قدر إصبعها؛ يروِّع الأعداء مدد مدادها، وتخاف لقاها ولا تهاب الجيوش لأنها تعلم أنها إنما جاءت لتكثير سوادها .

في المِرملة^(٢): وماج منها كثيب، ونَبَع قَلِيب؛ وهبَّت بها رمال، ودبَّت مثل أكارع^(٣) النِّمال؛ وملاَّت سُحْبُها مدارج الدُّروج^(٤)، وسدَّت على فضاء البيضاء الفروج؛ فأنبتت لوقتها الرِّياض، وجمعت بالرمل الحُمرة والبياض؛ فجاءت على تفصيل ما فيها والسُّجْملة، وبدت من تحت سُجوفها كُلُّ رَملة أحسن من رملة؛ فأبهج ذلك الرداء الرخيص مُشبرقاً^(٥)، وسحب ذيله برمل زُرود^(٦) والنِّقا؛ فعاد قرطاسيُّ القرطاس كميئاً لم يخضبه النَّجِيع، ونوَّارُ المَهْرَق^(٧) شقيقاً لم يُنبتَه الربيع؛ وأمَّنت به سماء الخط أن تُطمس، وأظلت أنداء السُّحب بيوم قد أشمس؛ فبثَّ في بياض النهار حُمرة الشَّفَق، وكَلَّل السطور بما يُكَلَّل به لؤلؤُ الطلِّ الورق؛ وتنبَّهت به تلك الحروف فعبرت أحسن التعبير، وغدت وكأن رمالها من الطيب مسكٌ والتراب عبير .

في السَّرَجِ واللَّجَامِ: وكم ثمَّ سَرَجٍ ينافسه الجبينُ في تكوينه، والهلال في

(١) السَّمْر: ضرب من شجر الطلح .

(٢) يوضع فيها الرمل لتجفيف حبر الكتابة .

(٣) الأكارع: الأرجل المستدقة التي ليس عليها لحم .

(٤) مفردها: دَرْج، وهو الورق يُكتب عليه .

(٥) المشبرق: الممزق والمقطَّع .

(٦) زُرود والنِّقا: رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة . (معجم البلدان)

(٧) المهرق: الصحيفة البيضاء يكتب فيها .

تَلْوِينُهُ؛ يَضِيءُ مِنْهُ كَوَكْبٍ، وَيَسْرِي مِنْهُ أَمِنْ مَرْكَبٍ؛ كَأَنَّهُ فِتْرَةٌ قَدْ أَشَارَ بِقَرْبِ الْمَسِيرِ، أَوْ مُخْلَفٌ جَاءَ بِهِ الْبَشِيرُ؛ كَأَنَّمَا غَشَّاهُ الْأَصِيلُ بِذَهَبِهِ، أَوْ وَشَّاهُ الْبَرْقُ بِلَهَبِهِ؛ قِرْنٌ بِأَمثَالِهِ وَإِنْ لَمْ تَسْتَوْكِلْ شُرُوطَ الْمَقَابَلَةِ، وَأَضَحَتْ عَلَيْهَا أَوْلِيَاؤُنَا إِخْوَانًا عَلَى سُرْرٍ مُتَقَابِلَةٍ؛ هَذَا إِلَى لُجْمٍ لَوْلَمْ تُمَسِّكِ الْخَيْلُ الشُّكَاثِمَ لَطَارَتْ، وَلَوْلَمْ تَأْبَهُ لَهَا بِالْأَعْتَةِ لَمَا سَارَتْ؛ مِمَّا لَمْ يَصَحَّ لِمَلِكٍ قَبْلُنَا وَلَا تَهِيًّا، وَلَا قَادٍ فِي عِنَانِهِ الْبَرْقَ وَقَدْ أُسْرِجَ وَالْجَمُّ بِالثَرِيًّا.

فِي الْكُورِ وَالزَّمَامِ^(١): وَأَرْخِينَا أَرْزَمَةَ الْمَطِيِّ وَمَا مِنْهَا إِلَّا مُوَشَّحٌ عَلَى كُورِهِ، مُتَأَهَّبٌ لِبِكُورِهِ؛ قَدْ تَقَدَّمَتْ بِزَمَامِهَا، وَتَقَدَّمَتْ الْمَطَايَا لِاهْتِمَامِهَا؛ وَأَفَلْتِ مِنَ الْكُورِ هَلَالًا، وَمَدَّتْ مِنَ الْوَشْحِ ظِلَالًا؛ وَأَمْسَتْ لَا يَحْتُثُّهَا إِلَّا بَارِقٌ عَلَى أَضَا^(٢)، وَلَا تَبْعُدُ عَلَى رَاكِبِهَا مَسَافَةً وَزَمَامُهَا بِيَدِهِ وَمَا ضَاقَ الْفَضَا.

فِي السَّوْطِ: وَقَدْ اتَّخَذَ لَهَا سَوْطًا يَزِيدُ فِي أَدْبِهَا، وَيُوجِبُ بِهِ فِي السَّرْعَةِ دُأْبَهَا؛ فَلَمْ يَزَلْ يَسُوقُ عِيَادَ جِيَادِهَا بِبِرْقِهِ، وَيَصْبُهُ عَلَيْهَا فَتَتَصَبَّبُ عَرَقًا مِثْلَ وَدْقِهِ^(٣).

فِي الْأَعْلَامِ - وَهِيَ الْعَصَائِبُ: وَنُشِرَتِ الْعَصَائِبُ^(٤) الْمَنْصُورَةُ فَهَيَّتْ بِالسَّعَادَةِ رِيحُهَا، وَظَلَّلَتْ الْكُتَاتِبَ فِيحُهَا؛ وَحَوِّمَتْ حَوْلَهَا الْعَقْبَانَ وَائْتَقَهُ بِمَا تُطْعَمُ مِنْ جَزْرِهَا^(٥)، وَبِمَا تَطْمَعُ بِهِ مِنْ نِهَابِ عَسْكَرِهَا؛ وَعَرَفَتْ لَهَا مِيَامِنَ كُلِّ رَايَةِ صَفْرَاءَ، وَرَفَعَتْ فَجَرَتْ وَرَاءَهَا الْجِيُوشَ وَنَصَبَتْ لِلْإِغْرَاءِ؛ وَأَحَاطَتْ بِالْعَصَابَةِ السُّودَاءِ الْخَلِيفَتِيَّةِ فَكَانَتْ سُؤْيِدَاءَ قَلْبِهَا، وَمَضَتْ بِهَا فَكَانَتْ سِيُوفًا بَعَثَتْ مِنْ قُرْبِهَا.

فِي الْمِظَلَّةِ - وَهِيَ الْجِخْرُ^(٦): وَرَفَعَتْ عَلَيْنَا قَبَّةً تُظَلِّلُنَا مِنَ الشَّمْسِ حَيْثُ سَرْنَا،

(١) الْكُورُ: هُوَ مَا يَقْعُدُ فِيهِ الرَّابِكُ فِي ظَهْرِ الْإِبِلِ، وَالْعَرَبُ تَسْمِيهِ: الرَّحْلَ. وَالزَّمَامُ: هُوَ مَا يُقَادُ بِهِ الْإِبِلُ، وَهُوَ بِمِثَابَةِ الْعِنَانِ لِلْفَرَسِ.

(٢) الْأَضَا: جَمْعُ أَضَاةٍ، وَهُوَ الْغَدِيرُ.

(٣) الْوَدْقُ: الْمَطَرُ، شَدِيدُهُ وَهَيْئُهُ.

(٤) يُقَالُ: الْأَعْلَامُ وَالْعَصَائِبُ وَالسَّنَاجِقُ، وَهِيَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

(٥) جَزْرُ السَّبَاعِ: اللَّحْمُ الَّذِي تَأْكُلُهُ. وَمِنْهُ قَوْلُ عَنْتَرَةَ:

وَتَرَكْتَهُ جَزْرَ السَّبَاعِ يُنْشِنُهُ يَقْضِمَنْ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالْمَعْصَمِ

(٦) ضَبَطَهَا الْقَلْقَشَنْدِيُّ فِي صَحْحِ الْأَعْشَى: ٧/٤ «بِجِيمٍ مَكْسُورَةٍ - قَدْ تَبَدَّلَ شَيْئًا مَعْجَمَةً - وَتَاءٌ مِثْنَاةٌ فَوْقَ» أَمَّا

وتقيم معنا حيث صرنا؛ لم يُرفع على غير الرماح أساسها، ولم يتوج بغير السماء رأسها؛ قد بُنيت على صَهَوَات الجياد، وأعدت دون الأبنية لأوقات الجِلاذ؛ فهي رواقنا المنصوب في كل سُرَى وسَيْر، وبساطُ ملكنا السليمانِي الذي تسري أمامه الوحش وتظله الطير.

في الطُّبُول: ودقت الطبولُ حتى ظنَّ أن الأرضَ قد أنقلبت، وأن الجبالَ مع الرجالَ قد أُجلبت؛ حتى خيَّلت في يوم العَرَض أنه يوم القيامة، وأنه يوم العَرَض الأكبر فما تمنى آمراً إلا السَّلامة.

في البُوقَات: وأعدت البوقاتُ في جنَّات العسكر المنصور، وأرجفت الأرضُ فما قيل إلا أن إسرافيلَ نفخ في الصُّور؛ وقد أعلن نفرها، ولم يسمع في الحرب إلا سفرها؛ فلم يزل يفاجيء الأعداء منها الانتكاس، ويرسل عليهم بإرعاد السيوف بها شواظاً من نار ونحاس؛ فلوزجر البحرُ بصوتها لم يجر، ولولا الريح أسمع من حجر.

في الصَّرْنائي^(١) - وهو الزَّمْر: وقد صبر ذلك الصَّرْنائي، على الصَّبْر على النَّاي؛ لولاه لم يعرف زنام، ولا أشتهر حديثه مع المعتصم بين الأنام؛ لم يبلغ مدى صوته شبَّابه، ولا يحقُّ لبياض مشيبتها إلا أن يفدي شبابيه.

في المِسْدَة - وهي الرِّقبة^(٢): وشدَّت على فرس النوبة الرِّقبة السلطانية تعجب النَّظَّار، وتحدثت المسرَّة بما فيها من ذائب النَّضار^(٣)؛ كأنما لمعت بذهب البروق

= في الجزء الثاني من الصبح: ص ١٣٣ فقال: «واسمها بالفارسية: الجنز - بنون بين الجيم والزاي المعجمة». قال: ويعبر عنها العامة الآن بالقَبَّة والطَّيْر. وهي قبة من حرير أصفر تحمل على رأس الملك، على رأس رمح بيد أمير يكون راجباً بحذاء الملك يظله بها حالة الركوب من الشمس في المواكب العظام.

(١) في صبح الأعشى: «الزَّمْر المعروف بالصَّهَان».

(٢) وهي لباس لرقبة فرس السلطان من حرير أصفر، قد طرَّزت بالذهب الزَّرَكَش حتى غلب عليها وصار الحرير غير مرئي فيها.

(٣) النَّضار: الذهب الخالص.

غواديها، وعلمت الخيل مقدار الشرف بها فطالت به هواديتها؛ وذلك في ساعة تحققت بها الآمال ما كانت مرتقبة، ويبدولي ما شدد منها رقبة حتى فك ألف رقبة.

في الغاشية^(١): وحملت الغاشية بين أيدينا وسارت بها الحاشية، وطار بها الخبر فمل بيتق بلد لإقال: هل أتاك حديث الغاشية؛ ومشى بها حاملها وهي تمایل سروراً ببلوغ الأرب، وفرحاً بأماننا المقبلة أوجب لها هذا الطرب.

في الخيل الجفّتا^(٢) - وذكرت هنا لمناسبتها هذه الآلات - :

وتقدّم «الجفّتا» وهما راكبان على فرسين أشهبين صوّجَ بينهما حتى تآلفا، وأبيضاً لما طبعاً على الصفا؛ قد آقتسما اليمين والشمال، وسارا وهما للهدوء مثل ديب النّمال؛ ما انفصلا مذ آعتقا، ومذ تلازما ما آفترقا؛ داما على ودي غير مختلف، وآتحدتا حتى صارا كالواحد مثل لام الألف.

النوع الرابع

آلات السّفَر

في المِحْفَة^(٣): وآتخذ من المِحْفَة مهدياً يجد به راكبه الراحة، ويقطع به البرّ

(١) أصل الغاشية السّرج أو الغطاء المزركش الذي يوضع على ظهر الفرس فوق البرذعة. يقول الفلقشندي: وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب، تُحمل بين يدي السلطان عند الركوب في الموابك، يحملها الركابدارية، رافعاً لها على يديه، يلفتها يميناً وشمالاً.

(٢) جفّت: كلمة تركية مأخوذة من الكلمة الفارسية: جفّت ومعناها الزّوج أو الاثنان. والخيل الجفّتا أو الجفّتا: فرسان أشهبان قريباً الشّبه، برقيتين من زركش، وعدة تضاهي عدّة مركوب السلطان، كأنهما معدان لأن يركبها السلطان، يعلوهما مملوكان من الممالك السلطانية، على رأس كل منهما قبة من زركش، يركبان أمام السلطان في أوقات مخصوصة كالركوب للعب الكرة في الميدان الكبير ونحو ذلك.

(دائرة المعارف الإسلامية: ١٦/١٢؛ وصبح الأعشى: ٧/٤)

(٣) وهي محمل على أعلاه قبة، وله أربعة سواعد: ساعدان أمامها وساعدان خلفها، تكون مغطاة بالجوخ تارة وبالحرير أخرى، تحمل على بغلين أو بعيرين يكون أحدهما في مقدمتها والآخر في مؤخرتها، إذا ركب فيها الراكب صار كأنه قاعد على سير.

(صبح الأعشى: ١٤٥/٢)

وكأنه مركب يشقُّ به البحرَ سباحةً؛ لا يعرف ممتطي صهوته بُعدَ المدى أو أقرب، ولا مرتقي ذرّوته متى طلع نجم أو غرب؛ قد حُمِلت على البغال فهي تمور مَوْرًا، ويجوب بها الفلا لا تعرف نَجْدًا ولا غَوْرًا؛ يصل السَّرِيُّ وعينه لا تفارق الغِرَارَ^(١)، ولا يكلف يده مَسْكُ العِنان ولا العِذار.

في المِحْمَلِ^(٢): وقدمت الرِّكاب، ورُفعت تلك القِباب؛ وحدًا بها الحادي، وطار بها إذ أطربها بجانب الوادي؛ فتراقصت البُخْتُ بتلك القِباب حتى مالت عَذْبُهَا^(٣)، ومادت على تلك التَّلَاعِ الشَّوَارِفِ كسبها؛ وأضحت تُسأل لديها الذَّم، وأمست الريح كالغَيْرِي تَجاذبُها فصول الرِّيطِ^(٤) واللَّمَمِ؛ وشدّت على مَطَا^(٥) المطايا منها بروحٍ مشيِّدة، وكسيت أحسن الملابس لما كانت معنا مجردة.

في الخِيَامِ: ونُصبت له من الخيم في كل أرض دارٌ محلّال، وشيِّدت أفنيةً تنفيًا لها ظلال؛ قد سدّت الأطنابَ عُمدها، وكانَّ وتَدَّ السماءَ عامودها وتَدَّ الأرضَ وتَدَّها؛ وأقلّت قمرًا وأستقلت فلَكًا، وسَمّت سماءً تحوي ملكًا؛ وبنِي منها من الخيام كل رفيع، وكل بيت بني على الأسباب والأوتاد ولم يدركه التَّقْطِيعُ؛ فوسَّعت الأرضُ تلك الأفنية؛ وأعربت عن جملة السماء تلك الأبنية؛ وأصبحت بينما تَرُاحُ أَعذارها للمقام تَزال، وأهلها لا يستقرُّ بهم وطنٌ ولا دارٌ كأنهم فوق متن الريح نزال؛ فأحسنّت في صحابتها، وأمطرت لا نَوءَ دون سحابتها؛ ولم يزل حولها موارد هيام، وحيث نُصبت قيل: سُقِيَتِ العَيْثُ أيتها الخيام.

(١) الغِرَار: القليل من النوم.

(٢) كذا ضبطه في صحیح الأعشى. وفي القاموس كمجلس. وهو كالمحفة إلا أنه يُحمل على أعلا ظهر الجمل بخلاف المحفة التي تحمل بين جملين أو بغلين.

(٣) العَذْبَة: طرف الشيء. والبُخْتُ: الإبل الخراسانية، تجمع على: بخاتي.

(٤) الرِّيطُ: جمع رَيْطَة، وهي الملاءة. واللَّمَمُ: جمع لَمَّة، وهي شعر الرأس المجاور شحمة الأذن.

(٥) المَطَا: الظهر. والمطايا من اللواب: ما يُمتطى.

في الخَرَكَاه^(١): ورُفِعَتْ مِنْهَا قُبَّةٌ أَمَدَّتِ السُّحْبَ دُونَ سُجُوفِهَا، وَعَقَدَتْ قُبَّةُ
السَّمَاءِ عَلَى سِقُوفِهَا؛ وَعَمَّرَتْ عُمَرَ النُّسُورِ مَا عَاشَ لُبْدُهَا^(٢)، وَرُبِطَتْ رِبْطَ السَّوَابِقِ^(٣)
لَا يُنْزَلُ عَنْهَا طَوَّلَ الدَّهْرِ لُبْدُهَا؛ وَقَوِيَ بِقُوَّةِ التَّرْكِيبِ عَلَى ضَعْفِ تِلْكَ الأَعْضَاءِ وَهَنْهَا،
وَلَا يُنْفَسُ بِسَوَافِي الرِّيحِ عِهْنُهَا^(٤)، وَلَا تَزَالُ لِبَابَيْدُهَا الحِمْرُ مُشْرِبَةً نَدَى وَرِدِّ
الْخُدُودِ، مُؤَدِّنَةً بِطَوَّلِ بَقَائِهَا الأَيَّامَ مَا لِكُهَا بِالْخُلُودِ.

في أَدَاوِيَّ^(٥) المَاءِ: وَحُمِلَتْ مَعَهُمْ أَدَاوِيُّ مَاءٍ يُتَبَرَّدُ فِي تِلْكَ الهَوَاجِرِ بِنَسِيمِهَا،
وَيُقَالُ فِي ظِلِّ نَعِيمِهَا؛ وَلَا يُسْتَأْمَنُ عَلَيْهَا كُلُّ خَدِيمٍ، وَلَا يَغْضَبُ المَتْرُودُ بِهَا أَنْ يَقْدَدَ
وَلَا يَقْدُ لَهَا أَدِيمٌ؛ لَوْ أَنَّهَا وَعُودٌ لَمَا اسْتَطَاعَ إِخْلَافُهَا، أَوْ أَمَهَاتٌ لَمَا رَضِيَ إِلاَّ أَخْلَافُهَا؛
سُحِبَتْ تَسْرِيًّا مَعَ حَامِلِهَا، وَتُغْنِيهِ فَلَا يَنْتَجِعُ مَوَاقِعَ الغَمَامِ اسْتِغْنَاءً بِحَاصِلِهَا.

في الحِيَاضِ: وَقَدْ صَدَرَتْ عَنْ تِلْكَ الحِيَاضِ الإِبْلُ بَرِيَّهَا، وَامْتَلَأَتْ جَنَابَتُهَا بِمَا
طَالَتْ بِهِ يَدُ عِبْقَرِيَّهَا^(٦)؛ ثُمَّ أَضْحَتْ تِلْكَ الرُّوَاءِ^(٧) دَوَافِقُ، يَمْتَّاحُ لَهَا الدَّلَاءُ كَأَنَّهَا
سُعُوبٌ^(٨) مَنْصَبَةٌ، وَيَمْتَارُ مِنْهَا كُلُّ قَرِيبَةٍ لَا تُرَدُّ كَأَنَّهَا تَعْتَقِدُ ذَلِكَ قُرْبَةً.

في الحِجْفَانِ^(٩): وَشَكَرًا لِتِلْكَ المَوَائِدِ المَمْدُودَةِ، وَالحِجْفَانِ المَمْرُودَةِ، وَتِلْكَ

(١) وتجمع على خركاوات. وهي بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ويغشئ بالجوخ ونحوه،
تحمل في السفر لتكون في الخيمة للمبيت في الشتاء لوقاية البرد.

(صبح الأعرشي: ١٤٦/٢)

(٢) لُبْد: اسم آخر نسور لقمان، وقد عاش طويلاً.

(انظر لسان العرب: لبد)

(٣) السابقة من الخيل: السريعة.

(٤) العهن: الصوف. والريح السافية (ج سواف) التي تسفو التراب وتذروه.

(٥) لعل المراد بها حياض الماء التي يحفظ بها ماء شرب المسافرين، وذلك لتمييزها عن الحياض التي تنقل

الماء لسقي الدواب، وهي الآتية بعد هذا. ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا لفظ «أداوي».

(٦) العبقري من الرجال: السيد؛ ومن الحيوان والأشياء: الفاخر الجيد.

(٧) الرواء من الماء: العذب.

(٨) جمع سَعْب؛ والسَّعْب: كل ما سال من شراب وغيره.

(٩) جمع جَفْنَةٌ؛ وهي الآتية التي يوضع فيها الطعام. وقد كانت العرب تفتخر بكبير الحيفان لدلالاتها على =

الْمَنَاسِفِ التي لو كانت كالجبال لكانت بكثرة امتداد الأيدي إليها قد نُسِفَتْ، أو كالجمال البَوَارِكِ لكانت بأثقال ما حملت من المطاعم قد عسفت؛ من جِفَانِ كالجواب^(١)، ما للائم فيها جواب.

في القُدُورِ: وقد أَمْسَوْا أولي أقدار عالية، وقدورٍ بذهب النيران حالية؛ كأنها جِبَالٌ راسية، أو جمال سارية، من كل قِدْرٍ كأنها على موقد النار زنجية متوركة، أو ليلة ظلماء بأطراف النهار من كل ناحية متمسكة.

في نار القِرْيِ^(٢): وقد لَبَسَ اللَّيْلُ بها قميصاً من أرجوان، وبات موقدها مثل مَلِكٍ يدعو إلى رضوان؛ كم تفرغت منها في الليل شجرة ذهب، أو أنقض كوكب له ذنب؛ قد أدرع الليل منها بزعفران، ونبت محمر الشقيق في مواقد النيران؛ فغشيها الطارق والمتاب، ودنا منها كل ساري ليلٍ إلا المُرْتَابُ.

في الأثافي^(٣): وتخلّفت ثلاث تلك الأثافي وقد فرشت بعدهم الرماد، وأصبحت في جملة الجماد؛ كأنها نُقِطُ النَّاءِ من سؤال كل سائل: أين ثَوُوا، أو نُقِطُ الشين من قول كل قائل: هنا كانوا أو هنا شَوُوا؛ لا تمرُّ عليها الركائب إلا مجددة، ولا يأتي إلا لعل حروفها تستمدُّ من تلك الأثافي مدة.

في أضواء المشاعل^(٤): وتكاثرت تلك الأضواء حتى طوت جَنَحَ الليل، وطفح

= الكرم. وفي ذلك يقول الأعشى في مدح المحلق:

نفى الدَّامَ عن آل المحلق جَفْنَةً
كجايبة الشيخ العراقي تَفَهَقُ
(١) الجواب: صوت الجوب، وهو انقضاض الطير.

(٢) هي نار توقد ليلاً ليراها الأضياف فيهدوا بها إلى الحي. وقد ذكر أبو هلال العسكري في «الأوائل» للعرب ثلاث عشرة ناراً، منها: نار المزدلفة، ونار الاستمطار، ونار الحلف... الخ.

(انظر الأوائل للعسكري - باب نيران العرب؛ وصحح الأعشى: ٤٦٦/١)

(٣) الأثافي: ثلاثة أحجار توضع عليها القدر؛ أو هي آلة ذات ثلاث قوائم تعلق عليها القدر عند الطبخ.

(٤) المشعل: آلة من حديد كالقفص مفتوح الأعلى، وفي أسفله خرقة لطيفة، توقد فيه النار بالخطب فيسقط ضوءه، يحمل أمام السلطان في السفر ليلاً.

(صحح الأعشى: ١٤٦/٢)

النهار مثل السَّيْلِ، وامتَلأت الأفاقُ نجومًا فلم يَحْتَجِ أَحَدٌ يسأل عن سُهَيْلٍ؛ هذا وخبرها دون العيان، وعنصرها مثل العِقْيَانِ.

في الفانوسَيْنِ^(١): وقد توقَّد في دُجَى الليل منهما فَرَقْدَان، وتآلف منهما أخوان مَتَّقْدَان؛ تنظر الظُّلَمَاءُ منهما بعينين، وتولول شُعْلُهُمَا فتحسبهما السابقة أذنين؛ قد حُمِلَا على رؤوس الرماح تُطَعَنُ بهما لَبَّةً^(٢) الظلام، وتُتَشَرُّ منهما عليها مُذْهَبَاتُ الأعلام؛ فلم يَخَفَ بهما مَنَار، وكل علم في رأسه نار.

النوع الخامس

آلات الصيد

في الفَخِّ: وسقط على داهية ضَمَّت له بين الجوانح، وضمنت لحتفه ما في أيدي الجوارح؛ وأمسكه قوس الفخِّ بكيده، وزاده قيداً على قيده؛ فأعجزه المصير، وضاق به منه فتر عن مسير.

في الشِّبَاكِ: وألقت لها شباكاً أصابتها بعيونها، وصارت لَمُنُونَهَا؛ وجمعت عليها أطرافها فلم يَنْجُ منها حاسِرٌ ولا مدَّرع، ولا خلص من حبالها سابقٌ ولا متَّبِع؛ وأمسكت تلك الأبطال المدجَّجة إمساك النَّقْدِ^(٣)، وألقتها في شباكها ولم تستعِذْ من شرِّ النَّفَّاثَاتِ في العُقْدِ^(٤)؛ فساقَت حتى أفضى قصيِّها، وأستلانت أعصى عَصِيَّهَا، وجاءت إليها بسحر السَّحْرَةِ بما ألقت من حبالها وعَصِيَّهَا؛ فأمسكت تلك السَّوَانِحَ، ووقفت في ميادينها تلك السَّوَابِحَ.

(١) كان الفانوس عندهم عبارة عن آلة كُرْبِيَّة ذات أضلاع من حديد، مغطاة بخرقه من رقيق الكتان الصافي البياض، يتخذ للإضاءة بغرز الشمعة في أسفل باطنه فيشتق عن ضوءها.

(المصدر السابق)

(٢) اللَّبَّة: موضع القلادة من العنق.

(٣) النَّقْد: صغار الغنم.

(٤) النَّفَّاثَاتِ في العُقْد: الساحرات.

في الزَّبْرِيطَانَةِ^(١) : ورمي بالزَّبْرِيطَانَةِ فكدف ليلها المظلم أنجما، وأتبع بها ما رِد الطير فأمسى بشُبهها مُرْجَمًا؛ فنفخ بها في غير ضَرَمٍ؛ وأنتفخ من غير وَرَمٍ؛ وقام ينفث فيها فآلقتي سَمَّ الْأَسَاوِدِ^(٢)، ومدد إلى شَمِّ الذَّرَى بساعد، وسرحها بيده فكان السَّمَاكُ الرَّامِحُ^(٣)، وأكثر بها الصَّرْعَى فكان سَعْدُ الذَّابِحِ؛ وصَبَّ منها فَوَّارَةٌ بنادقها الصَّغَارِ ما نساقط من الماء، ووشيجها المقوم ما صعد إلى السماء.

في الصَّنَانِيرِ: وعُطفت لها من الصَّنَانِيرِ تلك المَحَاجِنِ، وأُعْلقت فيها تلك لمحاسن؛ ودُلَّت إليها في خيطٍ كان لعنقها حبلاً من مَسَدٍ، وشُمَّمت هواءَ الدنيا فكان سبباً لها إلى مفارقة الروح الجسد، وأخرجت من تحت سُتور الماء مُخَبَّاتُهَا، وأستوذنت بكأرها وإذنها صُمَاتُهَا^(٤)؛ ثم لما لُبِّت تلك الطرائد وخيطة بتلك الأسافي^(٥) فواؤها، وريعت بشنقها في تلك الجبال وفي لُجج البحر أشباهها، حملت منكسةً على رماح من قَصَبٍ، وأصيبت بسهام ما وُصلت بجلد ولا عَصَبٍ.

النوع السادس

آلات المعاملة

في الميزان: ونُصِبَ من الميزان عدلٌ يُرجع إليه، ويُعتمد في الإنصاف عليه؛ بحسبٍ لا يغيّر إحسانه، ومنصِفٌ بغير الحق لا يحرك لسانه؛ لا يسعَى به إلا مَنْ

(١) كذا ضبطها في ط ق وفي صحح الأعشى. وفي القاموس: «الزَّبَطَانَةُ». وفي اللسان: «السَّبَطَانَةُ». قال في صحح الأعشى: وهي آلة من خشب مستطيلة كالرمح مجوفة الداخل، يجعل الصائد بُنْدَقَةً من طين صغيرة في فيه، وينفخ بها فيها فتخرج منها بحدة فتصيب الطير فترميه. قال في اللسان: هي قناة جوفاء مضروبة بالعقب يُرمى بها الطير، وقيل: يرمى فيها بسهام صغار ينفخ فيها نفخاً فلا تكاد تخطيء. والسَّبَطَانَةُ هي قناة البندقيّة أو المدفع، وتُسمى أيضاً: الأستون.

(٢) الأساود من الحيات: العظيمة فيها سواد. واحدها: أسودة.

(٣) السَّمَاكُ الرامح: نجم يقدمه نجم آخر مستطيل الشعاع يقولون هو رمحه. وسَعْدُ الذَّابِحِ: كوكبان متقاربان سمي أحدهما ذابحاً لأن معه كوكباً صغيراً غامضاً يكاد يلزق به فكأنه مكبٌ عليه يذبحه.

(٤) صُمَاتُهَا: أي صمتهها. وقالوا في البكر يُعرض عليها الزواج: إذنُها صُمَاتُهَا.

(٥) كذا في ط ق. ولم نثر عليه في معاجم اللغة. ولعله: «الأنافي».

نَجَحَ، ولا يثقل في كَفْتِهِ إلا مَنْ رَجَحَ؛ يردُّ بقيامه بالقِسْطاسِ المستقيمِ المفترى، وإن لم يكن من الميزان بُرْجُ الزهرة فربما كان بيتُ المشتري؛ ولم يزل يُستَعادُ من خِفَّتِهِ، ويعزُّ من ثقل كَفِّهِ بما في كِفْتِهِ؛ وقد أُعدَّ يومُ القيامةِ لأعمالِ الأنامِ، ورآه سيِّدُ هذه الأُمَّةِ قد تدلَّى من السماء فيما قصَّه من المَنامِ.

في الكَيْلِ: ومُدَّ فَتَحَ الكَيْلُ فَمَهْ صُدَّقَ، وأعتبروا به ولم يبقَ إلا مُصَدَّقٌ؛ ورجعوا إلى حُكْمِهِ وهو أصلح، ومُدَّ عَلَّمَ على رِقْمِهِ وتقلَّصت شَفَّتُهُ قيل: أفلح؛ قد طلع رِقْمُهُ، وأضطلع به قَرْمُهُ^(١)؛ أحدُ ما أمر القرآنُ بالوفاءِ بِقِسْطِهِ، وصحَّ به السَّلْمُ بشرطه؛ لم يُسبغْ للذِّراعِ ولا للميزانِ تصرِيفَهُ، ولا أدرك أحدهما مُدَّهُ ولا نصيفَهُ.

في الذِّراعِ^(٢): وقد صحَّ معه القياسُ، وقُدِّرَ عليه اللَّباسُ، وتفاصَّلَ على الرِّضَى به الناسُ؛ ميزانُ نُصبِ بالقِسْطِ لا يفتقر إلى مِثاقيلِ، ولا يرجح عنده ثَقيلٌ؛ لا يحتاج في إعطاءِ الحَقِّ إلى تعليقِ، ولا يضطرُّ إلى تدقيقِ النظرِ لتحقيقِ؛ به تُحصَرُ المساحةُ، وتَبْرأُ الساحةُ؛ ويحدُّ من الحدِّ ما يُتَّبَعُ، ويقوم به نَوءُ الذِّراعِ ولا يُقاسُ للثريا بشبرٍ ولا للجوزاءِ بإصبعٍ.

في المِقْصَصِ: وذُكِرَ هنا تبعاً -: وهو الذي طالما واصلَهُ المرءُ فقطعَ، وجهد فلم يقعَ، في كل يد له غير درهمٍ فأقتنعَ؛ روحان في جَسَدِ، واثنان بقلبٍ واحدٍ خلا من الحَسَدِ؛ كم صاحَ فأصبح كلُّ ذي شِقَّةٍ بعيدةٍ به صاعقاً، وجثا بين القومِ على ركبتيه ثم قَصَّ قصاً صادقاً.

(١) القَرْمُ: السِّيدُ المعظمُ؛ ومن الفحول: الذي يترك من الركوبِ والعملِ ويودع للضُّرابِ.

(٢) ذكر الماوردي في الأحكام السلطانية سبع أذرع هي: العُمَرِيَّةُ، والهاشمية، والبِلايَّةُ، والسوداءُ،

واليوُسُفِيَّةُ، والقصبَةُ، والمُهْرانِيَّةُ. ولكل منها طولٌ مختلفٌ عن طول الأخرى؛ وكل واحدة تستعمل في

مجالاتٍ محددة. (انظر الأحكام السلطانية: ١٩٤؛ والنظم الإسلامية لصبحي الصالح: ٤١٢).

النوع السَّابع

آلات الطَّرَب

في الدَّف: وَضَرَبَ بالدَّفِّ فأحسَنَ إذ ضرب، وجاء بمجموع الطَّرَب؛ قد حمَلَ الشمسَ منه دارةَ القمر، وطلع وحُسْنُهُ قد بَهَرَ العيونَ وقَمَرَ^(١)؛ فناسَبَ في فتح بَنانِهِ عليه وأنضمامه، وأظهر نَقَصَ آلات الطَّرَب كلها بتمامه.

في الشَّبَابَةِ^(٢): ولم يزل يهوى منها ناحلةً صفراءَ بادٍ شحوبها، ظاهرٌ نحيبها؛ أنابيبُ في أجوافها الريحُ تَصْفُرُ، إذا سُدَّ منها منخرٌ جاشٍ منخرٌ؛ الرماحُ بها كَلٌّ^(٣) على القصب، وبنانٌ ممسكها مملُكٌ وهي تاجُهُ الذي به اعتصب؛ يودُّ هفيفُ الدَّوْحُ أنه منها يتعلَّم، ويقول لديها الحضور الصَّموت ونحن سكوتٌ والهوى يتكلم؛ قد جلب الملهى بها السرورَ أو سبب، وأستعار طربها لوصف الحبايب فلهذا إذا ذكَّر حبيبَه قيل قد شَبَّب.

في العود: آلهٌ لا يضرب بها إلا مُجيد، ولا تكون إلا بين صَدْرٍ وجيد؛ يُسِرُّ وقد وُتِر، ويطلق وهو في قبضة اليد قد أُسِر؛ كأنما علمته الحمائمُ أصواتها حين نشأت في الدَّوْح، وألقتها عليه فنقلها إلى الغناء من النُّوح؛ كم عمَرَ مجالسَ السرور وهو في مثل الحرب، وأطرب وهو في تقييد وضرب؛ ماسَ رطيبا، وطاب ولا غرَّو للعود إذا نفح طيبا.

في الرِّباب: وضربَ بالرِّباب فتذكر زمانه بالحبايب، وأيامه بتلك الربائب؛ فأهتزَّت إلى الأحباب، وطرب بزِينَب والرِّباب؛ وطاب صوته على التَّرديد، ورقَّ وقلبه

(١) قَمَرَ العيون: بَهَرها.

(٢) من آلات النِّفخ، تتخذ من القَصَب المجوَّف. ويقال لها الرِّباع أيضاً، تسمية لها باسم ما اتخذت منه؛ وربما عبَّر عنها بالمزمار العراقي.

(٣) الكَلُّ: من يكون عبثاً على غيره.

من حديد؛ فلاحته به لأوقات السرور شارقة، وحثت به كؤوس المدام ولا غرو أن يكون للرباب بارقة.

في الطنبور: آلة لولها لما حصل النفاق لدنانير^(١)، ولا احتاج الطرب في دخوله إلى دستور الدساتير؛ حسن موضوعاً، وتفرق كل طرب فيه وجاء مجموعاً.

في الجنك^(٢) - وهو آلة محدثة -: وضمت من الجنك ما طال عنقاً، وطاب عنقاً؛ وأحدث فأحدث الطرب، وأختصت العجم منه بما لم يُعهد للعرب؛ لا يبعد من مقاربه فهم، ولا يكون سهم سرور إلا والجنك دونها هو المتصل بالسهم.

النوع الثامن

آلات اللّعب

في النرد^(٣): وهو للزمان مثال، ولجملة السنة تمثال؛ مهارة عدد أيام الشهر، وفصوصه تجيء مثل القضاء والقدر في تصريف الدهر؛ وخصاله سبعة كالجمعة؛ وبيضه وسوده مثل الليالي والأيام، وكله نقص ويطلب فيه التمام؛ وفيه تمثال لمعد الآجال، والتثقل من حال إلى حال؛ وما يأتي بغير كسب وما لا بد فيه من أنه يكتسب، وما يكون بسبب وغير سبب؛ مما نجم من آفاق العجم إلا أنه محرم، وناز تتصرم.

(١) دنانير: مغنية مشهورة، كانت مولاة لرجل من أهل المدينة، خرّجها وأدبها، واشتراها يحيى بن خالد البرمكي فنبغت في بيته. لما نكب البرامكة امتنعت عن الغناء لغيرهم. توفيت سنة ٢١٠ هـ. (الأعلام ٣٤١/٢).

(٢) اللفظ فارسي. وهي آلة ذات أوتار. قال الشيخ أحمد النجفي: آلة من المعازف كانت في القدي تستعمل في الموسيقى، ذات ستة وأربعين سلكاً. وقال بعضهم إنها العود. قال القلقشندي: ورأس هذه الآلة ممال إلى أسفل.

(تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل: ٦٨ - صبح الأعشى: ١٦٠/٢).

(٣) قال في صبح الأعشى: وضعه أردشير بن بابك أول طبقة الأكاسرة من ملوك الفرس، ولذلك قيل له النردشير. وقد رتب الرقعة التي عشر بيتاً بعدد شهور السنة، والمهارة ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر وجعل الفصوص بمثابة الأفلاك، والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة. (انظر صبح الأعشى: ١٥٧/٢ ١٥٨). وهذه الآلة تعرف بطاولة الزهر.

في الشُّطْرُنَج (١): معركةٌ لا تُطَلُّ فيها الدماء، وميدان خيل لا تجري فيه الشُّهْبَاءُ ولا الدُّهْمَاءُ؛ قد قُرنت رُخاخُه، ونُصبت للخيل فِخاخُه؛ وامتدَّت أسوار بيّادقه، وقعدت شاهاتُه المملوكُ على نَمارقه؛ وأوسعت فيه الأفكارُ المجال، وأتت فيه بغرائب البداية والارتجال؛ وطالما عُقد فيه البُنْد، وأورِي بالمراشقة فيه الزُنْد؛ وهالت فيه الأفيال، وبلغت فيه الفَرَازِينُ ما لم تبلغه الأقيال.

النوع التاسع

المُسكِرات وآلاتها

في وصف الخمر على الجادة المعتادة: وسعى السَّاقِي بكاسها، وصَبَّ الذهب من أكياسها؛ وفضَّ عنها طينة ختام كانت طابعاً لشمسها، ودواءً مما يُخامر العقول من مَسِّها؛ وراضها بالمِزاج ولولاه لجمحت، ولاينها بملاطفته حتى جَنحت؛ وأفتضَّ منها بكَراً لم تَعَنَّس، وقَدَح منها ناراً لوراها عابدها لَزَمَزَمَ أو العيسويُّ لَقَدَّس.

في ذَمِّها: وهي التي أترَع الشيطان كأسها دهاقاً، ولم يَرْضَ إلا بالعقول عليها إنفاقاً؛ لم تورَف كَرَمُتها الظلال إلا للضلال، ولا خلقت طينتها إلا للخبال؛ أوَّل ما سوَّدت بالقار صحيفةً ذَنُّها، وأساءت بالمساورة معاشرة خِذْنِها؛ ولم تنكر خبائثة الخندريس، وأن تعريش الحَبِّ على مائها عَرَّشَ إبليس.

في الكأس: والكأس هلالٌ مالت شفتُه، وأفقُّ محمرُّ الشَّفَق تَمَّت صفته؛ شبَّ في الكفِّ والتَّهَب، والكأس من فضة والراح من ذهب؛ كأنه تعريقة نون في يد الكاتب، أو معدن أصبح به حامل الكأس الكاسب.

في القَدَح: تكوُّن من جوهر مكنون، وتجنُّد من هواء مظنون؛ وأتخذ خِذراً

(١) ضبطه في صبح الأعشى بفتح الشين. والذي في القاموس أنه بكسر الشين، ولا يفتح أوله. وفي لسان العرب أن الكسر فيه أجود ليكون من باب «جرْدخل». وحجارة الشُّطْرُنَج ستة أنواع هي: الشَّاه أو الملك، والفرزان، والفيل، والفرس، والرَّخ، والبيدق.

لآبَةِ العنب، وطاف به السَّاقِي فأصبح منه في راحة وهو في تعب؛ قهقه عليه الإبريقُ
فَصَدَحَ، وطار منه شرار المدام فقيل قَدَحَ.

في الإبريق: ولم يبقَ في ذلك المجلس إبريقٌ حتى أتَلََعَ^(١) جِيده، وملاً من
وَدَجِ الراووق^(٢) وريده؛ حتى غرَدَت في دوحه البلابل؛ وطُعنَت الهمومُ بتلك
الدُّوَابِل؛ وتنبَّهت بها المسرَّات وهي نيام، ومالت رقابها كأنها إورُزٌ بأعلى الرِّقْمَتَيْنِ^(٣)
قيام؛ ولم يزل يُدار حتى خَفَّت الأوقار^(٤)، ولم يبقَ في الإبريق إلا لواتُ فمه كأنما
تناول ياقوتاً بمنقار.

، في ذَمِّ الحَشِيشِ^(٥): -وهي لا تُحمَد في حال-: وهي وإن كانت مما تُنبت
الأرضُ من قوائل السُّموم، والمضنيات للجُسوم، فإنها حَرامٌ وإن لم يُنصَّ على
تحريمها، حطامٌ وإن رعى قومٌ في هشيما؛ ضررها لا يُعدّ، وإن لم يجب الحدُّ فيها
فإنه يجب التّعزير وربما كان أمضى من الحدِّ؛ ومن رآها وقدر منها علم أنها نجسة
العين، وأن آكلها لاستيلاء السوداء عليه مثل غراب البيّن؛ وقد أساءَ آكلها لنفسه ما
أختار، وأشبَهَ البهائم فإن الحشيش ما يأكله إلا الحمار.

(١) أتَلََعَ جِيده: أظهر عنقه.

(٢) الراووق: الكأس. والوَدَج: عرق في العنق.

(٣) الرِّقْمَتان: قريتان بين البصرة والنجاد بعد ماوية تلقاء البصرة. وقيل: هما روضتان إحداهما قرب البصرة
والأخرى بنجد؛ وقيل: إحداهما قرب المدينة والأخرى قرب البصرة.

(انظر معجم البلدان: ٥٨/٣).

(٤) الأوقار: جمع وُقْر، وهو الحمل الثقيل.

(٥) أو الحشيشة؛ ويقال لها اليوم: حشيشة الكَيْف؛ وسماها أطباء العرب: الشَّهْدَانِج؛ وعبر عنها ابن البيطار
بالقَبِّ الهندي.

الفصل الثاني

في الحيوان وأنواعه

النوع الأول

في الحيوان المُدَلَّل المعدُّ للركوب .

في الخيل: اعلم أن صفات الخيل المستَحْسَنَة كثيرة أمتلأت بها الكتب، وكثرت بها المعرفة حتى بقيت لا تكاد تُجهل؛ وجماعُها في الفرس أن يكون من عَظَم خلقه كالْبُنيان، وفي سرعة انعطافه مثل العنان، وفي أشتداد جَرِيهه مثل الطيران؛ ويكون رقيقَ لحم الخُدَّين، واسعَ الشَّدقين، جاحظَ العينين، حديدَ الحدقتين، مؤلَّلٌ^(١) الأذنين، عريضَ الجنبين، ناتيءَ الصِّدر، قصيرَ الوَظيف^(٢)، طويلَ النَّسأ^(٣)، قصيرَ المَطأ، واسعَ الخُطى، عريضَ الكَفَل^(٤)، سائلَ الذَّيل، قصيرَ عَجم^(٥) الذَّنْب، صلبَ الحافر مُقَبِّبَهُ كأنه قَعْبُ الحالب، لَيِّنَ الجلد، ناعمَ البشرة، كأن دُهناً سُكِبَ عليه .

وأزَيَنُها الشُّهْبُ، وأصبرُها الكُمْتُ، وأسبِقُها الشُّقْرُ، وأحدُّها الدُّهْم^(٦) . وما

(١) أي محدّد الأذنين منتصبهما .

(٢) الوظيف: مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرها .

(٣) في صحیح الأعشى عن ابن قتيبة: قصير النَّسأ . والنَّسأ: عرق في الساق مستبطن الفخذ .

(٤) الكَفَل: العجز للإنسان والدابة .

(٥) عَجم الذنب: أصله، ويضَمّ .

(٦) الدُّهْم: شديدة السواد، مفردها: أدهم؛ والأشقر: الذي يكون قليل الحمرة وعُرفه وذيله أشقران؛ والكُميت: هو الذي يخالط حمرة سواد؛ والأشهب: الذي غلب في لونه البياض .

سَلِمَ فِيهَا مِنَ الْوَضْحِ ^(١) كَانَ أَشَدَّ - وَالغُرَّةُ وَالْحُجُولُ مِنَ الْوَضْحِ -.

وهي نوعان: عِرَابٌ وَهَمَالِيحٌ ^(٢).

وَيُقَالُ فِيهَا: وَقَدْ أَتَحَفَنَاهُ مِنَ الْخَيْلِ بِكُلِّ سَابِقٍ تَقَصَّرَ عَنْهُ الرِّيحُ، وَيَقْصُرُ الطَّيْرُ وَرَاءَهُ الْجَنَاحَ؛ تَظُنُّ السُّحْبَ عَنْ مِبَارَاتِهِ مَشْغُولَةً، وَالْبُرُوقَ عِنْدَ مَجَارَاتِهِ مَشْكُولَةً؛ لَا يُسْمَعُ لِلرَّعْدِ وَرَاءَهُ إِلَّا الْأَنْبِيْنَ، وَلَا يَرَى النَّهَارَ فِي لَيْلٍ عَجَّاجِهِ إِلَّا حَمْلٌ أَوْ جَنِينٌ.

فَمِنْ أَشْهَبَ جَوَادٍ بِمَا فِي يَدِهِ، سَابِقٍ يَعْدُ يَوْمَهُ الْأَبْيَضَ لَعْدِهِ، كَأَنَّمَا قَمَصَهُ النَّهَارُ بَرْدَاتِهِ، أَوْ سَمِحَ لَهُ الْبَدْرُ التَّمَامُ بِرَوَائِهِ؛ قَدْ صِيغَ مِنْ لُجَيْنٍ، وَصِيْنَ نَوْرُ الْبَصْرِ مِنْهُ بِسَوَادِ الْعَيْنِ. - وَمَعَهُ شَهْبَاءٌ مِنْ جِنْسِهِ لَا تَحَدَّثُ عَنْ غَيْرِهَا مُحَاسِنُ الْأَنْبَاءِ، وَلَا تُعْرَفُ لِحَلْبِ زُبْدَةٍ إِلَّا لِكُونِهَا حَكْتَهَا وَتَسَمَّتْ بِالشَّهْبَاءِ.

وَمَنْ أَخْضَرَ لَمْ يَبْعُدْ عَلَيْهِ أَرْبَ، أَخْضَرَ الْجَلِدَ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ؛ يَطْلَعُ فِي أَكْمَامِ اللَّبْسِ نَوَّارًا، وَيَقْدَحُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرَ نَارًا؛ إِذَا أُمَّ نَازِحًا أَقْتَرَبَ؛ وَإِذَا بَلَّغَهُ الرِّكْضُ جَرَّ ذَيْلَهُ عَلَى الْمَجْرَّةِ وَمَلَأَ الدَّلْوُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ ^(٣). - تَتَلَوُهُ خَضْرَاءُ عَجَّلَتْ بِالشَّرَاءِ، وَأَقَامَتْ عَذْرَ بَنِي أُمَيَّةَ فِي حَبِّ الْخَضْرَاءِ ^(٤).

وَمَنْ أَدَهَمَ كَمْ دَهَمَ الْأَعْدَاءُ رُغْبُ غُرَّتِهِ الْمَطْلَّةِ، وَدَهَى الْأَنْوَاءُ بِمَا أَبْكَى سُحْبَهَا الْمُسْتَهْلَّةَ، وَسَلَبَ الظُّلْمَاءُ حُلَّتَهَا ثُمَّ دَارَ عَلَى هَلَالِهَا وَمَعَهُ تَمَمَةٌ أَرْبَعَةٌ أَهْلَةٌ؛ أَوْ عَنَّ

(١) الْوَضْحُ: هُوَ الْبَيَاضُ الْمُخَالَفُ لِلْوَنَاءِ. فَإِنْ كَانَ الْبَيَاضُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ فَهُوَ الْغُرَّةُ، وَإِنْ كَانَ فِي رِجْلَيْهِ فَهُوَ التَّحْجِيلُ.

(٢) الْعِرَابُ: الَّتِي تَوْجَدُ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، وَهِيَ تَطْلُبُ لِلسَّبْقِ وَاللِّحَاقِ. وَالْهَمَالِيحُ: الَّتِي تَجَلِبُ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَالرُّومِ، وَغَالِبٌ مَا تَوْجَدُ مَشْقُوقَةَ الْمَنَاخِرِ، وَتَطْلُبُ لِلصَّبْرِ عَلَى السَّيْرِ وَسُرْعَةَ الْمَشْيِ؛ وَتُعْرَفُ الْهَمَالِيحُ بِالْبِرَازِيِّينَ وَبِالْعَجْمِيَّاتِ وَالْأَكَادِيثِ. وَهَنَّاكَ نَوْعٌ ثَالِثٌ مُؤَلَّدٌ بَيْنَ الْعَرَابِ وَالْهَمَالِيحِ: فَإِنْ كَانَ الْأَبُ عَجْمِيًّا وَالْأُمُّ عَرَبِيَّةً قِيلَ لَهُ: الْهَجِينُ، وَإِنْ كَانَ بِالْمَعْكَسِ قِيلَ لَهُ: الْمُقْرَفُ.

(٣) الْكَرْبُ: الْحَبْلُ يَشُدُّ فِي وَسْطِ خَشْبَةِ الدَّلْوِ فَوْقَ الرِّشَاءِ لِيَقْوِيهِ. وَالْجَمْعُ: أَكْرَابُ.

(٤) أَيِ الرَّايَةِ الْخَضْرَاءِ، وَكَانَتْ شَعَارَهُمْ.

لعنترة خياله لم يذكر لَبَانَ^(١) أدهمه، أو رأى البدر غرته لزرر في الليل جيبه على درهمه؛ إذا بلغ قبل آرتداد الطرف مدها كان قد اقتصر، وإذا قصر به أمد السرور زيد فيه سواد القلب والبصر.

ومن كُميت، كم حي على تمنّي مثله كُميت؛ وقد [أسجف]^(٢) سواد الليل ذيل شفقه، وذرّ فتيّت المسك على ورد ألقه؛ وخرط كالعقيقه، ورخص بملء العليقه، وأشبه الروض فإن لم يكنه كان شقيقه.

ومن أشقر أغر كأنه قبس يتلهب؛ وقد قيّد بحجولة لثلا يذهب؛ كأنما سلب البرق رداءه الموشع، ووقفت له الشمس كما وقفت ليوشع؛ وقر له كل سابق بأنه مسبوق، وأذعن له في الميدان لما جاء وعليه أثر الخلق؛ - يُجنب إلى جانبه شقراء طارت من زنده شراره، وأت ما بين شقيقه وبهارة؛ لا يُدانيها جواد ليس له معها يدان، ولا يباريها إذا قيل له: هذه الشقراء وهذا الميّدان^(٣).

ومن أصفر حبشي^(٤) كأنما علّق سبج^(٥) بديناره، أو أمتدّ خيط من الليف في أصيل نهاره؛ لا يفوته ما أراد من التحصيل، ولا ينكر له إذا كان كريماً وهو أصيل.

(١) الإشارة إلى قول عنترة في معلقته:

يدعون عنتراً والرماح كأنها أشطان بشر في لبان الأدهم

(٢) في طق «سنجف» وهو غير موجود في معاجم اللغة. وأسجفه أو سَجَفَه: أرخى عليه السجف، أو أظلمه.

(٣) كان النبي ﷺ يستحب من الدواب الشقر ويقول: «لوجمعت خيل العرب كلها في صعيد واحد ما سبقها إلا الأشقر». وينقل عنه قوله: «عليكم بانات الخيل فإن ظهورها حرز وبطونها كنز» - عيون الأخبار لابن قتيبة: ٢٤٢/١.

(٤) الأصفر الحبشي: هو ما كان عرفه وذيله أسودين، ويقال له أيضاً: أصفر مطرف. وإن كان عرفه وذيله أصهبين مائلين إلى البياض قيل: أصفر خالص؛ وإن كانا أبيضين قيل: أصفر فاضح؛ وإن كان أصفر ممتزجاً ببياض قيل: أشهب سوسني.

(صبح الأعشى: ١٩/٢ - وانظر أيضاً: بلوغ الأرب: ٩٥/٢).

(٥) السبج: خرز أسود.

- ويدانيه صفراء فاقع لونها تسر الناظرين، وتسوء المناظرين؛ كأنها سبيكة ذهب أفرغت، أو في وُرْش^(١) المغرب قد صبغت؛ لا تزال تتجمل بها الكتائب المنصورة، وتتقدم الجنائب منها صفراء كأنها راية السلطان المنصورة.

- ومن ذي بَلَقٍ^(٢) كأنما هو لابس بُرْدَيْن، أو جامع لصدّين؛ إلا أنه قد ضمَّ بُرداً وأرخى بُرداً، وامتدَّ فيه جَنَحُ الليل والنهار قد تبدَّى. - ويليه بَلْقَاءُ تسوي مبلغ خراجها، وتدلُّ على تمام الحُسن باعتدال مزاجها؛ قد جاءت وفق ما أراد، وازداد حُسْنُها بما جمعت من البياض والسواد.

- ومن الأكاديش الرَّهاوين^(٣) كلُّ سابقٍ يبلغ الأمد القَصِيَّ، ويخدم ركابه منه الخادمُ الخصي؛ يتمشَّى مشية المتمايل، ويظهر على بقية الخيل وهو المتخايل؛ أهون ما تمرُّ به الوحول، وأسهل عليه قننُ الجبال التي لا تتفحَّم مشاقها الوعول؛ قد أعرق في بني الأصفر^(٤) فجاء كأنه دينار، وأقام في الروم سَنَاقِبَسٍ فتلهب كأنه نار؛ وتكفل براحة راكبه فكان سهوته أوطأ المهود، وأخفَّ ظهراً من الجياد العربية في قطع العقبة الكؤود؛ كم حام في قلة شاهق من السُور، ونزل إلى قرارة واد لا يظن مستوطنه منه السُور؛ يتحدَّر تحدُّر الماء، ويصعد صعود الدعاء المتقبَّل فلا يزال حتى تُفتح له أبواب السماء.

في البغال: وأكرمُّ بها بغلة لا تغلو بقيمة، ولا تفخر إلا بنفسها لا بالأصول القديمة^(٥)؛ يعتبر في الحسن جميع أحوالها، ويُعتذر لها إذا قصرت العمومة بما طال من شرف أحوالها؛ ذروة أعدت لعالم، وصهوة لخليفة أو وزير أو حاكم؛ تتدفق كالسيل،

(١) كذا في طق بالشين المعجمة. ولعله «وُرْس» بالمهمله. وورس المغرب: أصفراره.

(٢) الأبلق من الخيل: الذي فيه بياض وسواد. وفي صبح الأعشى: هو الذي علا البياض حنوي رجله ومرفقي يديه.

(٣) أي السريعة المتتابعة السير، جمع: رَهوان.

(٤) أي أهل بلاد الروم.

(٥) باعتبارها تتولد بين حصان وأتان، أو بين حمار وحجرة، وهي الفرس الأثني.

وتترقق ولا يعجزها مطلع سهيل؛ لا يلحقها ما يلحق الخيل من الزهو، ولا تترتاد إلا للجد لا للهو؛ ذلت سكينته كأنما سمعت إنذاراً، أو قدّمت أعداراً، وأناة كأنما تراقب في دوس الأرض حذاراً، وتبلغ الأقصى ولا يبيل لها الركض سالفاً ولا عذاراً.

في الحُمُر: وبعث إليه بحمار صعيدي^(١)، لا ينسب راكمه إلى كبر، ولا ينقص عما يتعالى إليه جياذ الخيل إلا قدر شبر؛ ولم يزل على راكمه السكينة، وهو أحد الثلاثة التي نوه الله بذكرها في قوله: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨]؛ يُبلغ عليه المدى البعيد، ويُمّم به الساري حيث شاء لأنه من الصعيد؛ مؤونته خفيفة، ومقتنيه يُسرحه ولا يجد عليه خيفة؛ وقد ركبت مثله الأنبياء، ولم يقتن غيره الأولياء؛ يؤمن منه النّفار، وتُقنعه النّغبة من الجفّار^(٢)؛ لا يخشى راكمه بُعد المهوى إذا سقط، ولا يعدم من محاسن البغال إلا عين الحاسد فقط؛ يحصل به ما يراد من الفرس في طول الأسفار، ويطمئن مودعه به إذا كان هو المثل فيما يحمل من الأسفار^(٣).

في الإبل: وهي نوعان: عجم^(٤) وعِراب؛ ثم العِراب رواحل وجمال أثقال. وقد [أعدنا]^(٥) لبلوغ الغاية من الإبل ما أقتدنا به كل صعب، وحملنا عليه معنا كل صعب؛ وقدّمنا منها سفائر ليل، وسفائن آل هي أقدر على قطع تياره من سوانح الخيل؛ وأخترنا منها رواحل تطوي بها المراحل، وتساق سحبها التي هي كالإبل إلى البلد الماحل؛ وأرتدنا منها كل طائر في الزمام، ضامر كالقسي يرمي بقبته^(٦)

(١) قال القلقشندي: وخيرها حُمُر الديار المصرية، وأحسنها ما أتى به من الصعيد. وهي تنتهي في الأثمان إلى ما يقارب أثمان أوساط الخيل؛ والأحسن فيها ما كان غليظ القوائم، تام الخلق، حديد النفس. (صبح الأعشى: ٣٨/٢).

(٢) واحدها: جفّر، وهي البئر الواسعة التي لم تُبن بالحجارة. والنّغبة: الجرعة.

(٣) الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ - الجمعة: ٥.

(٤) قال في صبح الأعشى: وهي جمال جفاة القدود، طويلة الوبر، تجلب من بلاد الترك؛ ويقال لها: البَحَاتِي.

(٥) في طق: وأعدّه وما أثبتناه يناسب السياق.

(٦) القتب: الرّحل الصغير على قدر سنام البعير.

كالسهام؛ في هيئة جبال وهي جمال، وتمأيل دوحة فرعاء وهي في سرعة التنقل
 ظلال؛ لا تباري الرياح خفافها، ولا تمكن على الأرض من حافر الحركة أخفافها؛ قد
 طويت طي الأنابيب، ووسمت الأرض ببدور حولها من حوافر الخيل محاريب؛ ومعها
 برسم حمل الأثقال كل عبادي^(١) لو رآه عبدة ابن الطيب^(٢) لقصّر عليه القول، أو
 الراعي^(٣) لما أنصرف بعده إلى الشؤل؛ أو زين به فناء ابن زبانة^(٤) لم تلقه في النعم
 الغارب، أو حُميت به [رواحل]^(٥) أمريء القيس لما سمع قول العائب؛ يحمل
 الجمل منها ما لو حمل الجبل بعضه لتصدّع، ويكابد جهد السرى لا يشكو ولا
 يتوجّع؛ قد ألفت بادية الأعراب فلا ينفك بين جل ومرتحل، ولا يبالي حيث شدّ ركبته
 وحل؛ قد طوى على الظماء أحشاءه، ودلّل وما كان يعجزه عزّ الآباء لو شاءه؛ ومعه من
 العجم البخاتي ما يقطع الأرض بساريساريك نزل معه النجم في أفقه، ويدك الصخرة
 في طرفه؛ ويغنى بحلي أوبار عما يضاهاى به من الحلل، وتباهي به ذوات القباب
 الخشب ربأت الكلل^(٦)؛ عزّت نفوساً، وطلعت من المشرق شمساً؛ وقصرت أيديها
 وأشدّت زنودها، كأنماتهم بمواثبة عدو يكيدها؛ تنصب في أقطار الأرض كأنها الغيوم
 السّواجم، وتقلد من أوبارها بأطواق [زين البراجم]^(٧)؛ لا تمتد معها
 سوائم العرب، ولا تسري معها إذا مدّ السحاب رواق أنوائه وضرب؛ ولا يستطيع

(١) العباد: قوم من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية فأنفوا أن يتسموا بالعبيد وقالوا: نحن
 العباد، والنسب إليه عبادي كإنصاري. (لسان العرب: عبد).

(٢) هو عبدة بن يزيد الطيب: شاعر فحل من مخزومي الجاهلية والإسلام. توفي نحو ٢٥ هـ. (الأعلام: ١٧٢/٤).

(٣) هو الراعي النميري: عبيد بن حصين بن معاوية: شاعر من فحول المحدثين. كان من جلة قومه، ولقب
 بالراعي لكثرة وصفه الإبل. توفي سنة ٩٠ هـ. والشؤل: البقية من اللبن في الضرع. وانصرف إلى الشؤل:
 كناية عن انصرافه إلى وصف الإبل. (الشعر والشعراء: ٢٠١؛ والأعلام: ١٨٨/٤).

(٤) كذا في طق. ولم نعثر على هذا الاسم في كتب التراجم والأدب التي بين أيدينا.

(٥) في طق: «راجل». والرواحل جمع راحلة وهي من الإبل الصالحة للأسفار والأحمال.

(٦) واحدتها: كلة، وهي ستر رقيق مثقب يتوقى به من البعوض وغيره. وربات الكلل: المرقهات المنعمات.

(٧) في طق «أوزين ببراجم» والتصحيح من عندنا. والبراجم: مفاصل الأصابع، واحدتها: برجمة.

معها سلوك الحول، ولا يحصل منها إلا على حوالات المحال إذا حصلت هي على حقيقة الوصول؛ تتباعد منها خُطى وهي مثل أختها، وتندانى منها شَبهاً وإنما فضلت عليها البخاتى بأستحقاقها لا ببختها.

النوع الثاني

في جليل الوحوش، سِبَاعِه وغير سِبَاعِه.

في الأسد: وإذا بغابة تَزَارُ أسودها، وتَجَارُ منها حُمُرُ المنايا وسودها؛ قد دَمِيَتْ راثنها، وعظفت مثل الأثافي محاجنُها؛ وتلظت كبودها الحِرار، وأمن معها الاغترار؛ نَد دارت حَمَالِيْقُ^(١) حَدَقِها، وظهرت عليها أمائرُ حَنَقِها؛ ولَوَتْ أذنانها وأقعت، وأعجلت الواصف أن ينعت؛ كأنما سُربِلت بالدماء، وأقتطعت ذلك الغابَ دون أُسْدِ لسماء؛ لا تتباطأ المنايا عن وثباتها السَّراع، ولا يبعد مدى الآجال وليس بينها وبينه لا قَدْرُ ذراع؛ لو نزل به العوام لأنكر نسبه في بني الأسد، أو أبو القري لرأى أدعاء بوته رأياً فسد؛ قد وقفت تحامي عن تلك الفريسه، وتمنع كل ضرغام منها أن يدخل حيسه^(٢)؛ فخاف كل واحد تلك الغابة ومن دونها الكئيب الفرد، وصار إذا ذُكر له مَوْرَدُ عطس قبل أن يشمه منذ قيل: الأسد الوَرْدُ^(٣).

في النمر: ووثب من تحت أكمة هناك نَمْرٌ ما يدعى مثله لقاسط^(٤)، ولا يتمطر مثله لقانط؛ قد سَمَر إهابه، ووقف وهو يوهم أنه يريد ذهابه؛ قد راب لونه المنمر، عاب كل كَلِف برقة الخصر لما رأى خصره المزنر، لا يرجئ خيرٌ لديه، ولا يطمع نيف الجري بالفرار من بين يديه؛ لو شاء أن يثب الجبل لوثب، أو يكسر الصخر لأصمَّ وسمع حساً^(٥) لقليل وجب؛ لا ينفع منه حذار، ولا يحول بينه وبين غنيمته من

(١) واحدها جَمَلِاق. وحملاق العين: ما يسوده الكحل من باطن أجفانها.

(٢) الخيسة: موضع الأسد.

(٣) الورد: من أسماء الأسد.

(٤) القاسط: العادل.

(٥) الحس: الصوت الخفي.

الغنم علو جدار؛ يفزع الرجل الجليد من نونه الأرقط، ويظن أنه من دماء الكسائر ما تنقَط^(١).

في الذئب: وقد قيل إن بمنعرج اللوى^(٢) ذئباً قد أخاف كل سائمة، وآوى إلى وكنها كل هائمة؛ وأخاف السرح^(٣) فلم يمتد، وهاجم القطيع ولم يرتد؛ حتى فعل الفظيع، وقطع القطيع؛ وتوقدت حماليقه توقد السرح، وتموجت أعضاؤه تموج الخُج؛ وزان نحفه بوبره، وفتقت برائنه ما خاط يابره، وطالما أبعد النُّجعة^(٤)، وزار في الليل بعد هجعة؛ وفتن بخده الأسيل، وقعد على المائدة مع الإكليل؛ هذا وربما تجسس، وأبغض لأجله كل ديباج لكونه يسمى بأطلس.

في الفيل: ومن فيل كأنه ليل ضاحك عن نهار، وطور خرطومُه منه شفير منهار؛ كأنه راقص جاء يرقص بكمه، أو داخل على ملك عاجل الأرض بلثمه؛ له ناب لا يبالي بما ناب، لمع منه برق في سحب، وأنقض في الليل منه شهاب؛ بناءً مشيد، من حجر أو حديد؛ لا يطاوله بُنيان، مشيد على أربعة أركان؛ يموج كأنه سكران، ويمور كأنه ثعبان؛ ويصول كأنه إنسان، ويهول كأنه جان؛ سائس مسوس، رئيس مرووس؛ مطيع مطاع، يطل بين عينيه شجاع، يخف إلى الحرب حاملاً على صهوته بعض القلاع..

في الكركدن^(٥): وأتى بكركدن لو نار شَب في معقله لما نزع، ولو ثار له الكبش في الهيجاء لنطح؛ طالما رعى في بطن أمه، وجهد له الفيل ولم يقدر على سلّمه؛ قد

(١) لعله: «من دماء الكواسر إنما تنقَط»، فتأمل.

(٢) اللوى في الأصل منقطع الرمل. وهو أيضاً موضع بعينه قد أكثرت الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما. وهو وادٍ من أودية بني سليم. (انظر معجم البلدان: ٢٣/٥).

(٣) السرح: الماشية.

(٤) النُّجعة: طلب الكلا ومساقط الغيث.

(٥) الكركدن: حيوان ثديي من ذوات الحافر، عظيم الجثة، كبير البطن، قصير القوائم، غليظ الجلد، ل قرن واحد قائم فوق أنفه، ولذلك يقال له: وحيد القرن. وهو هندي وإفريقي.

عدم على كثرة ذوات الأوراق ما يباريه، وأقبل في بحر الآل كالمركب وقرنه ساريه؛ من شَبَّهه قال هذا جبلٌ عُرس عليه وتَدُّ من الأوتاد، ومن نظره بين عينيه قال عمود سرب نِسوةٍ عند مقتاد.

في الزَّرَافَةِ: قال الجاحظ: زعموا أن الزرَافَةَ خلقَ تولَّد بين الناقة من نوق الحُبوش [أي نوق الحبشة] وبين البقرة الوحشية وبين الذَّيخ - وهو ذكر الضَّبَاع - قالوا: إن الذَّيخ يعرض للناقة من الحبوش فيسْفِدها فتَلْقَح بولد يجيء خلقه بين الناقة والضَّبُع، فإن كان الولد أنثى يعرض لها الثور الوحشي فيضربها فيصير الولد زَرَافَةً، وإن كان ذكراً تعرَّض للمهَأة^(١) فألقحها فتلد زرافة [أيضاً]. قال: ومنهم من زعم أنه لا تلقح الزَّرَافَةُ الأنثى من الزَّرَافَةِ الذكر، وإنما هو مركَّب. قال: وقالوا إن هذا مشهور باليمن والحبشة؛ وأسنان الذكور أكثر من أسنان الإناث؛ وإذا كانت أسنانها سوداً دلَّت على هَرَمِها، وإذا كانت بيضاً دلَّت على الفَتَاء. و [من] أمراضها: الكَلْب؛ [وهو] كالجنون يعترِبها كما يعترِب الكلب فيقتلها - وكل من عضَّته وهي على هذه الحالة قتلته^(٢)] إلا ابن آدم فإنه ربما عولج فسَلِم؛ [ومن أمراضها أيضاً]: الذَّبْحَة والنَّقْرَس. - ويُقال في وصفها:

كأنها كأسُ خمر جال عليه حَبَب، أو فضَّةٌ نَقَطَ بها ذهب؛ قد ارتفع هادِياها^(٣) على ذَنبها، وعلا رأسها على رقبته حتى كاد يبلغ السماء بسببها؛ ليست لِلْمَهَا ولا للبقر، وإن لم تكن مما يُجَلُّ فإنها ليست مما يُحتقَر.

في الحمارة العتاييَّة^(٤): وقد تساوى [فيها] الليل والنهار، وأعتدل البياض

(١) المهامة: أنثى البقر الوحشي.

(٢) عبارة طوق: «وأراضها الكلب وهو الجنون تقتله وتقتل كل ما عضَّته...» وما أثبتناه هو عبارة صحح الأَعشى عن الجاحظ، وهي أوضح.

(٣) الهادي: العنق.

(٤) قال القلقشندي: وهي حيوان في صورة البرذون موثى الجلد بالبياض والسواد يروق الناظر حسنُها. وقد كان أهدي للظاهر برقوق حمارة من هذا النوع، فأقامت مدة، ثم أعطاه فقيراً من فقراء العجم فكان

والسواد بمقدار؛ وأستقامت خطوطها، وتدفت فيها أنهار قَدْرُها شطوطها؛ فتشَمَّخت إعجاباً، وجمعت شَيْباً وشباباً؛ وراقت حُلَّتْها المَسْهَمَةُ^(١)، وتخاطبها المقسِّمة؛ وغدت روضةً تَفْتَحُ نُورُها، وليلةً يتخلَّلُ بين الظلماء أنوارها؛ قد فُضِّضَ سَبْجُها^(٢)، وكثرت في أثناء ليلها الجُونُ فُرْجُها؛ وغدت وكأن النهار قد قَدَّ إهابها، وكأن البرق قد شَقَّقَ سَحَابَها؛ هذا على أنها لم تعد أمثالها في صورتها، ولا تخالفت أغصان الخطوط في شجرتها؛ حتى تلاقت عند طرف آذانها، وكفت شجراء الشجر بصحة تقسيم أغصانها.

في الحمار الوحشي: وعن حمارٍ وحشيٍّ قد شَمَّرَ فضل إهابه ليذهب، وجرى في مدى شوطه حتى كاد يتلَهَّب؛ قد أسبلَ ذنباً كأنه من حرير ملون، وداس بحافر كأنه من قَعْبٍ مكوّن؛ وسنَّ ضرساً طبع على خصيِّ الذكور غَيْرَةً على الأُتُنِ^(٣)، وقلب عينيه لفهم ما تؤدِّي إليه خُبْرَةُ الأذن؛ فقتل بالسهم الصائل منه جِدَّ غيور، وردِّي منه قتيل طالما ردَّ الإناث وأردِّي بالذكور.

في البقر الوحشي: وجرت على يمناه بقرة وحشيَّة قد اشتبكت أغصان قرونها، وأطلق أسمها على كرائم النساء لحسن عيونها؛ فقصدھا برمحه، وعدّها من ربحه؛ هذا وقد كثر في السَّرْبِ أمثالها إلا أنها كانت أقرب إليه، والمقصودة منه على كثرة البقر الذي تشابه عليه.

في المَهَا^(٤): وصادف في ذلك المَهْمَه^(٥) مهأ لا تُردِي الفوارس إلا بعيونها، ولا

= يركبها كما تركب الخيل والحمير ويمشي بها في القاهرة، ثم عَوَّضه الناصر بن الظاهر سلطان العصر عنها عوضاً واعتادها منه، وأرسلها في هدية لابن عثمان صاحب بلاد الروم غربي الخليج القسطنطيني.

(١) أي المخططة بما يشبه السهام.

(٢) السَّبْج: خرز أسود - والليالي الجون: السود.

(٣) قال القلقشندي: «ويوصف الحمار الوحشي بشدة الغيرة على أُنْتِه حتى يقال إن منها ما إذا ولد له ولدٌ ذَكَرٌ كَدَمَ قَضِيْبِهِ وَخَصِيْبِهِ حتى يقطعهما».

(٤) لم يكن بحاجة إلى هذا العنوان الجديد فاللهما هي نفسها البقر الوحشي.

(٥) المَهْمَه: المفازة البعيدة.

تُحِبُّ أَبْكَارَ النِّسَاءِ إِلَّا لَشَبَّهَ عُونَهَا^(١)؛ قَدْ لَبَسْتَ مِنَ الدِّيَاجِ حُلًّا، وَآكْتَسْتَ بِالْوَبْرِ فَلَـم تَبْقَى حَلًّا؛ فَلَوْ فَطَنْتَ لَهَا الْغَوَانِي لَمَا خَرَجْتَ لَبِيوتَهَا مِنْ كِسْرٍ وَلَا فَتَنْتَ بَعِيونَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ^(٢).

في الغزال: وَسَنَحَ غَزَالٌ سَبِيٌّ بِحَسَنِ خَفَرِهِ، وَسَمَحَ بِإِعْطَاءِ الرِّيَاحِ بَعْضَ خَبْرِهِ؛ قَدْ تَلَقَّتْ بِجِيْدِهِ، وَأَنْفَتَلْ يَهْزَأُ بِالْكَلْبِ فِي وَصِيْدِهِ^(٣)؛ لَوْ عَنَّ لِلْعَشَّاقِ لَهَا مَوَا، وَلَعَدَّلُوا لَصَائِدَهُ وَلَا مَوَا؛ وَلَمَا نَصَبُوا بِيوتَ أَشْعَارِهِمْ لِغَيْرِهِ عَلَى طَرِيقٍ، وَلَا قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: نَتُّ مِنْهُمْ لِلَّيْلِ مَا حَيَّيْتُ طَلِيْقًا؛ وَوَرَاءَهُ أُمُّ طَلِيٍّ^(٤) لَمْ تَخْفِ إِلَّا عَلَى طَلَاهَا، وَلَمْ يَحْلُ إِلَّا أَنْ مِسْكَاً غَلَّفَ رَوْقَهَا^(٥) وَأَنَّ كَافُورًا طَلَاهَا؛ لَمْ يَفْتِ الْعَامِرِيَّةَ مَعْنَاهَا، عَلَى أَنَّهُ مِمَّنْ يَشْبِهُهَا مِنْهَا إِلَّا جِيْدَهَا وَعِنَاهَا.

في الأرنب: وَلَمْ يُكْسَ مِثْلَ وَبَرِّهَا، وَلَا سَمِعَ مِثْلَ خَبْرِهَا؛ تَحَلَّتْ بِصِفَاتِ الذِّكُورِ الْإِنَاثِ، وَكَادَتْ لَخْفَةَ جَرِيْهَا تَكُونُ ذَاتَ أَجْنَحَةٍ مِثْنَى وَثَلَاثَ؛ لَا يَظُنُّ كُلُّ ذِي وَثْبٍ مِنَ الطُّبَاءِ مَعَهَا إِلَّا أَنَّهُ يَحْجُلُ، وَلَا يَطْمَعُ فِي اللَّحَاقِ بِهَا وَقَدْ طَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ أَرْجُلُ؛ لَا تُدْرِكُ إِلَّا إِذَا تَحَدَّرَتْ مِنْ صَبَبٍ^(٦)، أَوْ كَانَتْ فِي مَجَالِ الْخَيْلِ فِيهِ رَكْضٌ خَبِيبٌ؛ فَأَمَّا إِذَا تَعَلَّقَتْ بِالْجِبَالِ، أَوْ تَرَدَّتْ فِي مَقْتَبِلِ الْخَرِيْفِ بُرْدَ الظَّلَالِ، فَطَائِرٌ لَا يَسْكُ، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُ، وَلَا تَصْبِرُ النَّفْسُ عَلَيْهِ فَيَتْرَكَ.

في الثعلب: وَمَرَّ ثَعْلَبٌ ظَنَّهُ الْكَلْبُ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ، خَرَجَ بَعْدَ تَحْصُنِهِ بِالْوَجَارِ

(١) مفردها: عانة، وهي القطيع من بقر الوحش.

(٢) إشارة إلى قول علي بن الجهم، الشاعر البغدادي (ت ٢٤٩ هـ):

عيسون المها بين الرصافة والجسر
جلين الهوى من حيث أدري ولا أدري

(٣) الوصيد: بيت كالحظيرة من الحجارة في الجبال؛ وفناء الدار والبيت؛ وعبئة الباب. وفي التنزيل العزيز: «وكلبهم باسطة ذراعيه بالوصيد».

(٤) الطلي: ولد الطيبة.

(٥) الروق: مقدم كل شيء.

(٦) الصبب: ما انحدر من الأرض.

وطول حَبْسِه؛ فنبَّهت عليه الكلاب، وأطلقت وراءه في الطَّلاب؛ فلم يزل يتلوَّى عليها في المطاردة مثل العنان، ويراوغ الكلبَ مراوغة البطل في الحرب العوان؛ ويهزأ بالقانص ببصبصة ذنبه، ويظفر كل طفرة يخاف فيها عنقودُ الثريا على عنبه.

في الهرة: ومن هرة تنفق ما كَسَد، وتحكي في أنتفاخها صولة الأسد؛ ذات أنسٍ في الدار، وأَسَّ (١) للغار؛ تخالس مخالسة الذئب، وتسطو بأظفار وأنياب؛ طالما ساورت الأرقم، وتجرعت منه مرَّ العلقم؛ وأكلت منه السمَّ الذَّبَّاح، وآستوطنت البيوت وتركت ظاهرها للكلب النَّباح.

النوع الثالث

في معلّّات (٢) الصَّيد.

أوَّل من صاد بالكلاب الفرس، وأول من أتخذها «دارا»؛ وكذلك الفهد، وأول من أتخذ كسرى أنوشروان؛ وأوَّل من صاد بالعُقاب أهل المغرب، ولا يعدُّ في الصقور ولا البُزاة. وأول من صاد بالصقور الحرث بن معاوية بن كندة والسُّنقر منها والعهد بجلبه إلى بلادنا قريب؛ وأول من صاد بالبازي البطالسة ملوك مصر.

في الفهد: ومعه من الفهود رديفٌ يبرز على الغزال الموت من مكمنه، ويأخذ في وسط السَّرب من مأمته؛ يثب عليه وثباً، ويخالسه إمَّا رأى شجراً أو كئيباً؛ لا ينظر منه حيث التفت حركة، ولا يظن لحاقه ولا دَرَكَه؛ لا يزال يمهلُه حتى إذا أمسكه لم يكد يفلته، ولم يعد يسلطه مرسله وسكِّينه معه لم يُصلته؛ فلم يستطع الظبيُّ أن ينفذ لديه، ولا يتخفَّى منه وما فيه جارحة إلا وفيها عين تنظر إليه؛ وقد أعجب منه جر

(١) لعله «وأس».

(٢) وقد يعبر عنها بالضواري. وهي كل ما يقبل التعليم من الوحوش كائناً ما كان، حتى حكى عن السود القنَّاص أنه بلغ من حذقه أنه ضرى ذئباً حتى اصطاد به الظباء وما دونها، وضرى أسداً حتى اصطاد حُمُر الوحش. ويقال إن ابن عرس يجعل جبل في عنقه ويدخل على الثعلب فلا يخرج إلا به. (ص الأعرشي: ٤٢/٢).

أحداقه، وذائب الكحل من آماقه، وحسن ما يروق في جيده من قلائده وأطواقه؛ هذا إلى لين جلده، ورونق جدته، وما جمع من سواد وبياض، وكمائمه لم تفتح في نوار رياض.

في [الكلب]^(١): وهو نوعان: السلوق والزُّغاري. فأما السلوقية فمنسوبة إلى «سلوق»، وهي [من] بلاد اليمن؛ ولها سلاح جيد وكلاب فُرَّة^(٢). وإنث الكلاب أسرع تعلماً من ذكورها. قالوا: تتولد السلوقية بين الثعالب والكلاب، ولا يقبل التعليم إلا البطن الثالث [منها]. قال الجاحظ: وخير الكلاب ما كان لونه يذهب إلى لون الأسد بين الصفرة والحمرة، ثم البيض إذا كانت عيونها سوداء. قال: ويُستدل فيها على الفراهة بطول ما بين يدي الكلب ورجليه، ويقصر ظهره؛ ويكون صغير الرأس، طويل العنق، غليظه، يشبه بعض خلقه بعضاً، قصير اليدين، طويل الرجلين، غليط العضدين، أزرق العينين، عظيم المقلتين، ناتيء الحدق، طويل الخطم^(٣) لطيفه، واسع الشدقين، ناتيء الجبهة عريضها، طويل الصدر غليظه، مضموم الأصابع، دقيق الوسط. ويكره في ذكورها طول الذنب، ولا يكره في إناثها.

في السلوقية: وأطلقت من قذاتها^(٤) فأنبثت تولول أنيابها، وتلوي أذناؤها؛ وتحسب أنها مما طويت خصورها أنابيب، ومما مطرها الجري شائب؛ خرجت بتبغى رزقا، وتطلب عسفاً لا رفقا؛ لا تدع كيناساً^(٥) إلا كنست، ولا سرب وحش إلا أنست؛ تمسك لصائدها، وتمسي وأقطار الأرض من مصائدها؛ لا تعدها الظباء إلا حتوفاً، ولا تقرأ من مفرقاتها سطور سربها إلا حروفاً؛ تجهد في فنائها، وتجهد في إخراجها من

(١) في طق «في الزُّغاري». والتصحيح من المقام.

(٢) من الفراهة، وهي الجمال والحسن، والخفة والنشاط، والحدق والمهارة، فهو فاره.

(٣) الخطم: الأنف، أو مقدمه.

(٤) القذا والقداة: الرائحة الطيبة تنبعث من اللحم عادة. ولا نرى استعمال هذا اللفظ هنا مناسباً. ولعل تصحيف عن «وأطلقت من أقدها»: جمع قَد، وهو للكلب بمثابة الزمام للفرس. فتأمل.

(٥) الكيناس: المكان الذي يستتر فيه الطي.

فإنها؛ وتزداد عليها كلباً لا يربطه شحومها، ولا ينالها منها إلا دماؤها لا لحومها.

في الرُّغَارِيَّاتِ^(١): ولديه رُغَارِيَّاتٌ منها كل صغير الحجم، ينقض كالنجم، يسلك كل طريق لا يسلك فجّه، ويملك منه ما لا يملك من السَّلُوقِيِّ المَضَاعِفِ نَسْجِه^(٢)؛ يُخْرِجُ كُلَّ ذَاتِ وِكْرٍ، وَيَطَّأُ إِلَيْهَا كُلَّ أَرْضٍ يَفْتَضُّ مِنْهَا عُدْرَةَ الْبِكْرِ؛ لَوْلَاهُ لَمَا حَصَلَ الصَّيْدُ، وَإِذَا فَاتَهُ الْبَطْشُ بِالْيَدِ لَمْ يَفْتَهُ بِالْكَيْدِ.

[النوع الرابع]

الجوارح

ويُستحبُّ في الجوارح كِبَرُ هَامَتِهَا، وَنَتَوُّهُ صَدْرُهَا، وَأَتْسَاعُ حِمَالِيقِهَا، وَقُوَّةُ إِبْصَارِهَا، وَحِدَّةُ مَنَاسِرِهَا، وَصَفَاءُ أَلْوَانِهَا، وَنَعُومَةُ رِيَاشِهَا، وَقُوَّةُ قَوَادِمِهَا، وَتَكَائُفُ^(٣) خَوَافِهَا، وَثِقَلُ مَحْمَلِهَا، وَخِفَّةُ وَتَبَاتِهَا، وَأَشْتَدَادُهَا فِي الطَّلْبِ، وَنَهْمُهَا فِي الأَكْلِ.

ثم أعلم أن الطيور الجوارح نوعان: صقور وبزاة.

فالصَّقْرُ ما كان أسود العين، والبازيُّ ما كان أصفر العين، على اختلاف المسميات. ثم أعلم أن أشرف الجوارح المسمّاة في وقتنا: السَّنَاقِرُ^(٤)، وليس لها ذكْرٌ في القديم؛ وهي مجلوبة من البحر الشامي، مُغَالَى في أثمانها. وقد كان الواحد منها يبلغ ألف دينار، ثم نزل عن تلك الرتبة، وأنحطَّ عن تلك الهضبة؛ وهو معدودٌ في الصقور.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّقُورَ هِيَ: الْمُخْتَصَّةُ الآنَ بِتَسْمِيَةِ الصَّقْرِ، وَتَسْمِيَّتِهَا الْعَرَبُ:

(١) قال الفلقشندي: وهي ألطف قداً من السَّلُوقِيَّةِ. قال: ولم أدر إلى ماذا تنسب.

(٢) المراد بالسَّلُوقِيِّ هنا: الدرع. وهو منسوبٌ أيضاً إلى سَلُوقٍ من اليمن. وفي ذلك يقول النابغة:

تَقَدُّ السَّلُوقِيِّ المَضَاعِفَ نَسْجُهُ وَتَوَقَّدُ بِالصُّفْحِ نَارَ الحُبَاجِ

(٣) في طق: «تكاشف»؛ والتصحيح من صحح الأعشني. والخوافي: ريشات أربع إذا ضمَّ الطائر جناح

خفيت. ونقل الفلقشندي عن «المصايد والمطاردة» لكشاجم أن عدد ريش جناح البازي عشرون ريشة

أربع قوادم، وأربع مناكب، وأربع أباهر، وأربع كلى، وأربع خوافي. والخوافي أخفُّ من القوادم.

(٤) واحده: سُنْقُر.

الْحُرِّ^(١)، [ومنها] الشَّاهِين، والكُوْهِيَّة^(٢) - وهي بحريَّة - والسَّقَاوَة^(٣)، والجَلْمَة^(٤).

والْبُرْزَة هي: البازِيّ، والزَّرْق^(٥)، والباشِق - ويسمَّى اليُوْيُو^(٦) - وأما العُقَاب فقد قَدَّمنا أنه لا يعدُّ في الصَّقور ولا في البُرْزَة، وهو معدود في الجوارح وفي الطير الجليل^(٧)؛ ونبهنّا على ذلك لموضع الفائدة فيه، فليُعلم ذلك.

في العُقَاب: وأظنَّتها عُقَابٌ ربما أحسنت السَّهام بريشها عند المناب، وأضحّت وكأن قلوب الطير حالين لدى وَكْرِها الحَشْفُ البالي والعُنَاب^(٨)؛ لا ينجو طريد من مِخْلِها، ولا يأمن وهو في الهواء بؤس منقلبها؛ تخاف الشمس في أفق السماء من شدَّة حرصها، ومُدُّ تسمت بالغزاة^(٩) ونظرت نار عينيها ما تحرَّت تجرُّ النار إلى قرصها؛ قد أردفت بأمثالها من كل ذات إقدام لا يقدم عليها جبان، ولا تنشر الأعلام مثل أجنحتها وإن قيل لها عُقبان؛ تتطامن^(١٠) لها الطِّبَاء كأنها إليها تضرع، وتتخبَّط لها حين تُصرع.

(١) قال في صبح الأعشى: «ويقال لها: الأكر، والأجلد».

(٢) وهي موشاةً بالبياض والسواد، يخالط لونها صُفرة.

(٣) في صبح الأعشى: «وهي قرية الشكل من الصقر».

(٤) قال في صبح الأعشى: هو اليُوْيُو؛ وتسميه أهل مصر والشام: الجَلْم. وهو طائر صغير أسود اللون يضرب للزرقعة. وسموه الجَلْم أخذاً من الجَلْم وهو المقصّ تشبيهاً به لأن له سرعة كسرعة المقصّ في قطعه. - وقد زاد في صبح الأعشى على أصناف الصقور المذكورة أعلاه: الكُونَج. قال في حياة الحيوان: ونسبته إلى الصقور كنسبة الزَّرْق إلى البازِيّ. وهو يصيد أشياء من طير الماء ويعجز عن الغزال لصغره.

(٥) وهو ذكر البازِيّ.

(٦) تقدّم معنا أن اليُوْيُو هو الجَلْمَة - كما ذكر القلقشندي - وقد عدّه في الصقور وليس في البُرْزَة. وذكر القلقشندي من البرْزَة: الفقيمي.

(٧) سيأتي ذكره بعد بضعة صفحات.

(٨) الصورة مأخوذة عن بيت أمريء القيس:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً
لدى وَكْرِها العُنَابُ والحَشْفُ البالي

(٩) الغزاة: من أسماء الشمس.

(١٠) تطامن: سَكَنَ وأنخفض.

في الصَّقر: ومن صَقر لا تؤسَى له جراح، ولا يدع من وحش يسرح ولا طائر يطير بجناح؛ أينما وُجِه لا يأتي إلا بخير، وحيثما أُطلق كان حَتَفَ الوحش والطيْر؛ يدع أقطار الفلاة مجزرة، أو روضةً بالدماء مزهرة؛ يجدُّ إلى الطير في عنقه^(١)، ويحلِّق إلى السماء فيرجع وطائره في عُنقه؛ تخافُه العُقر^(٢) على نفوسها، وتخضع له ولأمثاله فما تخرج إلا والطيْر على رؤوسها؛ يزيد خبره في مَظانِّ الصيد على الخَبْر، وتخرج الطباء وقد أنسجنت خوفاً منه في ملاءة من العجاج مَخِيطة من قرونها بالإبر؛ شديد الأيد^(٣)، قد بنى على الكسر حروف الصيد؛ يحمَدُ مُقتنيه أيامه العُرّ، ويقول له إذا تَلَّفت إلى الصيد: إن جلبت ضيفاً فأنت حرّ؛ لا يصحب مستصحبُه معه إلا مَزاده، وأينما سار حاملُه وهو على يده كأنَّ معه زاده.

في السُنقر: وبينها سُنقر هو فيها ملك متوجّج، ورزقٌ مروّج؛ تجرّأ على سفك الدماء، وأبى أن يطلب رزقه إلا من السماء؛ يوذُّ الكُرْكِيَّ لوخلص من مخاليبه، ويخاف أن يسلم من خرط الشبكة ويقع في كلاليه؛ يدرك الصيد ولا يؤجّله، ويدفع صدره ثم يومي إليه برأسه كأنه يستعجله؛ قد جمع من المحاسن كلَّ الصُنوف، وكُتبت عليه أسطرٌ تقرأ بما تقرئ به الضيوف.

في الشاهين: ومن شاهين مُذحلق وراء الطير شاهت به الوجوه، وشاهدت الآمال به ما ترجوه؛ قد أصبح كلُّ محلّق بجناحه رهينَ يده، وكلُّ ساربٍ من الوحش طعاماً يومه أو غده؛ لا يُتعبه خَلْفَ الطريدة بعد المدى، ولا يرده خوفٌ مسافةٍ ولا تقحُّمٌ رَدَى؛ ريبه عام لم يمنع بطول دهر، وممتدُّ منه في الطلق مثل ريح سليمان التي غدوها شهرٌ ورواحها شهر.

في الكوهية: وتبعثها كوهية، هي بالمحاسن حريّة، ولكثرة الأقدام مجريّة؛ قد وكل بها أمر مطبخه، وأمدَّ بها من الطير من ليس بمُصرِّحه؛ لا تعفُّ عن دم، ولا تُرى

(١) العنق: ضربٌ من السير فسيح سريع، وهو للإبل والخيل أصلاً: وقد استعاره هنا للطيْر.

(٢) مفردها: أعقر، وهو الظبي يعلو بياضه حمرة.

(٣) الأيد: القوّة. من آد أيّداً وآداً فهو أيّد وذو أيّد.

أطرافها إلا مثمرةً بعُنَابٍ أو مخضبةً بعَنْدَمٍ؛ قد أَخَلَّتْ^(١) من كلِّ سَانِحٍ، ولبست زِيَّ
الراهب المتعبد وفتكت بكل سائح.

في السَّقَاوَةِ: وأطلَّ عليها بلاءُ أسْمِه السَّقَاوَةِ، وحنَّت عليها مخالبيها وهي
كالحديد أو أشدَّ في القسَاوَةِ؛ حتى سالت الدماء كالمذانب، وكَسَتِ الأرضَ حبراً من
رياش الحُبَارِي وَفَرَى^(٢) من جلود الأرانب؛ وجعلت في قبضة الكلب ما كانت عليه
العين تدور، وتكفَّلت بكفاية المطبخ وملأت القدرور.

في الجَلَمِ: وخرج ومعه من الجَلَمِ كلُّ صغير لا يُحْتَقَرُ، وصائِدٍ إلى سواءٍ لا
يُفْتَقَرُ؛ كأنما خلقت من داجي الظُّلَمِ، وطُبعت من حديد السيوف وإن سُمِّيَت بالجَلَمِ؛
فأخذت دِقَّ^(٣) الطير أخذاً بغير رفقٍ، وتسَلَّطت عليها فما كانت إلا حُمَى الدَّقِّ^(٤)؛ ثم
أنفرد منها بآئنين أرسلهما على كُرْكِيٍّ شَدَّ عن رفاقه، وقارنه نَحْسَانَ لسوء اتِّفَاقه؛
فأخذاه عن اليمين وعن الشمال، وتَبَّأ^(٥) له من الحياة الآمال؛ فهوى لذيها هويًّا،
وعُلب بهما - وضعيفان يغلبان قويا.

في البازِي: وأطلق منه بازيُّ مهما لقي لَقَفَ، ومهما خطا لديه خطف؛ كأنما
خُطَّ جُوْجُوٌّ^(٦) بقلم، أو رشَّ عليه من الصباح والظُّلَمِ؛ قد أعتدَّ للطَّوَارِقِ، وأدَّرَأَ بمثل
الطَّوَارِقِ^(٧)؛ قد دَحَضَ حُجَجَ الحَجَلِ، وكسرها حتى أبان عليها حُمْرَةَ الخَجَلِ؛ لا

(١) أي أخلت الأرض من كل سائح. قال في لسان العرب: أخليت أي خلوت، وأخليتُ غيري، وهو يتعدى ولا يتعدى. قال عنتي بن مالك العقيلي:

أتيتُ مع الحُدَاثِ ليلَى فلم أيسنُ فأخليتُ، فاستعجمتُ عند خِلَاثِي

قال الزجاجي في أماليه: أخليت أي أخليتُها، ومفعول أخليتُ محذوف. (لسان العرب: خلا).

(٢) كذا في طق. وفَرَى جمع فَرِيَّة وهي الكذب؛ والمعنى غير مناسب هنا. ولعل الصواب: «وفراء»، جمع «فَرَو» أو «فروة».

(٣) أي صغير الطير.

(٤) حُمَى الدَّقِّ: حُمَى معاودة يومياً تصحب غالباً السُّلَّ الحاد.

(٥) تَبَّ الشياء: قطعته.

(٦) الجُوْجُو: مجتمع رؤوس عظام الصدر؛ وصدر السفينة.

(٧) الطَّوَارِقِ الأولى بمعنى الحوادث، و«الطَّوَارِقِ» الثانية غير مناسبة هنا. ولعلها: «المطارق».

يُسأل من الصيد عمّا نَهَبَ، ولا تُعرف له قيمةٌ إلا أن له عيناً من ذهب.

في الزُّرَق: وحلَّقَ الزُّرَقُ تحليقَ البازيِّ المُطِلِّ؛ والبطل المُدِلِّ؛ قد تقاضى الطيورَ بغير دَينِه، وأقتدر على ضعافها قدرة القويِّ ذي الذهب بعينه؛ وأضحت كلُّ لائذةٍ لا تُغاث، والبُزاةُ لا تفخر لأن الذكور لا تقاومها الإناث؛ وعطف من مخلبه حرفَ صِلَةٍ وجناحُه العائد، وأوقد من مُقلته ناراً لو شاء لشوى عليها الصائد.

في الباشق: وآنقضت البواشقُ على تلك الحانيات^(١)، ولقفت ما قدرت عليه من تلك الحائمات؛ ثم حطت على [ما] لبد منها في مكمنه، وأخذته بالخوف من مأمته؛ وتهاوت من كل ناحية تلك السهام، وفعلت ما أمكنها وكان أكثر فعلها بالأوهام؛ ولم يبقَ ذو جناح منها حتى قشَّ منها ما وقع تحت الأشجار، وبنج في الطلق الواحد عددَ البنج^(٢) وجار؛ ولم يُخطِ شيءٌ من تلك السهام الرَّواشق، ولا رجعت منها إلا بقوت الجماعة وقد قيل إن ما فيها قوت الباشق.

النوع الخامس

الطير الجليل^(٣)

أعلم أن الطير الجليل المعتدُّ به في الواجب عند رماة البندق أربعة عشر طيراً؛ منها ثمانية تُحمل عندهم بأعناقها، وستة تُحمل بأسياقها^(٤).

فأما الثمانية الأولى فهي: التَّم، والكُيُّ، والإوزة، واللَّغَلَّةُ، والأنيسةُ، والحُجْرُجُ، والنَّسْرُ، والعُقَابُ.

(١) الحانية من الإبل والغنم: التي تلوي عنقها.

(٢) البنج بالفارسية هو العدد خمسة؛ ولعلَّ المقصود بلفظ «جار»: جَهَار، وهو العدد أربعة بالفارسية. وبنجه: خذره.

(٣) قال الفلقشندي: وهو المعبر عنه بطير الواجب؛ وبه تعني رماة البندق ونحوها، وتفتخر بإصابته وصرعه؛ ويُحتاج إليه في الرسائل الصيدية، وفي كتابة قدمات البندق ونحوها.

(٤) لم نعثر على هذا الجمع في كتب اللغة التي بين أيدينا؛ ولعله استعمله هنا مكان «سيقانها» لضرورة التسجيع.

وأما السُّتَّةُ الثانية فهي: الكُرْكِيُّ، والغِرَنُوقُ، والمُرْزُمُ، والصُّوْعُ، والشُّبَيْطَرُ،
والعُنَّازُ^(١).

وهذه الطيور منها عشرة طيورُ الشتاء وهي: الكُرْكِيُّ، والإوْزَةُ، واللِّغْلَغَةُ^(٢)،
والأنيْسَةُ، والحُبْرُجُ، والتَّمُّ، والصُّوْعُ، والعُنَّازُ، والعُقَابُ، والنَّسْرُ. والأنيْسَةُ أشرفُها.
والأربعة الباقية طيورُ الصَّيْفِ وهي: الكُيِّ، والغِرَنُوقُ، والمرْزَمُ، والشُّبَيْطَرُ.

وقال بعضهم: الإوْزُ شتويٌّ صيفيٌّ؛ وإنما قيل: طيورُ الصيفِ وطيورُ الشتاء
بحسبِ الوجدان.

ومن شرطهم استتمامُ خِصال^(٣) ثمان وهي: الأدبُ، والصَّدْقُ، والشَّجَاعَةُ،
والمروءةُ، والكرمُ، والمودَّةُ، والوفاءُ، والفتوَّةُ.

فأما قولهم: «الوجوه» فهو أن تقف الرماة إذا خرجوا إلى «البرز» مع طلوع
الفجر - وهو أول وقت خروج الطائر من الماء - إلى حين طلوع الشمس؛ فما يصرعه
في ذلك الوقت يسمَّى: «وَجَهَ غَدَاةً»؛ فإذا طلعت الشمس خرجوا من المقامات،
وصبَّح بعضهم بعضاً؛ فإذا خرج الطيرُ وصُرع في ذلك الوقت شيءٌ يسمَّى: «وَجَهَ
صباح» و«وَجَهَ مَصْبِح»؛ فإن كان لهم طائرٌ يدخل الماء ويخرج منه فذلك يسمَّى:
«وَجَهَ خوارج» و«وَجَهَ رَوَاجع»؛ وأما «وَجَهُ العشاء» فهو أن لا يبقى من الطير في
الصحراء شيءٌ إلا ويأتي، وهو أوسعُ الوجوه وقتاً.

وإذا خرجوا من «المقامات» باركوا في المصروع و«حملوه».

والتَّبريكُ والحَمْلُ أن يقول الرجل للطير المصروع: «بارك الله فيك» ثم
فعه بيده. و«الحَمْلُ» يقوم للصارع للمقام الشَّهادة.

(١) سنأتي على التعريف بكل منها في موضعه فيما يأتي مما يقال فيها.

(٢) في طق «الغلغلة».

(٣) مراده أن هذه الخصال مطلوبة في الصائد أو الرامي.

والمقامات على قدر ما يقع في الخطة؛ ويقال لمن جاء في آخرها: بَطِيحَة -
والوقوفُ في مقام التحمُّل على قدر القِدْمة في الرَّمي .

ولا يُقبل عندهم إلا شهادتهم؛ والشاطر عندهم من كانت له صرُوعٌ كثيرة
وإحسانٌ ونُكْتٌ .

والإحسانُ أن يصرع الرامي طيرين من جَفَّة^(١)، أو طيرين من زُمُوم، أو طيرين
من خمسة، أو من أربعة، أو من ثلاثة، أو أن يصرع «المصطَحَب»: وهو أن يمرَّ به
طائران فيصرعهما جميعاً .

والنُكْتُ^(٢) هي صِراعُ الأَطيار الكثيرة من زُمُوم وما أشبهه .

ومن أقرَف منهم ذنباً عُقد له مجلسٌ: فإذا قطع الحاكم فيه - أي حكم [عليه] -
نزل عن قِدْمته، وتُودِي عليه، وهذا هو «الإقعاد» .

في ذكر البرز: وبرزنا للرَّمي ومعنا قِسي لا تتشكى معها الأوتار، ولا تزال طالبةً
للطير بالأوتار^(٣)؛ في رفقة قد خرجوا في طَلَق^(٤)، وإخوان صدقٍ أحدقوا بالمَلَق؛
آثروا التَّغْرُبَ على حب الديار، وبدؤوا أقماراً طالعة في سُحْب الغبار؛ في [وجوه]^(٥) ما
مِنها إلا ما ليس له شبيهه، وعرف بأن يومه ذو الوجهين وهو وجيهه . مرَّةً والشمس مس-
طلعت، ولا سرحت الغزالة في فضاء النهار ولا رتعت؛ ومرَّةً غدا اليوم مع أمس،
وألْتَمَمَ المغربُ قرصَ الشمس؛ بينما ترى الطير سائرة، إذا هم من عينها بالسَّاهرة^(٦)؛

(١) الجَفَّة في الأصل هي جماعة الناس؛ وهنا جماعة الطير . والزُمُوم: خلاصة الناس وخيارهم؛ وهنا
جماعة من خلاصة الطير .

(٢) من نَكَّت الشيء: رماه إلى الأرض . والنُكْت هنا الطيور التي يرميها الصائد .

(٣) الأوتار الأولى جمع وَتَر (بالتحريك) وهو للقوس معروف . والثانية جمع وَتَر، من وَتَره، يتره وَتَرًا وَتَرَةً؛
قتل حميمه .

(٤) الطَلَق (بالتحريك) الشوط . والمَلَق: ما استوى من الأرض .

(٥) في طق: «وجهين» . وما أثبتناه يقتضيه السياق .

(٦) التعبير مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فإنما هي زَجْرَةٌ واحدةٌ فإذا هم بالسَّاهرة﴾ - النازعات: ١٤ . والسَّاهرة
وجه الأرض . والسَّاهرة أيضاً: عين الماء الجارية . (انظر لسان العرب: سهر) .

وبينما تكون رُتعا، إذا بهم في محارِب قسيِّها رُكعا؛ وقد أعددنا معنا من الجِراوات كلَّ حمراء تَكُنُّ موتاً أحمر، وتقذف نجوماً تَظَلُّ بها ذوات الأجنحة تَقَمَّر؛ قد أكنَّت من البُنْدُق^(١) كلَّ مرمية موموقة، متفرقة وكلها من طينة واحدة مخلوقة؛ كأنها من حصى الجِمار حيث تُحذف، أو من شهود الزُّور - والعجبُ أن منها الجِرْح وهي تُقذف؛ حتى أخذنا مواضعنا وللطير في الماء مواقع، كأنها من فوقه فواقع؛ فلم تنزل حتى نكَّدنا لطيب عيشنا سرورها، ونقطنا بالبُنْدُق سطورها؛ ولم نعد حتى عدم بيننا الإعسار، وأثرينا بما كسبت أيدينا ملء اليمين نحمل قسيِّنا باليسار؛ ولم يك بأسرع مما عاجلنا تلك الصرعى فحصلت، ولم نسأل بأيِّ ذنبٍ قُتلت؛ ولم يبقَ منا إلا من عرف منهجه القويم، وعاد إلى مستقره يروي الحديث عن قديم.

فمن تَمَّ^(٢) تَمَّ خَلْقُه، وقُدِّم على الطير المعتدِّ به في الواجب بما أوجبه حقُّه؛ قد تميَّز شَيْده^(٣) من قاره، وخاض منه النهار في الليل وغالَى فيه فعلق برجله ومنقاره؛ حسن في خلقه المستتم، وحقَّ لسناه المشرق أن يسمَّى بَدْر التَّم؛ فرماه ببندقة طال عليه بعدها الأسف، وأسقط عليه كسفاً وهكذا البدر إذا قابل كرة الأرض أنكسف.

ومن كُيِّ^(٤) أزرق الجلباب، قد أطرق إطراق الشيوخ وخفَّ خفَّة الشباب؛ كأنه في تخييمه ثمامة^(٥)، وفي تحويمه غمامة؛ قد مسح بجناحه على الماء، وأكل كلَّ حوتٍ إلا حوت السماء؛ فصوب إليه صائبةً أصابه مقتها، ولم تعدُّه لما ألمَّ وقتها.

ومن إورٌّ يمشي مشية المتمايل، ويهتزُّ هزَّة المتخايل؛ قد تمايل إعجاباً، ولبس من بياض ريشه وزرقتة سنجاباً؛ ينظر النظر الشَّرَزَ لكثرة الارتقاب، ويلتفت^(٦)

(١) هي حبات من طين تشبه حبَّ البندق وتوضع في كيس جلدي يسمَّى الجراوة، جمع جِراوات. .
(٢) هو طائر في قدر الإورِّ، أبيض اللون، طويل العنق، أحمر المنقار. وهو أعظم طيور الواجب وأرفعها قدراً. (صبح الأعشى: ٧٢/٢).

(٣) الشَّيد: كل ما طلي به البناء من حصّ وغيره؛ وهنا اللون الأبيض. والقار هنا اللون الأسود.

(٤) طير أغبر اللون إلى البياض، أحمر المنقار والحوصلة، رجلاه تضربان إلى السواد. (الصبح: ٧٤/٢).

(٥) أي صغير؛ والثمام نوع من العشب الصغير. يقال: الغريق يتشبَّثُ بثمامة أي يتلمس أقل شيء للنجاة.

(٦) لعله «ويتلَّفت تلَّفت» أو «ويلتفت التفات».

تَلَفَّتَ الطَّبَاءَ إِلَّا أَنهَا زَادَتْ عَلَيْهَا بَلِينُ الرَّقَابِ؛ فَلَسَعَتْهَا عَقْرُبٌ قَوْسَهُ، وَقَلَّ لَدَيْهَا أَنْصَارُهُ عَلَى كَثْرَةِ خَزَرَجِهِ لَدَيْهِ وَأَوْسِهِ.

وَمَنْ لَعَلَّغٍ ^(١) رَفَلَتْ فِي جَلَابِيبِ أَخَوَاتِهَا ^(٢)، وَأَشْتَمَلَتْ عَلَى أَكْثَرِ أَدَوَاتِهَا؛ قَدْ تَطَايَرَتْ مِنْهَا رَمَادٌ عَنِ لَهَبٍ، وَفَتَنْتَ بَعْيُونَ أَحْسَنَ مِنْ ذِي عَيْنٍ مِنَ الذَّهَبِ؛ تَحَارَبَ بِسِحْرِ الْحَدَقِ، وَتَشْهَدُ - لِمَشَابَهَتِهَا لِلتُّرْكِ - أَنْ مِنْ قَالَ: «شَبِيهُ الشَّيْءِ مَنْجَذُبٌ إِلَيْهِ»، صَدَقَ؛ فَلَمْ يَكُنْ بِأَعْجَلٍ مِمَّا رَمَاهَا، وَصَرَعَهَا وَكَانَتْ تَظُنُّ أَنَّهُ يَتَحَامَاهَا.

وَمَنْ أُنَيْسَةٍ ^(٣) قَدْ لَبَسَتْ مِنْ كُلِّ الْأَلْوَانِ، وَقَلَّ وَجُودُهَا فِي كُلِّ أَوَانٍ؛ لَا تَوْجِدُ مِثْلَهَا أَنْسَةَ، وَلَا يَلْقَى شَبِيهَهَا ظَبِيَّةَ كَانِسَةَ؛ قَدْ أَصْبَحَتْ لَا تَحَدِّثُ إِلَّا أَخْبَارَهَا، وَلَا يُخَيِّرُ رَامٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَلِيلِ الطَّيْرِ إِلَّا يَتْرِكُ الْكُلَّ وَيَخْتَارُهَا؛ فَرَمَاهَا بِبُنْدُقَةٍ أَلْقَتْهَا يَدَيْهِ، وَأَصَابَتْهَا فِي الْمَقْتَلِ مَعَ عَزَّتِهَا عَلَيْهِ.

وَمَنْ حُبْرُجٍ ^(٤) كَأَنَّهُ زَهْرُ رَوْضٍ مَنْمَقٌ بَيْنَ الزَّرُوعِ، أَوْ فَارَسٌ حَرْبٌ خَرَجَ وَعَلَى أَكْتَافِهِ صَدَأُ الدَّرُوعِ؛ لَا يَجْزَعُ لَطُولَ بَيْنِهِ، وَلَا يَخَافُ إِذَا سَرَحَ أَنْ يَصْبِيهِ الْوَتْرَ بَعْيِنَهُ؛ كَأَنَّهُ عَلَى ذَهَبٍ يَدْرُجُ، وَإِذَا ذُكِرَ كُلُّ جَلِيلٍ كَانَ حَقِيرًا فِي جَنْبِ الْحُبْرُجِ؛ فَأَقْصَدْتَهُ رَمِيَّةً عَجَلَتْ بِهَا الرَّامِي سَرِيعًا، فَخَرَّ لَدَيْهِ صَرِيعًا.

وَطَارَ عَلَيْهِ نَسْرٌ قَدْ أَصْحَرَ ^(٥) عَلَى إِلْفٍ مِثْلِهِ لِلبَيُوتِ، وَفَرَّ عَلَى أَنَّهُ يَسْلَمُ وَلَمْ

(١) طائر هو دون الإوز في المقدار؛ لونه كلون الإوز الحبشي إلى السواد، أبيض الجفن، أصفر العين، ويعرف في مصر بالعراقي.

(٢) ذلك أنها تطير جماعات جماعات، يتقدمها دليل منها.

(٣) قال الذميري في «حياة الحيوان الكبرى»: بذلك تسميه الرماة، وإنما اسمه الأنيس. قال: وهو طائر حاد البصر، يشبه صوته صوت الجمل، ومأواه قرب الأنهار والأماكن الكثيرة المياه الملتفة الشجر، وله لون حسن. والأنيسة عزيزة الوجود.

(٤) هو طائر في قدر الدبك كثير الريش، ويقال له: دجاجة البر. وقيل إن الحبرج هو ذكر الحبارى. وقال في حياة الحيوان: يقال لذكر الحبارى: الحُرْب.

(٥) أصحَرَّ وصَجِرَّ صحراً وصُحْرَةً: أشرب لونه حمرة خفيفة، فهو أصحَرُّ وهي صحراء.

يدر أنه يموت؛ قد شمرَّ فاضِلَ السَّربال، وأوى إلى الجبل ليعتصم به فلم يعصمه شيءٌ من الجبال؛ عُرف لعفاهه عن الدماء بالخير، ونُسبت إليه القُبَّةُ المعروفة^(١) به فأصبح صاحبَ القُبَّةِ والطير؛ لو صارعه كلُّ طويل الباع لصرعه، أو حلَّق مع أخويه: النَّسر الطائر والواقع لما طار واحد منهما معه؛ فتصدَّى له الرامي حتى رماه من قنَّته، وأخرج ملكه المحجب من قنَّته.

ثم طارت عليه عُقابٌ من العقبان فتخاء^(٢) كاسرة، مُدْرِعة حاسرة؛ ما أمت سرباً إلا أنشعب، ولا حُمِلت على يد إلا وأضحت ترمي بظلِّ ذي ثلاث شُعَب؛ قد فتكت بكل طائر حتى لم يدع لها قِرْناً، وسطت على الظباء فكم أهلكت قرناً. فرماها بحينٍ من بُنْدُقِه، وأراح منها كلَّ ظبي في كِناسه وطائرٍ في أفقه.

ومرَّ على إثرها كُرْكِي^(٣) أنسلَّ من خيطه، وأقبل يَسْتَنُّ^(٤) في شوطه؛ كأنما جلَّته السماء بردائها، أو كسته لون الماء من تساقط أندائها؛ قد شفَّ لوناً عن العنبر الورد، وزين الأفق لما حلَّق في شَفَقِيَه بذهب ولا زورْد؛ فعاجله الرامي في تعرُّضه، وعاجله ببندقية خرَّ لديها - وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه .

فتبعه غِرْنُوقٌ^(٥) حَسَنُ المجتلا، مقدَّم على الغرائيق العُلا^(٦)؛ قد أدرع مثل

(١) مراده: مجموعة النجوم المعروفة بالنسر الطائر؛ وهناك مجموعة ثانية تشبه النسر أيضاً تسمى الشلياق، وأولها نجم يسمى النَّسر الواقع. وكلا النَّسرين في النصف الشمالي من القبة السماوية.

(٢) فتخت الرِّجلان: طال عظمهما وقُلَّ لحمهما. ويقال فتخ الرجلُ وفتخ الأسد ونحوه، فهو أفتح وهي فتحاء.

(٣) طائر أغبر، طويل الساقين، في قدر الإوزة؛ ويجمع على كَرَاكِي.

(٤) استنَّ الطائر: طار نشيطاً على سنَّته في جهة واحدة.

(٥) الغِرْنُوقُ: طائر أبيض من طير الماء، طويل العنق والساق، له قنَزعة ذهبية اللون؛ وهو ضرب من الكراكي؛ ج: غرائيق.. وفي اللسان: غِرْنُوقٌ وغِرْنِيقٌ.

(٦) الغرائيق العُلا: هي الأصنام في الجاهلية. وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم إلى الله وتشفع لهم إليه، فشبهت بالطيور التي تعلق وترتفع في السماء. وفي الحديث: « تلك الغرائيق العُلا... ». قيل: ويجوز أن تكون الغرائيق في الحديث جمع الغرائق وهو الحسن.

(انظر لسان العرب: غرتق).

الزرد، وتوقدَ صرْمُهُ ثم بَرَدَ؛ كأنما أطبقت أجفانه على جَمْرٍ، أو عصر من عنقود الثريا ما أوعاه في مقلته من خَمَرٍ؛ فأصابه الرامي في جناحه، وعدَّ تحصيله من أوّل نجاحه .

ثم حلق عليه صُوعٌ^(١) كأنه رقيق غيم، أو متدرِّعٌ بسلخ أيم^(٢)؛ كأن بقية نرجسٍ بفيه، أو ليل^(٣) دُرٌّ على الصباح بين قواده وخوافيه؛ قد أتعب الرامي، وأبعد عليه المرامي؛ إلا أن أجله أعجله، وأتاه على يده ما أجله ولا أجله .

ثم عارض مُرْزِماً^(٤)، وعاین منه مثل نوئه منسجماً؛ قد أبرز كُمَيْه بين درعیه، وتوقى من الصدر والجناح مصرعیه؛ فظلّ يدلُّ بما عليه من جَوْشِنٍ^(٥) مورّد، وجَوْجُو عَبلٍ عليه دِرْعٌ مزرد؛ فلم يدافع حذارة ما حلق إليه، ولا أقبل إلا ورشاشُ الدماء عليه؛ فقام إليه على فرقه، ورماه فلم يُخطِ ما بين مغرزه ومفرقه .

ثم استقبله سُبيطراً^(٦) بِنَيْتِهِ سَوِيَّةً، وآيته في تلقف الثعبان موسوية؛ يأكل الحية ولا يتشكى أوجاعاً، ويلقم كل بطل ولا يدع شجاعاً؛ قد تقاصر كل جليل عن قدره؛ وألقى جوشنه من جناحيه من وراء ظهره؛ وتلقى بصدرة فقعد له وهو مرتفق، وسقاه بصوائبه كأساً منه لم يفق؛ فلما لم يبق إلا أنصرافه من مقامه، وعوده بعد بأسائه في الطير وانتقامه

عن له عُنَّازُ^(٧) قد تجلّل بدوائبه، وأضاء برّقه في جُونٍ سحائبه؛ وقد طلع في السواد منه مثل بدره، وتجلبب به إلا ما قلّ منه عن صدره؛ فتحلّى من رياشه بما لم

(١) طائر مختلط اللون من السواد والبياض، أحمر الصدر. وأكثر ميله إلى الخضرة والأشجار.

وهو في اللسان والقاموس: الصرد.

(٢) الأيم: الحية الذكر.

(٣) أي: بقية ليل.

(٤) طير أبيض في أطراف ريشه حمرة، طويل الرجلين والعتق.

(٥) الجوشن: الصدر - والجوجو العبل: الصدر الضخم.

(٦) ويسمى أيضاً: اللقلق؛ ويعرف بالبلارح. وكنيته عند أهل العراق: أبو خديج. وهو طائر أبيض، أسود طرفي الجناح؛ ورجلاه ومنقاره حمر. وهو يأكل الحيات، ويوصف بالفطنة والذكاء.

(٧) طائر أسود اللون، أبيض الصدر، أحمر الرجلين والمنقار.

تجدد العُفر، وأشرق ببياضه في السواد مثل نور هدى في كُفر؛ فعجل له باستقباله الحمام، وكان لطوره التمام.

النوع السادس^(١)

طيور مختلفة

الحمام الهُدِّي^(٢): وهو الرِّسائلي. وأجوده الخضر والغر؛ فإذا أسودَّ الحمام حتى يدخل في الاحتراق صار مثل الزنجي الشديد البطش القليل المعرفة. والأبيض وما ضرب فيه البياض لا يجيء من الغاية لضعف قوته؛ وعلى قدر ما يعتريه من البياض يعتريه من الضعف.

ويختار منها كل قصير المنقار، طويل العنق، طويل القوادم من غير إفراط، ولحوق الخوافي بعضهم ببعض، وصلابة القصب من غير أنتفاخ ولا يُيس، وعظم لفخدين، وقصر الساقين، [وغلظ]^(٣) الأصابع، وقصر الذنب، وتوقد الحدقتين، صفاء اللون^(٤).

ويقال فيه: وهو حمام علم منه ما علمت الجوارح، ودل منه ما دلت من لخيول الجوامح؛ وأخذت بالتدريج، وانتخب منها كل زوج بهيج؛ ونزلت الأبراج؛ أنها أمثال النجوم، وحلقت حتى لا تزداد عليها بتحليق البرق الغيوم؛ وجعلت استطلاع الأخبار، وعرف بها من العلم ما لم توت مثله الأخبار.

في سائر الحمام مما غبَّ وهدر: وشدت الحمام على تلك الأفنان، ويكت

(١) في طق «النوع الخامس». وما أثبتناه هنا يناسب الترتيب الذي اعتمدهنا.

(٢) أي الذي له اهتداء في الطيران من مسافة بعيدة، ولذلك كان يستعمل في البريد لحمل الرسائل من بلد إلى بلد. وقد سبق الكلام على مطارات الحمام.

(٣) في طق: «واقندان الأصابع». ولم نعر على معنى مناسب لها. وما أثبتناه من صبح الأعشى.

(٤) وقد أظن القلقشندي في ذكر ألوان الحمام، وعدد ريشه، وبيان صفة الفراهة والفراسة فيه. (انظر صبح الأعشى: ٩٦/٢ - ١٠٤).

بكاء آدم وما أُخرجت من الجنان؛ قد نُبِّهت بعد هدر كلِّ نائم، وسَلت بعد طول
سُبَات كلِّ هائم؛ تارةً تغني وتارةً تنوح، وتجمجم ويحقُّ لها أن تبوح.

في القَطَاة: وكم من قَطَاة علق بها شَرَكُ باتت تجاذبه بجناحها وتغالبه بجماحها؛
لا يرد كدرُ بها كَدَر الماء، ولا يبعد عليها تنائي بهماء، ولا يخفى عليها طريقُ برِّ مقفر
ولا [ما] به ماء.

في الحَجَل: وأخرج من الحَجَل كلَّ متَوَلِّجة، وأظهر كلَّ متَحَرِّجة، وصاد منها
كل مخبلةٍ من شدة الخوف ومبئجة؛ وسبى منها كل ذات حلةٍ دكناً موردةً، وكل هيفاءً
غادةٍ خصوصاً ممنطقةً مشددةً.

في الدَّرَاج^(١): ومن الدَّرَاج كلُّ ذات رداءٍ مرقوم، وجلباب كأنه أول شَفَق فيه
لآخر الليل رُقوم؛ طابت طعاماً، ولم يعدّها الصائد إلا إنعاماً.

في الغُرَاب: وهو الذي ينق بالخراب، ويؤذن بالاغتراب؛ وما زال يُنمى له
الحَيْن، ويُنسب إلى الفراق ويُقال: غراب البين.

في البَطِّ: وقد لبست أحسنَ الرِّياش، وأكثرت شقَّ الأنهار فأضحى عليها من
مثل الرِّشاش؛ قد تتوجت بمثل أجنحة الطوايس، وصفقت بأجنتها فأشبهت
أصوات النوايس؛ وعقفت أذناها كأنها أطراف قسيِّ البندق التي تصيها، ولازمت
زُرْقَةَ الجو مما قلَّ منه نصيبها؛ ورضيت بالعلقة من العلق حُباً بالقناعة، ووقفت على
فرد رجلٍ زيادةً في الطاعة.

في الدَّيْكَ: ووثب على أعلا الجدار، والفجرُ قد همَّ بالبدار؛ فصَفَّق بالجناح
وشمَّر ذيله ليخوض غدِير الصباح؛ هذا وقد استشاط وألتهب، وصاغ له منقاراً من
ذهب؛ وجناحه قد حَسُنَ تكوينه، وحسب من نوار الربيع تلوينه؛ وأختال لما صحَّ

(١) ضبطه في صبح الأعشى بفتح الدال المشددة، وفي القاموس بضمها. وهو طائر على خلقة القطا إلا
الطف. ظاهر جناحيه أغبر وباطنهما أسود.

نقوشه، وأعتدل عليه شربوشه^(١)؛ وفضل بلا خلاف، وصفت عينه فلم تعد وصف
السلاف. (٢)

في الدجاج: وقد أشرف من ذلك الدجاج، على مثل قوارير الزجاج؛ من كل
مسمرة الدستان^(٣)، منها زهر الفول وسائرهن زهر البستان؛ مطعمات لهن بر ممنون،
ومتشابهات كأنهن بيض مكنون؛ كأن في أعرفهن ناراً توجج، وكأن كل دجاجة منهن
بطل مدجج؛ يصلح بهن المزاج، ويكتفى في العلاج؛ أجل ما أكل الصحيح
والسقيم، وراق الشرب منهن الدياج الرقيم.

(١) هو عرف الديك.

(٢) السلاف: الخمر.

(٣) كذا في طق. ولم نتحقق من معناها.

الفصل الثالث

في الأمكنة

في مدينة مسورة: وهي مدينة تُصرف عنها العين، وتصرف فيها العين^(١)؛ وقد أضحت غُرَّةً في وجه الدهماء، وأمست في الأرض أخت البلدة التي في السماء؛ قد شدَّ بالسور على خصرها النطاق، ونجم بها طالع الأنجم النفاق؛ ذات أزرقة وسبعة، وأدور^(٢) فيها لمنازل الأعمار ودبعة، قد فصلت منطقتها بالبروج، وفصلت على كل بلد حظ ساكنها منها الخروج.

في آثار دمنة^(٣): فأصبحت لا تُرى إلا آثار مساكنها، ولا تروى إلا أخبار ساكنها؛ قد غدت أطلالاً تجرُّ عليها الرياح أذيالها، وتُسرح فيها النعام رئالها^(٤)؛ كأنها لم تكن ملعباً للحباب، ولا مرأى للربائب^(٥)؛ قد تجددت^(٦) تلك الجدران، وأوقدت بالجوانح ما أطفئ منها من النيران؛ وانتضى عليها البرق سيفه فخر ذلك البناء المشمخر، وصرخ في جنباتها جواد الرعد المُسبطر^(٧)؛ وفرط ذلك العقد المنضد، وفصل ذلك العقد المعضد؛ فشكَّها في خيطه الغمام، وحلَّ فيها عقد صبره

(١) العين هنا بمعنى الدنانير؛ وكل شيء نفيس. والعين الأولى هي عين الحسد.

(٢) جمع دار.

(٣) الدمنة: آثار الناس وما سودوا؛ وآثار الدار.

(٤) الرئال: فراخ النعام؛ واحدها: رأل.

(٥) جمع ريبية وهي مؤنث الرُّبُوب. والرُّبُوب: القطيع من بقر الوحش.

(٦) تجددت: انصرع. وهنا بمعنى تهدم.

(٧) اسبَطُر في السير: أسرع.

الإلمام؛ فهَدَّت تلك الأركان، وهَدَّمت ما كأنَّ شيئاً منها كان؛ فأصبحت تُسقى بماء العَبْرَات، وتُرَوَّى بأجاج لا يروُّها العَذْبُ الفُرات.

في قلعة شاهقة: وهي أيُّ قلعة يُقَصُّ دونها قوادِمُ النَّسْرِ، وتعرف بضمِّها إلى النجوم أن جميع القلاع غيرها مبنيٌّ على الكَسْرِ؛ قد ذَلَّت الرياحُ عن طَرَقِها، ونزلت الكواكبُ دون أفقِها؛ ومَتَّت إليها البروقُ بأسباب لم تُقَطع، وفُصِّل عليها ثوبُ السحاب لكنه مُذ وقع دونها ما تَوَقَّع؛ قد آستعلت على قِنَّةِ جبلٍ آزداد بها رفعةً منار، وأصبح بها - وهو صخرٌ - علماً في رأسه نار.

في حِصْنِ شاهقٍ محصَّن: ودونَه جبالٌ رفيعة، وأوديةٌ منيعة؛ وقد بُنيَ على قِنَّةِ يقع دونها النَّسْرُ الطائر، ويقنع بدون طيفها الخيالُ الزائر؛ قد آلت السُّحْبُ إلا تفرَّجت عنه فروجها، والشُّهُبُ إلا مُيزت منه بروجها؛ قد أدكى البرقُ فيه شُعَلَه، وغلَّقت عليه السماءُ أبوابها المقفلَه؛ وأنكرت الشمسُ فيه الأيام، وخَفِيت دونه الأهلَةُ فما رُئيت إلا في التَّمَام؛ وتمنطقت أسواره بالمجانيق التي حالت العهود، وحَلَّت العقود؛ وهدرت في كل ناحية فَنِيَقُها^(١)، ونزلت في كل جهة فريقها؛ ورداء أسواره من المقاتلة أسوار^(٢)، ومن أهل الثُّوب من جرت معهم أطوار؛ وما عملت في صخوره المعاول، ولا دَبَّت نُقُوبُها في المفاصل، ولا نفذت منه المادة ولا أنقطع عنه الواصل.

في مُنازلة بَلَد: وأحدق بذلك البلد، وقطع من نَسَلِه كلَّ ما ولد، وحسمت عنه موادُّ الحَلْب حتى قلَّ منه الجَلْد؛ وضربت حولها الخيام، وكثر عليها القَتَام؛ ودارت بها العساكر فكانت وشاحاً، وأحدقت بها إحداقَ الأجنان بالعين إلا أنها كانت وقاحاً؛ وصبرت على قطع المُدَد وقطع المُدَد حتى كادت تلقي بأيديها إلى السَّلَم، وتسقط من الضعف لعدم القُوت لا لوجود السَّقَم؛ ثم إن طائفةً منهم سلَّمت بالأمان، وسلَّمت بالإيمان؛ وطائفةٌ أصرَّت على الامتناع حتى أخذت قَبْضاً، ووفَّى السيفُ منهم قَرَضاً؛

(١) الفَنِيَق من الإبل: الفحل.

(٢) الأسوار الأولى معروفة: والثانية: كرام الإبل، واحدها: سُورَة.

ولو أسلموا سَلِمُوا، وهكذا يأخذ الله الذين ظلموا؛ ونَسَبَ الفريقان، وشبَّ الحريقان؛ فلما آلتقى الجَمعان، وأنَّ الصَّدعان^(١)؛ أتوا وقد غُلِيتِ مراحل صدورهم، وغلبت سُهْبُ المغافر^(٢) على كوامل بدورهم؛ وألذَّ^(٣) كلُّ ذي حَنَقٍ، وجرَّ كلُّ ذي شَطَنٍ^(٤) يقطع الحَلَقَ؛ وظلَّلَ القَتَامَ^(٥)، وطبع الموت فيه على الرِّقاب بخاتمه طابعاً ما يفكُّه الخَتَامُ؛ إلا أنَّ العاقبة كانت للمتقين، وكُتِبَ لهم النصرُ - ولله الحمد - قد تحقَّق عن يقين.

في المسجد والمحراب: وأتى من المسجد بيتِ العبادة، ودارِ السعادة؛ وجهه إلى بيت الله الحرام، وميقاتِ الصلاة والإحرام؛ وآستقبل المحراب فكان لصدفته دُراً، وبين أحناء ضلوعه سِراً؛ ثم قام وقنت، وأطال متفلاً^(٦) لم يخشى العنت.

في المنبر: وأخضرَّ به عودُ المنبر، ونظر به إلى مَنْ بَرَّ؛ وضَمَّخَ طيباً، إذ منه ضمَّ خطيباً؛ وأضاء في حُللِ السَّوادِ حتى كان يُشرق، وأمتزَّ بالندى حتى كاد يورق؛ وأطرب إذ ضرب منه عودٌ تُشجي نغماته الفصيحة، ونَفَحَ عودٌ يُشبُّ بنار تلك القريحة.

في المثذنة: وقد رُفعت منها سبابةٌ تشهَّد، ومنازةٌ تشهد فيها النجوم لمن يتشهد؛ تُسحَّ فيها بالغدوِّ والأصالِ رجال، ويعرف بها الأوقات والأجال؛ تذكرُ القانت في محرابه، وتنبه النائم لما هو أحرى به.

في حيِّ حلول: وشاقه تذكرُ اللقا، وساقه إلى حيِّ على أيمن النقا؛ فأشرف منه على بيوت قد أشرعت إلى الرياح، وشُرِّعت حولها الرماح؛ وأكنت ليالها السُّودُ

(١) الصَّدعان: الفريقان.

(٢) جمع مِعْفَرٍ، وهو زرد يُسجُّ من الدروع على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة.

(٣) ألذَّ: أشدَّتْ خصومته.

(٤) الشُّطَنُ: الجبل الطويل يُستقى به من البئر أو تشدُّ به الدابة.

(٥) القَتَامُ: الغبار الأسود.

(٦) أي مصلياً التوافل.

أقماراً، وأطلعت أيامها الشمسَ نهاراً؛ ورتعت في جناباتها الجاذر، وصرف عنها صَرفَ الزمان ما يُحاذِر؛ وأنبتت إماؤها في تهيئة الأهب^(١)، والآستعداد لليل وصدُرُ النهار ما ذهب؛ وقد حصلت لقرى الضيفان الجفان، وفتكت بذوي الصبابة قبل قواتل السيوف الأجفان؛ وقد أطلت فتية الحي تشدُّ بهم تلك السلاهب^(٢)، ويتدارك بهم بقية الليل الداهب؛ وقد قال ولدان الحي: تعالوا - إلى أن يأتي الصيد - نخطب، وركبوا الطارق وما نخاله إلا عنقاء مغرب^(٣)؛ فإذا هم به وقد حطَّ رحله والشمس قد انحطت للغروب، والفتية قد نزلوا من الركوب؛ فبات يُعلل^(٤) على نارهم، ويأخذ في التأهب للرحيل ووَّده لا يخرج من ديارهم؛ ثم لم يجد بُدّاً من الانصراف، حين ألقى الليل عنه الطراف^(٥)؛ هذا وخطيب الدجى لم يتمزق أهبه، ولم يشرق دواء الصباح دهبه.

في مرج أخضر: ونزل بمرج كأنما فُرشَ ياستبرق، وطلع الصباح في ليله المتراكم فأشرق؛ قد أتسع للرائد فيه مدى طرفه، وأمتدَّ إلى غايته أمدُ طرفه؛ وأخضر كأنما خلع عليه العذار، وحسن كأنما قبلت به الأعذار؛ وقد نسجت ديباجته الأنواء، وقرطت زُمردة الأنداء؛ كأنما عبثت بنسيمه فاراً^(٦) المسك فرضها، أو عرضت عليه فضة الفضاء في تلك الجوانب ففضها؛ وقد طرفه بزهر الربيع أوانه، وضلل عليه قوس السماء فنفضت عليه ألوانه، فما حلَّ في أكنافه إلا من أذكره^(٧) خضرة العيش، وثبته ومع هذا وثب به الطيش.

(١) جمع أهبة أي العدة. يقال: أخذ للأمر أهبته.

(٢) جمع سلهب، وهو الطويل من الناس والخيول.

(٣) عنقاء مغرب: طائر عظيم يبعد في طيرانه. وقيل إنه من الألفاظ التي ليس لها مدلول حقيقي. وقيل: هي التي أغربت في البلاد فئات ولم تحسن ولم تر. والمراد هنا الطارق الذي يأتي ليلاً من مكان بعيد. ويقال: عنقاء.

(٤) علل فلان: سقى سقياً بعد سقي؛ وجنى الثمرة مرة بعد أخرى. وهنا بمعنى يتناول مزيداً من الطعام والشراب.

(٥) الطراف: الحديث المستحسن.

(٦) فأر المسك: وعاءه.

(٧) أذكره: ذكره. والمراد: طلبه.

في روضة غناء: هذا وهو إلى جانب روضةٍ تولّت خيوطُ الأنواء نَسَجَ غلائلها، ورَقَمَ خَمَائِلها^(١)؛ وتعلّقَ سيوفُ الجداول من جَنبَاتِها المخضرةً في خمائلها؛ وقد وشَعَت مِرطَها^(٢)، وحلّت إلى الأنداء قِرطَها؛ ونفّضت عليها البُكْرُ والأصائل أصباغها، وأطالت عليها ظلالُ الصباح والعشيّ إسبَاغها؛ فجاءت بدائع الألوان، وأقبلت باكورةً تعدُّ من بداية الأوان.

في شجر بادية: وثمَّ شجرٌ له دواءٌ وما له ثمر، وسمُر^(٣) لا يجتنى منها إلا طرائف السمُر؛ وقد جعلت تلك المَهَامِهُ أدْوَاحاً، وكانت لجسوم تلك القفار أرواحاً؛ فلم يبقَ إلا من توقّى بها حرَّ الهَجِير، وتعلّقَ بذمّةِ ظلالها من نار الرّمضاء يستجير؛ فأطالت دَمَاء^(٤) كلِّ روح، وطابت مَقِيلاً أنست لمفارق الخيام بذِي طُلُوح^(٥).

في برِّ مُقْفِر: وأستقبل برّاً لا تسلك فيه القَطَا، ولا يُستعجَل فيه البَطَا، وقد بعد ما بين جنبيّه، وعلقت دون أقصاه المِطِيّ فلا تنتهي إليه؛ لو سلكه النجم لَضَلَّ، أو أقتحمه الريح المتشامخُ لَدَلَّ؛ أو سقته السيّارة لما أهتدت إلى الماء بيت أمريء القيس، أو دليل خالدٍ لما نُسِبَ في أمره إلى الكَيْس؛ لا تعرف فيه اليَعاْفير^(٦) كيف تتّجه، ولا العصافيرُ في أي قطر هي لأمره المشتبه؛ يفني في أقلِّ مداه الزّادَ والظّهْر^(٧)، ويفنى الجديدان: اليومُ والليلَةُ، ويقصر المديدان: المقام والشّهْر.

(١) الثياب ذات الخمل.

(٢) المِرط: كساء من خز أو صوف أو كتان يؤتزّر به وتتلّفَع به المرأة.

(٣) السمُر: ضربٌ من شجر الطلح؛ واحدته: سَمْرَة.

(٤) الدماء: بقية الروح.

(٥) ذو طُلُوح: موضع بين الكوفة وقَيْد. وقد ذكر الخيام بذِي طُلُوح كل من جرير في قوله:

متى كان الخيامُ بذِي طُلُوحِ
سُقِيَتِ العَيْثُ أَيْتِهَا الخِيَامُ

وأبي نواس في قوله:

ومُسِمِعَةٍ إذا ما شئت غنّت
تمتّع من شبابٍ ليس يبقَى
وصِلْ بعَرَى الغُبُوقِ عُرَى الصُّبُوحِ
متى كان الخيامُ بذِي طُلُوحِ؟

(٦) اليَعْفُور: ظبي لونه كلون العَفْر، أي التراب.

(٧) أي الدابة التي تركب.

في مَفَازَةٍ: وقطع مَفَازَةً لا يقطعها كل حديد، ولا تَذَرَعُهَا أيدي المِطِيِّ مثل كل البيد؛ يلوك فيها العارفُ الحِصَا خوفاً من جَفَافِ فمه، ونَشَافِ ماءِ حياته ودمه؛ لا يفيد في سلوكها النَّادِمَ العَضُّ على الأصابع، ولا يدري القادِمُ عليها ما اللُّهُ به صانع؛ لا ينهل فيها الماء المَحْمُولُ إِلَّا نَهْلَةَ الطائر، ولا يعلم فيها المنقطع للبسِ نعله أين يقدم السائر؛ لا يدرك فيها مأمول، ولا يقتل العيسَ إِلَّا الظَّمَاءُ والماءُ فوق ظهورها محمول.

في رَمَلٍ: ودخل تلك الرَّمَالِ فَنَسَفَهَا نَسْفًا، وأوطأها حافِراً وخَفًّا؛ ولم يرْعُهُ شوامخُ تلك الكُثبانِ، ولا لَوَافِحُ نارِ الهجير في وجوه الرُّكبانِ؛ والرملُ قد طار شَرُّهُ، وظهر أثرُهُ؛ وسالت في تلك الشَّعَابِ أوديته، ولُفَّت في مَعَارِفِ تلك الطُّرُقِ أُرديته؛ وعقدت منه كل عقدةٍ لا تحلُّها الأنامل، ونسجت من رماله كل شِقَّةٍ لا تقتل خيوطها الأنامل؛ وقد امتنع جانبه فلا يقدر وإرْدُ مائه على نَهْلٍ، ولا يزال يحدث منه عن أبي ذرٍّ ويسلكه أبو جهل.

في كَثِيبٍ: وكم عاجت المطايا على كَثِيبٍ، وكم عادت على أيمنه وذكرت حاجة كَثِيبٍ؛ ماجت في الأرض تلك الرِّوَادِفِ، ومالت فأمسكتها من الرِّوَاغِفِ؛ ونَهَدت في أعالي بطون تلك الأودية كأنها نُهود، ونُظمت كاللَّائِيءِ في أجياد تلك السُّفوح كأنها عُقود؛ وَعَلَّت كأنها لتلك المَذَلَّةُ^(١) أَسْنِمَةٌ، وظلَّت عن تلك القُللِ كأنها مسلمة؛ قد أمتدَّت للزُّزَالِ أسباباً دون الأوتاد، وعُدَّت من صغار الجبال فكانت لها كالأولاد؛ ودارت نطاقاً بذلك الفضاء كأنها مخيِّمة، وتقاصرت عن مدى الجبال كأنها بغير الثريا مختمة.

في جبل شاهق: وكم دونه من جبل لا يبلغ الطَّرْفُ أذناه، ولا يقطع النَّسْرُ المَحَلَّقُ منه إلا دون مُناه؛ لا تظنُّ الشمسُ عليه إلا إكليلاً، ولا يرى البدرُ المعلقُ في ذراه إلا قنديلاً؛ تقع دونه الرياحُ ظُلُوعاً^(٢)، وتزورُّ النجوم حتى تغدو عيونها حولاً ولا تستطيع إليه تطلُّعاً.

(١) المذلة: الطرق الممهدة. وذلت الدابة: سهلت وانقادت. والأسنمة: جمع سنام.

(٢) ظلع ظُلُوعاً: عرج وغمز في مشيه.

في وادٍ عميق: ونزل قرارة وادٍ لا تُرى فيه الشمسُ إلا عند زوالها، والأقمارُ إلا بعد تمام هلالها؛ لو تهدر إلى مَهَوَاتِهِ^(١) الريحُ لخرَّ صاعقاً، أو الرعدُ لشقَّ ثوبَ السحابِ ونزل زاعقاً.

(١) المَهَوَات: البقر الوحشي. واحدها: مَهَاة. وتجمع أيضاً على مَهَاء.

الفصل الرابع

في المياه ولوازمها

في البحر: والبحرُ سماءٌ يمشي في مَنَابِهَا، ويمتطي كواهِلَ كواكبها؛ أَفلاكُهَا الدائرة، فُلُكُهَا السَّائِرة؛ وملائكُهَا المَسْبُحَةُ بِأَسْمَائِهَا، حِيَتَانُهَا السَّابِحَةُ فِي مَائِهَا؛ تَنشَأُ مِنْهُ السَّحَابُ، وَيَخْرُجُ الدَّرُّ مِنْهُ بَيْنَ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ؛ تَجْرِي فِيهِ السُّفُنُ فِي مَوْجٍ كَالجِبَالِ آيَاتِهِ لَا تُحْتَجَبُ، وَكُلُّهُ عَجَبٌ حَتَّى لَيْسَ فِيهِ عَجَبٌ.

في تَنَكَّرَ البحر: وتَنَكَّرَ البحرُ بَعْدَ إِصْحَابِهِ، وَنَكَرَ مَعْرُوفَهُ لِأَصْحَابِهِ؛ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِ مَكْفَهَرٍ قَدْ قَطَبَهُ، وَخَرَقَ فِي جَنْبِ السَّفِينَةِ قَدْ قَطَبَهُ؛ وَالرِّيحُ قَدْ شَرَّدَ بِاللُّجَجِ شَرَّدَهَا، وَالْأَمْوَاجُ قَدْ أَحْكَمَ فِي التَّقْدِيرِ سَرْدَهَا؛ وَقَدْ تَزَاحَمَتِ الْأَمْوَاجُ، وَتَلَاحَمَتِ الْأَمْوَاجُ، وَتَلَاطَمَتِ الْحِيَتَانُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَقَدْ كَشَفَتِ الرِّيحُ الْبَحْرَ حَتَّى كَادَتْ تَبِينُ قَرَارَةَ الْأَرْضِ؛ وَالْخَوْفُ مُتَوَقَّعٌ، وَالْمَوْتُ مُنْتَظَرٌ وَلَكِنْ أَيْنَ حَدَثَ فِي الْبَلْقَعِ.

في إِصْحَابِ البحر: وَقَدْ أَصْحَبَ الْبَحْرُ بَعْدَ آمْتِنَاعِ جَانِبِهِ، وَتَلَوَّى مَجَانِبَهُ؛ وَأَصْحَبَ وَكَفَّ^(١)؛ وَغَدَتِ السُّفُنُ كَأَنَّهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ، وَالْقِلَاعُ مَنْشُورَةٌ كَأَنَّهَا السَّمَاءُ بِهَا مَرْفُوعَةٌ؛ وَقَدْ لَانَ مِنَ الرِّيحِ مَا أَخْشَوْشَنَ، وَبَانَ الْبَحْرُ لَتَكْشُرَ مَوْجُهُ كَأَنَّهُ لَا بَسَّ جَوْشَنَ؛ وَصَفَتْ سَرِيرَةٌ مَائِهِ وَكَانَتْ قَدْ تَكَدَّرَتْ تَكَدَّرَ الْخُبِّ^(٢)، وَتَسَهَّلَتْ عَرِيكَةُ رِيحِهِ، وَكَانَتْ قَدْ تَعَسَّرَتْ تَعَسَّرَ الْخُبِّ. وَهُوَ الْآنَ طَيِّعُ الْعِنَانِ، حَسَنُ الْعِيَانِ، كَيْفَمَا أَخَذَتْ بِهِ أَصْحَابُ، وَأَنْقَادَ بَعْدَمَا كَانَ قَدْ آسْتَصَعَبَ.

(١) لعلَّ سقطاً بعد هذا قد وقع، وهو لازم من باب تمام التسجيع، مثل أن يقول: «وسامح وعف».

(٢) الخُبُّ: الغامض من الأرض.

في نهر جارٍ: فَطَنَبَ^(١) بجانب نهر يتلَوَى أَرْقَمُهُ^(٢)، ويمرُّ النسيْمُ على ديباجه السَّادِجِ فيرقُمُهُ؛ يروع حَصَاهُ حَالِيَةَ العذارَى؛ ويُظْهِرُ صَفَاءَ باطنه لظاهره أَعْتَدَارًا؛ كأنما ذابَ فِرْنَدُ^(٣) في مائه، أو تَفَرَّى^(٤) ليلٌ عن سمائه؛ فجاء بدمع العين، وغَسَلَ حتى صدأ البين.

في غُدْرٍ: وفي تلك الفِيحِ^(٥) غُدْران كأنها عُشورٌ في مصاحف، ووجوهُ حِسانٍ في بيضٍ مَلَاخِفٍ؛ كلُّ غديرٍ منها كأنه درهم، وكلُّ أَيْ^(٦) كأنه يجمع أرقم؛ قد أمتدَّت في ذلك الفضاء، وسالت في إنائها المصْوَغِ من الذهب الأحمر بالفضة البيضاء؛ وقد صقلت عليها الرياحُ سوافِها، وتذكَّرت حولها فِتْيَةُ الحَيِّ مآلِها؛ وأرخت عليها الرياضُ خُضْرَ برودها، وحامت النفوسُ الظَّمَاءُ منها على ورودها.

في مَنَهْلٍ مورود: ووردنا منه نُظْفَةً زرقاء تُروِّي الصَّدي، وتروي بأقرب سَنَدٍ حديثَ السَّحابِ من طريق النَّديِّ؛ يُرَشَفُ من حُبَابِها مثل الثغور، ومن رِضابِها ما تَقَلُّ به الخمور؛ قد نشرت منه شَقَقًا بيضاءً وقصَّرتها الشمس، وحمتها مسافتها البعيدة من اللُّمس؛ تحدَّرت من غُرِّ طوال الذوائب، ونزلت على صفاء الأرض من صَفْوِ السحائب؛ وتولَّت الرِّيحُ نَفْيَ قَدَاتِها، ونَفَعَ شاريها بدَفْعِ أذاتِها؛ فكانت مثل صفاء الدَّمْعَةِ، ورَقَّةِ الشَّمْعَةِ، وثياب أهل الإيمان البيض يوم الجمعة.

في ماءٍ آجِنٍ^(٧): ولم تجد الإبلُ على تحرق أكبادها، وتخرق أكتادها^(٨). وامتداد ليالها وأيامها بأوامها^(٩)، وذهاب مددها، بعطش كبدها، إلا ماءً سار من حَمَاءٍ

(١) طَنَبَ بالمكان: أقام.

(٢) الأرقم: ذكر الحيات أو أخبثها.

(٣) الفِرْنَدُ: السيف.

(٤) تَفَرَّى: أنشَق. وفي طق «تغري» وهو خطأ.

(٥) فَاخٌ قَيْحًا: أُنْسَع، فهو أَيْح وهي فيحاء. والجمع: فَيْحٌ.

(٦) الأَيْ: السَّيْلُ يأتي من بعيد.

(٧) آجِنُ الماء: تغيُّر لونه وطعمه ورائحته.

(٨) الكَتْدُ: مجتمع الكتفين من الإبل.

(٩) الأوام: مرارة العطش.

كدر، وعلأ رأسه المشيبُ مما بلغَ من كِبَرٍ؛ كأنما صُبَّ الزيتُ على مائه، أو عُشِّيَ صباحُ غديره بظلمائه؛ وقد أصبح كأنه نقيعُ حِنَاءٍ، وبقيةٌ ما علَّ أرقمه من زمانِ حواءٍ؛ لا تقربُه الدَّوَابُّ ولا كثيرٌ من الناس، ولا تهونُ المصيبةُ به إلا إذا وجد بعد الإياس.

في السُّفْنِ: وأطار من السُّفْنِ كلَّ خفيفةِ الجناح، خفيفةِ الجِماح؛ تمدُّ من القلوعِ أجنحة، وتعدُّ من المجاذيفِ أسلحة؛ تُجَلُّ أن تُقاسَ بدُهمِ الخيل، أو تُشَبَّه نُجُبُ قلعِها المنشرةُ بنهار أو ليل؛ قد اتَّخذت سماءَ البحرِ مِيدَانًا، وحطَّت على موجةِ البحرِ غربانًا^(١)؛ وشالت أنفها تتنَسَّم الأرواح، ومدَّت كَفَّها وكتبت على الماء ما خطَّت في الألواح؛ فكأن كل واحدة منها على البحرِ ثوبٌ فيه قِصر، وكأنَّ الماء عينٌ محدقةٌ وهو فيها سوادِ البصر.

في السمك: وثمَّ من عجائب المخلوقات ما يتجاوز طور العقل، ويتجاوز فيه أهلُ النُّقل؛ ومنها نوعُ السمك الذي تنوعت مخلوقاته، واجتمعت في البحر متفرقاته؛ وحسن في ذلك المُهْرَق منه تعريف كل نون^(٢)، وأجتلاء كل حسناء كأنها بيضٌ مكنون؛ وتنوع ما يخرج من البحر من ذلك اللحم الطري، وطلوع كل حوت ما يُعوِّزه إلا المشتري؛ وبيان كل بُنية^(٣) كأنما يقشر منها سبيكة فضة، أو تخرج منها جُمارة^(٤)

(١) الغراب: سفينة حربية قديمة مديبة الحيزوم ذات أشعة ومجازيف. وقد ورد هذا المصطلح في كثير من المصادر القديمة مثل الروضتين لأبي شامة، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي، وقوانين الدواوين لابن ممتاي، وتاريخ الجبرتي.

واللفظ في التركية: «غراب» بكسر الغين. وقد قيل إنها من الفرنسية Corvette، ويرى دوزي أن الذي ينطبق على الغراب هو Brigantine وليس Corvette. ومن السفن الحربية التي كانت معروفة: الطرائد والشواني.

(انظر تاصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل: ١٥٤).

(٢) النون: الحوت.

(٣) البني: ضرب من السمك أبيض، يكثر في النيل؛ ظهره أصفر قاتم إلى زيتوني، ويطنه فضي اللون، وزعانفه برتقالية إلى حمراء.

(٤) الجُمارة: قلب النخل، واحدته: جُمارة.

غَضَّة، على أنبعاثها في صفحة الماء، وأنبثائها كالنجوم في السماء، وتَلَبَّيْهَا بأمثال
الجواشن، وإطلالها في مثل الخُود من تلك الرَّوَّاشِن^(١)؛ وتلك الظهور الجُوجُويَّة،
والقُمُص اللُّولُويَّة؛ والبطون التي كأن لَمَسَهَا من حرير، والأذنان^(٢) التي لو سحبت
في خطة الأخطل لجري وراءها جَرير.

(١) من الفارسية «رُوشَن» بضم الراء وفتح الشين بمعنى النافذة؛ وتكون أيضاً بمعنى الشُرْفَة. وأكثر استعمالها
في المصادر العربية العائدة إلى العصر المملوكي والتركي بمعنى الشرفات أو المشربيات، وهي غير
الشبابيك. - والخُود: جمع خُود، وهي الشابة الجميلة.

(انظر: تاصيل الدخيل: ١١٨؛ ورسوم دار الخلافة: ١٦ حاشية: (٥)).

(٢) في طق «الأذنان».

الفصل الخامس

في الكواكب

في الشمس: وقد طلعت الشمس العائبة، وحال الذهب في تلك البودقة^(١) الذائبة؛ وأسفرت تلك المخدرة، وأطلعت تلك الشارقة المنورة؛ وأفلتت من شرك النجوم تلك الغزاة^(٢)، وأقبلت تحت قناع الشفق وما عليها إلا غلالة.

في الهلال: وقد جرى في تلك اللجج الغزار زورقه، وورثه^(٣) أصيله أو ورده شفق؛ وتقوس كأنه حاجب، وأنشوق كأنه نون أجادها كاتب.

في القمر: وقد أوقد في الليل ذلك السراج، وزينت قبة الفلك تلك الجامة^(٤) الزجاج؛ وأتمت تمامه، وأستدار كأنه هامه - أستغفر الله - بل عمامه.

في النجوم: وقد طفت على ذلك اللجج^(٥) مواقع النجوم، وتفرقت مواقع تلك الأنواء السجوم؛ وقذف ذلك البحر لؤلؤه، وأنهد ذلك البازي جوجوه؛ ومدت تلك الشبكة، ووقع فيها الحوت فخافت السمكة؛ وقد طعنت أسنتها النوافذ الليل حتى أنهرت^(٦) فتقه، وهلهت ثوبه ولولا الحسن لما أظهرت عتقه.

(١) لغة في البودقة.

(٢) الغزاة - من أسماء الشمس.

(٣) كذا في ط ق. ولعل الصواب «ورثه» أي صبغه بالورس، والمراد به اللون الأصفر الضارب إلى الحمرة.

(٤) الجام والجامة: إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها. والجام والجامة مؤنثة.

(٥) اللجج: معظم الماء حيث لا يدرك قعره؛ ولجج الليل: شدة ظلمته وسواده، وهو المعنى المراد.

(٦) أنهرت الفتق: وسعه.

في المجرة^(١): وقد رَكَدَ نَهْرُ المَجْرَةِ، وَأَنهَارُ جَرَفُهَا وصَارَ كُلُّ نَاحِيَةِ دَرَّةٍ، وَكَأَنَّهُ حَديقَةُ نَوَّارٍ، فَصَارَ لَمَّا أَلْتَأَمَ كُلَّهُ أَنوَارٌ.

في الثُّرَيَّا^(٢): وَالثُّرَيَّا عَنقودٌ مَنوَّرٌ، وَقَدَحٌ مَصوَّرٌ؛ وَخَاتَمٌ فِي بَنَانِ حَبَشِيٍّ، وَنَوَّارٌ فِي حَدَائِقِ الصَّبَاحِ وَالعَشِيِّ؛ وَلَمْ يَطُلِ اللَّيْلُ مُذِ قَيْسٍ بِشَبْرَهَا، وَأَحْسَنَ مَا شُبِّهَتْ بِصَفْحَةِ مُهْرَقٍ رَشَّتْ عَلَيْهَا الظُّلْمَاءُ مِنْ حَبْرَهَا.

في الجوزاء^(٣): وَقَد زَادَتِ الجوزاءُ فِي الطُّوْلِ، وَشَالَتْ عَصَاهَا عَلَى الشُّوْلِ^(٤)؛ وَأَمْتَدَّتْ كَأَنَّهَا ذِرَاعٌ، وَطَالَتْ كَأَنَّهَا بَاعٌ؛ وَشَدَّتْ كَأَنَّهَا طَنْبٌ مَمْدودٌ، وَأَنفَصَلَتْ كَأَنَّهَا جَيِّدٌ مَحْدودٌ؛ وَتَهَدَّلَتْ فَرْعٌ، وَدَرَّتْ كَأَنَّهَا ضَرْعٌ؛ تُعْرَفُ بَيْنَ النُّجُومِ، وَتُسَفَّرُ عَلَى البَقِيَّةِ وَجُومِ.

(١) مجموعة كبيرة من النجوم تركزت حتى تراءت من الأرض كوشاح أبيض يعترض في السماء.

(٢) الثُّرَيَّا: مجموعة من النجوم في صورة الثور. وكلمة «النجم» عَلِمَ عليها؛ وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالنُّجُومِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١].

(٣) من بروج السماء؛ وَهُوَ التَّوَّامُ. قَالَ فِي صَبِيحِ الأَعَشِيِّ: وَالتَّوَّامُ عَلَى خِطِّ وَسْطِ السَّمَاءِ، جَسَدَانِ مُلتَصِقَانِ بِرَأْسَيْنِ، يَظْهَرُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَدٌ وَاحِدَةٌ وَرِجْلٌ وَاحِدَةٌ. وَالرَّأْسَانِ فِي جِهَةِ المَشْرِقِ، وَرِجْلَاهُمَا فِي جِهَةِ المَغْرِبِ.

(صبح الأعرشي: ١٧٠/٢)

(٤) الشُّوْلُ وَالشُّوْلَةُ: كَوَاكِبٌ مُتَقَاظِرَةٌ عَلَى تَقْوِيْسٍ فِي بَرَجِ العَقْرَبِ، أَشْبَهَ شَيْءٌ بِذَنبِ العَقْرَبِ إِذَا شَالَتْ، وَلِذَلِكَ سَمِيَتْ بِالشُّوْلَةِ.

(المصدر السابق: ص ١٧٨).

الفصل السادس

في الأزمنة

في الصباح: وقد رقت تلك البُكر، ووضحت تلك الغُمر؛ وحسنت تلك الصُّبح
لمسفرة، وأصبحت بها الأيام ضاحكة مستبشرة؛ وقد أخذت سجامع الحُسن تلك
لمبادي، وأولت بيض الأيادي؛ وجلت تلك السماء الفضيَّة، وجلت تلك المرآة
التي كانت من بقايا الليل صديَّة؛ ودبت حُمرة الشفق في وجه النهار، وتوقدت جمرة
لصباح إلا أنها من نور لا نار؛ وكان آفتاق الضوء في أخريات الليل مثل شجر
اسمين ينفُض، وأقبل النهار في شبابه إلا أنَّ شباب النهار أبيض؛ وباكر الصباح
الصُّبوح، ودفنَ الهموم والزُّق^(١) لديه مذبوح؛ وشرب على ورد الشفق مثله من
مُدام، وجاهر النهار ولم يخش الملام.

في شدَّة الحرِّ: وحيي وطيس الهجير، وقيد الراكب بجبل الشمس مثل
زنجير^(٢)؛ وودَّ المشي على الأرض لو وقى قدمه بأمِّ رأسه، والمتلطي في ذلك الحرِّ
وصلَّ الرياح بأنفاسه؛ كأنَّ كلَّ حصاة من جمره تتوقد، وكأنَّ مدى ما بين كل
طوتين ما بين الأرض والفرقد؛ شموسه السُّم المذاب، ونُظفه العذاب العذاب؛ لا
مسك له إلا بال من آل، وذمته من سُعلة رمل يشبُّ لها ذبال؛ أُلْفح من نار العتاب،
شدُّ لظى في القلوب من فراق الأحباب.

في شدَّة البرد: وأشتدَّ البرد حتى أرقَّ العظام ودقَّها، وفرَّق الأجسام وشقَّها؛

(١) الزُّق: وعاء من جلد للشرب وغيره. والصُّبوح: شراب الصباح، وهو خلاف الغُبوق.
(٢) لفظ فارسي، وهو الجنزير والسلسلة المعدنية.

وعجل النَّافِضُ^(١) لمن ودَّ أن تعقبه الحُمَى ، والرَّعدة حتى فَصَّصَ^(٢) الأجسام عظاماً عظماً؛ وفعل في الأبدان ما يفعله الموتُ في الجمود، وفي المواقِد ما يفعله طول المكث من الخمود؛ وترك الرِّيقَ في الفم لا يذوب؛ والمدَّعي أنه يقدر أن ينطقَ لا يظنُّ إلا أنه كذوب .

في الغَبُوقِ: وأخَّرَ الغَبُوقَ حتى خفق جناح الشمس للغروب؛ وأنحلَّ مِسْكُ المساء حتى كاد في ما وردَ الشَّقَقُ يذوب؛ ثم عَبَّ في عَبوقه، ووصله بالليل حتى ضرب الشجر ببوقه .

في العَشايا: وزاد نُحوْلُ الأصيل ورقَّ مُدامه فكاد وَجَحَ العَصْرُ لِلطَّفَلِ^(٣)، وأعتلَّ نَيْرُ النهارِ إلا أنه ما أَفَلَ؛ وقد كادت الشمس تتوارى، وتفتَّحَ في روض المغرب نَوَّاراً؛ إلا أنَّ دينارها ما سقط؛ وغرابُ الليل لَحَبَّ أشعتها ما لقط .

في شِدَّةِ الظلماء: وأشدَّتْ الظلامُ فلم يتوضَّحَ غَلَسُه، ولا زُنَّرَ بالنجوم أطلسُه؛ كأنه آستعار سواد قلب العاذل، وعَرَضَ الغنيَّ المَمْسِكِ عن الباذل؛ قد آلى الصباحُ أن فيه ما ينير، وحرَّناً فخيِّم وقعد على أنه لا يسير .

(١) يقال: أخذته حُمَى نَافِضٌ، وحُمَى بنافِضٍ، وحُمَى نَافِضٍ: أي حُمَى ذات رعدة .

(٢) فَصَّصَ الشيءَ: فصله وانتزعه من غيره .

(٣) الطَّفَلُ: إقبال الليل على النهار بظلمته؛ والوقت قبيل غروب الشمس .

الفصل السابع

في الأنواء

في الرياح: وصَفَّتْ قِوَادِمُ الرِّيحِ، وَخَفَّتِ السَّفْنُ بِهَا لِلرَّوَّاحِ؛ وَخَفِيَتْ عَلَيِ الْعِيُونِ فَمَا تُعْرَفُ إِلَّا بِخَفْفِهَا، وَلَا تُشْكِرُ صَنَائِعَ السُّحْبِ إِلَّا إِذَا تَغَاضَتْ لَهَا عَنْ حَقِّهَا؛ فَإِنَّهَا هِيَ الَّتِي تُنَشِّئُهَا فِي السَّمَاءِ، وَتُنَشِّرُهَا فَيَسُطُّ جَنَاحُهَا الْمَبْلُولَ بِالمَاءِ؛ لَا يُعْرَفُ مَرْكَزُهَا فَيَتَّبَعُ، وَلَا يُعْرَفُ إِلَّا أَنَّهُمَا مَا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ إِلَى أَرْبَعٍ (١).

في رِيحِ عاصِفٍ: ثُمَّ اسْتَحَالَتْ رِيحاً تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ، وَتَقْتَلِعُ دُونَ الْجَبَلِ الْمُطَلَّ كُلَّ مَا لَدَيْهِ؛ رَغَتْ رَعُودُهَا الْقِوَاصِفِ، وَعَسَتْ (٢) زَعَاذِعُهَا الْعِوَاصِفِ؛ فَلَمْ تَدْعُ طَرِيقاً [مَا] أَنْكَرْتَ مَعَارِفَهُ، وَلَا إِذَا رِيَّاشَ مَا سَلَبَتْ مَطَارِفَهُ؛ وَلَا بِحِرِّ الْمِ يَصْعَبُ جَانِبُهُ، وَيَقْطَعُ الْمَرْكَبَ الَّذِي يُجْرُ بِاللَّبَّانِ جَاذِبُهُ؛ فَجَارَ إِلَى رَبِّهِ الرَّبَّانِ، وَلَمْ يَسْطِعْ عَلَى مُجْمِرِ الْبَرْقِ الْعُودُ وَلَا نَفْعَ اللَّبَّانِ (٣).

في السُّحَابِ: وَأَمَّا السُّحَابُ فَقَدْ تَرَكَتْ ضَلَّلُهُ (٤)، وَصُيِّغَتْ صَبْغَةَ الْمَفَارِقِ

(١) ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ أَسْوَلَ الرِّيحِ أَرْبَعَةٌ: الْأُولَى الصَّبَا، وَهِيَ الَّتِي تَأْتِي مِنَ الْمَشْرِقِ؛ وَالثَّانِيَةُ الدَّبُورُ، وَمَهْيُهَا مِنَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى حَدِّ الْقُطْبِ الْجَنُوبِيِّ، وَتَسْمَى الْغَرِيبِيَّةُ؛ وَالثَّلَاثَةُ الشَّمَالُ، وَمَهْيُهَا مِنْ حَدِّ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ؛ وَالرَّابِعَةُ الْجَنُوبِيَّةُ، وَتَسْمَى أَيْضاً الْقَبِيلِيَّةُ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضاً: الْمَرِيسِيَّةُ.

(صَبِغَ الْأَعْشَى: ١٨٥/٢ - ١٨٦).

(٢) كَذَا فِي ط. ق. وَلَمْ نَهْتَدِ إِلَى وَجْهِ اسْتِعْمَالِهِ هُنَا.

(٣) لَمْ يَسْطِعْ أَي لَمْ يَسْتَطِعْ. وَالْعُودُ: كُلُّ خَشْبٍ؛ وَاللَّبَّانُ: الصَّنُوبَرُ أَوْ خَشْبِهِ.

(٤) كَذَا فِي ط. ق. بِالضَّادِ. وَلَعَلَّ الصَّوَابُ: ضَلَّلَهُ. وَالظَّلَّةُ مَا أَظْلَكَ مِنْ شَجَرٍ وَغَيْمٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَفِي التَّنْزِيلِ:

«هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ - الْبَقَرَةُ: ٢١٠».

حُلَّه؛ قد طَبَّق ما بين الشرق والغرب، وأُذِنَتْ نِبَالُهُ الرَّاشِقَةُ بِالْحَرْبِ؛ وكَأَنَّ دُونَ السَّمَاءِ سَمَاءً، وفوق الماء ماء؛ ولم يَبْقَ معهم إلى فَرِيقٍ مَذْهَبٌ، ولا لَطْرِيقٍ مَذْهَبٌ؛ قد أَخَذَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وسال بالبحر لا بِالْمَذَانِبِ^(١).

فِي الرَّعْدِ: وأما الرَّعْدُ فقد صَرَخَ، وَنَفَخَ فِي أذُنِ السَّمَاءِ حَتَّى آتَفَخَ؛ وَلَمْ يُظَنَّ سَامِعُهُ إِلَّا أَنَّ السَّمَاءَ قَدْ شَقَّقَتْ، وَأَنَّ السَّحَابَ قَدْ مُزَّقَتْ؛ وَأَنَّ الْجِبَالَ قَدْ دُحِيتْ، وَأَنَّ صُورَةَ الْوُجُودِ قَدْ مُجِيتْ؛ فَتَرَكَ الْقُلُوبَ وَاجِفَةً، وَالْأَرْضَ رَاجِفَةً، وَالظُّنُونَ لَا تَسْتَبَعِدُ أَنْ تَتَّبِعَهَا الرَّادِفَةَ^(٢).

فِي الْبَرْقِ: وَالْبَرْقُ قَدْ نَبَضَ عِرْفُهُ، وَوَضَحَ بَيْنَ جُمَّةٍ^(٣) اللَّيْلِ السُّودَاءِ فِرْقَةً؛ وَعُلِّقَتْ مِنْهُ سَلْسِلٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَأَوْقِدَتْ مَجَامِرٌ مِنْ لَهَبٍ؛ وَلَمْ يُظَنَّ إِلَّا أَنَّ أَشْهَبَ الصَّبَاحِ قَدْ رَقَدَ فِي أَدْهَمِ اللَّيْلِ، أَوْ أَنَّ عَمُودًا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ تَحَدَّرَ فِي صَبَبِ السَّيْلِ.

فِي نَزُولِ الْمَطَرِ وَالْبَرْدِ وَالثَّلْجِ: وَحَجَبَتِ السَّمَاءُ السُّحْبَ ثُمَّ أَخَذَتْ فِي الْإِنْسِكَابِ، وَجَاءَتْ بِأَفْوَاجِ الْمَطَرِ: بَعْضُهُ قَدْ جَمَدَ وَبَعْضُهُ قَدْ ذَابَ؛ وَأَصْبَحَتْ صَبِيحَةً لَيْلَةٍ وَالنَّاسُ بَيْنَ مَاءٍ وَطِينٍ، وَأَنْوَاعٍ مِنْ ذَائِبٍ طَلٍّ وَمَفْتَرٍّ ثَغُورٍ وَسَقِيطٍ يَأَسْمِينُ؛ وَأَصْبَحَتْ الْأَرْضُ كُلُّهَا قَارُورَةً، وَذِيُولُ الْأَنْوَاءِ الْمَرْفُوعَةِ عَلَيْهَا مَجْرُورَةً، وَالثَّلْجُ قَدْ زَادَ فِي بَدِّ رُضَابِهَا^(٤)، وَالْبَرْقُ قَدْ أُرْسِلَ بُرْدًا^(٥) أَنْوَاتِهِ إِلَى الْآفَاقِ بِالرُّضَى بِهَا، وَالسَّحَابُ قَدْ مَدَّ خِيوطَهُ، [وَالْمَحْلُ]^(٦) قَدْ أَمَاتَهُ الثَّلْجُ وَذَرَّ مِنَ الْكَافُورِ حُنُوطَهُ^(٧).

(١) المَذْنَبُ: مسيل الماء إلى الأرض؛ والجمع: مذائب.

(٢) الرَادِفَةُ: النفخة الثانية في الصُّورِ يوم القيامة لمجيئها رادفة بعد الأولى.

(٣) الجُمَّةُ: الشعر. والفِرْقُ للشعر معروف.

(٤) الرُّضَابُ: ما تقطع من الندى على الشجر ونحوه.

(٥) جمع بريد.

(٦) فِي طَوْقِ مَكَانِ اللَّفْظِ بِيَاضٍ. وَمَا أُثْبِتْنَاهُ عَلَى وَجْهِ التَّخْمِينِ. وَالْمَحْلُ: الْجُوعُ الشَّدِيدُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَدْبٌ.

(٧) مَا يَذَرُّ عَلَى الْمَيْتِ مِنْ مَسْكٍ وَكَافُورٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

في الآل: وقد عَبَّ عَبَابُهُ^(١)، وَغَرَّ سَرَابُهُ؛ وَطَبَّقَ أَطْبَاقَ الْغَمَامِ، وَأَنْتَشَرَ أَنْتَشَارَ الظَّلَامِ؛ وَأَفْعَمَ وَاوِيَهُ بِالْخَدِيدَةِ، وَوَعْدِمَ السِّيَاسَةَ مِنْ ظَنَّنَ أَنَّهُ الشَّرِيعَةَ^(٢)؛ وَلَمْ يَطْفَحْ نَهْرُهُ إِلَّا بِالْخَرَابِ، وَلَا أَتَى الْقَرَبُ لْتُمْلَأَ مِنْهُ إِلَّا رَاحَتِ وَهِيَ فَارِغَةٌ الْجَرَابِ.

قال المُملي - أجزَلَ اللهُ له الثواب - : وهذا آخره وبتمامه تم الكتاب ؛ وليعذر من وقف عليه ، فقد علم الله كيف كان يتلقف قلم الاستملاء ، ويتخطفه مسارعة من لسان الإملاء ، حتى كُتِبَ في غاية الاستعجال ، وحسب عند حاضريه مما يجري مجرى الارتجال ، لخمود خاطري ، وجمود ماطري ، وإعراضني عن هذه الصناعة ، التي قلت منها البضاعة ؛ وعلمت أن إنفاق رأس مالي من العمر فيها كان إضاعة ؛ على أنه - وإن لم يكن فيه طائل ، عند ذوي الفضائل ، فقد لا يقع - لتوسعهم في العلم - موقع النقص لديهم ، لعلمهم إذا كسد عندهم أن له قوماً ينفق عليهم .
والله يوفقنا لما هو أصلح ، ويفتح علينا - فقد قرعنا بابه - والله يفتح .

[انتهى كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» للعمري]

وجاء بالأصل ما نصه : فرغ من تعليقه كاتبه ومالكه ، العبدُ الفقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، علي بن عبد الله بن الشبلي الحنفي - عفا الله عنه - بثغر طرابلس المحروسة - حماه الله وكفاه - وكان تمامه في تاسع الحجّة الحرام سنة ٧٦٤ هـ .
الحمدُ لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا ؛ وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) يقال : عَبَّ عَبَابُهُ لَمَنْ مَرَّ فِي كَلَامِهِ فَأَكْثَرَ . وَالْمُرَادُ : كَثُرَ بَرِيقُهُ وَلَمَعَانَهُ .

(٢) الشريعة هنا بمعنى النهر .

- ١١ - تاريخ الإسلام في الهند - تأليف عبد المنعم النمر - مكتبة دار العروبة - القاهرة.
- ١٢ - تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) - تأليف أبي جعفر الطبري - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٣ - تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل - تأليف أحمد السعيد سليمان - دار المعارف - مصر.
- ١٤ - تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور - تأليف محيي الدين بن عبد الظاهر - تحقيق مراد كامل ومحمد علي النجار - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالجمهورية العربية المتحدة.
- ١٥ - تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) - حققه وعلّق حواشيه: محمود محمد شاکر - راجعه وخرّج أحاديثه: أحمد محمد شاکر - دار المعارف - مصر.
- ١٦ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) - دار الشّام للتراث - بيروت.
- ١٧ - التعريف بمصطلحات صبح الأعشى - تأليف محمد قنديل البقلي - الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ١٨ - التعريفات - تأليف علي بن محمد الجرجاني - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٩ - تقويم البلدان - للملك المؤيد صاحب حمّاه (أبو الفداء) - طبع باريس - ١٨٤٠.
- ٢٠ - تهذيب الأسماء واللغات - للنووي - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢١ - جنى الجنّتين في تمييز نوعي المثنيين - تأليف محمد أمين المحيبي - دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- ٢٢ - الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام - للصاحبي التاجي - ويليه فائت الحلبة - تحقيق حاتم صالح الضامن - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٥.

- ٢٣ - الحلة السبراء - تأليف ابن الأبار - تحقيق حسين مؤنس - الشركة العربية للطباعة والنشر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٩٦٣ .
- ٢٤ - الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة - تأليف علي باشا مبارك - الهيئة المصرية للكتاب .
- ٢٥ - الخطط المقرزية (المواعظ والاعتبار) - تأليف أحمد بن علي المقرزي - دار صادر - بيروت .
- ٢٦ - دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة العربية - منشورات كتاب الشعب - القاهرة .
- ٢٧ - دراسات في فقه اللغة - الشيخ صبحي الصالح - دار العلم للملايين - ١٩٦٠ .
- ٢٨ - الدولة المملوكية (التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري) - تأليف انطوان خليل ضومط - دار الحداثة - بيروت - ١٩٨٠ .
- ٢٩ - رسوم دار الخلافة - تأليف ابي الحسين هلال الصابيء - تحقيق ميخائيل عواد - مطبعة العاني - بغداد - ١٩٦٤ .
- ٣٠ - الروض المعطار في خبر الأقطار - تأليف محمد بن عبد المنعم الحميري - تحقيق إحسان عباس - مكتبة لبنان - بيروت .
- ٣١ - زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك - تأليف خليل بن شاهين الظاهري - اعتنى بتصحيحه بولس راويس - طبعة باريس - ١٨٤٠ .
- ٣٢ - سفرنامه - (رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية) - نقلها إلى العربية يحيى الخشاب - دار الكتاب الجديد - بيروت - ١٩٨٣ .
- ٣٣ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - تأليف ابن العماد الحنبلي - مكتبة القدسي - القاهرة .
- ٣٤ - الشعر والشعراء (طبقات الشعراء) - تأليف ابن قتيبة الدينوري - تحقيق مفيد قميحة - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٣٥ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا - للقلقشندي - طبعة دار الكتب المصرية .
- ٣٦ - صبح الأعشى في صناعة الإنشا - للقلقشندي - شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٨٧ .

- ٣٧ - صفة جزيرة الأندلس (منتخب من الروض المعطار) - تحقيق ليفي بروفنسال - القاهرة - ١٩٣٧ .
- ٣٨ - صفة جزيرة العرب - تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني - تحقيق محمد بن علي الأكوخ الحوالي - منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - ١٩٧٤ .
- ٣٩ - عيون الأخبار - تأليف ابن قتيبة الدينوري - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٤٠ - الفهرست - تأليف ابن النديم - دار المعرفة - بيروت .
- ٤١ - فوات الوفيات - تأليف ابن شاکر الکتبي - تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت .
- ٤٢ - القاموس المحيط للفيروز آبادي - المؤسسة العربية للطباعة والنشر - بيروت .
- ٤٣ - القرآن الكريم .
- ٤٤ - قضايا لغوية في ضوء القراءات القرآنية - الشيخ صبحي الصالح - منشورات الجامعة اللبنانية .
- ٤٥ - قوانين الدواوين - تأليف ابن مماتي - تحقيق عزيز سوريال عطية - مطبعة مصر - ١٩٤٣ .
- ٤٦ - الكامل في التاريخ - تأليف ابن الأثير - دار صادر - بيروت .
- ٤٧ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - تأليف حاجي خليفة - دار الفكر - بيروت .
- ٤٨ - الكلّيات - تأليف أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي - تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق - ١٩٨٢ .
- ٤٩ - لسان العرب - تأليف ابن منظور - دار صادر - بيروت .
- ٥٠ - مذكرات جوانفيل (القديس بولس) - ترجمة وتعليق الدكتور حسن حبشي - دار المعارف - مصر - ١٩٦٨ .

- ٥١ - مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - تأليف عبد المؤمن البغدادي - تحقيق علي محمد الجاوي - دار إحياء الكتب العربية .
- ٥٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - للمسعودي - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار المعرفة - بيروت .
- ٥٣ - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين) - تأليف ابن فضل الله العمري - دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي - المركز الإسلامي للبحوث - بيروت .
- ٥٤ - المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى - تأليف إبراهيم علي طرخان - نشر مؤسسة سجل العرب - القاهرة - ١٩٦٦ .
- ٥٥ - المشترك وضعاً والمفترق صقلاً - تأليف ياقوت الحموي - مكتة المثنى - بغداد .
- ٥٦ - معالم الكتابة ومغانم الإصابة - تأليف عبد الرحيم بن علي بن شيث القرشي - علق حواشيه الخوري قسطنطين الباشا المخلصي - المطبعة الأدبية - بيروت - (١٩١٣) .
- ٥٧ - معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي - تأليف زامباور - أخرجه زكي محمد حسن بك - وحسن أحمد محمود - مطبعة جامعة فؤاد الأول - ١٩٥١ .
- ٥٨ - معجم البلدان - تأليف ياقوت الحموي - دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٥٩ - معجم عبد النور المفصل - تأليف جبور عبد النور - دار العلم للملايين - بيروت .
- ٦٠ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة - تأليف عمر رضا كحالة - مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ٦١ - معجم ما استعجم - تأليف عبد الله بن عبد العزيز البكري - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٩٨٣ .
- ٦٢ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - القاهرة .

- ٦٣ - المُغرب في حُلَى المغرب - تأليف ابن سعيد المغربي - تحقيق شوقي ضيف - دار المعارف - مصر .
- ٦٤ - منطلق تاريخ لبنان - تأليف كمال سليمان الصليبي - منشورات كارافان - نيويورك .
- ٦٥ - الموسوعة العربية الميسرة - إشراف محمد شفيق غربال - دار الشعب ومؤسسة فرنكلين - القاهرة .
- ٦٦ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - تأليف ابن تغري بردي - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة .
- ٦٧ - النظم الإسلامية - تأليف صبحي الصالح - دار العلم للملايين - بيروت .
- ٦٨ - نهاية الأرب - للنويري - دار الكتب المصرية .
- ٦٩ - هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) - تأليف إسماعيل باشا البغدادي - دار الفكر - بيروت .
- ٧٠ - وفيات الأعيان - تأليف ابن خلكان - تحقيق إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت .

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الموضوعات والمطالب
- ٢ - فهرس الأعلام
- ٣ - فهرس الجماعات والقبائل والأمم والطوائف
- ٤ - فهرس الأماكن والبلدان
- ٥ - فهرس الألفاظ الاصطلاحية والحضارية
العمرانية العامة

فهرس الموضوعات والمطالب

٣	مقدمة التحقيق
١٣	[خطبة الكتاب]
القسم الأول - في رُتب المكاتبات	
١٩	صدر مكاتبة إلى الأبواب الشريفة الخليفية
٢٥	رسم المكاتبة إلى ولاة العهود بالخلافة
٣٢	رسم المكاتبة إلى ولاة العهود بالسلطنة
٣٣	أمير مكة، ورسم المكاتبة إليه
٣٥	أمير المدينة الشريفة، ورسم المكاتبة إليه
٣٦	صاحب اليمن، ورسم المكاتبة إليه
٣٩	المريني صاحب برّ العدو، ورسم المكاتبة إليه
٤٣	صاحب الأندلس، ورسم المكاتبة إليه
٤٤	ملك التُّكروور، ورسم المكاتبة إليه
٤٦	صاحب البرُّنو، ورسم المكاتبة إليه
٤٧	صاحب الكانيم، ورسم المكاتبة إليه
٤٨	صاحب دُنُقلة، ورسم المكاتبة إليه
٤٨	صاحب أمْجَرة، ورسم المكاتبة إليه
٥٠	صاحب ماردین، ورسم المكاتبة إليه
٥٢	صاحب حصن كَيْفا، ورسم المكاتبة إليه
٥٣	صاحب أرزن، ورسم المكاتبة إليه

- ٥٤ صاحب بدليس، ورسم المكاتبه إليه
- ٥٥ صاحب هراة، ورسم المكاتبه إليه
- ٥٧ ملوك كيلان، ورسم المكاتبه إليهم
- ٥٨ الأكراد، ولهم رأسان؛ رسم المكاتبه إلى كلٍّ منهما
- ٦٠ أمراء الأتراك، ورسم المكاتبه إليهم
- عظماء الملوك بإيران وتوران وما والأههما من البلاد الشرقية من
- ٦٥ مجرّ الفرات إلى مطلع الشمس
- ٦٥ توران
- ٦٦ مملكة إيران
- ٦٧ رسم المكاتبه إلى القان الجامع لحدودها
- ٦٨ رسم المكاتبه إلى حُكام دولة هذا السلطان
- ٦٩ رسم المكاتبه إلى الوزير
- ٦٩ مملكة توران، وهي منقسمة ثلاثة أقسام
- ٧٠ رسم المكاتبه إلى صاحب السراي من مملكة توران
- ٧٠ رسم المكاتبه إلى صاحب غزنة وبُخارى وسمرقند من مملكة توران
- ٧١ رسم المكاتبه إلى القان الكبير في مملكة توران
- ٧٢ صاحب الهند، ورسم المكاتبه إليه
- ٧٥ صاحب البلغار والسَّرب، ورسم المكاتبه إليه
- ٧٦ ملك الروم صاحب القسطنطينية، ورسم المكاتبه إليه
- ٧٨ ملك الكُرَج، ورسم المكاتبه إليه
- ٨٠ متملك سيس، ورسم المكاتبه إليه
- ٨٤ ملك سنوب، ورسم المكاتبه إليه
- ٨٥ ملك رودس، ورسم المكاتبه إليه
- ٨٥ صاحب جزيرة المضطكا، ورسم المكاتبه إليه
- ٨٦ الأذفونش ملك الأندلس، ورسم المكاتبه إليه

- الريـد فرنس، ورسم المكاتبـة إليه ٩٢
- النوّاب ٩٤
- الأوّل: كافـل الممالك الإسلاميـة، ورسم المكاتبـة إليه ٩٤
- الثاني: نائب الشام، ورسم المكاتبـة إليه ٩٧
- الثالث: نائب حلب، ورسم المكاتبـة إليه ٩٩
- الرابع: نائب طرابلس، ورسم المكاتبـة إليه ١٠٠
- الخامس: نائب حماة، ورسم المكاتبـة إليه ١٠١
- سادس: نائب صـفد، ورسم المكاتبـة إليه ١٠١
- عامّة المكاتبـات؛ وتنقسم إلى أقسام ١٠٢
- لقسم الأوّل: في أرباب السيوف، وهو على أقسام ١٠٢
- لقسم الأوّل من قسم أرباب السيوف، وهو قسم مقدّمـي الألوـف ١٠٢
- لقسم الثاني من قسم أرباب السيوف، وهو قسم الطبلخانـات ١٠٣
- لقسم الثالث من قسم أرباب السيوف، وهو قسم العـشـرات ١٠٥
- لقسم الرابع من قسم أرباب السيوف، وهو قسم من دون ذلك ١٠٥
- لقسم الثاني: في أرباب الأقلام، وهو على أقسام ١٠٦
- لقسم الأوّل من قسم أرباب الأقلام، وهو قسم الوزراء ١٠٦
- لقسم الثاني من قسم أرباب الأقلام، وهو قسم من يجري مجرى الوزراء ولا صريح له بها ١٠٦
- لقسم الثالث من قسم أرباب الأقلام، وهو قسم القضاة والعلماء والأئمة ... ١٠٦
- لقسم الثالث: أهل الصلاح ١٠٧
- رسوم في الكتب إلى أمراء العربان ورسم المكاتبـة إلى كلّ منهم ١٠٧
- مطلقات؛ وهي على ضربين ١١٤
- ضرب الأوّل: المطلقات المكبّرة ١١٥
- ضرب الثاني: المطلقات المصغرة ١١٥
- جمـة العلامـة بالقلم الشريف ١١٧

القسم الثاني من الكتاب
في عادات العهود والتقاليد والتفاويض
والتواقيع والمراسيم والمناشير

- أولاً: العهود ٢٠
أ - عهود الخلفاء عن الخلفاء ٢٠
ب - ما يكتب عن الخلفاء للملوك ٢١
ج - ما يكتب للملوك عن الملوك ٢٢
د - ما يكتب عن الملوك لأولياء العهود ٢٢
ثانياً: التقاليد ٢٢
ثالثاً: التفاويض ٢٣
رابعاً: التواقيع ٢٣
خامساً: المراسيم ٢٤
سادساً: المناشير ٢٥
[الطُّغْرَى التي تكون بين الطُّرَّة والبسملة] ٢٦
[في مقادير قطع الورق] ٢٦
- الوصايا (جملة من الوصايا التي تذكر في العهود والتقاليد
والتفاويض والتواقيع والمراسيم) ٢٩
١ - عهود الخلفاء إلى ولاة العهود وإلى الملوك ٢٩
٢ - وصية نائب سلطنة ٣٠
٣ - وصية وزير ٣١
٤ - وصية نائب قلعة ٣٢
٥ - وصية أستاذار ٣٤
٦ - وصية مقدم المماليك ٣٦
٧ - وصية أمير آخور ٣٧

- ١٣٩ ٨- وصية والي حرب
- ١٤١ ٩- وصية أتابك المجاهدين
- ١٤٢ ١٠- وصية أمير مكة المعظمة
- ١٤٤ ١١- وصية أمير المدينة المشرفة
- ١٤٦ ١٢- وصية ناظر الحرمين
- ١٤٧ ١٣- وصية أمير العرب
- ١٤٨ ١٤- وصية مقدم الأكراد
- ١٥٠ ١٥- وصية مقدم التركمان
- ١٥١ ١٦- وصية مقدم الجبلية
- ١٥٢ ١٧- وصية مستوفي الصحة
- ١٥٤ ١٨- وصية جامعة لقاضٍ من أي مذهب كان
- ١٦١ ١٩- وصية قاضي العسكر
- ١٦٢ ٢٠- وصية محتسب
- ١٦٤ ٢١- وصية خطيب
- ١٦٥ ٢٢- وصية شيخ الشيوخ
- ١٦٨ ٢٣- وصية نقيب السادة الأشراف
- ١٧٠ ٢٤- وصية وكيل بيت المال المعمور
- ١٧٢ ٢٥- وصية مدرّس
- ١٧٣ ٢٦- وصية مقريء
- ١٧٥ ٢٧- وصية محدث
- ١٧٦ ٢٨- وصية نحوي
- ١٧٧ ٢٩- وصية متطبّب طبائعي
- ١٧٨ ٣٠- وصية متطبّب بالكحل
- ١٧٩ ٣١- وصية جرائحي
- ١٨٠ ٣٢- وصية منجم

- ١٨١ ٣٣ - وصية موقتة
- ١٨١ ٣٤ - وصية رئيس اليهود
- ١٨٣ ٣٥ - وصية رئيس السامرة
- ١٨٣ ٣٦ - وصية بطريك النصارى الملكيين
- ١٨٥ ٣٧ - وصية بطريك اليعاقبة

القسم الثالث - في نسخ الأيمان

- ١٨٦ أ - يمين شريف يستحلف بها للمبايعة العامة
- ١٩٠ ب - أيمان أهل الكتاب
- ١٩٠ يمين اليهود
- ١٩٢ يمين النصارى
- ١٩٤ يمين السامرة
- ١٩٥ يمين المجوس
- ١٩٦ ج - أيمان طوائف من أهل البدع
- ١٩٦ الطائفة الأولى : الشيعة، وفرقهم خمس
- ١٩٧ الفرقة الأولى - النصيرية
- ١٩٨ الفرقة الثانية - الإسماعيلية
- ٢٠١ الفرقة الثالثة - الإمامية
- ٢٠٣ الفرقة الرابعة - الزيدية
- ٢٠٤ الفرقة الخامسة - الدرزية
- ٢٠٥ الطائفة الثانية: الخوارج
- ٢٠٦ الطائفة الثالثة: القدرية
- ٢٠٦ د - في الأيمان التي يحلف بها الحكماء

القسم الرابع - في الأمانات والدفن والهدن

والمواصفات والمفاسخات

- ٢٠٨ أولاً: الأمانات

٢٠٩	ثانياً: الدفن
٢١١	ثالثاً: الهدن
٢١٤	رابعاً: المفاسخات

القسم الخامس - في نطاق كل مملكة وما هو
مضاف إليها من المدن والقلاع والرساتيق

٢١٧	أولاً: في ذكر مملكة الديار المصرية
٢١٩	في ذكر كُورِها
٢١٩	الوجه القبليّ
٢٢٢	الوجه البحريّ
٢٢٤	ثانياً: في ذكر المملكة الشامية، وتشتمل على قواعد
٢٢٦	القاعدة الأولى: نيابة الشام وتشتمل على ولاية برّ وأربع صفحات
٢٢٦	الصفحة الأولى: الساحلية والجبلية
٢٢٧	الصفحة الثانية: القبلية
٢٢٩	الصفحة الثالثة: الشمالية
٢٣٠	الصفحة الرابعة: الشرقية
٢٣٢	القاعدة الثانية: حلب
٢٣٥	القاعدة الثالثة: حماة
٢٣٥	القاعدة الرابعة: طرابلس
٢٣٦	القاعدة الخامسة: صَفَد
٢٣٧	القاعدة السادسة: الكرك

القسم السادس - في مراكز البريد والحمام
وهُجُن الثلج والمراكب المسفّرة به في البحر
والمناور والمُحرقَات

٢٣٩	الباب الأوّل: في البريد، ويشتمل على مراكز
-----	-------	-------------------------------------------

٢٤٢	مركز قلعة الجبل (في مصر)
٢٤٧	مراكز غزّة
٢٤٩	في ذكر مركز دمشق وما يتفرّع عنه من المراكز
٢٥٢	مراكز حلب
٢٥٢	مراكز طرابلس
٢٥٤	الباب الثاني: في مراكز الحمام
٢٥٦	الباب الثالث: مراكز هُجُن الثلج ومراكبه
٢٥٩	الباب الرابع: في المناور والمُحرقات

القسم السابع - في أوصاف ما تدعو الحاجة إلى وصفه

مما يكثر ذكره في المكاتبات،

ويشتمل على سبعة فصول

٢٦٤	الفصل الأول: في الآلات، وهي أنواع
٢٦٤	النوع الأول: السلاح
٢٧٠	النوع الثاني: آلات الحصار
٢٧٣	النوع الثالث: الآلات الملوكية
٢٧٨	النوع الرابع: آلات السفر
٢٨٢	النوع الخامس: آلات الصيد
٢٨٣	النوع السادس: آلات المعاملة
٢٨٥	النوع السابع: آلات الطرب
٢٨٦	النوع الثامن: آلات اللّعب
٢٨٧	النوع التاسع: المسكرات وآلاتها
٢٨٩	الفصل الثاني: في الحيوان وأنواعه
٢٨٩	النوع الأول: في الحيوان المذلّل للركوب
٢٩٥	النوع الثاني: في جليل الوحش
٣٠٠	النوع الثالث: في معلّّات الصيد

٣٠٢	النوع الرابع: الجوارح
٣٠٦	النوع الخامس: الطير الجليل
٣١٣	النوع السادس: طيور مختلفة
٣١٦	الفصل الثالث: في الأمكنة
٣٢٣	الفصل الرابع: في المياة ولوازمها
٣٢٧	الفصل الخامس: في الكواكب
٣٢٩	الفصل السادس: في الأزمنة
٣٣١	الفصل السابع: في الأنواء
٣٣٥	ثبت المصادر والمراجع
٣٤١	الفهارس العامة

فهرس الأعلام

(أ)

١٩٦	آدم (عليه السلام):
٢٤٧، ١٩٨، ١٩٢، ١٤٦، ١٤٤	إبراهيم (عليه السلام):
٢٣٦	إبراهيم بن أدهم:
٦٦	إبراهيم شاه بن بارنباي بن ثوتاي:
٦٢	إبراهيم شاه بن سليمان باشا:
١٢١، ٨٩	إبراهيم بن لقمان (فخر الدين):
١٧٨	أبقراط:
	أحمد بن صصرى التغلبي (قاضي
٢٤٩	القضاة):
٨٨	ابن الأحمر:
٣٢٦	الأحطل (الشاعر):
٩٤	الأذفونش سرقلان:
٩٢، ٩١، ٨٩، ٨٦	الأذفونش:
٥٠	أرتق:
٦٩، ٦٧	أرتنا:
٧٠	إرغدلق الترجمان:
٦٤	أرخان بن عثمان:
٦٤	أرخان بن منتشا:

١٩٦	أردشير :
١٩١	إرميا :
٧٦	أزبك :
٧٦ ، ٧٠	أزبك خان :
٨٢	أستدمر الكرجي :
١٢١	أسد الدين شيركوه :
١٩١	إسرائيل :
٧٢	الإسكندر الثاني :
١٤١	إسماعيل (عليه السلام) :
٢٠١ ، ١٩٩ ، ١٩٨	إسماعيل بن جعفر الصادق :
١٧٧	أبو الأسود الدؤلي :
٢٤٦ ، ٢٣٣	الأشرف خليل بن قلاوون :
٣٦	أطسز (الملك المسعود) :
٧٣ ، ٦٥	أفراسياب :
٧٢	الافتخار :
٢٧٣ ، ١٩٥	إفريدون :
٣٦	أقسييس :
٣٢٠ ، ٢٩٤	امرؤ القيس (الشاعر) :
٥٨	الأمير داوود :
١٠٦	أمين الملك (الصاحب) :
٢٤٣	أيبك (المعز) :
٧٠	أيتمش المحمدي :
٦٤	ابن أيدين :
(ب)	
١٩١	بخت نصر :

٦٤	بخشي بن قراشي :
١٤٩	بختي :
١٩٤ ، ١٩٢	البردعاني :
٢٥٣	برزيه :
٧٨	برطلما :
٢٠٢	بسر بن أبي أرطأة :
٥٦	بغداد خاتون بنت جويان :
٢٠٣	أبو بكر الصديق :
٢٧٣	بلقيس :
١٩١	بنات شعيب :
٥٥	بنت السلطان الملك الناصر :
٦٣	بهاء الدين موسى :
٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٥٦ ، ٥٥	بهادرخان (أبو سعيد) :
١٩٥	بهراسف :
٢٥٧ ، ٢٥٣ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ١٢١ ، ٧٠	بيرس الجاشنكير :
(ت)	
٧٣	التاج البري :
٢٨	تبع :
٧٠	ترما شيرين :
٢٤٩	تنكز (كافل الشام) :
٧٠	تني بك :
٤١	ابن تومرت :
٢٠٤	ابن تيمية :
(ج)	
٣٠١ ، ٢٩٧	الجاحظ :

١٩١	جالوت :
٧٠	جاني بك :
١٩٦	جبريل :
١٩٣	جرجس :
٣٢٦	جرير (الشاعر) :
٢٠٦	الجعد بن درهم :
١٩٩ ، ٩٨	جعفر الصادق :
١٠٩	جعفر بن عمر :
٢٤٠	أبو جعفر المنصور :
	جلال الدين بن علاء الدين خوارزم
١٩	شاه :
٥٥	جلوقان :
٣٥	جماز بن شيحة :
٦٠	الجملوك (من قطاع الطرق) :
٧١ ، ٦٩ ، ٦٦	جنكزخان :
٧٩ ، ٧٨ ، ٦٨ ، ٥٦ ، ٥٥	جوبان :
١٩٥	جيومرت :
(ح)	
٣٠٠	الحارث بن معاوية بن كندة :
٢٠٥ ، ٢٠٤	الحاكم بأمر الله (المنصور بن العزيز) :
٥٨	حسام الدين بن مجلي :
٢٠١	حسان بن ثابت :
٦٦	الحسن بن الحسين بن أقبغا :
٢٠٠	الحسن بن الصباح :
٢٤٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٢ ، ١٩٧	الحسن بن علي بن أبي طالب :
٨٨ ، ٣٩	أبو الحسن علي بن عثمان المريني :

٢٠٤ ، ٢٠٢ ، ١٩٩ ، ١٩٧	الحسين بن علي بن أبي طالب :
٢٤٣	حصن الدين بن ثعلب :
١٧٥	حمزة (الحافظ) :
٢٧	حمزة (إمام الزيدية باليمن) :
١٠٦	حمزة بن القلانسي :
(خ)	
٢٠٥	خارجة بن أبي حبيبة :
٧٣	خاقان :
٦٨	خذابندا :
٢٤٣	الخصيب :
٦٤	خضر بن يونس :
١٧٥	خطيب بغداد :
٩٣	الخطيب القزويني :
٢٤٦ ، ٢٣٣	خليل بن قلاوون (الأشرف) :
١٣٣	الخنساء (الشاعرة) :
٥٥	خوندة بنت السلطان خذابندا :
(د)	
٣٠٠	دارا (ملك الفرس) :
١٩١	دانيال :
٥٨	داوود (الأمير) :
١٩٥	الدَّرْفَس :
٦٤	دمرخان بن قراشي :
٢٨٦	دنائير :
٦٣	دندار :
١٦٠	ابن أبي داود :

١٤٩

ديسني :

(ر)

٢٩٤

الراعي النميري :

١٤٩

راندوادي :

٣٦

رسول :

٣٣

رميثة بن أبي نمي :

٩٢ ، ٨٩

الريدفرنس :

(ز)

٢٩٤

ابن زبانه :

١٩٥

زرادشت :

١٤٩

زرزاري :

٦٤

زكريا (صاحب قراصار) :

٢٠٢

زياد ابن أبيه :

٢٠٣

زيد بن علي بن أبي طالب :

٥٨

زين الدين بن عماد الدين بن مجلي :

(س)

١٩٦

سابور :

١٩١

السامري :

٧٣

سراج الدين الهندي :

٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٥٦ ، ٥٥

أبو سعيد (بهادرخان) :

٢٠

ابن السلار :

١٩٧

سلمان الفارسي :

٦٢

سليمان باشا (صاحب كصطمونية) :

١٠٨

سمرة بن مالك :

٣٥٨

٢٥٣	سنقر الأشقر (الملك الكامل):
١٤٩	سهرى:
٦٩	سوناي:
١٧٦	سيويه:
٢٨	سيف بن ذي يزن:
١٠٠	سيف الدولة الحمداني:
	سيف الدين علي بن المؤيد
٣٦	هزبر الدين داوود:

(ش)

٤٧	الشافعي (الإمام):
٥٩	شجاع الدين بن خضر بن المبارزكك:
	ابن الشديد = عبدالله الدواداري البريدي
	شرف الدين أبو بكر (صاحب الأندلس):
٥٤	
٢١٥	شرف الدين بن عبد الوهاب العمري:
٢٤٨	شعيب (النبي):
٢٠٢	شمر بن ذي الجوشن:
٥٨	شمس الدين شيخ أمير:
	الشيخ حسن الكبير (ابن الحسين ابن أبقغا):
٦٦	
٧٣	الشيخ مبارك الأبتايي (الأبتايي):
١٢٤ ، ١٢١	شهاب الدين محمود الحلبي:
١٢١	شيركوه (أسد الدين):

(ص)

- ١٠٦ :الصاحب أمين الملك :
٨٩ :الصاحب فخر الدين بن لقمان :
٦٤ :صاروخان :
٨٩ ، ١٨ :الصالح بن الكامل الأيوبي :
:الصالح بن المنصور (الملك شمس
٥٠ :الدين):
٨٩ :صبيح (الطواشي الكبير):
١٣٣ :صخر:
٢٣٧ ، ٢٠٠ ، ١٢١ ، ٣٥ ، ١٨ :صلاح الدين الأيوبي :
٩١ :صلاح الدين الترجمان الناصري :

(ط)

- ٢٤٨ ، ٢٤٧ :طاجار (الدوادار الناصري):
١٩١ :طالوت :
٧٠ :طايربغا الناصري :
٦٦ :طغتمريار :
٣٥ :طفيل بن منصور بن جمّاز :
٢٤٨ :الطنبغا (كافل الشام):
٨٩ :الطواشي الكبير (صبيح):

(ظ)

- ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ١٢١ ، ٧٠ :الظاهر بيبرس :

(ع)

- ٢٣٧ ، ١٨ :العادل بن أيوب :
١٢١ :العادل كتبغا :

١٧٥	عاصم (المقريء):
١٧٥	ابن عامر:
٢٠١	عائشة بنت أبي بكر:
٨٨	ابن عبّاد:
٢٤٠	أبو العباس السفّاح:
١١١	العباسة بنت المهدي:
١٧٥	ابن عبد البرّ:
٤٠	عبد الحق:
٢٠٥ ، ٢٠٢ ، ١٩٧	عبد الرحمن بن ملجم:
٢٦٢	عبد القادر الجيلي (الكيلاني):
٧٢	عبد الله دفترخوان:
	عبد الله الدواداري البريدي (جمال الدين - ابن الشديد):
٢٤٢	
٢٤٠	عبد الله بن الزبير:
	عبد الله بن صالح بن الحسن
٤٥	ابن علي بن أبي طالب:
٢٤٠	عبد الملك بن مروان:
٢٩٤	عبدة ابن الطيب:
	عبد الوهاب بن فضل الله العمري
٢٤٢	(شرف الدين):
٥٨	عتبة بن أبي سفيان:
٣٤	عجلان بن رميثة:
٤١	عديّ بن كعب:
٥٨	عز الدين شير:
٥٨	عز الدين بن عماد الدين مجلّي:

٢٠٢	عقبة بن عبدالله المرّي :
٢٠٠	علاء الدين (صاحب قلعة الموت) :
١٩	علاء الدين خوارزم شاه :
٦٣	علي أرينة :
٦٤	علي باشا :
٢٦٢	علي باشا (ابن كجك) :
١١١	علي بن جعفر البرمكي :
٣٣٣	علي بن عبدالله الشبلي الحنفي :
٢٤٠، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠١، ١٩٧، ١٩٦	علي بن أبي طالب :
	علي بن عثمان المريني (أبو الحسن) :
٣٩	
٣٦	علي بن هزير الدين داوود :
٥٨	عماد الدين مجليّ :
١٩٤	عمد شيون :
٢٠٣، ٢٠١، ٤١	عمر بن الخطاب :
٢٠٢	عمر بن سعد :
١٠٨	عمر بن فضل (ناصر الدين) :
٢٤٠	عمرو بن سعيد الأشدق :
٢٠٥، ٢٠٢	عمرو بن العاص :
١٧٥	أبو عمرو بن العلاء :
٢٩١	عنتره :
١١١	عيسى بن مهنا :
(غ)	
٦٨	غازان :
٦٠	الغرس بالو :

غياث الدين (صاحب هراة): ٥٦ ، ٥٥

(ف)

فخر الدين (كاتب المماليك): ٢٤٧ ، ٢٤٦
فخر الدين بن لقمان : ٨٩
الفرنسيس : ٩٠
فضل بن عيسى : ١١٢

(ق)

قبايل : ١٩٨
القاضي الفاضل : ١٢١
قائد بن مقدّم : ١٠٨
القدّاح : ١٩٩
ابن قرمان : ٦٢
القزويني (الخطيب) : ٩٣
قسطنطين ابن هالاني : ١٩٢
قطام (خطيبة ابن ملجم) : ٢٠٥ ، ٢٠٢
قطلو شاه : ٦٨
قنبر (خادم الإمام علي) : ١٩٨
قوصون الساقي : ٧٠
قيس بن سعد بن عبادة : ٤٣
قيصر : ٩١

(ك)

كابيان : ١٩٥
الكامل بن العادل الأيوبي : ١٨
كتبغا (العادل) : ١٢١

١٧٥	ابن كثير:
	كريم الدين (وكيل الخاص
٢٥٣ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦	الناصرى):
١٧٦ ، ١٧٥	الكسائي :
٣٠٠	كسرى :
١٨٠	كوشيار :
(ل)	
١٢١ ، ٨٢	لاجين (المنصور):
٨٨ ، ٨٧	لذريق الملك :
١٢١	ابن لقمان :
	ليغون بن أوشين (ليفور بن
٨٣	أوشير):
(م)	
١٧٦	المازني :
١٦٤ ، ١٥٧	مالك بن أنس :
٢٤١ ، ٢٣٨ ، ١٧٧ ، ١٦٠	المأمون العباسي :
١٩٦	ماني :
٥٨	مبارز الدين كك :
٧٣	مبارك الأبتايي (الشيخ):
٢٠٣	مبارك بن عطيفة بن أبي نمي :
١٩٢	متي :
٤٢	المتوكل على الله (سلطان تونس):
١٩٧	محمد ابن الحنفية :
٢٠٥ ، ٢٠٤	أبو محمد الدرزي :

١٠٨	محمد بن أبي سليمان :
٧٢	محمد بن طغلقشاه (أبو المجاهد) :
٧٨	محمود بن جويان :
١٢٤ ، ١٢١	محمود الحلبي (شهاب الدين) :
١٢١	محيي الدين بن عبد الظاهر :
٩٣	محيي الدين بن فضل الله العمري :
٢٤٠	المختار بن أبي عبيد :
١٩١	مدين :
٦٣	مراد الدين حمزة :
٢٠٢	ابن مرجانة :
٢٤٠ ، ٢٠٦	مروان بن محمد :
١٦٠	المريسي :
١٩٢ ، ١٩١	مريم بنت عمران :
١٩٢	مريم المجدلانية :
١٩٢	مريوحنا المعمدان :
١٩٦	مزدك :
١٩٨	المستعلي بالله الفاطمي :
٢٠٢	ابن مسعود (عبد الله) :
٧٦	مسلمة بن عبد الملك :
١٩٣ ، ١٩١ ، ١٨٥	المسيح :
٩٠	ابن مطروح :
٣٠	ابن مطهر (إمام الزيدية باليمن) :
٢٣٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٢	معاوية بن أبي سفيان :
١٦٠	المعتصم العباسي
١٩٩	المعز لدين الله الفاطمي :
١٨٠	أبو معشر البلخي :

٢٠٢	المغيرة بن شعبة :
	ابن ملجم = عبد الرحمن بن ملجم
	الملك أسد الدين موسى بن
٥٨	مجلّي بن منكلان :
٥٠	ملكشاه بن ألب أرسلان :
٥٢	الملك الصالح الأيوبي :
	الملك الصالح شمس الدين بن
٥٠	المنصور :
٥٨	الملك عماد الدين مجلّي :
٥٥	الملك غياث الدين (صاحب هراة) :
٥٤	الملك القاهر (من ملوك الأرزن) :
	الملك الكامل بن ناصر الدين بن
٣٦	العادل :
٣٦	الملك المسعود أطرز :
١٢١ ، ٨٢	المنصور لاجين :
٢٤٠ ، ١٩٩ ، ٧٦	المهدي العباسي :
	المهدي المنتظر (محمد بن
٢٠٢ ، ٢٠١	الحسن العسكري) :
١١١	مهنا بن عيسى :
٢٢٣ ، ١٩٤ ، ١٩١ ، ١٨٢	موسى (النبي) :
٢٠٥ ، ٢٠٢	أبو موسى الأشعري :
٢٠١ ، ١٩٨	موسى الكاظم :
٥٨	موسى بن مجلّي بن منكلان :
٤٦	موسى منسى :
٢٤١	موسى الهادي العباسي :

(ن)	
١٩	الناصر داوود بن المعظم عيسى :
٢٤٧	ناصر الدين الخزندار التنكزي :
٢٤٨	ناصر الدين الدوادار التنكزي :
	ناصر الدين سنان (الملقب براشد
٢٠٠	الدين) :
١٨	الناصر بن العزيز :
١٠٨	ناصر الدين عمر بن فضل :
٢٩	الناصر محمد بن قلاوون :
١٧٥	نافع (أحد القراء السبعة) :
٢٢٩	نجم الدين أيوب :
١٠٨	نجم بن هجل :
٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٨	نزار (الإسماعيلي الفاطمي) :
١٩٤	سطورس :
١٩٧	صير (غلام الإمام علي) :
١٩٨	لنمرود :
٣٣	بونمي :
٢٥٤	ور الدين محمود بن زنكي :
(هـ)	
١٩٨	هابيل :
١٨٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥	هارون (النبي) :
٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١	هارون الرشيد :
١٩١	هامان :
٩٢ ، ٩١	رقل :
٣٦	زبر الدين داوود :
٢٠٦	شام بن عبد الملك :

٧٨ ، ٦٦

هولاكو:

(و)

١٦٠

الواثق العباسي:

٢٤٠

الوليد بن عبد الملك:

(ي)

١٩١

يحيى (النبي):

٢٤١

يحيى بن خالد البرمكي:

٢٠٢ ، ٧٦

يزيد بن معاوية:

١٩٣

يسوع:

١٩٤

يعقوب البرذعاني:

٢٦٢ ، ٢٤٤

يوسف (النبي):

٤٣

يوسف بن إسماعيل بن نصر:

٨٧

يوسف بن تاشفين:

١٩١

يوسف النجار:

٦٣

يوسف (صاحب أنطاليا):

فهرس الجماعات والقبائل والأمم والطوائف

(أ)	
١٠٤ ، ٨٤ ، ٦٠	الأتراك :
٥٠	بنو أرتق :
٥٤	الأردو :
٤٩	بنو الأرشبي (الأطباء بدمشق) :
٢٣٨ ، ٢٣٣ ، ٢٠٥ ، ٨٢ ، ٨٠	الأرمن :
١٩٤ ، ١٩١	بنو إسرائيل :
٢٠٤ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٨ ، ١٩٧	الإسماعيلية :
٢٩١	بنو الأصفر :
٨٧	بنو الأفطس :
١٢٩ ، ١١٤ ، ١٠٤ ، ٩٣ ، ٥٨ ، ٥٤	الأكراد :
٢٣٣ ، ١٨٧ ، ١٤٨	
٢٠١ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٦٨	الإمامية :
٦٩	الأمّة المحمدية :
٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٨٧	بنو أمية :
١٦٩	أهل البيت :
١٨٢	أهل الذمة :
٢٠٣	أهل السنّة :
١٩٠ ، ١٨٣	أهل الكتاب :

الأيوبيون (بنو أيوب):

٢٤٢ ، ٢٢٧ ، ١٨٩ ، ٥٣ ، ٥٢

(ب)

٦٦

الباطنية:

٣٩

البربر:

٣٠٠

البطالسة:

٢٤١

بنو بويه:

(ت)

٢٥٩ ، ٢٤٢ ، ٢٣٣ ، ٢١٣ ، ١١١ ، ٩٣

التتار:

٢٣٣ ، ١٨٧ ، ١٥٠ ، ١٢٩ ، ١١٤ ، ١٠٤

التركمان:

٢٠١

تيم:

(ج)

١٥١

الجبليّة:

٣٥

بنو جماز بن شيحة:

٦٥

الجهاركس:

٨٧

بنو جهور:

(ح)

٢١٧ ، ١٠٨

الحدارية:

٤٧ ، ٣٥ ، ٣٣

بنو حسن:

٤١

الحفصيون:

١٩٣

الحواريون:

(خ)

الخاقانية: ٦٥

١١٠	بنو خالد:
١١٣	خالد حمص:
١١٣	خفاجة:
٦٥	الخفجاج:
٢٤٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٢	الخوارج:
١٩	الخوارزمية:
(د)	
٢٠٤ ، ١٩٧	الدروز:
١١٠	الدواسر:
١٩٣	الديرانيون:
(ر)	
١٩٦ ، ١٤٤	الرافضة:
٣٦	آل رسول:
٧٦ ، ٦٥	الروس:
٢٩١ ، ٢٤٠ ، ٢١٧ ، ١٩٦ ، ١١٦ ، ٦١	الروم:
(ز)	
١١٠	زبيد:
١١٣	زبيد الأحلاف:
١١٣	زبيد حوران:
١١٣	زبيد المرج:
٢٠٣ ، ١٩٧ ، ١٦٨ ، ١٤٤ ، ٣٠ ، ٢٧	الزبيدية:
(س)	
٧٣	آل ساسان:

١٩٤ ، ١٨٣	السامرة :
٧٩	السريان :
٨٧	بنو سعيد :
٨٠ ، ٥٣	آل سلجوق :
٢٠٥	السنة :
١٨٥	السودان :
(ش)	
١٩٣	الشعشعانيون :
٢٤٠ ، ٢٠٥ ، ١٩٦ ، ١٦٨	الشيعة :
(ص)	
٦٥	الصقلب :
٨٧	بنو صمادح :
(ط)	
١١١	طي :
(ع)	
١٠٨	عائذ :
١١٠	عائذ الحجاز :
٨٧	بنو عبّاد :
١١٣	عبادة :
٢٠٢	بنو العباس :
٣٩	بنو عبد الحق :
٣٩	بنو عبد الواد :
١٨٢	العبرانيون :

١٩٦	العجم :
١١٣	عدوة :
٢٠١ ، ٤١	بنو عدّي بن كعب :
١٢٩ ، ١١٤ ، ١١١ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ٤٢	العرب :
١٩٦ ، ١٤٨	
٢٤٥ ، ٢٠٩ ، ١٨٦ ، ١١٧ ، ١٠٩ ، ١٠٧	العربان :
١١٣ ، ١١١	عربان الشام :
١١٤	عرب البحرين :
١٠٩ ، ١٠٨	عرب البحيرة :
١٠٩	عرب برقة :
١١٣	عرب غزة :
١١٣	عرب العراق :
١١٠	عرب اليمن :
١١٣	بنو عزّ :
١١٧	بنو عقبة :
١١٢ ، ١١١	آل عليّ :
١١٢	بنو عيسى :
(غ)	
١١٣	غزّية :
١٤٤	غلاة الشيعة :
(ف)	
١٩٨	الفاطميون :
٣٠٠ ، ١٩٦	الفرس :
٢٤٧ ، ٢٤٢ ، ٧٦	الفرنج :

١١٢ ، ١١١	آل فضل :
١١٣	آل فضل بن حجّي :
(ق)	
٦٥	القبجاق :
٩٢	القبط :
٢٠٦	القدرية :
٦٣	بنو قرمان :
٢٠٥	قريش :
(ك)	
٧٩ ، ٧٨	الكرج :
٧٨	الکرد :
(ل)	
١١٠	لأم :
(م)	
٦٥	الماجار :
١٩٧ ، ١٩٥	المجوس :
١٩٩	آل بيت محمد :
١١٣ ، ١١٢ ، ١١١	آل مرء :
٣٩	بنو مرين :
١٩٨	المستعلوية (الإسماعيلية) :
٧٨	المسلمون :
١١٣	المشاركة :
٢٧	بنو المطهر :
١٩٣ ، ٧٩	بنو المعمودية :
١٩٤ ، ١٩٢ ، ١٨٥ ، ٨٠	الملكانية (الملكانيون = الملكيون) :

١١٠	المنتفق :
١١٣	بنو مهدي :
٤١ ، ٣٩	الموحدون :
(ن)	
١٩٩ ، ١٩٨	النزارية (الإسماعيلية) :
١٩٤	النساطرة :
١٩٣ ، ١٩٢ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٠ ، ٧٨	النصاري :
١٨٣	النصاري الملكيون :
١٩١	النصرانية :
٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ٥٤	النصيرية :
١٩٣ ، ٦٦	النورانيون (من التتر) :

(هـ)

٤٦ ، ٤٤	الهمج :
٢٠٢	همدان :
٤١	بنو هنتاة :
٢٥٣ ، ٦٥	بنو هولاكو :
٦٥	الهياطلة :

(و)

٢٠٥	الوهيية :
-----	-----------

(ي)

١٩٤ ، ١٨٥ ، ٨٠ ، ٤٩	اليعاقة :
١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩٠ ، ١٨٣ ، ١٨١	اليهود :

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)	
٢٧	آمل الشط :
٢٥٢	آيات :
٢٣٨ ، ٨٢	آياس :
١٤٢	الأبطح :
٢٢٣	أبيار :
٢١٩	إتفيح (إطفيح) :
٢٢١	إخميم :
٢٥٥ ، ٢٥١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧	أذرعاع :
٢٥٧ ، ٢٥٥ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨	أربد :
٢٥٢	أرحاب :
٢٢٥	الأردن :
٥٣	الأرزن :
٢٦٢	أرض الجبال (العراق العجمي) :
٤١	الأرض السّواخة :
٢٦٠ ، ٢٥٠	أرك :
٦٢	أرمناك :
٧٨	أرمينية :

١٩١	أريحا:
٢٥٠	أرينبة:
٢٤١	إزاز:
٦٠	اسطنبول:
٢٣٨	اسكندرونة:
٢٣٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢١٨ ، ٢٠٠ ، ٨٥	الإسكندرية:
٢٥٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣	
٢٥٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢١	أسوان:
٢٤٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٠	أسيوط:
٨٨	إشبيلية:
٦٥	أشروسنة:
٢٤٥ ، ٢٢٣	أشمون (أشمون الرمان - أشموم الرمان):
٢٤٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠	الأشمونين:
٤١	أطرابلس:
٨٨ ، ٤٣	أغرناطة:
٢٢٨	الأغوار:
٤٦ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٣٩	أفريقية:
٢٤٣	أقلوسنا:
٢٥١	أقمار:
٦٤	أكبرا:
٢٥١	أكرية (الكرية):
٤٩ ، ٤٨	أمجرة:
٩٢ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٥٤ ، ٤٣ ، ٣٩	الأندلس:
٢٣٤ ، ١٩٤ ، ١٩٢	أنطاكية:
٨٢ ، ٦٤	أنطاليا:
٢٣٦	أنطرسوس:

٢٣٦	أنفة :
٢٥٠ ، ٢٣٥	أنقراتا :
٤٨	أوفات :
٢٦٠	إياد :
٧٠ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥	إيران :

(ب)

٢٦٢ ، ٢٥٠	الباب (باب طي) :
٢٥٢	باباس :
١٩٦ ، ١٩٢	بابل :
٢٤٠	باب بني شيبه (بمكة) :
٢٣٥	بارين :
٢٦٢	البازار :
٢٦٢	باشرة :
٢٢٨	الباعونة :
٢٥٢ ، ٢٣٢	بالس :
٦٥	الباميان :
٢٢٨	بانياس :
٢٤٣	بيا :
٢٣٥ ، ٤١	البحر الرومي :
٢٣٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ٢١٨ ، ٦١	البحر الشامي :
٦٥ ، ٥٧	البحر الطبرستاني :
٦٥	البحر الفارسي :
٦٠	بحر القرم :
٢٣٧ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٦٥ ، ٥٧	بحر القلزم :

٦٩ ، ٤٤	لبحر المحيط :
٢٤٣	بحر المنهى (البحر اليوسفي) :
٦٠	بحر نيطش ومانيطش :
٦٥	البحر الهندي :
	البحر اليوسفي = بحر المنهى
١١٤ ، ١٠٧	البحرين :
٢٤٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣	البحيرة :
	بحيرة سدوم (بحيرة لوط : البحيرة الممتنة) : ٢٣٧
٢٥١	البرج الأبيض :
٢٦٠	برزة :
٢٥٣	برزية :
٦٤	برسا :
٢٦٢	برطلة :
٢١٨	برّ العجم :
٣٩	برّ العدو :
١٠٩ ، ١٠٧ ، ٤١	برقة :
٢١٩	بركة الحبش :
٢١٨	بركة الغرندل :
٢٢٣	بركة النطرون :
٦٤	بركي :
٤٧ ، ٤٦	البرنو :
٢٤٩	بريج العطش :
٢٥٠	بريج الفلوس :
٢١٩	بساتين الوزير :
٢٣٦	بشرّيه (بشرّي) :
٦٥	بشمالق :

٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٩٢	بصرى:
٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٠ ، ٢٢٩	بعلبك:
٢٤٠ ، ٢٦٦	بغداد:
٢٥٢ ، ٢٣٤ ، ٨١	بغراس:
٢٥٠	بغديد:
٢٥٦ ، ٢٥٠	البقاع:
٢٣٠	البقاع البعلبكي:
٢٣٠	البقاع العزيزي:
٢٦٢	البقعة:
٥٦	البيع:
٢٥٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٢ ، ٦١	بلاد الأرمن:
٤٤	بلاد البرنو:
٢٣٧	بلاد البلقاء:
٤١	بلاد الجريد:
٢٣٢	بلاد جعبر:
٦٥	بلاد الجيل:
٢١٧	بلاد الحدارية:
٢٣٨ ، ٢٣٥	البلاد الحلبية:
٦٥	بلاد الخطا:
٦٥	بلاد الخفجاج:
٢٥٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٣ ، ٦٠	بلاد الدروب:
٢٥٢ ، ٢٤٠ ، ٢٣٢ ، ٧٨ ، ٦٦ ، ٦٠	بلاد الروم:
٢٦٢	بلاد سنجار المنطق:
٦٥	بلاد السند:
٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ١١٥	البلاد الشامية:
٢٣٦ ، ٢٢٧	بلاد الشقيف:

٢٣٦	بلاد الضنين :
٢٣٥	بلاد طرابلس :
٢٣٨ ، ٢٢٥ ، ٨١	بلاد العواصم والثغور :
٨١	بلاد ابن قرمان :
٧٨	بلاد الكرج :
٦١	بلاد ماردين :
٦٥	بلاد مازندران :
٦١	بلاد ابن لاون :
٢١٧	بلاد النوبة :
٢٦٢	بلاد نينوى :
٦٥	بلاصاغون :
٢٣٦	بلاطنس :
٢٥٧ ، ٢٥٤ ، ٢٤٦ ، ٢٢٢	بليس :
٦٥	بلخ :
٢٥٣ ، ٢٢٧	بلد الخليل :
٢٤٤	بلسبورة (بلزبورة) :
٧٥	البلغار :
٢٣٧ ، ٢٢٧ ، ١١٣	البلقاء :
٨٨	بلنسية :
٢٥٢	بلنياس :
٢٤٤	البلينا :
٢٥٥ ، ٢٥٢ ، ٢٣٢ ، ٢٢٠	البهسنا :
٢٥٦	بولاق :
٥٧	بومن :
٢٦٠	البويب :
٧٠	بيت بركة :

٢٤٧ ، ٢٢٧	بيت جبريل :
٢٤٨ ، ٢٤٧	بيت داراس (داراس = تدارس) :
٢٥٢	بيت الغار :
١٤٦	البيت المحرم :
١٩١ ، ١٨٢ ، ١٣٠ ، ٩٢ ، ٧٣	البيت المقلس :
٢٤٦	بئر البيضاء :
٢٤٧	بئر طرنطاي :
٢٤٦	بئر غزي (عفرى - غذى) :
٢٤٦	بئر القاضي :
٢٥٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٣٣	البيرة :
٢٥٦ ، ٢٥٠ ، ٢٣٠	بيروت :
٢٥٧ ، ٢٥٥ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٢٨	بيسان :
٢٦٠ ، ٢٥٠	البيضاء :

(ت)

٢٤٨	تبينين :
٢٦٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٠ ، ٢٣١	ندمر :
٥٦	التربة الجوانية :
٦٥	تركستان :
٣٧	عز :
٧٨	فليس :
٤٦ ، ٤٤	لتكرور :
٢٣٤	ل باشر :
٣٩	لمسان :
٦٣	رازا :
٦٥	ران :

٤١	تونس :
٢٥٢	تيزين :
٢٣٧ ، ٢٢٤ ، ٢١٨	تیه بنی اسرائیل :
(ث)	
٢٦٢	الثرثار :
٨١	الثغور :
٢٦٠	ثنية العقاب :
(ج)	
٢٤٩	الجامع :
٢٤٠	جامع دمشق :
٢٦٠	جبال إيزيق :
٤٤	جبال البربر :
٢٦٠	جبال جينين :
٨١	جبال الدربندات :
٢٢٥	جبال الروم :
٢٢٦ ، ٢٢٥	الجبال الطوال :
٢٢٧	جبال الغور :
٢١٧	جبال المعدن :
٢٦٠	جبل أربد :
٢٦٢	جبل الأكراد :
٢٣٢	جبل الثلج :
٢٣٤	جبل سمعان :
٢٦٢	جبل سنجار :
٢٦٠	جبل طيبة :

٢٦٠	جبل عجلون:
٢٢٨	جبل عوف:
٢٣٥ ، ٢٢٩	جبل لبنان:
٢٣٦	جبلّة:
٢٥٦	جبة بشري:
٢٣٦	جبة المنيطرة:
٢٥٢ ، ٢٣٤	الجبول:
٢٣٦	جبييل:
٢٢١	جدّة:
٢٤٤	جرجا:
٢٦٠	الجرف:
٤١	جزائر مزغنا (مزغنان):
٢٣٨ ، ٢٢٤ ، ٩٢	جزيرة العرب:
٢٤٥	جزيرة القط:
٨٥	جزيرة المصطكا:
٢٢٣	جزيرة بني نصر:
٢٥٠	جزين:
٢٤٨	جسر أسامة (جسر المجامع):
٢٥٢	جسر الحجر:
٢٣٦	جسر الصنبرة:
٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٢٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٢٥	جعبر:
١١٣	الجفار:
٢٦٠ ، ٢٥٠	جليجل:
٢١٧	الجنادل:
٢٤٧	جنبا:

٢٣٠ ، ٢٢٩	جوسية :
٥٨	جولمرك :
٢٤٥ ، ٢٤٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٩	الجيزة :
٢٥٧ ، ٢٥٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٣٦	جينين :

(ح)

٢٩٧ ، ١٨٥ ، ١٠٨ ، ٤٨	الحبشة :
٢٤٦	حبوة :
٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٢٤ ، ١٤٦ ، ١١٤ ، ١١٠ ، ١٠٧	الحجاز :
٢٦١	حذب غزة :
١٤٥	الحرم الشريف :
١٣٠ ، ٧٣	الحرمين :
٢٥١ ، ٢٢٧	حسبان :
٢٢٨	حسان :
٢٥٠	الحسير :
٢٥١	الحصّ :
٢٣٥	حصن الأكراد :
٢٣٥	حصن عكار :
٥٢	حصن كيفا :
٢٥٠	الحصين :
٣٠ ، ٢٧	حضر موت :
٢٤٨	حطين :
١١٤ ، ١٠٧ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٦	حلب :
٢٣٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٢٥ ، ١١٦	
٢٥٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٠ ، ٢٤٢	
١٨٢	الحمام :

٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ١١٤ ، ١٠٦ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ٩٧

حماة :

٢٥٥ ، ٢٤٩ ، ٢٣٥

٤٣

حمراء غرناطة :

، ٢٣٨ ، ٢٣١ ، ٢٢٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ١٠٦

حمص :

٢٥٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩

١١٢

حوران :

٢٣٦

حولة بانياس :

٢٣٢

الحيار :

٢٦٠

الحير :

(خ)

٢٥١

الخابور :

٢٤٤

خانق دندرا :

٢٤٥

الخانقاه الناصرية :

٢٤٧

الخان الكريمي :

٢٥٠

خان ميسلون :

٢٤٠ ، ٦٦ ، ٦٠ ، ٥٩

خراسان :

٢٦٠

خرية الروم :

٢٤٧ ، ٢١٨

الخروبة :

٦٩

الخطا :

٢٤٦

الخطارة :

٨٤ ، ٦٠

الخليج القسطنطيني :

٢٥٣

الخوابي :

٧٠

خوارزم :

٦٥

الخوجند :

٢٢٦

الخيابة :

(د)

٢٤٠	دار العجلة :
٢٢٧	الداروم :
١١٠	الدرب الشامي :
١١٠	الدرب المصري :
٦٠	دربند القرابلي :
٢٥٢	درندة :
٧٠	دشت القبجاق :
٢٢٣	الدقهلية :
٢٠٢، ١١٦، ١١٤، ١١٣، ١٠٣، ٨٢، ٥٢	دمشق :
٢٣٧، ٢٣٥، ٢٢٩، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٠	
٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٢، ٢٤٠	
٢٦٠، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥	
٢٣٢	الدمنة الخراب :
٢٤٥، ٢٢٣	دمنهو الوحش :
١٦، ٢٥٤، ٢٤٥، ٢٤٣، ٢٢٣، ٢٢٢، ٨٩	دمياط :
٢٤٣	دندرا :
٤٨	دنقلة :
٢٤٣	دهروط :
٤٨	دوارا :
٦٩، ٦٦	ديار بكر :
١١٥، ١٠٦	الديار المصرية :
٢٥١	ديباج :

(ذ)

٢٤٨

ذرعين (زرعين):

٢٤٣

ذروة سرپام (ذروة الشريف):

٣٢٠

ذو طلوح:

(ر)

٢٥١

رأس العين:

٢٤٩

رأس الماء:

٢٤٣

ربع الكريمي:

٥٩ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥

الرحبة:

٢٦٠ ، ٢٥٩

٢٤٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣١

الرستن:

٢٢٢

رشيد:

٢٥٣

الرصافة:

٢٣٣

الرصص:

١٦٩

رضوى:

٢٤٧ ، ٢١٨

رفع:

٢٨٨

الرقمتان:

٢٢٧

الرملة:

١٤٢

الروحاء:

٨٥

رودس:

١٩٢

رومية:

(ز)

٨٨

الزاهرة:

٢٤٣

زاوية أم حسين:

٢٤٥	زاوية مبارك (انبارك):
٢٥٠	زبدان:
٢٥٠ ، ٢٢٦	الزبداني:
٣٧	زبيد:
٢٤٩ ، ٢٤٨	زحر:
٢٢٨	زرع:
٢٧٥	زرود:
٢٤٧ ، ٢١٨	الزرعة:
١٤٦	زمزم:
٨٨	الزهراء:

(س)

٢٥٠	الساخور:
٣٩	سبته:
٢٦٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٠	السخنة:
١٩١	سدوم:
٧٠	السراي:
٧٥	السرب (صربيا):
١٦٩	السرخاب:
٨٨	سرقسطة:
٢٣٤	سرمين:
٢٤٥	سرياقوس:
٢٤٦ ، ٢٤٥	السعيدية:
٢٠١ ، ١٦٨	السقيفة (سقيفة بني ساعدة):
٢٣٢	السلسلة الرومية:
٢٤٧	السلقه:

٢٥١ ، ٢٣٥ ، ٢٣١ ، ٢٢٥	: سلمية
٣٠١	: سلوق
٢٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤	: السماوة
٧٠ ، ٦٥	: سمرقند
٢٤٩	: سمنين
٢٥٢	: السموقة
٢٥٢	: سندان
٨٤ ، ٦٢	: سنوب
٢٤٦	: السوادة
٢٤٤	: سواكن
١٠٨	: السودان
٢٥٠ ، ٢٢٥	: سوريا
٢٥٤ ، ٢١٨	: السويس
٢٢٥ ، ٢١٥ ، ١١٥ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٠ ، ٦١	: سيس

(ش)

١٠٢ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٨٩ ، ٥٥ ، ٤١	: الشام
٣١٠ ، ١٥٢ ، ١٤٨ ، ١٤٥ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٣	
٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩	
٢٥٤ ، ٢٥٨	
٢٣٨	: الشامات
٢١٨	: الشجرتان
٢٩	: الشحر
٢٦٠	: شرفة قاقون
٢٢٢ ، ١٠٨	: الشرقية (بمصر)
٢٤٩ ، ٢٤٨	: الشريعة (نهر الأردن)
٣٩١	

٢٢٨	الشعرا :
٢٥١	الشعراء :
٢٣٦	الشقيف (شقيف أرنون) :
٢٣١	شميمش :
١٤٩ ، ٦٠	شهرزور :
٢٣٧	الشوبك :
٢٢٥	شيزر :
(ص)	
٢٤٧	الصالفة :
٢٥٧ ، ٢٥٤ ، ٢٤٦ ، ١٦٢ ، ٨٢	الصالحية (بمصر) :
٢٤٦	صبيحة نخلة معن :
٢١٧	صحراء الحبشة :
٢٢١	صحراء عيذاب :
١٩٣	الصخرة :
١٩١	الصخرة المقدسة :
٢٢٨	صرخد :
٦٥	الصريوم :
٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢١٨ ، ١٠٨	الصعيد (بمصر) :
٢٢٢	الصعيد الأدنى :
٢٢٢	الصعيد الأعلى :
٦٥	الصغد :
٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٤	صفد :
٢٥٥ ، ٢٥٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٣٦ ، ٢٢٦	
٢٠٤ ، ٢٠٢	صفين :
٢٢٨	الصلت :

٢٠٣ ، ٣٠ ، ٢٧	صنعاء :
٢٥٧ ، ٢٥٥ ، ٢٤٩	الصنمين :
٢٥١	صهلان :
٢٥٣	صهيون :
٢٣٧ ، ٢٢٩	صور :
٢٦٢	الصويمعة :
٢٥٦ ، ٢٥٠ ، ٢٣٠	صيدا :
٦٩ ، ٦٦	الصين :
٦٦	صين الصين :

(ض)

٢٢٢

ضواحي القاهرة :

(ط)

٢٠٣ ، ٦٥ ، ٢٧	طبرستان :
٢٣٦	طبرية :
٢٢٠	الطحاوية :
٢٢٥ ، ١١٥ ، ١٠٧ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠٠ ، ٩٦	طرابلس :
٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٢٩ ، ٢٢٦	
٣٣٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥١	
٦٥	طراز :
٢٤٥	الطراثة :
٢٦٠	الطرة :
٢٥٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥١ ، ٢٤٩	طفس :
٩٢ ، ٨٨	طليطلة :
٦٣	طنغزلو :

١٩٤ ، ١٩١ ، ١٨٣	الطور:
٢٤٨ ، ١٤٦	طبية:
٢٤٩	الطبية:
٢٤٨	الطيرة:
(ع)	
١٦٢	العادية:
٢٤٦	العاقولة:
٢٦٠	عانا (عانة):
٢٢٨	عجلون:
٣٧ ، ٣٠	عدن:
١٤٨ ، ١٤٥ ، ١١٤ ، ١٠٧ ، ٥٤ ، ٤٢ ، ٣٥	العراق:
٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٢٢٤	
٢٦٢	العراق العجمي (أرض الجبال):
٦٦	عراق العرب:
١٨٧	عرفة:
٢٥١	عرقا:
٢٥٧ ، ٢٥٣ ، ٢٤٧ ، ٢٢٥	العريش:
٢٣٤	عزاز:
٢٢٦	عسال:
٩٢	عسقلان:
٢٤٥ ، ٢١٨	العش:
٢٦٠ ، ٢٥٠	العطنة:
٢١٨	العقبة:
٢٦٠	عقبة البريد:
٢٣٧	عقبة الصوان:

٥٨	عقرشوش :
٢٣٦ ، ٢٢٥	عكا :
٨٢	العلايا :
٢٥٣	العليقة :
٢١٨	العميدين :
٨١	العواصم :
٢٤٧	العوجا :
٦٣	عيدلي :
٢٥٤ ، ٢٤٤ ، ٢٢١ ، ٢١٧	عيزاب :
٢٥١	عين بزال :
٢٥٢ ، ٢٣٤	عيتاب :
٢٤٧	عين جالوت :
١٤٦	عين سلوان :
(غ)	
٤٤	غانة :
٢٤٩	غباغب :
٢٠١ ، ١٩٩	غدير خمّ :
٢٤٦	الغرابي :
٢٤٤ ، ٢٢٣	الغربية (بمصر) :
٧٠ ، ٦٥	غزنة :
٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ٢٢٦	غزة :
٢٢٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠	
٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩	الغسولة :
٢٣٦ ، ٦٥	الغور :
٢٢٦ ، ١١١	غوطة دمشق :

(ف)

١١١	فارس :
٢٣٤	فامية :
٦٤ ، ٦٣	فاويا :
٢٥٢ ، ٢٣٧	الفتوحات الجاهانية :
٢٤٨	فحمة :
٢٣٣٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤ ، ١١١	الفرات :
٢٥٩ ، ٢٥٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٣٣	
٦٥	فرغانة :
٩٢	فرنسة :
٢٢٧ ، ٢٢٥	فلسطين :
٦٤	فوكة :
٢٢٩	الفيجة :
٢٤٤ ، ٢٢٠ ، ١٠٩	الفيوم :

(ق)

١٠٨	قابس :
٢٥٤ ، ٢٤٩ ، ٢٣١	قارا :
٢٥٧ ، ٢٥٤ ، ٢٤٨ ، ٢٢٧	قاقون :
٢٥٤ ، ٢٣٦ ، ٢٢٢ ، ٢١٩ ، ٢١٧ ، ٧٣	القاهرة :
٢٢٩	قائم الهرمل :
٣٥	قباء :
٢٥٥ ، ٢٥٠	قباقب :
٨٢	قبرس :
٢٤٨	قبر شعيب :

٢٤٦	قبر الوايلي :
١٤٣	قبة زمزم :
٢٤٠	قبة الصخرة :
٢٣٥ ، ٢٣٢	قبة ملاعب :
٢٥٤ ، ٢٤٠ ، ٢٢٧ ، ١٤٦ ، ٩٣ ، ٧٩ ، ٥٠	القدس :
٢٥١	قَدَس :
٢٥٣	القدموس :
٦٤	قراصار :
٦٦	قراقوم :
٨٨	قرطبة :
٧٠	القرم :
٢٦٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٠	القريتين :
٢٤٩	القسطل :
٢٤٠ ، ١٩٢ ، ٩١ ، ٦٠	القسطنطينية :
٢٥١ ، ٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩	القصب :
٤٣	القصبة الحمراء :
٢٥٧ ، ٢٤٩ ، ٢٤٦	القصير :
٢٤٨	القصير المعيني :
٢٤٧	قطرة :
٢٥٧ ، ٢٥٤ ، ٢٤٦ ، ٢٢٤	قطيا :
٢٥٠ ، ٢٤٩	القطيفة :
٢٣٦ ، ٢٣٥	قلاع الدعوة (القلاع الإسماعيلية) :
٢٣٤	قلعة أبي قبيس :
٢٠٠	قلعة الموت :
٢٢٩	قلعة بعلبك :
٢٣٣	قلعة بغراض :

٢٣٨	قلعة البقية :
٢٥٣	قلعة بلاطنس :
٢٣٣	قلعة بهسنا :
٢٣٢	قلعة البيرة :
٢٣٨	قلعة تل حمدون :
٢٥٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣	قلعة الجبل (قلعة القاهرة = القلعة) :
٢٣٤	قلعة حجر شغلان :
٢٣٨	قلعة حميمص :
٢٣٦	قلعة الخوابي :
٢٣٣	قلعة الدريساك :
٢٢٩ ، ٢٢٧	قلعة دمشق :
٢٣٣	قلعة الراوندان :
٢٣٦	قلعة الرصافة :
٢٥٥ ، ٢٥٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢	قلعة الروم (قلعة المسلمين) :
٢٣٤	قلعة الشجر وبكاس :
٢٣٦	قلعة الشقيف (أرنون) :
٢٢٨	قلعة الصبيبة :
٢٥٣	قلعة صهيون :
٢٣٦	قلعة العليقة :
٢٣٣	قلعة عينتاب :
٢٣٦	قلعة القدموس :
٢٣٤	قلعة القصير :
٢٣٨	قلعة كاورًا :
٢٣٣	قلعة الكختا :
٢٣٣	قلعة كركر :
٢٣٦	قلعة الكهف :

٢٣٦	قلعة المرقب :
	قلعة المسلمين = قلعة الروم
٢٣١	القلعة المصفحة :
٢٣٦	قلعة مصيف :
٢٣٦	قلعة المينة :
٢٣٨	قلعة نجمة :
٢٣٨	قلعة الهارونيتين :
٢٤٤ ، ٢٢٢	قليوب :
٢٢١	قمولا :
٢٦٠	القناطر :
٢٥٠ ، ٢٣٣ ، ٢٢٥	قنسرين :
٢٦٢ ، ٢٢٨	القنيطرة :
٢٥٤ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢١ ، ١٠٩	قوص :
٢٢٦	القيران :
١٠٨	القيروان :
٢٥٢ ، ٩٢	قيسارية :
٢٦٢	القينة :
(ك)	
٤٧	الكانم :
٢٦٠	الكتيبة :
٢٥٢	الكختا :
٢٥١ ، ٢٤٧ ، ٢٣٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ١١٤	الكرك :
٢٣٧	كرك الشوبك :
٢٥٠ ، ٢٣٠	كرك نوح :
٦١	كرميان :

٢٥١	الكرية:
٢٠٤	كسروان:
٢٤٩ ، ٢٢٦	الكسوة:
٦٢	كصطمونية:
٢٣٤	كفرطاب:
١٨٢	كنائس اليهود:
٤٩	كنيسة الإسكندرية:
٢٣٧	كنيسة صور:
١٩٣	كنيسة قمامة (كنيسة القيامة):
٧٩	كنيسة المصلبة:
٢٥٢	الكهف:
٢٦٠ ، ٢٥٠	كواثل:
٤٤	كوكو:
٢٤٤	الكوم الأحمر:
٦٥ ، ٥٧	كيلان (جيلان):

(ل)

٢٥٧ ، ٢٤٨ ، ٢٢٧	لذ:
٢٤٩	لطمين:
١٤٣	لعلع:
٢٤٩	لغزان:
٢٤٥	لوقين:
٢٩٦	اللوى:

(م)

٥٠	ماردين:
----	---------

٦٥	المالِق :
٤٤	مالي :
٢٦٠	المانع :
٧٠ ، ٦٥	ما وراء النهر :
٢٤٨	المجامع :
٢٦٠	مجدل يابا :
١٤٣	المحصَّب :
٢٤٤	المحلَّة :
٢٤٤ ، ٢٢٣	محلة المرحوم :
٧٣	المدرسة البيدمرية :
٢٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ٥٦ ، ٣٥	المدينة المنورة :
٤٢	مدينة النحاس :
٢٤٤	المراغة (المرائغ) :
٢٢٣	المرتاحية :
٢٣٥	مرج الأسد :
٢٢٩	مرج الأسل :
٢٦٢	مرج بني زيد :
٢٢٧	مرج بني عامر :
٢٦٢	المرج المحترق :
٢٢٦	مرقريتا :
٢٥٢	مرقية :
٦٤	مرمرا :
٨٨	المرية :
٢٦٢	المزيدة :
٢٤٦	المسجد الأشرفي :

١٤٣	مسجد الخيف :
٢٦٢	مشهد ابن عمرو :
١٤٥ ، ١٠٧ ، ٩٥ ، ٨٩ ، ٥٥ ، ٤٢ ، ٢٩	مصر :
٢٢٥ ، ٢٢١ ، ٢١٨ ، ١٩٨ ، ١٥٢	
٢٥٠	المصنع :
٢٥٣ ، ٢٥١ ، ٢٣٥	مصياف :
٢٤٦	المطيلب :
١٤٢	المعرّف :
٢٥٥ ، ٢٥٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢ ، ١٠١	المعرّة :
٦٤	مغنيسيا :
٢٤٠ ، ٢٠٣ ، ١٨٧ ، ١٤٦ ، ١٤٢ ، ٥٦ ، ٣٥ ، ٣٣	مكة :
٢٤٧	ملاقس :
٢١٥	ملطية :
١١٥ ، ٩٥	الممالك الإسلامية :
١١٦	الممالك القانية :
١٩٥	مملكة أفريدون :
٧٨	مملكة إيران :
٦٩	مملكة توران :
٢٣٧	المملكة الحلبية :
٦٥	المملكة الخاقانية :
٢١٧	مملكة الديار المصرية :
٢٥٧ ، ٢٢٤	المملكة الشامية :
٧٥	مملكة صاحب السراي :
٦٥	مملكة الهياطلة :
٢٦٢	منازل الأويراتية :

٢٣٧ ، ١٤٣	منى :
٨٩	المنصورة :
٢٦٢	المنظرة :
٢٢٣	منف :
٢٤٤ ، ٢٢٠	منفلوط :
٢٤٤ ، ٢٢٣	منوف :
١٥٦	المنيطرة :
٢٤٣	منية ابن خصيب .
٢٤٣	منية القائد :
٢٦٠ ، ٢٥٣	الموصل :
٢٦٢	المويلح :
٢٦٢	الميدان :
٢٦٢	مئذنة العروس :
١٤٣	الميزان :
(ن)	
٢٦٠ ، ٢٥٤ ، ٢٢٧	نابلس :
٢٣٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥	النبك :
٢٤٤	النحريرية :
١٤٣ ، ١٤٢	نعمان :
٢٧٥	النقا :
٢٢٧	نهر الأردن :
٢٣١ - ٢٢٩	نهر الأرنكا (الأرند = الأرنط = العاصي) :
٢٣٣	النهر الأسود :
٢٣٢	نهر بردى :
٢٤١	نهر البرذون :
٦٥	نهر بلخ :

٢٦٢	الوادي :
٢٦٠	وادي الهيكل :
٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢١٩ ، ١١٤ ، ١٠٧	الوجه البحري (بمصر) :
٢٥٤ ، ٢٢٢ ، ٢١٩ ، ١١٤ ، ١٠٩ ، ١٠٧	الوجه القبلي (بمصر) :
٢٥٧	
٢٥٤ ، ٢٤٦	الواردة :
٢٤٥	وردان :
٢٤٣	وننا :
(لا)	
٢٥٣ ، ٢٣٦	اللاذقية :
(ي)	
٢٦٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧	ياسور :
١٤٦	يلملم :
١١٠ ، ١٠٧ ، ٧٣ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٢٨ ، ٢٧	اليمن :
٢٩٧ ، ٢٠٣ ، ١٤٥	

— فهرس الألفاظ الاصطلاحية والحضارية العمرانية العامة —

(أ)	
١٩٢	الآب والإبن وروح القدس :
٧٧	آخر ملوك اليونان (لقب) :
٢٧٣	الآلات الملوكية :
١٩٩	آل بيت محمد :
٩٥	الأمري :
٢٨٨	الإبريق :
١٠٢ ، ٧٥ ، ٦٣ ، ٦١ ، ٥٤ ، ٥٢ ، ١٣	الأبواب السلطانية :
٢٤٩ ، ١٠٣	
١٧	الأبواب الشريفة :
١٩ ، ١٧	الأبواب الشريفة الخليفية :
٧٩	الأبواب الشريفة السلطانية :
١٣٣	الأبواب العالية :
٩٥	أتابك الجيوش :
١٤١	أتابك المجاهدين :
٩٥	الأتابكي :
٤٠	الأتقى :
٢٨١	الأتافي :
٧٦	الأتير :

٤٣	أثير الإمامة المكرّمة :
٧٦	الأثيل :
١٢٢ ، ١٠٥ ، ٣٩	الأجل :
٩٩ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٧٥ ، ٦١ ، ٥٤ ، ٥٢	الأجلّي :
	الأجناد (انظر الجند)
١٩٢ ، ١٨٢	الأخبار (أخبار اليهود) :
٣٠٨	الإحسان (في الصيد) :
١٦٤	الأحوال (أحوال الصوفيّة) :
٦٧	الأخويّ :
٢٨٠	أداويّ المياه :
٩٢ ، ٨٩ ، ٨٦	الأذفونش :
١٠٦ ، ١٠٢	أرباب الأقلام :
١٣٠	أرباب البيوت :
١٨٩ ، ١٨٨	أرباب التصرّف في الأموال :
١٤٠	أرباب الزغل :
١٠٢	أرباب السيوف :
١٨٨	أرباب النُوب :
١٢٠	أرباب الوظائف :
١٠٧	أرباب الوظائف الدينية :
٢٥٣	الأردو :
١٩٢	الأساقفة :
١٩٢	الأسباط :
١٣٤ ، ١٠٤	أستاذار (أستاذ دار) :
١٢٧	أستاذار العالية :
٩٤ ، ٧٦ ، ٤٩	الأسد (لقب) :
٤٠	الأسرى (لقب) :

١١٨ ، ٧٣ ، ٤٠	إسكندر الزمان :
٤٠	الأسنى :
٧٧	أسوة الملوك والسلاطين :
٢٤٦ ، ٢٤٥	أصحاب النبوة :
٢٤٧ ، ١٣٨ ، ١٢٠	الإصطبلات (الإصطبلات السلطانية) :
٧٥	الأصيل (لقب) :
٥٢ ، ٣٤	الأصيلي :
٢٨١	أضواء المشاعل :
١٧٩	الأطباء الطبائعية :
١٢٤ ، ١٢٠	الإطلاقات :
١٦٨	الاعتزال :
٧٣ ، ٦٧	الأعظمي :
٢٧٦	الأعلام :
٢٠	الأعلام الشريفة العباسية :
١٣٩ ، ٣٠	الأعلام المنصورة :
٢١٤	الأعمال :
٢٤٥ ، ٢٠٣ ، ١٩٠ ، ١١١	الإقطاعات (الإقطاع) :
٣٠٨	الإقعاد (في الصيد) :
١١٩ ، ٩٦	أكابر النواب :
٢٩١	الأكاديش :
٢٣٩ ، ٦٥	الأكاسرة :
١٩٤	الألواح الجواهر :
٥٩ ، ٢٨	الإمارة :
٤٢	الإمارة العدوية :
٢٠٣ ، ١٦٩ ، ١١٠ ، ٣٠ ، ٢٨ ، ٢٧	الإمام :
٣٠ ، ٢٧	إمام الزيدية باليمن :

١١٨	إمام المتقين :
٢٠٣	الإمام المعصوم :
١٩٦ ، ٢٧	الإمامة :
٤٢	الإمامة القرشية -
٢٨	الإمامي :
٢٠٨ ، ١٥	الأمانات :
١٨٦ ، ١٢٩ ، ١٢٥ ، ١١٦ ، ١١٤ ، ١١٣	الأمرء
١١٠	أمرء الأشراف :
١١٦	أمرء الأكراد :
٦٨	أمرء الألووس :
١١٦	أمرء التركمان :
٦٩	أمرء التوامين :
١١٦ ، ١٠٤ ، ١٠٣	أمرء الطبلخانات :
١١٦ ، ١٠٧	أمرء العربان :
١٤٧ ، ١٠٨	أمرء العرب :
١٠٨	أمرء عرب البحيرة :
١٣٩ ، ١١٦ ، ١٠٥	أمرء العشرات :
٢٠٣ ، ١٤٢ ، ٣٣ ، ٢٧	أمرء مكة :
٦٩	الأمرء النويئات :
٢٠٩ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢٢	الأمر الشريف :
١٩	الأمّة الداعية :
١٢٦ ، ١٢٠ ، ١٠٨	الأمير (لقب) :
١٣٩ ، ١٣٧ ، ١٢٧ ، ٣٦	أمير آخور :
١١٢	أمير آل فضل :
٢٥٨	أمير مجلس :

١٤٤ ، ٣٥
 ٢٤٨
 ٤٢ ، ٤٠
 ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ١٢٠ ، ٤٠ ، ٢٧ ، ٢٢ ، ١٨
 ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٩٥
 ١٢٧ ، ١١٢ ، ١٠٨ ، ٩٩
 ٢٦٥
 ١٩٦
 ٢٠٢
 ١٨٢
 ١٩٣
 ١١٧ ، ١٠٧ ، ١٠٢
 ٢٠٧
 ١٩٠ ، ١٨٣
 ١٦٣
 ٥٦ ، ٤٨ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٢
 ٧٤
 ٧٧
 ٤٩
 ٣٤ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦٧ ، ٧٥
 ١٢٨ ، ١٢٠
 ١٣٩
 ١٣٩
 ١٦٠ ، ١٣٠
 ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧

أمير المدينة الشريفة :
 الأمير الكبير :
 أمير المسلمين :
 أمير المؤمنين :
 الأميري :
 الأنايب :
 أهل البدع :
 أهل البيت :
 أهل الذمة :
 أهل الشعانيين :
 أهل الصلاح :
 أهل الطبيعة :
 أهل الكتاب :
 أهل النجامة :
 لأوحد :
 وُحد الملوك والسلطين :
 وُحد ملوك العيسوية :
 وُحد ملوك اليعقوبية :
 لأوحدتي :
 وراق الجواز (أوراق الطريق) :
 وراق الصباح :
 لأوشاقية (الأوجاقية) :
 لأوقاف :
 لياء الدولة :

٢٦٢	الأويراتيّة:
١٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦	الأيمان:
١٩٩	أئمة الخفاء:
١٦٩	أئمة الستر:
١٩٩	أئمة الظهور:
(ب)	
٧٧ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٣ ، ١٩٤	الباب (البابا):
٦٣ ، ١١٤	باب السلطان:
٤٣	الباب الشريف:
١٧	الباب العزيز:
٤٩ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٣ ، ٩٤	الباسل (لقب):
٢٧٠	الباشورة:
٢٣١	البحرية:
٢٧٩ ، ٢٩٤	البخاتي (البخت):
٢٢١	البرابي:
٢٨٤	برج الزهرة:
٣٠٧ ، ٣٠٨	البُرز (في الصيد):
١٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١	البريد:
٢٣٩	البريد (مقياس مسافة):
٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٦	البريديّ (البريدية):
٢٥٥	البطائق:
٤٩ ، ١٩٣	البطريك:
١٨٣	بطريك النصارى الملكيين:
١٨٥	بطريك اليعاقبة:
٨٣	البطل (لقب):

٦٤	بطل النصرانية :
٣٠٨	البطيحة (في الصيد) :
٢٤١	بغال البريد :
١٣٩	بغال الخزانة العالية :
٢٥٦	البغال السلطانية :
١٣٩	بغال الكوسات :
٧٩	بقية أبناء الملوك والتيجان :
٢٨	بقية البيت النبوي :
٥٤	بقية السلاطين :
٩٤	بقية سلف قيصر :
٤٠	بقية السلف الكريم :
٤٣	بقية شجرة الفخار :
٥٢	بقية الملوك والسلاطين :
٦٩ ، ٦٨	بكلاري بك :
٧٦	البلاوس :
٣٠٦	البنج :
٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦٧	البندق (البندقية - البنادق) :
١٩٣	بنو المعمودية :
٣٢٥	البنّي (نوع من السمك) :
٢٧٧	البوقات :
١٣٧	البياكر (البيكار) :
٢٣١	البيت الأسدي :
١١٧	البيت الشريف :
٧٠ ، ١٥٦ ، ١٥٠ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ٢٨	بيت المال :
٢١٢	بيت مال المسلمين :
٢٨٧	البيدق :
٢٦٩ ، ٢٦٤	البيضة :

٢٠٥	البيعة:
(ت)	
٣٠٧	التبريك (في الصيد):
٢٧٣ ، ٨٨ ، ٦٩	التخت:
٢٥٤	تدريج الحمام:
١١٧	الترجمة:
٢٦٩	الترس:
١٠٩ ، ١٠٨ ، ٨٣ ، ٧٥	التشريف (التشريف):
١٧٦	التعديل (في الحديث):
١١٦	التعريف:
١٧٦	التعليل (في الحديث):
١٢٩ ، ١٢٦ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٥	التفاويض:
١٢٥ ، ١٢٢ ، ١١٩ ، ١٠٩ ، ٩٤ ، ١١٥	التقاليد (التقليد):
١٤٨ ، ١٢٩ ، ١٢٦	
٢١٥ ، ٨٠	التكفور:
٢٠٢	التمتع (المتعة):
١٩٨	التناسخ:
١٢٣ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٧ ، ٩٤ ، ١١٥	التواقيع (التوقيع):
١٩٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٤	
١٧٦	التوجيه (في الحديث):
٧٨	التومان:
(ث)	
٣٢٨	الثريا:
٧٧	ثقة الأصدقاء:

الثلاجون (الثلاج):

٢٥٧ ، ٢٥٦

(ج)

جار (جهار):

٣٠٦

الجاشني:

٢٥٨

جامع البلاد الساحلية:

٧٧

جامع كلمة الإيمان:

١١٨

الجانب:

٣٠

الجانب الأعلى:

١٧

الجانب الشريف:

٢٥ ، ١٨

الجانب العالي:

٢٨

الجانب الكريم:

٢٨

الجتز:

٢٧٦

الجرأوة:

٣٠٩ ، ٢٦٨

الجرائحي:

١٧٩

الجرائد:

٢٥٤ ، ١٥٣

الجرح (في الحديث):

١٧٦

الجزية:

٢١٢ ، ١٩٤

الجشارات:

١٣٨

الجفان:

٢٨٠

الجفتاه:

٢٧٨

جلال الإسلام:

٢٨

جلال العترة الطاهرة:

٣٤

الجلابة:

٢١٢

الجليل:

١٢٠ ، ٩٤ ، ٨٣ ، ٧٩ ، ٤٦ ، ٤٥

الغلاهي:

٢٦٧

٧٥ ، ٤٥	جمال الملوك والسلاطين :
١٧٤	الجمهور :
٦٩ ، ٥٧ ، ٢١	الجناب :
١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٩٧	الجناب العالي :
١٢٧ ، ١٠٦	
٩٨ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٧٥ ، ٦٢ ، ٤٦ ، ٢٨	الجناب الكريم :
١٠٣	
١٨٦ ، ١٦١ ، ١٣٠ ، ١٢٥ ، ١٠٥	الجند :
١٢٦	جند الحلقة :
٣٢٩	الجنزير :
٢٨٦	الجنك :
٢٥٩	الجوامك (الجامكية) :
٣٢٨	الجوزاء :
(ح)	
٢٨	الحاجب (الحجاب) :
١٠٤	حاجب كبير :
٤٩	حافظ البلاد الجنوبية :
٩٤	حامل راية المسيحية :
٧٧	حامي البحار والخلجان :
١١٨	حامي الحرمين :
٩٤	حامي حماة بني الأصفر :
٧٩	حامي حمى الفرسان :
٢٦٧	الحبير :
٢٠٤	الحجة الواضحة :
٢٠٢	الحدّ :

١٨٨	الحِرَّاس :
٢٧٤	الحرمدان :
١٧٣	الحروف السبعة (في القراءات) :
١٦٢	الحِسْبَة :
٣٤ ، ٢٨	الحسيي :
١٤٠	الحشيش :
٩٣	الحضرة السامية :
١٠٨	الحضرة السلطانية :
٦٧ ، ٤٢	الحضرة الشريفة :
٤٠	الحضرة الشريفة العليّة :
٧٦ ، ٧١ ، ٤٩	الحضرة العالِيّة :
٧٩ ، ٤٣	الحضرة العليّة :
٧٦	حضرة الملك الجليل :
٥٨	حكام الأردن :
٢٠٦	الحكماء :
١٠٥	الحلقة :
١١٦	الحلقة المنصورة :
١٩٨ ، ١٦٦	الحلول :
٢٩٧	الحمارة العتابية :
٢٣٩	الحمام الرسائلي :
٣١٣	الحمام الهدي :
٣٠٧	الحَمَل (في الصيد) :
١٩٣	الحواريون :
٢٨٠	حياض الماء :

(خ)

٢٧٤	الخاتم:
٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ١٩، ١٨	الخدام:
١١٨	خدام القبليتين:
٢٥٨	خازن الشرابخانه:
٢٤٤	خاص السلطان:
١٣٤	الخاص الشريف:
٢٥٧	خاص المشروب:
٢٤٦	الخاص الناصري:
١٠٣	الخاصية:
٧٩	خالصة الأصدقاء المقربين:
٤٣	خالصة سلف الأنصار:
٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦، ٦٧	الخان:
٢٤٥	الخانقاه الناصرية:
١٥٠	الخبز (الإقطاع):
٦٧	الخدم (الخدمة):
١٨٠	الخدمة الشريفة:
٢١٢	الخراج:
٢٨٠	الخرکاه:
١٣٩، ١٢٠	الخزانة العالية:
١٣٤	خزانة اللباس:
١٢٠	خزائن السلاح:
١٢٤، ١٢٣، ١١٨، ١١٧، ١١٦	الخط الشريف:
١٩٥	الخط المستدير:
١٢٤، ١٢٢، ١٢٠، ٧٣	الخطبة (خطبة الكتاب):

١٦٤ ، ١٠٧	الخطيب :
٧٦ ، ٤٩	الخطير (لقب) :
٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٧٤ ، ٤١ ، ٢٥	الخلافة :
٤٣	خلاصة الخلافة المعظمة :
٧٩	خلاصة ملوك السريان :
٢٥٨ ، ٦٠	الخلع (الخلعة) :
١٢٢ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ٧٠ ، ٥٩ ، ٤١	الخلفاء :
٢٥٤ ، ١٩٨	الخلفاء الفاطميون :
٢٤١ ، ١٨ ، ١٧	الخليفة :
٢٣٢	خليفة الأرمن :
٢٨	خليفة الأئمة :
٢٠٤	خليفة مصر :
٧٤ ، ٥٧ ، ٥٢	خليل أمير المؤمنين :
٢٧٩	الخيام :
٢٥٣	خيل الأولاق :
٢٤٥ ، ١٣٥	خيل البريد :
٢٧٨	الخيل الجفتا (الجفتاه) :
٢٤٧ ، ٢٤٥ ، ١٣٩	خيل السلطان (الخيول السلطانية) :
٢٤٦ ، ٢٤٥	خيل الشّهارة (خيل العرب الشّهارة) :
٢٩٠	الخيل العراب :
٢٩٠	الخيل الهماليج :
٢٥٦	خيل الولاية :
٢٥٣	خيل اليام :
(٥)	
٢١٧	دار الخلافة :

١٦٣	دار الضرب :
١٢٧ ، ٩٣	دار العدل :
١٩٩	الداعي الأول :
٢٤٦	الداغ السلطاني :
٢٦٧ ، ٢٦٥	الدبوس (الدبابيس) :
١٨٨	الدرّاجة :
٢٧٥	الدرج (الدروج) :
٢٦٩	الدرع :
٩٦ ، ٢٥	الذست :
١٣٧ ، ١٣	الدستور :
١٩٩	الدعوة الهادية :
٢٨٥	الدف :
٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ١٥	الذفن :
١١٦	الدعاء :
٢٧٤	الدواة :
١٣٧	الدهليز :
١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٢٧ ، ١٠٤	الدوادر (الدوادارية) :
٢٤٢	الدولة التركية :
٢٤١	الدولة الزنكية :
٢٤٠	الدولة العباسية :
٢٤٠	الدولة المروانية :
٢٥٩	الديادب :
١٩٣	الديرانيون :
٢٥٤ ، ١٢٦ ، ١٤	الديوان :
١٥٣	ديوان الأحباس :
١٥٣ ، ١٢٥	ديوان الإقطاع :

١٢٧، ١٨، ١٣	ديوان الإنشاء:
١٢٧، ١٢٥	ديوان الجيوش:
١٢٧	ديوان الخاص الشريف:
١٢٢	ديوان الخلافة:
٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧	الديوان العزيز:
٩٥	ديوان مصر:
١٨٩	الديوان المعمور:

(ذ)

٤٣	الذابّ عن حوزة المسلمين:
٨٣	ذخر الأمة النصرانية:
٧٥	ذخر أمير المؤمنين:
٢٨	ذخر المسلمين:
٧٩	ذخر ملك البحار والخلج:
٩٩	ذخر الملة:
٥٢	ذخر الممالك:
٩٥	ذخر الموحدين:
٩٩، ٩٧، ٩٥، ٣٤	الذخريّ:
١٢٠	ذخيرة الدين:
٢٨٤	الذراع:
٢٣٩	الذراع الهاشمية:

(ر)

٢٨	رأس العلياء:
٢٨٨	الراووق:
٢٠١	الراية السوداء:

٢٠١	الراية الصفراء :
٢٨٥	الرباب :
١٨٢	الربانيون :
٤٠	ربيب الملك القديم :
٢٨٧	الرخاخ :
٢٣٨ ، ٢٥	رسم المكاتبه (رسوم المكاتبات) :
٧٧	رضي الباب بابا رومية :
٢٧٧	الرقبة (الرقبة السلطانية) :
١٨١	الركاب الشريف :
٦٣	الركب :
٦٣	الركب المصري :
٩٥	ركن الإسلام والمسلمين :
٤٩	ركن الأمة العيسوية :
٣٠٦	رماة البندق :
٢٦٥	الرمح :
٢٣٧ ، ١٩٢	الرهبان :
١٨٤	الرهبانية :
٢٩٠	الرهوان (الرهاوين) :
	الرواتب (انظر المرتبات)
٣٢٦	الروشن :
٧٦	الريدراغون :
٩٢ ، ٨٩	الريدفرنس :
١٨٣	رئيس السامرة :
١٨١	رئيس اليهود :
٢٧٩	الرّيْط :

(ز)

٢٨٣	الزبريطانة :
٢٦٦ ، ٢٦٤	الزرد :
٩٥	زعيم الجنود :
٩٧ ، ٧٥ ، ٦١ ، ٤٣	زعيم الجيوش :
٩٩ ، ٥٢ ، ٤٥	زعيم جيوش الموحدين :
٤٢	زعيم الموحدين :
٢٨	زعيم المؤمنين :
٩٩ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٣٤	الزعيمي :
٣٠٢ ، ٣٠١	الزغاريات :
٤٠	الزكيّ :
٢٧٦	الزمام :
٢٧٧	الزمر :
١٩٥	الزّند :
٢٧١	الزيارات :
٤٨	زين الأنام :

(س)

١١١ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٤	السامي (بغير ياء النسبة) :
١١٤ ، ١١٠ ، ١٠٦ ، ١٠٤ ، ٦٤ ، ٦٠	الساميّ (بياء النسبة) :
١١٣ ، ١١٢ ، ١١٠ ، ١٠٩	السامي الأمير :
٢٧٢	الستائر :
٢٧٥	السّرج :
٢٨٣	سعد الذابح :
١٤٠	السقائين :
٢٦٦	السكين :

١٣ ، ١٤ ، ٤٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ١٠٧ ،
١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٤٠ ، ٢١٤
٧٤
٣٩ ، ١١٧ ، ١١٨
٣٩ ، ١١٨ ، ٢١٠
٧٩
٧٣
٦٧ ، ٧٣ ، ١٢٢ ، ٢١٠
٣٢
٣٠١
٧٩
٢٨٣
٤٩ ، ٧٩ ، ٨٣
٢٦٦
٢٧٢
٢٧٦
٧٩
١٩٦
٣٩ ، ٤٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢
٣٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩
١١٨
٢٨
١٣٥
٢٦٤
٧٥
٩٩

السلطين (السلطان):

سلطان الإسلام:

سلطان الإسلام والمسلمين:

السلطان الأعظم:

سلطان الكرج:

سلطان الوقت والأوان:

السلطاني:

السلطنة:

السلوقية:

سليل اليونان:

السماك الرامح:

السميدع:

السهام:

السهام الخطائية:

السوط:

سياج بلاد الروم وإيران:

السياسة الساسانية:

السيد:

سيد الأمراء في العالمين:

سيد ملوك الزمان:

السيدّي:

السيروان:

السيف:

سيف الإسلام والمسلمين:

سيف أمير المؤمنين:

٤٥	سيف الخلافة:
٣٧	السيفي:
(ش)	
١١٥	الشادّ (الشادون):
٢٥٨	شادّ الشرايخانا السلطانية:
٢٨٧	الشاهات:
١١٨ ، ٣٩	الشاهنشاه:
٧٣ ، ٦٧	الشاهنشاهي:
٢٨٥	الشبابية:
٩٤	شبيه مريحنا المعمدان:
٨١	الشحاني (الشحنة):
٢٥٦ ، ١٣٤	الشراب خاناه:
٢٨	شرف الأنام:
٥٢	شرف الدول:
٥٤ ، ٤٥	شرف ملوك الأنام:
٥٧ ، ٤٠	شرف الملوك والسلاطين:
١٢٧ ، ١٢٤	الشريف:
٣٤ ، ٢٨	الشريفي:
١٦٧	الشطحة:
٢٨٧	الشطرنج:
٧٥	الشعار (شعار السلطنة):
١٨٢	شعار الذمة:
١٩٣	الشعشعانيون:
١٩٢ ، ٤٩	الشماس (الشماسة):

٥١	الشمسي :
٢٦٦ ، ٢٦٥	الشنبر :
٢٤٥	الشهارة :
١٦٢ ، ١٥٨ ، ١١٧	الشهود (الشواهد) :
١٧١	شهود القيمة :
٢٠١ ، ١٥٤	الشورى :
٣٢٨	الشؤل :
١٠٧	الشيخ :
٢٦٢	شيخ الإسلام :
١٦٥	شيخ الشيوخ :
(ص)	
٥٣	صاحب أرزن :
٦٢	صاحب أرمناك :
٤٦ ، ٤١	صاحب أفريقية :
٦٤	صاحب أكبرا :
٤٨	صاحب أمجرة :
٥٤ ، ٤٣	صاحب الأندلس :
٦٤	صاحب أنطاليا :
٧١	صاحب إيران :
٣٩	صاحب برّ العدوّة :
٦٤	صاحب برسا :
٦٤	صاحب بركي :
٧٥	صاحب البلغار والسرب :
٤٧ ، ٤٦	صاحب البرنو :
٥٧	صاحب بومن :

٦٩	صاحب التخت:
٦٣	صاحب توازا:
٥٨	صاحب جولمرك:
٥٧ ، ٥٢	صاحب حصن كيفا:
٤٨	صاحب دنقلة:
١٢٧	صاحب ديوان الإنشاء الشريف:
٧٥ ، ٧٠	صاحب السراي:
٧٠	صاحب السرير:
٦٣	صاحب طنغزلو:
٥٨	صاحب عقرشوش:
٦٣	صاحب عيدلي:
٧٠	صاحب غزنة:
٦٤ ، ٦٣	صاحب فاويا:
٦٤	صاحب فوكة:
٦٤	صاحب قراصار:
٨٢	صاحب قبرس:
٨٤ ، ٧٦	صاحب القسطنطينية:
٤٧	صاحب الكانم:
٦١	صاحب كرميان:
٦٢	صاحب كصطمونية:
٦١ ، ٥٠	صاحب ماردين:
٤٤	صاحب مالي:
٦٤	صاحب مرمر:
٢٠٣ ، ٥٨ ، ٤٨	صاحب مصر:
٦٤	صاحب مغنيسيا:
٦٤	صاحب نيف:

٥٥	صاحب هراة:
٧٣ ، ٧٢ ، ٥٥	صاحب الهند:
٢٠٣ ، ٧٣ ، ٣٦ ، ٣٠	صاحب اليمن:
٦٩	الصاحبي:
٢٨	صالح الأولياء:
٥٠	الصالحي:
١٥٦ ، ١٣١ ، ١٣٠	الصدقات:
٧٧	صديق المسلمين:
٩٤ ، ٨٣ ، ٧٩ ، ٤٩	صديق الملوك والسلاطين:
٢٧٧	الصرناي:
١١٩ ، ١٠٣	صغار التّواب:
١٩٣	الصلبوت:
٢٨٣	الصنانير:
١٥٤ ، ١٤٠	الصيرفي (الصيارف):
(ض)	
٧٦	ضابط الممالك الرومية:
١٥٣	ضرائب رؤوس الأموال:
٩٤ ، ٨٣ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٤٩	الضرغام:
١٨٩ ، ١٦٣ ، ١٣٧	الضمّان (الضامن):
(ط)	
٢٠٤	الطبائعية (أهل الطبيعة):
١٣٦	الطباق:
٢٦٥	الطبرزين (الطبر):
١٥٠ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٠٣ ، ١٠٢	الطبلخانات:

٢٧٧	الطبول :
٣٤	طراز العصابة العلوية :
١٢٦ ، ٦٨	الطرة :
١٦٣	الطريقة :
١٦٦	الطريقة (الصوفية) :
١٣٤	الطست خاناه :
١٢٦ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ٧٣ ، ٦٧ ، ٤٩	الطغراوات (الطغرى) :
٦٨	الطمغة :
٢٨٩	الطنبور :
١٢٥ ، ١٠٥	الطواشي :
١٦٣	الطوائف المنسوبة إلى ساسان :
٣٠٦ ، ٣٠٣	الطير الجليل :
٣٠٦	الطير الواجب :
(ظ)	
١١٨	ظلّ الله في أرضه :
٤٥	ظهير الإمامة :
٦٢ ، ٤٣	ظهير أمير المؤمنين :
٧٩	ظهير الباب بابا رومية :
٩٩ ، ٩٧ ، ٣٤	ظهير الملوك والسلاطين :
٩٩ ، ٩٧ ، ٣٤	الظهيري :
(ع)	
١٢٢ ، ١١٨ ، ٤٥ ، ٤٠ ، ٣٩	العادل :
٧٩	العادل في رعيته :

٧٧	العادل في ممالكه :
٤٩	العادل في مملكته :
٩٩ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٥٧ ، ٥٢ ، ٣٤	العادلي :
٩٥ ، ٤٠	عاقده البنود :
٢٦٨	العامود (الدبوس) :
١٢٢ ، ١١٨ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٠ ، ٣٩	العالم :
٧٧	العالم بأمر دينه :
٧٩ ، ٤٩	العالم في ملته :
١٦٤	عالمات النساء :
٩٥ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٦١ ، ٥٦ ، ٥٤ ، ٥٢ ، ٣٤	العالمي :
٩٩ ، ٩٧	
١٢٢ ، ١٠٦ ، ٩٥ ، ٧٥ ، ٥٦ ، ٥٠ ، ٤٦	العالي :
١٢٤	
٧٦	عباد الصليب :
٢٩٤	العباديّ :
١٨	العبد :
٢٥	العتبات :
٢٤ ، ٢٢ ، ١٩	العتبات الشريفة :
٢١	العتبات المشرفة :
١١٦	عدّة الملوك والسلاطين :
٢٩٠	العرب :
٢٤٧ ، ٢٤٦	العرب الشهارة :
٥٤ ، ٤٦ ، ٤٥	عزّ الإسلام :
٩٩ ، ٩٧ ، ٥٢ ، ٣٤	عزّ الإسلام والمسلمين :
٤٩	عزّ بني المعمودية :

٤٩	عز الملة النصرانية :
١٨٦ ، ٧٨	العساكر (العسكر) :
٢١٥	العساكر الإسلامية :
٢٧٧ ، ١٨٠ ، ١٦١ ، ١٣٩ ، ١٣١	العساكر المنصورة (العسكر المنصور) :
٧٨	العساكر الهولاكوهية :
١٦٦	العشاق (صوفية) :
١٠٤ ، ١٠٢	العشرات :
٢٦٨	العصا :
٢٧٦	العصابة السوداء الخليفية :
٢٧٦	العصائب :
٤٨	العضد :
٩٧ ، ٥٢ ، ٤٥	عضد أمير المؤمنين :
١١٦	عضد الملوك والسلاطين :
٣٤	العضدي :
١٦٣	العطارون :
١٤٥	العقبان (الأعلام السلطانية) :
١١٧	العلامة :
١٠٨	العلامة السلطانية :
١١٨ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ١١١	العلامة الشريفة :
٢٨	العلّامي :
٦١	العلائي :
٢٨	علم الهداة :
١٨١	علم الهيئة :
٩٤ ، ٨٣ ، ٧٩ ، ٧٧ ، ٤٩	عماد بني المعمودية :
٩٩	عماد الدولة :
١٥٥	العمامة :

١٨٣ ، ١٨٢	العمام : ١٨٣ ، ١٨٢
٤٨	عمدة الملوك والسلاطين :
٥٩ ، ٤٩	العميد :
٣١٩	عنقاء مُغرب :
١١٦	العنوان :
١٢٩ ، ١٢٦ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١٥	العهد (العهود)
١٨٢	عهد الذمة :
٢٨٥	العود :
٦١	عون الإسلام والمسلمين :
٩٩ ، ٩٧	عون الأمة :
٩٩ ، ٩٧ ، ٩٥	العوني :
١٦٢	العيار :
١٩٣	عيد الصليب :
(غ)	
٤٨ ، ٤٦	الغازي :
٢٧٨	الغاشية :
٤٠	الغالب بنصر الله :
٣١١	الغرانيق العلا :
٣٢٥	الغربان (سفن حربية) :
٩٤ ، ٨٣ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٤٩	الغضنفر :
١٩٣	الغظاس :
١٣٨ ، ١٣٧	الغلمان :
١٣٥	غلمان الإصطبل :
٩٥	غوثة الملة :
٣٤	الغوثة :

٩٥	غياث الأمة:
٧٤	غياث الأنام:
٩٧	غياث الملة:
٩٧ ، ٩٥	الغياثي:

(ف)

٩٤	فارس البر والبحر:
٢٨٢	الفانوسان:
٢٥٢ ، ٢٣٧	الفتوحات الجاهانية:
٤٨	فخر المجاهدين:
٨٣	فخر الملة المسيحية:
٦١	فخر الملوك والسلاطين:
٢٨	فخر النسب العلوي:
٢٨٧	الفرازين:
١٣٥	الفراش خاناه:
١٥٥	الفرجية:
٢٣٩	الفرسخ:
٣٤	فرع الشجرة الزكية:
٩٠	الفرنسيس:
٢١٤	الفسخ:
٢٤٠	الفسيفساء:
١٩٣	الفصح الأكبر:
١٦٣	فقهاء المكاتب:
٤٣	الفقيه (لقب):
١٩٦	الفهلوية:

(ق)

- القاضي (القضاة): ١٠٦، ١١٧، ١٥٤، ٢٤٢
قاضي العسكر: ١٦١
قاضي العمل المستقل: ١٦١
قاضي القضاة (قضاة القضاة): ١٠٦، ١٠٧، ١١٩
القان (القانات): ٦٧
القان الكبير (القانات الكبار): ٦٩، ٧١، ٧٣
القاني: ٦٧
قائد الموحدين: ٤٠
القائم: ١٩٩
القائم بسننه وفرضه: ١١٨
القائم في مصالح الدنيا والدين: ٤٢
القدح: ٢٨٧
القدور: ٢٨١
القرآء السبعة: ١٧٤
القرابير (القرقور - وهو سفينة كبيرة): ٢٧٣
القربان المقدس: ١٩٣
القسوس: ٤٩، ١٩٢
قسيم أمير المؤمنين: ٤٠، ١١٨، ٢١٢
القصارون: ١٤٠
القصص: ١٢٧، ١٢٨
قطع البغدادي الكامل (قطع ورق): ٦٧
قطع الثلث: ٦٩
قطع الثلثين: ١٢٦

١٢٦	قطع العادة:
١٢٦	قطع الكامل:
١٢٦ ، ٦٩	قطع النصف:
١٢٦	قطع الورق:
٨٢ ، ٧٦	القطيعة (القطائع):
٢٧٤	القلم:
١٢٦	قلم التوقيعات:
١٢٦	قلم الثلث الخفيف:
١٢٦	قلم الثلث الكبير:
١٢٦	قلم الرقاع:
١١٧	القلم الشريف:
١٢٦	قلم مختصر الطومار:
٢٧٣	قوارير النفط:
٢٦٦	القوس:
٢٦٧	قوس البندق:
٢٣٩ ، ٧٧	القياصرة:

(ك)

٢٨٧	الكأس:
١٢٤ ، ١٢٠ ، ١١٨ ، ٩٥ ، ٩٣ ، ٦٨	الكاتب (الكتاب):
٢١٢ ، ١٥٢ ، ١٢٦	
٢٤٢ ، ١٢٥ ، ١٠٦	كاتب الإنشاء (كتاب الإنشاء):
١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٠٦	كاتب السر:
١٠٦	كاتب السر بالشام:
٢٠٣	الكارم:
٢٤٩ ، ٢٤٨	كافل الشام:

٩٥	كافل الممالك :
٩٥ ، ٩٤ ، ٩٠	كافل الممالك الإسلامية :
١١٩	كافل المملكة (كفلاء الممالك) :
١٢٧ ، ٩٩ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٣٤	الكافلي :
١٢٦	كبار التواقيع :
١٠٣	كبار المقدمين :
١٠٣	كبار النواب :
٤٨ ، ٤٦ ، ٤٥	الكبير :
٩٩ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٧٥ ، ٥٤ ، ٥٠ ، ٣٤	الكبيري :
٩١	الكتاب الشريف النبوي :
١١٩ ، ٩٥ ، ١٧	الكتابة :
٩٢	كتبة القبط :
٧٩	الكرّار :
٢١٧	كرسي الملك :
٢٣٩	كسرى :
٢٣١	الكشافة :
٩٥	الكفالة :
٣٠١	الكلب السلوقي :
٢٦٦	الكنائن :
٢٧٦	الكور :
١٣٩	الكوسات :
٣٤٠	كوكب الأسرة الزاهرة :
٢٨٤	الكيل :
(ل)	
٢٧٥	اللجام :

(م)	
١٨٤	ماء المعمودية:
٤٠	ماليء صدور البراري والبحار:
١٥٧ ، ١٤	المباشر:
١٣٠	مباشر الأموال:
١١٩	المبايعة:
١٨٦	المبايعة العامة:
١١٨ ، ٤٠	مبيد الطغاة والكفار:
٤٥	متبع الحواريين:
٧٩	المتخت:
١١٥	المتصرف (المتصرفون):
١٧٨	متطبب بالكحل:
١٧٧	متطبب طبائعي:
٢٠٢	المتعة (التمتع):
٢٥٣ ، ٨٠	المتملك:
٢١٥ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٢ ، ٨٠ ، ٦١	متملك سيس:
٧٩	المتوج:
٤٢	المتوكل على ربه:
١١٨ ، ٤٢ ، ٤٠ ، ٣٩	المثاغر:
٩٩ ، ٩٥ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٦٠ ، ٥٧ ، ٥٢	المثاغري:
١١٦ ، ١١٥ ، ٢٢	المثال (المثالات):
٢٧٢ ، ٢٧٠ ، ١٣٢	المجانيق (المنجنيق):
١١٨ ، ٤٨ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٠ ، ٣٩	المجاهد:
٤٣	المجاهد عن الدين:
٤٠	المجاهد في الله:

٣٧، ٥٢، ٥٤، ٥٧، ٦٠، ٧٣، ٧٥	المجاهديّ:
٤٨	مجد الإسلام:
٣٣	المجلس:
١٠٥، ١١٠، ١١١، ١١٣	مجلس الأمير:
٤٨	المجلس الجليل:
١٧٢	مجلس الحكم العزيز الشافعي:
٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ١٠٣، ١٠٥	المجلس السامي (ببإ النسبة
١٠٧، ١٠٨، ١٢٧	وبغير باب النسبة):
١١٠، ١١٢، ١١٤	المجلس السامي الأمير:
١١٠، ١١٢	المجلس السامي الأميري:
١٠٧	المجلس السامي الشيخ:
١٠٧	المجلس السامي الشيخيّ:
٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٥٢، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٩	المجلس العالي:
١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١١٢، ١١٦	
١٠٦، ١٠٧	مجلس القاضي:
٤٠	مجدّ الجنود:
٤٠	مجهّز الغزاة والمجاهدين:
١٠٧، ١٦٢	المحتسب:
١٧٥	المحدّث:
١٥، ٢٣٩، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢	المحرقات:
٢٧٨	المحقّة:
٢٧٩	المحمل:
١٤٤، ١٤٥	المحمل الشريف:
٧٧	محيي طرق الفلاسفة والحكماء:
٣٩، ١١٨	محيي العدل في العالمين:

٧٧	مخول التخوت والتيجان :
١٠٤	مدبر الدولة :
١٧٢	المدرس :
١١٨ ، ٤٢ ، ٤٠ ، ٣٩	المرباط :
٩٩ ، ٩٥ ، ٧٥ ، ٧٣ ، ٦٠ ، ٥٧ ، ٥٤ ، ٥٢	المرابطي :
١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٤ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ٦٨ ، ١٥	المراسيم (المرسوم) :
١٩٠ ، ١٨٨ ، ١٣٠ ، ١٢٩	
١٢٧	المراسيم المربعة :
٢٥٧	مراكب الثلج :
٢٥٣ ، ٢٤٢ ، ٢٣٩	مراكز البريد :
٢٥٤ ، ٢٣٩	مراكز الحمام :
٢٥٦	مراكز هجن الثلج :
١٢٧	المربعات :
١٢٦	المربعات الجيشية :
١٩٠ ، ١٣٠ ، ٧٣	المرتب (المرتبات) :
١٢٨	المرسوم الشريف :
٢٤٢	مركز قلعة الجبل :
٢٧٥	المرملة :
١٦٤	المريدون :
٤٠	مزعزع أسرة الكفار :
١٢٠ ، ١١٤	المسامحة (المسامحات) :
١٢٧ ، ١٢٥	المستند :
١٥٢	مستوفي الصحبة :
٢٤٠	المسجد الجامع :
٢٧٧	المشدة :

٧٩	مشيخ الأبطال المسيحية :
٩٥	مثنيد الدول :
٩٩ ، ٩٧ ، ٩٥	المشيدي :
٧٩	مُصافي المسلمين :
١٣٤	المطبخ :
٤٩	المطران :
١١٧ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤	المطلقات :
١١٥	المطلقات المصغرة :
١١٥	المطلقات المكبرة :
١١٨ ، ٤٩ ، ٤٦ ، ٤٠	المظفر :
٩٥ ، ٧٣ ، ٦١	المظفري :
٢٧٦	المظلة :
١٣٠	معايير النقود :
٧٦	المُعرق :
٨٥	معز بابا رومية :
٤٠	معز الملة :
٧٩ ، ٧٧	معز النصرانية :
٧٩	معظم بيت المقدس :
٤٩	معظم كنيسة صهيون :
٧٣	المعفي على ملوك آل ساسان :
٣٠٠	معلمات الصيد :
١٩٢	المعمودية :
٧٠	المغلي (اللغة المغولية) :
٢١٦ ، ٢١٤ ، ٢٠٨ ، ٢٧ ، ١٥	المفاسحات :
٣٤	المفيدي :

٣٢	المقام :
١٧ ، ٧٣	المقام الأشرف :
١٢٢	المقام الشريف :
٣٧ ، ٤٠ ، ١٢٢	المقام العالي :
١٢٢	المقام الكريم :
٣٠٧	المقامات (في الصيد) :
١٤٨	مقدم الأكراد :
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ١٢٦	مقدم ألف (مقدمو الألوفا) :
١٥٠	مقدم التركمان :
١٥١	مقدم الجبلية :
١٠٥	مقدم الجند (مقدمو الجند) :
١٠٥	مقدم الحلقة (مقدمو الحلقة) :
١١٦	مقدمو الحلقة المنصورة :
١٢٦	مقدم طبلخاناه (مقدمو الطبلخانات) :
٦٢ ، ٧٥ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١١٥	مقدم العساكر :
١٣٦	مقدم الممالك :
٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩	المقدمي :
٦٠	المقر :
٦٥	المقر العالي :
٥٠ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٨	المقر الكريم :
١٧٣	المقريء :
٢٨٤	المقص :
١٥ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٣	المكاتبة (المكاتبات) :
٤٩ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٩٢	
٩٣ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣	
١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤	
١١٦ ، ٢٣٨ ، ٢٦٣	

٢٧٢	مكاحل البارود:
١٥٣	المكلفات:
٢١١ ، ٨٣ ، ٧٠ ، ٤٩ ، ٤٦	الملك (لقب):
١١٧ ، ٧٣	ملك البسيطة:
٤٥ ، ٤٤	ملك التكرور:
٧٦	ملك الروم:
١١٨ ، ٤٠	ملك العرب والعجم والترك:
٥٦	ملك ما وراء النهر:
٨٨	ملك المسلمين بالأندلس:
٧٧	ملك ملوك السريان:
٣٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٥	الملكي:
٢١٠ ، ١٢٢	
٢١٠ ، ١٢٩ ، ١٢٢ ، ١١٩	الملوك:
٢٤١ ، ٧٦ ، ٧٥	ملوك الإسلام:
٢٤١ ، ٨٠	الملوك السلاجقة:
٨٧	ملوك الطوائف:
٤٢	ملوك الغرب:
١١٨ ، ٧٦	ملوك الكفار:
٥٧	ملوك كيلان:
١١٧	ملوك المسلمين:
٨٢ ، ٥٥	الملوك الهولاكوهية:
٢٥٥ ، ٢٥٢ ، ٢٤٩ ، ٢٣٨ ، ١١٥	الممالك الإسلامية:
١١٥	الممالك الشريفة:
١١٦	الممالك القانية:
١٨٦ ، ١١٧ ، ٧٤ ، ٧٣	المماليك:

١٣٦	المماليك السلطانية :
١٣٨	مماليك الطباقي :
٢٢٨	المماليك المعظميّة :
٧٦	الممجد :
	مملك أصحاب المناير والأسرة
١١٨	والتخوت والتيجان :
٤٠	مملك الممالك والأقاليم والأمصار :
٢٣٧	المملكة الحلبية :
٢١٧	مملكة الديار المصرية :
٢٥٧ ، ٢٢٤	المملكة الشامية :
٢٥٧	مملكة طرابلس :
١٨ ، ١٧	المملوك :
٩٧	ممهدّ الدول :
٩٩ ، ٩٧ ، ٩٥	الممهدّي :
٢٥٧ ، ١٣٥	المناخات السلطانية :
٢٦٢	منازل الأويراتية :
١١٩ ، ١٠٩ ، ١٠٧ ، ٩٤ ، ٦٣ ، ٥٩ ، ١٥	المناشير (المنشور) :
١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥	
١٢٦	المناشير الكبار :
٢٦١ ، ٢٥٩ ، ٢٣٩ ، ١٥	المناور :
٧٣	منبع الكرم والإحسان :
٩٥ ، ٢٨	منجد المملوك والسلاطين :
١٨٠	المنجم :
٢٦٦	المنجنون :
٢٧٤	سدّيل الأمان :
٤٩	لمنصف لرعيته :

٤٠	منصف المظلومين من الظالمين :
١١٨ ، ٤٦ ، ٤٠ ، ٣٩	المنصور :
٩٥ ، ٧٣ ، ٦١	المنصوري :
٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ١٥٥	المنطقة :
٢٦٠	المنظرة :
٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢٧	المهادنات :
٢٨٦	المهارك :
١٩٩	المهديّ :
٢٠٤ ، ٢٠٢	المهدي المنتظر :
١٩٦	المهرجان :
١٣٥	المهمرد :
٧٩	مُوادّ المسلمين :
٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢٠٨ ، ١٥	المواصفات :
٧٩	موافي الملوك والسلاطين :
١٧	المواقف المشرفّة :
١٧	المواقف المقدّسة :
٢١٤	المواني ء :
٤٣	الموشّحات :
١٨١	الموقّت :
١٢٧	الموقع (الموقعون) :
١٠٦	موقع الدّست :
٢١٠ ، ٧٣	المولوي :
١١٨ ، ٤٨ ، ٤٥ ، ٤٢	المؤيد :
٢٨	مؤيد أمور الدين :
٤٠	مؤيد السنّة :
٤٠	المؤيد على أعداء الله :

٧٩	مؤيد العيسوية :
٧٧	مؤيد المسيحية :
٣٤ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٧٣ ، ٩٥ ، ٩٧	المؤيدي :
٢٣٩	الميل (مقياس مسافة) :
(ن)	
٢٨١	نار القري :
١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٤	الناست :
٤٠ ، ١١٨	ناشر لواء العدل والإحسان :
٤٣ ، ٤٥ ، ٧٥ ، ٩٥	ناصر الغزاة والمجاهدين :
٤٩	ناصر الملة المسيحية :
١٠٦	الناظر (النظار) :
١٠٦	ناظر الجيش :
١٤٦	ناظر الحرمين :
١٠٦	ناظر الخاص :
١٠٦	ناظر الدولة :
٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٤	النائب (النواب) :
١٦٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٢	
٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩	نائب حلب :
٩٧ ، ١٠١	نائب حماة :
٩٤	نائب السلطان بالحضرة :
١٣٠	نائب السلطنة :
١٢٧	نائب السلطنة الشريفة :
٩٥	نائب السلطنة المعظمة :
٩٦ ، ٩٧	نائب الشام :
٩٧ ، ١٠١	نائب صفد :

١٠٠ ، ٩٦	نائب طرابلس :
٩٤	نائب الغيبة :
٩٧	نائب غزة :
١٣٢	نائب قلعة :
٩٥ ، ٩٤	النائب الكافل :
٢٤١ ، ١٣٥	النَّجَابَة :
١٧٦	النحوي :
٢٦٩	الترد :
٣٤	نسيب أمير المؤمنين :
٣٤ ، ٢٨	النسيبيّ :
٥٢	نصر الغزاة والمجاهدين :
٩٩ ، ٥٢	نصرة الغزاة والمجاهدين :
٦١	نصير الغزاة والمجاهدين :
٣٤	النصيري :
٢٧١ ، ٢٥٩	النظارة :
١٨٨	نقباء القلاع :
١٦٨	نقيب السادة الأشراف :
٣٠٨	النكت (في الصيد) :
٩٥	نواب الشام :
١٨٨	نواب القلاع :
١٩٩	النواصب :
١٣٣	نُوب الحمام :
١٩٣	النورانيون :
٦٦	النُّوْكَر (الرفيق) :
٥٥	النُّوَيْن :
٦٦	النُّوَيْنِي :

٢٣٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٦ ، ٩٥

النيابة (النيابات):

٩٥

نيابة السلطنة:

٢٣٨

نيابة الشام:

١٩٦

النيروز:

(هـ)

٢٥٧

الهجن:

٢٥٦ ، ٢٣٩ ، ١٥

هجن الثلج:

٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢١١ ، ٢٠٨ ، ١٥

الهدنة (الهدن):

٢٩٠

الهماليج:

٨٣ ، ٧٩ ، ٧٦ ، ٤٩ ، ٤٦

الهمام:

٢٠٧

الهيولى:

(و)

٧٩

وارث آبائه في الأسرة والتيجان:

٧٧

وارث القياصرة القدماء:

١١٨ ، ٤٠

وارث الملك:

١١٨

والد الملوك والسلاطين:

٢٢١ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١٠٩

الوالي (الولاية):

١٣٩

والي حرب:

٢٥٥

والي الولاية:

١١٨

واهب الأقاليم والأمصار:

٣٠٧

وجه خوارج (في الصيد):

٣٠٧

وجه رواجع (في الصيد):

٣٠٧

وجه صباح (في الصيد):

٣٠٧

وجه العشاء (في الصيد):

٣٠٧	وجه غداة (في الصيد):
٣٠٧	وجه مصبح (في الصيد):
٣٠٧	الوجوه (في الصيد):
١٠٤ ، ٦٩	الوزارة:
١١٩ ، ١٠٦ ، ١٠٢ ، ٩٤ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٢٨	الرزاء (الوزير):
٢٤٢ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٣١	
٦٩	الوزيرِي:
١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٥ ، ١٢٤	الوصايا (الوصية):
١٦٤ ، ١٥٤ ، ١٥٠ ، ١٣٩ ، ١٣٤	
١٣٦ ، ٦٨	الوصل (الأوصال):
١٥٩	الوقف:
١٧٠ ، ١٠٧	وكيل بيت المال المعمور:
٢٤٦	وكيل الخاص:
٢٣٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٢ ، ١٢٢	الولاية (الولايات):
٢٣٧ ، ٢٣٥	ولاية برّ:
٥٤	ولي أمير المؤمنين:
١٢٩ ، ١٢٢ ، ١١٩ ، ٣٢ ، ٢٥	ولي العهد (ولاة العهود):
١٢٠	ولي عهد المسلمين:
(لا)	
١٩٧ ، ١٩٤ ، ١٩٢	اللاهوت:
(ي)	
٧٨ ، ٦٨	اليرالغ (اليرلينغ):
	اليمين: (انظر الأيمان).